

میراث العشق واللمس

الجزء الأول

رضوی چا ویش



عبر الکتب

للطباعة والنشر

میرا کمال عشق والہامی

الجزء الاول

للنشر والتوزيع

للكاتب رضوی چا ویش

رضوی چا ویش



عبر الکتب
للنشر والتوزيع

www.abeeerkotob.com

فريق عمل عير الكتب

الترقيق اللغوي

رضوى جاويش

الأشرف العام

هاله جبر - عير حسام

تصميم الغلاف / إعداد و تعبئة وإخلاء

Emy Abo-Elghait

www.abeeerkotob.com

رابط الموقع

<https://www.abeeerkotob.com/>

رابط الجروب

<https://www.facebook.com/groups/t2molat.2lb/>



عبر الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeeerkotob.com

الفصل الاول

كان يقود سيارته وهو غارق فى أفكاره وخواطره التى
تزاحمت جميعها تتصارع ولا فكاك منها....أن قلب
الصعيد حيث ولد كان ولازال من أكثر الأماكن التى
تموج بالاحداث الساخنة والصراعات التى لاتنتهى...
تتجسد أمام عينيه الآن صورة أبيه.. والذى كان و
سيظل كبير الهوارية فى نجع الصالح وقد أقعده
المرض..فألقي كل أحمال العائلة على كتفى ولده
البكر منذ سنوات....لم ينعم بالراحة بعد تلك
المسؤولية والتى لم يكن له رفاهية قبولها او رفضها ولم
يكن باستطاعته كذلك أن يتقاعص عن حملها....فهو
الأبن البكر لوالده والذى لم ينبج غيره من
الذكور بجانب أخته سهام والتى تصغره بأكثر من سبع
سنوات هما كل ميراث الشيخ مهران من أولاد من امه

الحاجة فضيلة... تلك المرأة بشخصيتها القوية والتي
ربته على الحزم والشدة والتي طالما كانت تتباهى بأن
ولدها منذ نعومة اظافره.... قلبه ميت لا يعرف الرحمة
مع من لا يستحقها ..

الفضل يعود لتلك السيدة فيما وصل إليه الآن .. هو لا
ينكر ذلك أبداً فالكل يهابه ويقيم له ألف حساب ولا
يمكن لأي من كان أن يعترض على حكمه أصدره أو يرد
له كلمة نطق بها فهو الأمر الناهي فى ذاك النجع ..
منذ سنوات عندما آلت اليه تركة زعامة الهوارية خلفا
لأبيه المقعد وهو يعرف أن الناس تدعوه بالغول لشدته
وقساوة قلبه..... لكن هو يدرك أيضا انه لولا تلك
القساوة التي يتخذها منها لكان الهوارية وسيرتهم
مضغة تلاك فى الأفواه و حكاية من حكايات الرباب
يتغنى بها أهل النجع والنجوع المجاورة في سامرهم و
خاصة بعد تلك القصة القديمة التى كللت أسم

الهورية بالعار وأحنت هامات رجال العائلة....و التي
لظالما أعادت أمه على مسامعه أحداثها منذ كان طفلا
وأزكت الرغبة بداخله يوما بعد يوم في الانتقام والذي
شب و هو يعتبره واجب مقدس لا يموت بالتقادم ولن
يقدر علي أتياه أحد سواه..

كان على يقين أنه لابد من أن يأتي يوم لينتقم من ذاك
الذي تجرأ و اخطأ فى حق الهوارية واحنى رؤسهم
لفترة ليست بالقليلة... حتى أعادت قسوته وسطوته
تلك الهيبة المفقودة ...

و لكن فى ظل أجواء حياته المحاطة بالكراهية و
الصراع كان لابد من وجود بعض الضحايا و الذين من
بينهم اخته سهام و التي أصبحت هاجس امه الحاجة
فضيلة خاصة و انها لم تتزوج بعد رغم بلوغها الخامسة
و العشرين .. على الرغم من انها أیه من الجمال
بجانب حسبها ونسبها وأصلها الطيب...

لكنه يدرك تماماً انه له يد في ذلك حتى و لو بشكل غير مباشر .. ان سطوته وجبروته جعلت الكثيرين يحجموا عن التقدم للزواج بها و لم يتجرأ الكثيرون للمثول أمامه لطلب يدها حتى من تجراً و فعلها لم يجده هوجديراً بأخته الرائعة ...

تنهد وقد لاحظ انه تقريباً قطع أكثر من نصف المسافة حيث مزرعته بالقرب من القاهرة

حاول ان يقطع ذاك الحبل الممتد من الافكار والخواطر متنهداً في ضيق.

أنه يشعر بأنه يعيش دائماً على حد السيف .. يجد نفسه دوماً في خضم من الصراعات والعداوات التي لا تنتهي.

حتى أقرب الناس إليه لم يسلم من ضغائنه.. وتجسدت أمام عينيه صورة عمه غسان رحمه الله....

وابنه سليم...لطالما حذرته امه من مكرهما
وكيدهما..و لطالما كانت غيرة سليم منذ ان كانا
طفلين هي كل ما يكنه له من مشاعر ثم زاد عليها
بعض من الحقد والكراهية ازكاها عمه رحمه الله لطمعه
في زعامة الهوارية خلفا لأبيه ..
كم تمنى أن يكون سليم ذاك الأخ الذي لم يحظي
به..لكن سليم كان مثل النار التي تحرق من يقترب
منها ..

نار تزكيها الكراهية ...التي زرعها عمه غسان فى قلب
ولده تجاه بن عمه الوحيد.....
لطالما شعر عمه.... بأن مكانه دائما هو رأس العائلة
وعميدها لكن أبوه الحاج مهران...
لم يآتمن عمه على العائلة ومصالحها لأسباب كثيرة
رفض أبوه ذكرها.. ربما رغبة فى بقاء صورة العم نقية
بعض الشئ فى مخيلته...

لقد كان سليم ممن تقدموا لخطبة سهام أخته عدة مرات وكان أبوه في كل مرة أول الراضين
كان دائما ما يقول مبرراً رفضه

انه لو يعلم انه سيصونها... لكان أولى بها فهو بن عمها.. لكنه يعلم ان كل ما يهمله هو ميراثها بعد عمر طويل.

مد يده ليشغل مذياع السيارة الفارهة التي قيودها محاولا أن يقطع ذاك السيل العارم من الاحداث والخواطر والتي تداهمه ما أن يبقى وحيدا..

تهادت الموسيقى الناعمة الرقيقة لإحدى الأغاني العاطفية التي تقطر شجنا وهياما فظهرت على شفثيه ابتسامة ساخرة وهو يستمع لكلمات الحب التي تقطر هجراً ولوعة وقال محدثا نفسه في استهزاء :

- حب وعشج ومسخرة وكلام فاضى... اهو بيضحكوا على الحريم بكلمتين...

تنبه انه على مشارف الوصول للمزرعة والتي يتشارك في ملكيتها مع أحد أصدقائه منذ أيام الجامعة وترك له الأشراف على إدارتها نظرا لعدم تفرغه و خاصة بعد ما تملك زمام أمر العائلة بعد مرض ابيه

ولولا إلحاح صديقه للقدوم بسبب بعض الأمور الإدارية الهامة المعلقة والتي يتوجب عليه القيام بها ما استطاع ان يترك النجع وأموره والتي لا تسير إلا تحت إمرته ..اخيراً وصل الى حدود مزرعته....

وها هو يعبر بوابتها... واذا فجأه تمر من البوابة فى نفس اللحظة سيارة اخري مسرعة....

توقف على الفور يتطلع لذاك المتهورالذى يقودها فلم يلمح من خلف الغبار سوى خيال لغطاء رأس انثوى خلف مقود العربة....

زال الغبار في ثوان ليعبر البوابة فى ثقة..هلل له الحراس فى حبور :

- حمد الله بالسلامة يا باشمهندس(عاصم) نورت
مزرعتك ...

ابتسم لهم فى حبور واوماً برأسه واتجه حيث مبنى
الإدارة ليستقبله شريكه المهندس(ممدوح) فى حبور
مماثل :- حمد لله على السلامة.. ايه الغيبة الطويلة
دى يا عاصم هو انا لازم ابعتلك علشان اشوفك ...؟!
مفيش مرة تغلط وتيجى لوحداك...؟!؟

رد عاصم بلهجة تدل على أصولة الصعيدية :-معلش
يا(ممدوح) المشاغل مبتخلصش فى البلد....وانت
عارف كل حاجة على راسى..

-كان الله فى العون....على العموم انا بعترك علشان
السلالات الجديدة اللى طلبناها وصلت وكمان وظفنا
اكثر من بيطرى وعامل لازم طبعا تعتمد اوراقهم
بتوقيعك ...بس ده طبعا بعد ما ترتاح من
الطريق....ونتغدى مع بعض.....

- اعذرني يا (ممدوح) مش هجدر.. يا دوب اشوف طلباتك وامضى الاوراج المتعطلة... وارجع علشان زمان المصالح فى النجع متعطلة ومجدرش اتأخر عنها وكمان المسافة من هنا لجلب الصعيد مش جلية يا دوب ألج أرجع الليلة...

-طيب حيث كده يا الله بينا نعدى على المزرعة تعالين السلالات وتتعرف على الموظفين الجداد.

نهضا سويا....يتفقدا أقسام المزرعة فى سرعة...ويرحبا بالعاملين القدامى ويتعرف على الموظفين المستجدين حتى وقف عند أحد الأقسام

.....

التي تجتمع فيها السلالات الجديدة فأخذ (ممدوح) يشرح مميزاتا المختلفة والفائدة التي ستعود عليهم بالنفع لو تم تلقيح السلالات القديمة بالجديدة.....

وفى أثناء ذلك وقعت عينا (عاصم) على خيال أنثوى
بالقرب منهم وتنبه لحجابها السماوى...أليست هى
من كانت تقود سيارتها بتهور قاتل وأجتازته برعونة
عند بوابة المزرعة؟!...وجدها تقوم بفحص بعض
الأبقار فى مكان غير مؤهل لذلك.....وهناك على
الجانب الآخر منها يقف احد العمال لا يراها
فى انحنائها اثناء الفحص .. كان يدفع الأبقار ناحية
الجهة التى تقف فيها دون ان يدرك وجودها ...
تنبه (عاصم) سريعا لما قد يحدث واندفع اليها يجذبها
بعيداً فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها الأبقار ثائرة
حيث كانت تقف ...

ثوان .. و ثوان فقط يمكن ان تفصل بين الواقع والحلم
..بين التحليق فى الفضاء الواسع او السقوط بلا سابق
إنذار من حالى ..

سألت نفسها بتعجب لما لا تلامس قدمها الأرض
...؟! وما هذا القيد الحديدى الذى يقبض على
خصرها..

نظرت للأسفل ..الى قدميها المعلقين و تباطأت وهى
ترفع انظارها لأعلى لتقابل عينين حادتين .. عيون
قاسية مخيفة أربعتها تلك العينان التي كانت فى
واد آخر تتعلق بشئ ما تتابعه فى شغفلم تدرك
هي ما هو بالضبط حتى شعرت بتلك الخصلات
المتמרدة من شعرها وقد هربت من عقال حجابها
تمرح فى سعادة وتعلق بها عينا ذاك الغريب
بوله.... ظلت متسمة لا تأتى بأى رد فعل يذكر هلعا
منه .. ثم فجأة ...فقدت عين الغريب
شغفها.... وأنحدرت فى بطئ لتقابل عينيها الجوزيتين
المضطربيتين ..

ياالقساوة عينيه... خليط من الحزم والصرامة والقسوة
معجون بلون عينيه الأسود الفحمى.....

خليط مهيب يجعلك تفكر ألف ألف مرة قبل أن تحاول
الأقتراب من صاحبه و أخيرا تنبهت ترتجف .. انها الآن
أكثر من قريبة...إنها بين ذراعيه والأفضل لها أن تبتعد
بسرعة والآن..

همست فى توترتحاول إيجاد صوتها الذى خرج بنبرات
مرتجفة خجلاً:- ممكن تنزلنى؟؟!!!...

يبدو انه لم يسمعها ...فأعادت طلبها من جديد بنبرة
ازداد ارتجاف حروفها:- بعد اذنك ..انزل ممكن !!...

يبدو أنه لم يكن مستعداً للتنفيذ....

فتدخل (ممدوح) مسرعاً يهتف :

- دى الدكتور (زهرة) يا(عاصم)..... أزعن أخيراً
لمطلبها وأطلق سراحها..



والعجيب...أنه أنزلها فى رقة بالغة حتى لامست
قدمها الأرض..فتنهدت براحة وهى تعدل من هندامها
ووضع حجابها واستطرد ممدوح ليخرج عاصم من
شروده:-الدكتورة (زهرة) من البيطريين الممتازين
عندنا...على الرغم من انها لسه جديدة معانامن
شهرين بس ..لكن اثبتت جدارتها بسرعة كبيرة.

هز(عاصم) رأسه فى ثقاقل وهو يقول بنزق :

- بس اللى حُصل ما بيجلش كده..... أى دكتور بيطرى
مبتدئ عارف كيف يراعى قواعد السلامة وهو وسط
البهايمولا ايه يا باشمهندس ممدوح ...؟!.. سعل
(ممدوح) بأحراج....

أما هى فكانت تشتعل غضبا وهو يتهمها بالإهمال
وعدم معرفة أبسط قواعد مهنتها التى تعشقها ...لا
تعرف ما الذى عقد لسانها عن الرد بما يليق ...وذلك
ما جعلها تكاد تنفجر غيظا ..

أيها المتعجرف عديم اللياقة....سحقااا لك..

كانت تهم بالإنصراف إلا انها وجدت يده ممدودة
بالتحية فى عجرة مقية قائلا :- تشرفنا يا داكورة
....وخدى بالك المرة الچاية مش كل مرة هبجى
موجود ..

مدت يدها تستقبل يده الممدودة فى ضيق وعدم
رغبة وشعور جارف يملكها ويطن فى رأسها محفزا
إياها على الهرب ..

نعم الهرب وبأقصى سرعة ممكنة و الابتعاد عن طريق
ذاك الرجل للأبد ..

انها بحق تشعر فى حضوره الطاغى بعدم الأمان
وتشملها رغبة جارفة فى الاختباء عن عينيه
الثابتين... والتي تكاد تجزم انهما تدركا بسهولة..ما
يدور بخلدها الآن ...

لم يطلق سراح كفها فشعرت بالأسر فعلا و خاصة و هو
يسأل في اهتمام تعجبت له :- الأسم مرة ثانية ؟!!
أجابت فى نفاذ صبر رغبة فى إطلاق كفها من يده
بأسرع ما يمكن... (زهرة ناجى التهامى).....

ثم عضت على شفتيها فى ندم
كيف ترتكب ذاك الخطأ الفادح... كيف تنسى وصية
والدها المعتاده لها بأن لا تذكر اسم العائلة مطلقا لأى
كان

وها هى بكل حماقة وتهور كالعادة تلقى على مسامعه
هو..... وهو بالذات... ما تم تحذيرها منه طوال سنوات
عمرها الخمسة والعشرين.. كان يجب أن لا تخطئ
أمامه فى شئ كهذا .. فلهجته تؤكد أنه صعيدى ... يا
آلهى ماذا فعلت!!! ...

لولا تأثير حضوره على أعصابها ما اخطأت.... وها قد
تحققت كل شكوكها عندما بدأت عيناه تضيق لتصبح

اشبه بعينى فهد يستعد للإنقضاى على فريسته وقال
فى لهجة تحمل الكثير من الجدل :- زهرة ناچى
التهامى اسم ميتنسيش بسهولة أبداً.....تشرفنا يا
داكتورةوفرصه سعيدة جداااااا..

ثم اطلق كفها كما تمت..... وأستدار مغادراً دون أن
يلتفت ولو لثانية واحدة....وعلى الرغم من إطلاق
سراح كفها لكن شملها شعور تملكها بإنها لازالت
أسيرته...وأن الهواء الذى تتنفسهلازال يحمل
أنفاسه و ان حضوره الطاغى لازال يعكر الأجواء فيما
حولها ..

لم يتأثر عندما ذكرت إسمها ..اليس كذلك..؟!
كانت تطمئن نفسها وتؤكد هذا....مراراً....
وتكراراً...منذ ان غاب عنها مودعا فى نبرة مقلقة
..لكنها ابدا لم تشعر بذاك الاطمئنان الذى كانت
تتمناه ..

فى غرفة الإدارة سأل (عاصم) فى إهتمام :

- أنت تعرف الداكتورة (زهرة) دى زين يا ممدوح ..؟!؟

-هى دكتورة شاطرة... كل مؤهلاتها بتقول

كده....وشغلها فى الشهرين اللى فاتوا أثبت

ده.....اللى حصل فى العنابر كان مجرد.....

قاطع (عاصم) متسائلا :- انا مجصدش مؤهلاتها

العلمية ولا اللى حصل فى العنابر..أنا جصدى..تعرف

هى منين ..؟!؟..أهلها بالأخص منين؟!؟

-أه... واحد قريبي اللى رشحها لى علشان تشتغل هنا

يعرف والدها الدكتور ناجى...ده دكتور جامعى وأعتقد

أصله من الصعيد....على العموم.. اسمها موجود

رباعى فى اوراق التعيين اللى ناقصها توقيعك ..

وقدم ممدوح الاوراق التى تناولها عاصم فى لهفة

...ليقرأ فى بطاء

اسمها منتشيا :

- زهرة ناجى وصفى التهامى ...

وعند هذه النقطة ابتسم (عاصم) فى جزل وهو يقول :-
كنت متأكداً..

-أيه...؟!.. بتسأل بإهتمام...شكله موضوع نسب....

استفسر ممدوح فى حبور...

فأجاب عاصم فى شرود :

- تجريباً

حان موعد عودتها لمنزلها فأستقلت عربتها وأخذت
طريقها المعتادة....وهى تتلو على نفسها ما سوف
تخبر به أبيها عما حدث فى يومها ...

مقررة تناسى ذكر ذاك الصعیدى الغریب الذى قابلته
وكذلك الحادثة التى أنقذها منها

لن تعكر صفو مساءها بذكر ذلك الرجل مرة اخرى على
مائدة العشاء وتثير قلق ومخاوف ابيها ...والذى قد
يمنعها مطلقاً من العودة ثانية للعمل بتلك المزرعة.....
وقد يبدأ من جديد حياة الترحال التى كرهتها ..فقط
لمجرد بضع مخاوف قد تثير حفيظة ابيها
لقد رحل ولن تقابله ثانية قبل أشهر طويلة كعادته..
فهو نادراً ما يأتي إلى المزرعة كما سمعت ... لكن كل
توقعاتها والتى منت نفسها بها خابت عندما توقفت
سيارتها تزمجر بلا حراك ولم تجد على الطريق سوى
سيارة سوداء تقف على احد جانبي الطريق و لم تعرف
صاحبها إلا عندما ترجل منها قاصداً مكانها...وهو
يدارى ابتسامة انتصار تحاول القفز على شفثيه ..فلقد
توقفت العربّة حيث توقع بالضبط بعد ان دفع لأحد
عمال المزرعة ليعبث فيها بطريقة محترفة تجعل
العربة تتعطل بعد انطلاقها بفترة ويظهر الامر وكأنه



عطل مفاجئ بها...وها هو يتقدم اليها متسائلا فى
براءة... :

- خير يا داكثورة...العربية فيها حاجة...؟!..

- الظاهر كدهأجابت وهى متوترة لعدم رغبتها فى
بقائها معه وحيدة.. فتح مقدمة السيارة....نظر
لحظات فيها متظاهرا بمحاولة اصلاح العطل المتعمد
ثم أغلقها أخيرا و هو يهتف مؤكدا :

- مفيش أمل إنها تتصلح ..تسمحلى أوصلك؟؟...!

قالها فى لطف يتنافى تماما مع طبيعته
الحادة...لكنها رفضت بذوق قائلة :- مفيش داعى
أتعب حضرتك .. هتصل ببابا وهو هايجى ياخدنى..

هتف فى دهشة مصطنعة :-وها تجعدى لحالك فى
المكان ده والعتمة داخلة .. ده يصح يا داكثورة
...!!!..



لم ترد وهى تنظر لها تفهما تحاول ان تحقق اى اتصال بأبيها ..

ولسوء حظها لا وجود للتغطية فى هذا المكان المتطرف فهى دوما ما تطمئن أباها بانها على الطريق عندما تخرج من باب المزرعة مباشرة لعلمها بعدم وجود تغطية على طول الطريق للمزرعة الا فيما ندر ..

لذا... لم يكن لديها خيار آخر ... فقالت فى إحراج :

- طيب .. ممكن لو سمحت ترجعنى للمزرعة.....انا مبعدتش كثير .. هم هيوصلونى باتوبيسات العاملين.

- متجلجيش يا داكثورة ...أكيد هوصلك للمكان المناسب ...قالها بلهجة لم تعجبها يكمن فيها الكثير من الغموض ...وكالمذنب الذى يساق لتنفيذ الحكم

فيه سارت بجواره حتى باب سيارته ودخلتها
وذاك الصوت الداخلى والذى طالما استحثها على

الهروب لحظات الخطر.. بات يصم اذنيها الان .. لكن
إلى اين تذهب؟!.. وكيف؟!..والليل بدأ يسدل ستائره
وهى وحيدة فى ذاك المكان الموحش مع ذاك
الغريب... الذى تشعرناحيته بقلق مبهم يكتنفها...
دخلت السيارة بالفعل وما ان أستقرت فى المقعد
المجاور له حتى سمعته يهمهم ببضع كلمات بنبرة
حاقدة جمدها ..

و أخيرا وصلها انبعاث رائحة غريبة تخترق انفاسها
لتذهب بثباتها..

لتسقط فى بئر عميقة من ظلام دامس غزا عقلها
وأحاط بعالمها.....

فى ثقل بسبب دوار رأسها الذى يفتك بها حاولت أن
تتحرك لكن جسدها كان متيبس.... نظرت فى ذهول

حولها ولم تري سوى ضوء البدر يدخل من نافذة
السيارة والتي كانت تتأرجح على طريق غير ممهدة
أصابتها بالغثيان ..

سألت نفسها والدوار لا يزل يكتنف رأسها كغمامة
بيضاء إين أنا ؟؟! وماذا حدث ؟؟! تفكيرها لا
يزال مشوشا ولا تستطيع إسترجاع الأحداث الأخيرة
..... ثم فجأة ...

أنقشت الغمامة عن عقلها لتذكر كل ما حدث دفعة
واحدة فصرخت وحاولت الحركة لكنها وجدت نفسها
مقيدة وملقاة فى المقعد الخلفى لسيارة السيد
المتعجرف ...

هل يختطفها ... هل جن ليفعل ذلك؟! .. ولماذا ... ؟!
شعر بحركتها فى المقعد الخلفى فنظر فى جزل اليها
قائلا :
- أخيراً فوجتى ..

- أنت واخذنى على فين؟!..سألت فى نبرة لاتخلو من الرعب على الرغم من محاولاتها عدم اظهار ذلك ...
- دلوجتى تعرفى كل حاجة...جربنا نوصلوا ...
- نوصل فىن !!؟؟انت واعى للى بتعمله ...هتفت برعب من جديد وجسدها ينتفض بدعر حقيقى...
- نوصلوا بلدناوطبعا واعى جووى للى بعمله واللى كان نفسى فيه من زمن وأخيراً...جالى على طبج من فضة ..ماذا يقول؟!.. سألت نفسها ...
- هل يتعاطى شئ ما؟! ..
- لا تعتقد ...فلا يبدو انه من أولئك المغيبين...إنه واع تماما لكل ما يفعل....إذن لما يختطفها؟!..وإلى اين يذهب بها؟!..
- وهل من يريد ان يختطف شخصا ما يذهب به الى بلده؟!...ما هذا الجنون...حاولت التحرر من قيودها

لكن لا فائدة ...أخذت تتشنج وتضرب بأقدامها
المقيدة ظهر مقعده ...

لكنه لم يبالى ..ينظر الى الطريق فى ثبات شديد ولم
يستدير مرة أخرى... لإلقاء نظرة الى الخلف حيث
تكن أسيرته ...

سمعت رنات هاتفها المحمول مراراً وتكراراً ...
بلا شك والدها الآن فى قمة قلقه وتوتره ...تراه ماذا
سيفعل عندما يعلم ما حل بها ..!؟

أنها تشفق عليه وعلى حاله ...فأبوها يعشقها و لن
يحتمل اذا ما اصابها خطب ما ...يا آلهى أعنه على ما
هو قادم عندما يعلم ..

وكيف سيكون حال امها.... هل ستحزن عليها بقدر
حزن ابيها !؟

وأختها الصغرى (ندى) ...كيف ستبيت ليلتها وحيدة
وهى التى تخاف من البقاء بمفردها فى غرفة منفصلة

على الرغم من انها ليست طفلة فهى شابة جميلة فى
عامها الجامعى الثالث.

اللعنة على ذلات اللسان فهى ما اوقعها فى هذه
الورطة فمئذ سمع بإسمها وهى تتوجس منه وشعرت
بفطرتها انه يضر لها شئ ما لم تعرف ما هو بالتحديد
... و لا حتى تدركه الآن... لكن كل ما تعيه فى تلك
اللحظة هو واقع وجودها مع ذاك الرجل الغريب
متوجهان لمكان ما واقع ملموس ككف يدها....

واقع يجعل الرعب يدب فى اوصالها كلما تخيلت ما قد
يكون فى انتظارها مع هذا الكائن اللأدمى الذى يقود
العربة لجهة مجهولة بالنسبة لها ولمصير... قد يكون
الموت أفضل منه..

يا آلهى... كيف أنت الآن يا أبى!؟..



كم اشتقت إليك؟!..فجأة...وجدته يمسك بحقيبتها
الشخصية يفرغ محتوياتها على الكرسي المجاور له
ويمسك بهاتفها....

-ماذا تفعل !!؟؟...لم يعر سؤالها أى إهتمام كالعادة
وأستمر فى النقر على الشاشة حتى انتهى وألقى
بالهاتف على المقعد المجاور....

وماهى إلا لحظات حتى بدأ الهاتف فى الرنين الذى لم
ينقطع...كانت تعلم أن تلك الرنات المجنونة
المتلاحقة مصدرها أبوها المسكين الذى لا بد وأن
التوتر يمزقه وقد بلغ به القلق مبلغه..

بدأت فى البكاء بصوت مكتوم فهى لا تريده ان
يستشعر ضعفها.....

رسوى جادوى

أمامه هو دون عن جميع البشر لن تظهر ضعفها مهما
حدث بل وستكون أقوى وأصلب من حقيقتها بمراحل
..فقط حتى لا يستشعر خوفها و خضوعها مهما فعل
...

وفجأة توقفت السيارة وشعرت بأن قلبها توقف معها
ثم بدأ فى الخفقان من جديد بشكل جنونى يصم أذنيها
عن ما حولها

لم تستوضح ما حولها فى ذاك الظلام الدامس عندما
اعتدلت فى جلستها محاولة مقاومته عند فتح باب
السيارة الخلفى حيث توجد لكن يده الصلبة القاسية
جذبتها من مكانها ...حملها عنوة بعد مقاومة شرسة
منها لم تؤثر فى عزمه ولو للحظة

ومن فوق ذراعيه شاهدت ذاك القصر المنيف الذى لم
يدخل من بابه الرئيسى واستدار بها ليدخل من باب
جانبي أدى بهما لردهة يكتنفها الهدوء المريب

سار بها حتى نهايتها ثم دفع الباب فى خشونة
بضربة من قدمه فإذا بها غرفة للنوم ... جالت فيها
بنظرها سريعاً لتجدها تضم فراشاً وخزينة ملابس
وطاولة للزينة ونافذة محاطة بقضبان حديدية...

إنها الغرفة الأمثل لسجن شخص ما .
وتأهبت عندما أقترب من الفراش وأنتفضت كل
خلاياها فى رعب وبدأت فى التمرد والزمجرة لتفلت
من يده لكن قبضته كانت محكمة كقيد حديدى
....

ألقى بها على الفراش فى تأفف ...
فتأوهت متألّمة لأن يديها لازالت موثوقة خلف ظهرها
....

أقترب منها فتحفزت من جديد إلا أنه أدار جسدها فى
عنف كجوال من القطن وبدأ فى فك وثاق يديها ... وما
ان انتهى حتى انتفضت جالسة ..

وكالعادة لم يعير ردات فعلها اهتماماً فجلس أسفل
قدميها ليفك وثاقهما.....

لكنها جذبتهم لتضمهما إلى صدرها....فنظر إليها
بنفاذ صبر ثم تعلقت عيناه بشئ ما أدركته على
الفور وهي تدلك معصميهما بألم....

كانت تلك الخصلات المتمردة اللعينة من جديد والتي
تسللت مرة أخرى خارجاً بعد انحصار حجابها عن رأسها
بعض الشئ من جراء مقاومتها له فمدت يديها لتعيدها
في حلق وتقطع شروده وهي تقول :- انا هفك رجلى
بنفسي

أستمتعت بمعارضته حتى على شئ لا يستحق وشعرت
بالانتصار عندما نهض بلامبالاة....

وهو يقول بلهجة حازمة :- ها تفضلي هنا.... الأوضة
فيها كل اللي ها تحتاجيه....لحد ما ربنا يسهل ..

- أنا هنا ليه يا باشمهندس عاصم؟!
- السؤال ده إجابته عمرها سنين أطول من عمرى
وعمرى يا داکتورة... بس اللى أنا متأكد منه
إنك إنتِ اللى ها تدفعى تمن اللى ابوكى عيملهُ
اندفع فى عنف خارج الغرفة....
وأغلق بابها بشكل عاصف خلفه
لتكون صوت الاقفال التى اغلقت باب زنانتها آخر
الأصوات التى تسمعها فى تلك الليلة الدامية .

- كده كتير.. كتير قوووى ...أکید حصل لها حاجة...
دى أول مرة تتأخر كده....هتف الدكتور ناجى التهامى
بتلك الكلمات فى توتر بالغ أفقده وقاره وهدوءه
المعتاد....
- ما تقلقش يا ناجى ..المكان هناك شبكة الإتصال فيه
معدومة وأکید فى حالة مستعجلة فى المزرعة هى

الى آخرتها... تعالى أهدا بس وهتلاقيها داخله عليك
دلوقتي

نظر ناجى لزوجته فى حنق بالغ لبرود أعصابها ... كان
يهم بأن يعلق على كلامها المثير للغضب
لكنه أثر الصمت.... فيكفيه ما به من توتر وقلق يفقده
صوابه...

و تساءل من جديد ..يا ترى ماذا حدث لها لابنته
الأثيرة لقلبه ..

انه لن يقف مكتوف الإيدى سيذهب للمزرعة ربما
تعطلت سيارتها فى الطريق ولسوء شبكة الإتصال لم
تستطيع أن تستنجد به.. أراحه هذا الخاطر قليلا و
جعله ينتفض خارجا من بيته مندفعاً يتخذ الطريق
حيث المزرعة التى تعمل بها ابنته

كان يدور فى رأسه مئات الأفكار السيئة التى كان
يطردها بالإستعاذة والدعاء بأن يحفظ الله له ابنته ..انها

أغلى ما يملك فى دنياه ..عالمه كله فى كفة وابنته فى
كفة أخرى ودائما ما ترجح كفة ابنته الحبيبة
كان يقود سيارته بأقصى ما يستطيع حتى أقرب من
المزرعة وأخذ الطريق الذى يؤدى إليها وفجأة....
أبصر سيارتها على جانب الطريق فتوقف واندفع خارجا
يمنى نفسه بأنها داخل السيارة تنتظر العونلكنه
وجد سيارتها فارغة ..فتحها بالمفتاح الإحتياطى الذى
تتركته زهرة فى حوزتهنظر فى المقعد الخلفى
والأمامى ولم يجد ما يريبه.....
أدار السيارة ...وأكتشف عطلها ...
إذن تعطلت بها فعلا ...لكن أين هى !؟.. يا الله يكاد
يجن..

و خطر على باله انها ربما وصلت الان البيت فى سيارة
احد زملائها ومنيرة زوجته او حتى زهرة نفسها لا
تستطيع الوصول اليه بسبب سوء التغطية ..

عاد لسيارته من جديد يقودها في قلق عين على الطريق والأخرى على تغطية الهاتف التي ما ان لاحت على شاشته حتى اختطفه يحاول الاتصال بها مجدداً... ولكن فجأة....إنتفض على صوت إشعار بوصول رسالة ما على جواله فضها مسرعاً...لم يع شيئاً مما هو مكتوب....

أوقف سيارته على جانب الطريق حتى يستطيع التركيز فى ذاك الجنون المرسل اليه...
بالتأكيد مستحيل...

قرأ الرسالة مرة أخرى وهو يحاول تهدئه أعصابه
الثائرة...

(بابا سامحنىأنا مع اللى أختاره قلبى ...عملت كده علشان عارفة انك مكنتش هتوافق على جوازنا ..)
قرأ الرسالة عدة مرات وتأكد من الراسل ..انها ابنته لا يمكنه ان يصدق..زهرة لا تفعل ذلك ...

حتى ولو كانت تحب شخص ما كانت ستدفعه
للحضور لمقابلته وستناقشه فى اسباب رفضه إذا كان
يستحق الرفض فعلاً.....

لا... لا يصدق... فلقد رباها على الصراحة والوضوح
معه فى كل الأمور.... كيف لها أن تقدم على فعلة
كهذه...؟!..

هل حقاً يمكن أن تقدم على خزلانه وأن تخون ثقته
فيها بهذا الشكل القاسى...؟!..

أن ابنته لا تفعل ذلك.. ليس زهرة. قاد سيارته عائداً
إلى بيته تتقاذفه الظنون... وتلعب بعقله الهواجس .
هتف مناديا زوجته منيرة عند وصوله منهاراً على أحد
المقاعد..

فأندفعت حيث يجلس متسائلة فى لهفة :- ها.. فى
جديد يا ناجى...؟!... طمنى....
فتح الرسالة وقدمها لها ...

وأنا ساكت ... عمرها ما شافت منك حنية ولا عطف
ولا كلمة عدلة... يا شيخة اتقى الله بقى ...

أنا قلت هتعوضيها عن أمها اللي ملحقتش تتمتع
بحنانها وراحت بعد ما ولدتها بأيام هي عمرها ما
عرفت لها أم غيرك غير دادة بخيطة اللي رعتها بعد
موت أمها واللي أصريتى برضة تبعديها وتمشيها بعد
جوازنا ... لكن للأسف عمرك ما قدرتى تكونى الأم اللي
هي كانت محتجاها ... ولما ربنا رزقنا ببنتنا (ندى) ...
هيقربوا من بعض .. لكن برضة انتى بعدتى (ندى) عنها
على قد ما قدرتى .. كان لازم أنا أحاول أكون جنبها أب
وأم وكل اللي ليها فى الدنيا وحتى ده أستكترته
عليها حرام عليكى حسي شوية

لو كانت ندى اللي عملت كده

كنتِ قلتِ الكلام ده كله وخاصة انى عارف ان زهرة
متعملش كده واللى فى الرسالة ده كله كذب..

نهضت زوجته فى ثاقل وهى تقول فى لامبالاة :-
خلصت محاضرتك يا دكتور... انا رايحة أنام .. أه
وبالمناسبة.. أنا ندى بنتى متربية ومتعملش كده
... لكن الظاهر دى وراثة مجبتهوش من بره عن
إذنك....

وأندفعت لغرفة نومهما وصفقت الباب خلفها فى
عنف تاركة إياه فى ذهول من كلماتها الأخيرة

www.aberkotob.com

رغمى جادوى

الفصل الثانى

خرج عاصم من الردهة ليصعد درج جانبى وصل به للدور الثانى حيث غرف النوم... طرق باب احداها وأطل برأسه داخل الغرفة فطالعه وجه ابيه المتغضن والذى رسمت عليه السنون أثارها بأحترافية شديدة وتركت عليه من علامات تجاربها وخبراتها الكثير..

كان لايزال مستيقظاً تتابعت شهقات أنفاسه وسعاله كأثر واضح لمدخن قديم فعل النيكوتين أفاعيله بصدوره ورئتيه جعلته يلتقط انفاسه بصعوبة..

ما ان لمح ولده البكرحتى أشار له بالدخول والذى أندفع للغرفة فى إجلال وانحنى مقبلاً يد ابيه فى احترام بالغ... وهو يسأل:- لساك صاحى يا حاج...!!!

- ما أنت واعى يا ولدى... صدرى مش بينيمنى.. أجول ايه.... من چار على شبابه....

چارت عليه شيخوخته..المهم جولى ...عمِلت ايه فى
مصر النهاردة ؟!..وبنات مصر لساتهم حلوين ؟!
وانفجر العجوز ضاحكاً...

ابتسم عاصم لمزحة ابيه وهو يقول منتشياً :- اه
...لساتهم حلوين يا حاج وأنا چايبلك هدية واحدة
منيهم....بس مش أى واحدة..دى هى المطلب
والمراد...

نظر الأب فى ريبة لولده قائلاً :- چصذك ايه ؟!..عمِلت
ايه يا عاصم ؟!..چيب العواجب سليمة يا رب ...
- بت الداكتور ناجى التهامى معاي.....يجى يا جى
يورينا هيخلصها من يدى كيف ؟!..قالها عاصم فى
تشفى...

سعل العجوز وهو ينتفض فى غضب صائحاً :- مفيش
فايدة فيك ..سمعت كلام أمك برضك...الحديث ده

جفلناه من سنين....ليه بتعيده تانى يا ولدى....ليه
بس !!! ...

-مفيش حاجة بتموت يا بووى ..انتفض عاصم فى
هياج...حرجة جلب جدى الله يرحمه وموته بجهرته
...حرجة جلب أمى ...و رجالة الهوارية ..الى مكنوش
جادرين يرفعوا راسهم وسط الخلع...ولحد دلوجت
بنتعيروا بالحادثه الجديمه دى ...ولولاى...وخوف
الكل منى

مكنش فى هوارى واحد كان جدر يرفع راسه .. كان زمنا
مسخرة الخلع كلاتها....صوح ولا لاه !؟..
صمت أبيه وتلاحقت انفاسه ورد فى ضعف ينهى
الحوارالغير مجدى مع ولده :- اعمل ما بدالك يا ولدى
بس انا بجولهاك اها.. بلاها السكه دى ...السكه دى
أخرتها خسارة وخسارة كبيرة كمان....وأنت ...هتكون
أول الخسرانين يا عاصم ..

الإنتجام مبيجيش من وراه إلا الخراببلاش يا
ولدى...بلاش.

زفر عاصم في ضيق غير مقتنع بما قاله ابوه لتوه و
أندفع مغادرا الغرفة

وكان شياطين الدنيا كلها فى أعقابه...وكلمات أبيه
تتردد فى أذنيه تصمها..حتى انه لم يسمع نداء أمه و
لم يدركه إلا فى المرة الثالثة فتوقف على الدرج ليعاود
الصعود من جديد

متوجهها إليها منحنيا ليقبل يدها
فتربت على كتفه فى حبور متسألة :-الى جلتهاولى
على المحمول ده صوح؟!..

فأوماً برأسه موافقاً ثم قال :- أهى متلجحة فى الأوضة
الى تحت جنب أوضة الخزين ...وأبوها ها يتچنن
عليها ..مبطلش رن على محمولها طول الطريق....

-خليه يدوج شوية من المر والحسرة اللى دُجناهم
زمان بسببه...قالتها فى جزل وتشفى....ثم مستطردة
فى نبرة حانية :

- روح يا ولدى اتسبح وارتاح على بال ما أحضر لك
لُجمة تلاجى أم سعيد فى سابع نومة دلوجت.. و
ابتسمت فى فخر هاتفة :

- هحضرك الوكل بيدى تلاجيك على لحم بطنك من
صباحية ربنا....

-لاه....مفيش داعى يا حاجة ...ماليش نفس
...تصبحى على خير

واندفع هابطا الدرج متوجها للخارج
-وااه ..على فين دلوجت....!!؟؟ ..هتفت متعجبة ..

-هطمن على سلطان ...وعزيزة....
-كان لازماً أعرف....هو أنت تجدر على بعدهم ..طب
خد حد معاك من الغفر...الليل غدار يا ولدى...

-حالا ااجة...قالها فى زمجرة مخيفة... جعلت أمه تتراجع عن إقتراحها قائلة:-طب خد حتى زرزور معاك ..هو أه مبینطجش ولا كلمة.....لكن أها... يخدمك برضك...

- حاضر...تصبحى على خير...

- وأنت من أهل الخير...يا رب ...

اندفع خارجا يهتف مناديا زرزور بصوت جهورى جعل الأخير ينتفض مسابقا الريح لتلبيه نداء سيده ...وفى أقل من ثوانى كان يقف مهلاً لقدم عاصم من سفره ويقوم بإشارات واضحة تدل على فرحته برجوعه سالما..

كان زرزور ابكم منذ قدومه للخدمة فى بيت مهران الهوارى وهو بن الثانية عشرة...لم يسمعه أحد ينطق بحرف واحد مجرد أصوات و همهمات يهتف بها وأشارات يحاول التعبير من خلالها عما يريد..

شب عاصم وهو يرى زرزور بنفس الهيئة منذ كان طفلاً
وها هو يناهز الواحدة والثلاثين ولا زال زرزور كما هو لم
يتغير وكأن السنون لا تعيره أهتماماً كما يفعل الجميع
وتجاهله عمداً كما كان يفعل عمه غسان الهواري
رحمه الله كلما جاء لزيارتهم
أو لقضاء بعض المصالح وكذلك كان ابنه سليم والذي
في بعض الأحيان

يتعمد مشاكسة زرزور بشكل لا ادمى و عدم استطاعة
زرزور الرد طبعاً لولا تدخل عاصم بحزم لإنقاذه...
ربت عاصم على كتفه في حبور..
فأشار زرزور للسيارة.. ليتنبه عاصم أن هناك جوال
يرن بداخلها

وأن رنينه لم ينقطع منذ أن وصل..
تذكر عاصم أنه نسي جوال زهرة على المقعد الأمامي
للسيارة مع محتويات حقيبتها المبعثرة....

فتح السيارة وتناول الجوال الذى ما أن لمسه حتى بدأ
فى الرنين من جديد وطالع شاشته التى أضاءت فعرف
أن المتصل أبوها لما لا يهديه مفاجأة أخرى يختتم
بها يومه بعد تلك الرسالة الصادمة ..

ابتسم فى تشفى وهو يرد:

- أهلا يا دكتور ناجى ..أخيراً اتجج المراد وشايفك
عايش نفس الجلج....ووكلاك نفس النار..وراكبك نفس
العار....

- أنت مين!!؟؟...وبنتى فين!؟

صرخ الدكتور ناجى فى محدثه الذى يجهل هويته على
الرغم من استنتاجه إياها من لهجته الصعيدية و هتف
من جديد فى غضب مستطردا :

- لو مسيت شعرة منها هقتلك....سامعنى هقتلك..
مشكلتك معايا انا ...أعمل فيا اللى أنت عاوزه.. لكن
هى لأ.. سامعنى..هى لأ...تارك خده منى هى ملهاش



ذنب فى حاجة.....

انفجر عاصم صارخا:

وهو چدى الى مات مشلول من العار و الحسرة و هو

مش جادرهو ورجالة العيلة يرفعوا راسهم وسط

الخلج.... كان ذنبهم أية...!!؟

ثم أردف فى لهجة هادئة مؤكدا:

- احنا مبناخدوش تارنا من الحريم يا داکتور ..الظاهر

عيشة مصر نستك عوايدنا...بس برضك مبنسبوش تارنا

ثم انفجر ضاحكاً ضحكة خشنة أودعها كل حقه

وقسوته وهو يستطرد شامتا :

- انا بس هدوجك من نفس الكاس الى داجه بسببك

الهوارية كلاتهم ...

-أنت مين !!!...سأله الدكتور ناجى فى هلع...

-أنا عريس بتك الداكتورة..وكتب كتابنا بكرة بإذن الله

....



عبير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com

- مستحيل... مش هسمح لك تدمر مستقبل بنتى
....ومفيش مأذون ها يكتب الكتاب وهى رافضة...

أجاب عاصم فى جزل يقطر من كل حرف من حروف
كلماته :

- لااه متجلجش موضوع الموافجة ده...سيبه عليا انا
يا دكتور

وانفجر ضاحكا فى تشفى وهو يغلق الهاتف ليقطع أى
تواصل بينهما....

أستيقظ عاصم من نومه قبيل الفجر ليجد نفسه
ممدداً على أحد الأرائك فى المضيئة المخصصة
لأسطبلات الخيل ويتمدد على الأرض اسفل الأريكة
خادمه زرزور ... نهض فى تكاسل

ونادى عليه فأنفض زرزور فى سرعة ملبياً ... هتف
عاصم بصوت لازال النعاس باد فى نبراته :

- روح يا زرزور كمل نومك فى أوضة الاستراحة وأنا راجع السرايا.....

فقام زرزور فى تكاسل يفرك عينيه بظاهر كفه متثائباً ويتجه حيث سيستلقى للصباح....

سار عاصم وحيدا حتى السراي يفكر فيما يمكن أن يحدث فى خلال الساعات القادمة ...

فقد علم التهامية أكيد بأن ابنتهم فى قبضة يده....لابد وان يذهب إليها والآن ..سيجعلها تنفذ ما يمليه عليها..

ستكون طوع بنانه..سيجعل ابيها والتهامية بأسرها تشرب من نفس كأس العار التى تجرعتها الهوارية حد الثمالة...

أتجه للباب الخلفى للسراي وسار على طول الردهة حتى وصل لغرفة زهرة فتح قفل الباب وتنحنح قبل ان يدخل و هو يدير مقبض الباب و يتركه مناديا مع

التصفيق ليتأكد انها استيقظت قبل دخوله عليها لكن لا مجيب ..نادى من جديد ولا مجيب ايضا ...

فدخل للغرفة فى حذر ووقع بصره على السرير الفارغ...فأتجه ببصره حيث باب الحمام وما ان هم بأن يخطو تجاهه حتى سمع صوت تكبيرة

فنظر باتجاه الصوت فوجدها تصلى فى خشوع ... أخذته المفاجأة ..وتوقف للحظة ينظر فى اجلال وإكبار ... ثم سحب نفسه خارجا حتى تكمل صلاتهاوما

ان سمع صوت تسليمها وانهاءها الصلاة...

حتى تنحنح ودخل من جديد يُجلى صوته المتحشرج و هو لايزل مأخوذاً بمظهرها الورع ...لكنه طرد أى خواطر من مخيلته وقال مؤنباً نفسه أتيت فى مهمة محددة ولا بد من القيام بها وما تريده وسعيت اليه وانتظرته لسنوات أصبح فى متناول يدك...فلا تتعاس فهتف مخرجاً نفسه من خواطره :

-صباح الخير يا داکتورة.. لم ترد إلا بإیماءة من رأسها
وهی لا تنظر إلیه...

-ابوک فی الطریج ...

کانت تلك الکلمات کفيلة لجذب انتباهها فرفعت
نظراتها إلیه ..بالکاد عرفتہ ... لقد تغير بشكل تام ...
کان البارحة عندما رأته للمرة الأولى المشؤومة فی
المزرعة یرتدی قميصاً وبنطالاً من الجینز وحذاءً
رياضياً ونظارة شمسية تغطي نصف وجهه رفعها لسوء
حظها فی العنابر حیث التقيا... اما الآن فإنه یرتدی
جلاباً وعباءة يضعها على کتفيه وعمامة تغطي رأسه
ویمسک بیدیه عصی أبنوسية على قممتها مرسوم أحد
رؤوس الحيوانات المفترسة لم تتبينه من مجلسها
منحوت من الفضة الخالصة ...

اخرجها من شرودها مستطرداً :

-لكن جبل ما تشوفيهم فى إتفاج وكلام لازماً يخلص بيناتنا.. وجبل ما حد من اهلك ياچى على هنا..

-اتفاق ...!! سألت فى دهشة...احنا مفيش بينا أى اتفاقات ولا هيكون بينا.. قالتها فى ثقة وثبات مستطردة :-لما بابا يچى هنشوف اللى ها يحصل . -

مش بمزاچك يا داکتورة ..قالها فى نفاذ صبر ...انتِ ها تسمى كلامى وهتنفيذه بالحرف الواحد ومن غير اعتراض و إلا فى كلام تانى مش هايحبك....

- قصدك ايه؟!..سألت فى توجس

- جصدى إن أبوك لما هاياجى على هنا هاتطلعى تجوليله انك هنا بمزاچك ومحدث غصبك على حاجة وانك موافجة على چوازنا .

- انت مصدق ان أنا ممكن أعمل كده؟!..وأطلع اقول الكلام ده عادى؟!..هتفت بسخرية مستطردة:

- وکمان.... أوافق على جوازنا ..على أى أساس ده
تخريف ..أنا معرفكش ومعرفش أنا ليه هنا
اصلا!؟..قالت تلك الكلمات فى ثقة على الرغم مما
يعتريها من قلق ...

- بس أبوكِ يعرف ...و أهو چای چرى على هنا لما
وصلته رسالتك اللى بعتهاله....وبتجوليله فيها انك
ها تتچوزينى ..

- بابا مش ممكن يصدق التخريف ده ...إزداد أنفعالها
وهو يفند خطته المحكمة وبدأت تشعر بالأختناق وهى
ترى نفسها وقد أضحت أسيرته بالفعل...بل إنه يجعلها
تشد وثاق شركه حول عنقها بيديها وأنتبهت وهو
يقول:- بس انتِ هتخليه يصدج لو كنتِ خائفة على
حياته ..قالها فى صوت يشبه فحيح الأفاعى
-انت بتقول ايه!!؟؟.....سألت فى جزع واضح ..

-لو طلعتى كدبتى كل الكلام اللى جولتهولك يبجى
بتحكمى على أبوكِ بالموت ...ومش هو وبس... لااااه
وكل شباب التهامية وأولهم ولاد عمك جدرى ...يا
آلهىماذا حدث قديماً ليصبح ما بين العائلتين لا
يمكن تسويته إلا بالتأروالدماء.....

حاولت أن تهدأنه وتستحث روح الإنسان العاقل
المتعلم بداخله...وهى تقول:- -يا باشمهندس ...
حضرتك انسان متعلم ... يعنى اكيد مهما كان سبب
اللى حضرتك بتعمله ده .. فى طريقة للتفاهم...

أطلق ضحكه رجولية خشنه مليئة بالسخرية و التشفى
وهو يقول صارخا فى غل:- نتفاهموا !؟..الى ما بينا
وبين ابوكى معدش ينفع فيه ..نتفاهموا

..دى حكاية جديمة ذى ما جولتلك جبل
سابع...ومعدش ينفع خلاص وهو ده اللى عندى يا
داكتورة ..

كلامك جَصاد أفعالى... وافجتى جدامهم خلاص
حجبت مرادى ومفیش حد هيمسهم....

-لكن ليه انا؟!..سألت فى جزع..

ليه تربط نفسك بواحدة مشفتهاش غير أمبارح و
مفیش بينكم أى حاجة مشتركة...وكمان بينك وبين
ابوها تار قديم...مش غريبة دى...!؟

- لما هاتعرفى الحكاية الجديدة..ها تعرفى ليه أنتِ
بالذات..يا داکتورة

- طيب ايه هى الحكاية القديمة دى...انا عايزة أعرفها...
ما أن هَم بأن ينطق حتى سمع هرج ومرج..يأتى من
خارج السرايِّ

فنظر اليها قائلاً :

- أهلك وصلوا يا داکتورة...اكيد التهامية كلاتهم
بره....و يا ريت تفكرى زين فى اللى جولتهولك و
تحكمى عجلك ..

وخرج وأغلق الباب خلفه فى عنف وتركها متضاربة
الأفكار والمشاعر تتقاذفها أمواج الحيرة وتعصف بها
انواء اليأس.... مصيرها ومصير أبيها بل عائلة أبيها
بأكملها فى كفتى ميزان بين يديّ من لا يرحم...
فأى الكفتين هى الراجحة...؟!..

رن جرس الهاتف فى قلب الليل
فأنتفض الحاج قدرى التهامى من على مصلاه ليحجب
وهو يتوجس شراً متسائلاً:
- مين اللى هيكلمنا على الفجر كده.... استر يا رب....
واندفع يحجب فى لهفة:
- ألو...مين!!!

جاءه صوت أخيه الدكتور ناجى ملثاعاً :
- إلحقنى يا قدرى ...الهوارية خطفوا زهرة بنتى....
انتفض الحاج قدرى بعد هذا الإعلان قائلاً:

- أنت متأكد يا ناچى حُصل أمتى ده...!!...ووصلولها
كيف...!!...أنت متأكد...!!...سأله من جديد...

- أيوه متأكد ..كلمنى حد فيهم وقالى انه خطفها
...عشان يصفى الحساب القديم ..ألحقنى يا قدرى
البنت هتروح فى الرجلين ...هى ملهاش ذنب
بص أنا بكلمك من المطار...هاخد أول طيارة وجى على
النجع....أبعت عربية تستنانى....

- انت ها تاجى لحد هنا برچلك!!.. هتسلمهم نفسك بعد
السنين دى كلها....!!...؟...سأل الحاج قدرى فى جزع
- أمال أسيب بنتى فى أيديهم!..حسابهم معايا يخدوه
لكن هى لأ يا قدرى ..زهرة لأ.. كفاية أمها راحت منى
ومقدرتش أعمل لها حاجة ..لكن زهرة مش ممكن
...ده أنا مش هيكفينى الهوارية كلهم لو حد لمس
شعرة منها ...

- يا رب سترك.....الدنيا باينها ها تولع..همس الحاج
قدرى في قلق بالغ مستطردا :

- تعالى بالسلامة وأكيد ليها حل...ثم تنهد مطمئناً
لأخيه على الرغم من قلقه المتزايد.. دى عرضنا ومش
ممکن نسبوها فى يدهم ...

- أنا هقفل دلوقتى ومتنساش تبعت لى العربية على
المطار ...أنا ساعتين بالكثير وهكون عندكم ...بنتى يا
قدرى...مش ممكن نسبها بين ايديهم ...مش ممكن يا
قدرى .. سلام عليكم....

- وعليكم السلام يا ناچى...تجيلنا بالسلامة ...
سأل حسام الابن البكر لقدرى التهامى وهو يتشاءب فى
تكاسل :

- خير يا حاج..ايه اللى حُصل ...مين كان على
التليفون....وانت متكدر ليه كده...؟!...?

- بت عمك ناچى ...الداكتورة زهرة ..عمك بيجول أن الهوارية خطفوها وهوچای على هنا ...ربنا يستر ..النار الجديدة باينها لساتها جايدة تحت الرماد...

انتفض حسام وكأنه استفاق دفعة واحدة عندما استوعب كلام أبيه وهتف فى غضب :

- أنت بتجول أیه يا بووى!!؟؟.....بت عمى فى بيت الهوارية واحنا هنا بنتسايروا...؟!.. مفيش غيره هو اللى عملها ... عاصم الهوارى ...منبجاش رچالة لو سبنا بت عمى دجيحة واحدة فى بيت الراحل ده

واندفع إلى غرفة نومه يغير ملابسه ويتناول سلاحه...فأنتفض أبوه فى لوعة صارخا :

-لاااه أصبر يا حسام يا ولدى...الأمور ما تتحلش كده...أصبر لما عمك ياچى ونشوفوا هنعملوا أیه

...احنا مش كد...عاصم الهوارى ...ده چبار يا
ولدى...محدث عنديه ليه دية...لو چراك حاجة أنا
أروح فيها..أخوك نبيل واخده العَلام وأمك الله يرحمها
..وأنت اللى باجلى بتعكز عليك فى شيبتي...
عشان خاطرى يا ولدى أهدا وسيب السلاح ده من يدك

.....

لحد ما عمك ياچى ونحكم العَجَل...
- عَجَل !؟....هى دى فيها عَجَل ! بت عمى فى يده
وتجولى عَجَل !

أنا هجمع التهامية كلاتهم ورايح له واللى يكون يكون
مش هجهد كيه الحريم حاطط يدى على خدى
ومستنى عمى...والله ده أنا مبجاش راچل من التهامية
لو استنيت دجيعة واحدة تانى ..
وأندفع خارج الدار يجمع التهامية ليتوجهوا حيث
يأسر عاصم الهوارى ابنة عمه..

وما هى إلا ساعة من زمن حتى كان ذاك القصر
المنيف محاط بالمئات من أبناء التهامية الذين جاؤا
لإنتزاع إبنتهم من بين أنياب ذاك الغول .. المسمى
عاصم الهوارى ..

كانت الشمس لازالت ترقد فى نعاسها لم تستيقظ بعد
لكن مشاعل التهامية حول سراي الهوارى صنعت
شمسا من نوع خاص .

شمس تسطع بنيران الحقد والكراهية الموروثة بين
العائلتين منذ زمن بعيد ..

ظهر عاصم التهامى من داخل القصر يشرف على تلك
الجموع المحتشدة من أعلى الدرج ثم هتف فى صوت
جهورى ساخر:- خبر أيه؟! .. خير يا حسام يا تهامى
... جامع التهامية كلاتهم ماشاء الله ليه؟! ..

- بت عمى ناجى .. فين يا عاصم؟! ..

- موجوده فى الحفظ والصون .. ليه!؟

- ليه ..؟!..چايبها لبيتك غصب وتجولى ليه ..؟!.. قالها
حسام وهو يجز على أسنانه غيظا ..

- يا واد الحاج جدرى ... خلى بالك على كلامك
...هتف عاصم بغضب هادر ثم أكمل مستطردا فى
جزل متحولاً فى لهجته للنقيض:

- انى مش عايز مشاكل فى ليلة فرحى...

-فرحك ..؟!..سأل حسام وأزدادت الهمهمات بين
الحشود المجتمعة و انتفض حسام يتساءل ساخرا :- -
فرحك على مين ان شاء الله...!!؟؟

- على بت عمك اللى انت جاي تاخدها ...هى اللى
چتنى بنفسها عشان نتچوز ما هي واعية أن ابوها مش
هيوافج.....

أضطربت الجموع المحتشدة بعد هذا التصريح
الاخير... انتفض حسام بدوره فى غضب هاتفا:

- بت عمى الداكتورة زهرة مش ممكن تعمل كده...ده
تارك الجديم وانت بدفعها تمنه ...
-لما ياچى أبوها هايسمعها بنفسه وهو اللى
هايحكم...قالها عاصم فى لامبالاة....
- ومين اللى ها يستنى لما عمى ياچى ...سلمنى بت
عمى حالا.. واشهر حسام سلاحه وبدأ الهرج والمرج
بين رجال التهامية...
ورجال عاصم المحيطين بالسراي
..وفجأه ..أعلنت احدى الطلقات النارية عن نفسها
بصوت مدوى وساد الصمت

كانت الحشود أمام سراي الهوارى تبحث فى تعجب
عمن أطلق تلك الرصاصة المدوية..
صوت عاصم الهوارى كان هو أول من قطع الصمت
عندما هل فجأة قائلاً :

- أهلاً... أهلاً يا حضرة الضابط نورتنا
..اتفضل...ومتشكرين على التحية الغالية دى...العيار
الميرى له هيبتة برضك...حلاً الحَكومة دريت بخبر
چوازى...؟؟!!..

- لا يا عاصم بيه .. قالها الضابط ممتعضاً...الحكومة
مدريتش إلا ببلاغ الدكتور ناجى التهامى ضدك
بيتهمك فيه بخطف بنته الدكتورة زهرة التهامى.

- واهاه...هتف عاصم متعجبا وهو ينظر فى غل وحقد
واضحين للدكتور ناجى والذي كانت المرة الأولى
التى يراه فيها يقف يشتعل توتراً وهو يطالع خاطف
ابنته على حد زعمه...

هتف عاصم فى سخرية...:- كده برضك يا داکتور
ناجى...ولا أجولك يا عمى...ده احنا خلاص بجينا أهل
ونسايب...

-بنتى فىن يا بن مهران ...؟!..بنتى فىن
انطق...؟!..سأل الدكتور ناجى فى غضب عارم قابله
عاصم برد بارد
قائلا :

- بنتك فى الحفظ والصون يا عمى ...
-يا حضرة الظابط ان بتهم عاصم الهوارى بخطف بنتى
.. هتف الدكتور ناجى بنفس اللهجة الغاضبة ..
-ليه كده يا عمى...؟!..سأل عاصم ساخراً و اكمل بلهجة
متعلقة :- متهى لى دى أمور شخصية ...واحنا مش
عايزين نتعبوا حضرة الظابط معانا...
-مفيش تعب يا عاصم بيه ..أكد الضابط بلهجة رسمية
...لازم أحقق فى البلاغ بتاع الدكتور..
-يا حضرة الظابط بته ريدانى وعارفة ان أبوها مش
هيوافج على چوازنا دلوجت بيتهمنى بخطفها...قالها
عاصم فى نبرة ناعمة بها الكثير من التشفى.

طب خليه يوريك الرسالة اللى بتة بعتهاله تجوله فيها
انهما جتنى بخطرهما علشان رفضه.....ثم توجه بالكلام
إلى الدكتور ناجى قائلا فى شماته :-فرج الرسالة لحضرة
الضابط يا عمى.

صمت الدكتور ناجى ولم يعقب وعيناه تتقد غضبا
يكاد يحرق عاصم حياً فتنحج الضابط فى إحراج :
- الظاهر دى فعلا مشكلة عائلية وأنا ماليش مكان
فيها..ثم استطرد الضابط متوجها بالحديث للدكتور
ناجى ...ولا تحب تستكمل التحقيق يا دكتور ...

رد الدكتور ناجى فى غض مكبوت ..
-لا ...مفيش داعى ...بس أهم حاجة يتعهد قدامك
بأنى أشوف بنتى وأطمئن عليها...

-طبعا ... هتف عاصم ...و دى عايزة كلام...هو كتب
الكتاب ينفع من غيرك برضك يا عمى.....قالها عاصم
فى مجاملة مصطنعة...

-حيث كده يبقى تمام...وألف مبروك يا عاصم بيه...
وهم الضابط وقوته الشرطية بالإنصراف لكن عاصم
لحقه هاتفا...:

- مبروك كده متنفعش يا باشا لازماً تشرفنا فى الفرع
بكرة بإذن الله...

-باذن الله...قالها الضابط وهو يرحل تاركا النار تستعر
من جديد بعد ان كانت خامدة لسنوات طويلة خلت .
وما أن أعلنت القوة الشرطية إبتعادها حتى اندفع
حسام من بين الحشود تجاه عمه هاتفاً فى ثورة :-
كيف يا عمى صدجته وهو بيحول الكلام ده عن بتك و
سبت الظابط يمشى كده!؟..

-الظابط مالوش الا الدليل... والرسالة فعلا على
تليفونى ومبعوثة من تليفون زهرة وأنا متأكد ان هو
اللى بعتهها..

قال كلامه وهو يوجه نظرات سامة لعاصم ..
- نجوم نسيبه يعمل ما بداله... والله ما نبجاش رجالة
وأحنا عارفين أن بتنا فى داره غصب عنها وعنا...
وصرخ حسام فى هدير كالرعد فى رجالة التهامية
المرابطين حول السراى فى انتظار إشارة من كبيرهم
لتعلو الهمهمات ويندفع الحشد كله لداخل السراى
فى ثورة ويستعد رجال عاصم الهوارى للزود عن سراى
كبيرهم بكل ما اوتوا من بأس...
صرخ الحاج قدرى ليقف التطاحن .. لكن لا مستمع
ولا مستجيب فى وسط تلك المعمة...
ضاع صوته وسط تصادم العصى والنبايت... وفجأة
ظهر خيال أنثوى على الدرج بجوار عاصم الهوارى جعله
يطلق أحد الأعيرة النارية من سلاحه.. ليتوقف الهرج
والمرج فى لحظة وتشرأب أعناق الجميع ..هوارية

وتهامية لمصدر العيار النارى ليروا فتاة مجهولة تقف
بجوار عاصم الذى أنتفخ أوداجه فى ثقة وغطرسة
مقيتة هاتفا فى صوت هادر:- بت الدكتور ناجى ..
أهى بنفسها..أسألوها...

شعرت زهرة بإنها تكاد تذوب أمام نظرات ذاك الحشد
الذى ينتظر كلمة فاصلة منها... اندفع أبوها ليطوقها
بذراعيه فى لهفة وهو يحثها على الحديث... :
- قوليلهم يا زهرة انه خطفك وجابك هنا غصب عنك ...
قوليلهم...

صمتت لفترة ليست بالقصيرة تتنازعها الرغبات بين
الإفصاح عن الحقيقة الكاملة وما قد يعقبها من
تداعيات رأت بعضها منذ لحظات من خلال نافذة
المضيئة التى اصطحبها إليها عاصم عندما بدأ
الهرج... ليريها بأمر عينها ما قد يحدث اذا خرجت
وأخبرت أهلها الحقيقة مؤكدا بصوت كفحيح أفعى :-

- انا بس مانع رجالتى عن أهلك و اللى أنتِ شيفاه ده ..
يا دوب عاركة صغيرة.. مشفتيش كيف ممكن تكون
العاركة الكبيرة لو أستخدمنا السلاح..

وما بين ذاك الخزى والعار الذى سيكلل التهامية
وخاصة أبيها اذا ما وقفت بكل صفاقة أمام رجال
عائلتها لتخبرهم انها هربت مع عاصم لتتزوجه مخالفةً
لرغبة أبيها انها تشعر بأنها تموت .. روحها تنسحب
من جسدها.. وأطرافها تتجمد .. عيونها زائغة...
ولسانها ألصق بقمة حلقها الجافة تماماً...

شعر عاصم بحيرتها .. وقرر إنهاء الموقف فى سرعة
وبراعة خبيثة.. فسألها:- مش أنتِ يا بت الناس اللى
جيتى لحد عندى عشان نتجوز من غير خطف ولا
يحنون

أطرقت برأسها فى خزى ولم تستطع ان تنطق بحرف
واحد .. حاولت.. ولكن كان الهواء الذى يدخل رئتيها

الان هواء ملئ برائحة بارود الحقد والرغبة فى الانتقام
الدموى ...هواء غير قادر على إنعاش رئتيها لتتنفس
من اجل حياة بلون الدم ...شعرت بأن الارض تميد بها
.. وفجأة سقطت فى

دوامة سوداء لا نهاية لها من الصرخات والهتافات..
والمزيد من رائحة الانتقام الاسود.

فتحت زهرة عينيها اخيرا...لتطالعها عيني ابوها
الملتاعة خوفا عليها ... لم تصدق نفسها انها حقا
تخلصت من ذلك الموقف العصيب هناك امام رجال
التهامية الذين لا تعرفهم .. و انها انقذت ابوها حتى
الان من عار قد يكلل مفرقه طول العمر..

اندفعت لإحضانه باكية فى حرقه ليربت هو على ظهرها
بحنان مشفقاً عليها مما هى فيه .. واخيرا رفعت

هامتها بكبرياء تحسد عليه عندما طالعها شبح عاصم
يقف لامباليا في احد أركان الغرفة لذا هتفت :-
متخفش يا بابا انا بخير ..بس الموقف كان صعب عليا
.. انا أسفة انى ورطتك كده..مكنش قصدى ..

هتف الدكتور ناجى بتعجب متسائلا :- انتِ قصدك ايه
يا زهرة ...؟!.. كلامكِ فيه حاجة مش مفهومة ...؟!..

تطلعت زهرة حولها .. لتجد بن عمها حسام يتطلع اليها
فى غل وقد بدأ يستشف ما تقصده .. بينما عمها
قدرى ينتظر فى ترقب مثل ابيها الإفصاح عما تعنيه
بشكل اوضح .. اما عاصم الهوارى .. والذى تقدم
خطوة ينظر فى ترقب متطلعا اليها بابتسامة باردة
مشجعا يستحثها على المضى فى طريق اعترافها ..

فهتفت تحاول التخلص من حملها الأثقل على الإطلاق:
- اللى قاله عاصم صح ..

اتسعت ابتسامة عاصم وزادت وحشية وهى تستطرد :

- انا جيت برضايأ صحيح.. بس انا مكنتش اعرف ان
كل ده ممكن يحصل .. انا معرفش ايه التاريخ القديم
اللى كلکم بتتکلموا عنه ده.. سامحنى يا بابا ..

صرخ الدكتور ناجى غاضبا :

- انتِ فاکرة انى مصدق حرف واحد من اللى بتقوليه
ده ..؟!..

ردت فى ثقة :- طب أخليک أزاى تصدق ..؟!..

هتف حسام بن عمها فى غضب هادر مندفعاً اليها :-
يا فاجرة .. بتجوليهـا عادى كده ..؟!.. انک جيتى
لحديه عشان يتچوزک .. ده انتِ تستاهلى الجتل ..

واخرج سلاحه بالفعل لولا ان انتفض عاصم فى سرعة
يدفع سلاح حسام بعيدا عنها وهو يزمرجر:

- إياک حتى تفکر فى كده .. دى فى حکم مرتى
دلوجت.. سامعنى..؟!.. وقذف بالسلاح بعيدا.

انكمشت هي على نفسها مما يحدث أمامها تكاد تفقد وعيها من جديد من جراء ذاك الجو المحموم حولها .. لكنها تماسكت حتى تُنهي هذه المهزلة وما ان همت بالكلام حتى قاطعها حسام صارخا من جديد :

- هنجول ايه للتهامية اللي مستنيين بره إشارة منينا...؟!.. هنجولهم أيوه بتنا هي اللي چت له .. هي اللي طاتت راسكم وخلتها في الطين ..والله دِه انتِ جتلك أهون ..

امسك الحاج قدرى بولده الثائر يدفعه بعيدا عن ابنة عمه قبل ان يعترضه عاصم من جديد والذي ابتعد لمكانه السابق في طرف الغرفة يراقب المشهد في جزل ..

اندفع الدكتور ناجى في تلك اللحظة موجهها حديثه لعاصم :

- لو سمحت .. انا عايز اقعد مع بنتى لوحدى ..

رفع عاصم كتفيه بلامبالاة وهو يرد في ثقة ناظرا اليها
و هو على يقين من انها لن تغير موقفها مهما حدث :-
وماله يا دكتور .. حبك طبعاً .. وخرج من الغرفة في
خطوات متثاقلة يلقي بنظراته المحذرة تجاه زهرة
والتي كانت تحمل رسالة واحدة .. "نفذى ما اتفقنا
عليه .. وإلا...!!!"

وصلتها الرسالة كاملة وترجمت كل حرف فيها ..
يا الله كيف لها أن تتجاهل تلك الرغبة العارمة التي
تجتاحها الآن تدفعها لتلقى بنفسها في أحضان أبيها
وتخبره بكل ما حدث لها منذ قابلها ذاك العاصم
... لكن كيف لها أن تفعل!؟

ستخرس لسانها من أجل سلامته ... من أجل عمها و
أولاده الذين لم تلتقيهم حتى من قبل ..
من أجل شباب عائلتها ستتجلد .. ستغلق على قلبها
ألف باب وباب

-من أجلك يا أبى ...سامحنى أرجوك...هتفت هامسة
قبل أن تواجه نظراته المتفرسة ...كانت تعلم انه
يقرأها الآن ...لكنه وقف فى صلابة وهو يقول فى حزم
:- أيه اللى بيحصل بالضبط يا زهرة...؟!...ممكن تفهمينى
..أنا عارف أن عاصم الهوارى خاطفك
ومهددك..أتكلمى ومتخفيش من أى حاجة ولا على أى
حد ...فاهمة يا زهرة....صارحينى بكل
حاجة...صارحى بابا اللى عمرك ماخبيتى عليه حاجة
يا حبيبتى...

كان يضغط على مشاعرها بقوة وكادت ان
تستسلم...لكنها هتفت فى سرعة حتى لا تتراجع...:
- اللى قالهولك عاصم كله صح يا بابا..عاصم يبقى
صاحب المزرعة اللى أنا بشتعل فيها ...هو عايز
يتجوزنى ..ومصارحنى بأن فى مشكلة قديمة بين

العيلتين وأحنا ملناش ذنب فيها يا بابا ...فقررنا
ننتجوز لأن حضرتك كنت ها ترفض أكيد...

-انتِ متوقعة ان انا أصدق الكلام ده؟!..وبفرض أنى
صدقتك....ده برضه يخلينى أقولك انه عايز يتجوزك
مش عشان بيحبك ..لا ..عشان ينتقم منى بسبب
القصة القديمة اللى انا متأكد انك متعرفيهاش ..ولا
هو جتله الجراءة انه يحكيها لك

-هو جاب سيرتها كذا مرة بس فعلا معرفش حاجة عن
القصة دى ومش عايزة أعرف يا بابا...مش هتغير من
رأىي فى عاصم....هو فعلا بيحنى وعايزنى ..وأنا
موافقة على جوازنا ..وانا قولتها قدام عمى قدرى
وابنه .

- يا بنتى أسمعيني متعمليش فى نفسك كده...أنتِ مش
عارفة حاجة أنتِ بترمى بنفسك فى النار ..انت
متعرفيش انتى هتعيشى فىن ومع مين؟!...النار دى

أبوكى هرب منها من أكثر من ٣٠ سنة ومش هسمح
انك ترمى نفسك فيها ولو كان التمن حياتى نفسها
...هم مشكلتهم معايا متحطيش نفسك بينى وبينهم
قوليتها فى وشه دلوقت إنك رفضاه ورافضة الارتباط بيه
وأنا والتهامية كلها متكفلين بحمايتك ..

همست فى نفسها :- ومن يحميك انت والتهامية يا
أبى من ذاك الوحش الكاسر والذى يضع الانتقام فى
مقدمة أولويات حياته مهما دُفع من ثمن !؟.. وحتى
ولو كان ذاك الثمن ..أرواح ودماء...

تنهدت فى نفاذ صبر رغبة فى إنهاء ذاك الحوار الذى
يمزقها أشلاء :

- بابا ...عشان خاطرى مفيش داعى لكل ده...أنا عايزة
عاصم ..ذى ما هو عايزنى..وواثقة فيه وفى حبه ليا
...أرجوك يا بابا مفيش داعى للمشاكل...أنا عارفة إن
أنا غلطت فى اللى عملته...بس معلىش...سامحنى

...أنا بحبه... حاولت قدر الإمكان... أن تقنعه..
بتلك الكلمات الأخيرة... وعدم استدعاء وجهه عاصم
فى مخيلتها... انها تشعر ناحيته بكل كراهية ومقت
بعد كل ما يحدث لها بسببه...

اللعة عليه و على الانتقام الأعمى و على ذاك النجع
الذى لا يتفاهم إلا بلغة الدم و على تلك العائلة
والتقاليد البالية التى تجعلها الآن تقف فى وجه أبيها
رغمًا عنها لتخبره بحبها لأكثر شخص تمقته فى دنياها
ضاربة بموافقة أبيها عرض الحائط من أجل سلامته....
انتفضت فجأة... عندما وجدت أبيها يجذبها من يدها
فى عنف متوجهها بها صوب الباب ليخرج بها من
سراي الهوارية بلا رجعة... كانت رغبة قدميها موافقة
لرغبة اليها فى الهرب من ذاك الجحيم لكن عقلها
هتف بها ان تتوقف الان لذا جذبت يدها من يده

بأعجوبة قائلة:

- لا يا بابا مش ماشية معاك.... أرجوك يا بابا ...أطمئن أنا كويس ومبسوطة أخرج لعمى وابنه وطمئنه عشان كتب الكتاب ميعاده قرب...
- ده آخر كلام عندك !!... أعقلي يا زهرة... قالها وهو يهزها من كتفيها فى عنف..
- أيوة يا باباآخر كلام ...قولى مبروك.
- مبرووك...؟! من هنا ورايح لا أنتِ بنتى ولا أعرفك...عندك لحد كتب الكتاب لو رفضتى ها تبقى بنتى اللى ربيتها...ولو فضلتى على حالك ..يبقى متستنيش إنى أحط ايدى فى أيد حد بعدك عن حضنى غصب عنى وعنك. ...
- وأنا انسينى يا زهرة...أنا أبوكى... اللى حبك أكثر من نفسه .. انسيه..

كانت كلماته الاخيرة تقتلها .. همت ان تناديه لتخبره
بالحقيقة وليحدث ما يحدث بعدها ... لكن نفس تلك
الكلمات هى التى استوقفتها ..

نعم هو يحبها اكثر من نفسه وهى بالمقابل تحبه اكثر
من روحها ولن تدعه يقف والعائلة اما ذاك الغول
معدوم الرحمة... ستكون هى كبش المحرقة ولن
تبال.. يكفيها ان ابيها بخير .. من أجل أمها .. من اجل
أختها ندى ..

أندفع أبيها فى عنف بعد كلماته الاخيرة التى لم تلق
رد الفعل المطلوب الذى كان يتوقعه لخارج
المضيقة.... ثم خارج سراي الهوارية وكأن الشياطين
تلاحقه وقد رآه رجال التهامية المتجمهرين حول
السراي .. ليدركوا بفطنتهم

ان الامر قد حُسم لصالح عاصم الهوارى .. ليرحلوا و
منهم من أزداد حقه على ابنهم الذى لم يحسن تربية

ابنته القاهرية التى لم تعرف تقاليدهم ولم تراعيها
ليتجرعوا على يديها كؤوس الخزى والعار ومنهم من
ادرك بفطرته .. ان الفتاة لا ذنب لها .. وانها مجرد
ضحية تسدد دين ابيها القديم للهوارية .. وان عاصم
الهوارى اخيرا حقق مراده و نال انتقامه للهوارية
بأثرها كما كان يتمنى

وأدرك الحج قدرى وابنه نتيجة مقابلة الدكتور ناجى
مع ابنته فأستأذنوا فى هدوء ليودعهم عاصم فى جزل
وحبور مؤكدا عليهما موعد كتب الكتاب فى الثامنة
من مساء اليوم..

أتجه عاصم حيث قابلت زهرة أبيها فوجدها تجلس فى
هدوء مريب على أحد الأرائك...تنظر إلى اللا فراغ
تتنازعها المشاعر والصراعات التى تعتمل بداخلها
...تحنح عاصم وهو يدخل المضيقة وما ان هم بأن
يتكلم حتى قاطعته هى فى هدوء قاتل وهى تقسم

داخلها أن لا يرى دموعها أو يتنبه لضعفها :- نفذت
الى أنت عاوزه بالحرف...لو حد فى عيلتى جواله
حاجة ساعتها أنا الى هاخذ بتاره بأيدى منك ومن
عيلتك كلها..

ابتسم فى تشفى لتهتف هي مستكملة بنبرة حاقة :-
أنا بكرهك وعمرى ما كرهت حد كده وعمرى ما توقعت
أنى ممكن أكره حد كده ..

واندفعت من المضيفة تجرى بطول الردهة حتى
عادت لغرفتها وأغلقت بابها خلفها فى
عنف...وانفجرت فى بكاء عاصف طال كتمانها...

رضوى جادويش

الفصل الثالث

اجتمع التهامية فى بيت كبيرهم الحاج قدرى ..
يجلس الدكتور ناجى بينهم فى حسرة و قد هتف فيهم
غاضباً محولاً حديثه للهجته الصعيدية التى فرض على
نفسه عدم التحدث بها من زمن حتى لا يفتن احد
الى اصوله :- هو انتوا هتسيبوا بنتى فى ايد اللى اسمه
عاصم ده ..؟؟!..

هتف احدهم فى سخرية :
- بتك اللى ريدها وحطت راسك وراسنا فى الطين .. انا
معرفش انت مجتلتهاش ليه لما سمعتها بتجولك كده
...!!؟..والله لو كانت جالت كده جدامنا وهى واجفة
جبل ما توجع من طولها لكنت جتلتها بيدي..
ليسخر اخر بدوره :

- تلاجى الداكتور نسى عوايدنا !؟.. ثلاثين سنة بعيد
عن الصعيد مش جليلين برضك ..

ليصرخ فيهم الدكتور ناجى :- هو ده اللى انتوا فاكرينه
عنى وعن بنتى ...!!؟.. انا بنتى متعملش كده .. ده
خطفها وأجبرها تجول ما بداله .. وهى خوفها علينا
خلاها تصدجه وتعمل اللى طلبه منيها ..

صمت الجميع ولم يعقب .. وحسام يجلس فى خزى لا
ينطق حرفاً يتلقى سخرية رجال التهامية اللاذعة
كخناجر فى صدره ولا يستطيع التفوه بحرف امام
نظرات أبيه المحذرة..

ليهتف اخر :

- طب عايزنا نعملوا ايه دلوجت يا داکتور ناجى...!!؟..
نجلبوها دم من تانى عشان خاطر بتك واللى لو جت
الحكومة تسألها هتجولهم انا جيت له بخطرى.. او جه
مأذون يسألها هتجوله انها موافجة على الچواز منيه
...!!؟..

نظر الحاج قدرى لأخيه فى حسرة يهز رأسه فى ضيق
ولم يتفوه بحرف ليستشيط الدكتور ناجى غضباً وهو
يهتف فى الجمع المحيط به :

- خلاص .. خليكم انتوا .. وانا مش هجعد حائط يدي
على خدى زى الولايا واسيب بتى ترمى بنفسها فى
النار عشانى وعشانكم..

واندفع يجذب سلاح احدهم مندفعاً للخارج ليلحق به
الحاج قدرى هاتفاً :

- استنى بس يا ناچى رايح فين ..!!؟.. ده رجالة عاصم
يطوخك جبل ما تجرب من سور السرايا وملكش عنديه
دية..

صرخ الدكتور ناجى :

- رايح اجيب بنتى بنفسى واللى يحصل يحصل ..

أمسك به الحاج قدرى اخيرا وهو يلهث هاتفاً :
- اصبر بس يا خوى .. انا هروح لبتك واكلمها تانى
ويمكن أجدر أغير لها رأيها جبل كتب الكتاب ..
محدث عارف.. يمكن يجد فى الامور أمور ..مع ان
بتك راسها ناشفة ذى الحجر الصوان....وروحها ما
تعرفش الخوف.....طالعة لأمرها الله يرحمها والله يا
خوى..أول لما أطلعتها وكنى شايف فاطنة جدامي...
ألقى الدكتور ناجى السلاح من يده و هتف في
انتفاضة:

- لازم يعرفوا .. انتفض الحاج قدرى بدوره متسائلا:
-..خبر ايه يا ناجي.....؟!..

هتف ناجي التهامي مكرراً :

- لازم ...يعرفوا قبل كتب الكتاب..؟!

- يعرفوا أيه؟؟!!...و هم مين دووول اللي يعرفوا...!!
هتف الحاج قدرى.. متسائلًا وهو يرى أخيه يهرع
خارجًا .. وهو لا يعرف من يقصدهم أخيه بكلماته
المتعجلة....

..وقف الدكتور ناجي التهامي علي باب سرايا الهواري
يطلب مقابلة الحاجة فضيلة فخرج له عاصم والذي
تعجب من وجوده .. ورغبته الغير منطقية في مقابلة
أمه...

-أفضل يا دكتور...هتف عاصم مرحباً...

-متشكر..بس أنا عايز أقابل الحاجة فضيلة....قالها
وهو يجلس متوترا فوق أحدي الأرائك الممتدة
تحت أشجار المانجو الوارفة في الركن الغربي من
الحديقة المحيطة بالسراي ينتظر مقابلتها بفارغ
الصبر..

- عايزها فى ايه يا دكتور...؟!..سأل عاصم فى تعجب
وحيرة..

- معلىش...أمر ضروري...لازم أقابل الحاجة
فضيلة...قالها الدكتور ناجي مهادناً عاصم حتي يحقق
مطلبه...

- الحاجة مبتجابلش...رچالة غُرب وکمان هى مشغولة
دلوجت ..بتحضر لكتب الكتاب ..و ابتسم متشفياً
...لو فى حاجة مهمة جولهالى وأنا أبلغهاها...
-بلغ الحاجة بس وشوف رأيها...

-الحاجة مبتجابلش حد يا دكتور نهض عاصم فى نفاذ
صبر مستطردا ..وورانا حاجات كتير وتجهيزات ياما...
-بس انا لازم أقابلها .. دى مسألة حياة أو موت .. لازم
قبل كتب الكتاب ..

رد عاصم ساخرا :

- من الآخر يا دكتور ..و عشان أريحك.. هى مش
طايفة تجابلك .. ولا عايزة تسمع سيرتك من أساسه..
هغصبها يعنى !؟.

شعر الدكتور ناجي أن الحوار أنتهي عند تلك
النقطة..فنهض في ثاقل وهو يجر ازيال الخيبة...
لابد وأن يقابل الحاجة فضيلة فهي وحدها التي
ستصدقه وربما يغير ما سيقوله كفة الميزان لصالح
ابنته...

www.aberkotob.com

هبطت الحاجة فضيلة الدرج فى تودة تحمل مفتاح
غرفة ابنة ناجى التهامى فى جزل .. فأخيرا .. حققت
مرادها الذى انتظرته طوال ثلاثين سنة خلت حتى
تنتقم من ذاك الذى فرقها عن أختها التى كانت



عبر الكتب
للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

الاقرب لقلبها.. وجعلها تتبعه فى غوايته لترحل معه
تاركة كم من الخزى والعار ذاقوا مراراته طويلا ..
لتموت فى النهاية وتدفن بعيداً ويذهب هو ليتزوج
غيرها وينجب ابنتين .. الكبرى .. هى من يحتجزوها
فى تلك الغرفة التى تمسك بمفتاحها الان .. لتذهب
وتلقى نظرة على ابنة تلك المرأة التى أخذت مكان
أختها .. وابنه ذاك الرجل الذى كان السبب فى موت
أختها بعيدا عن أهلها

حاولت ان تعرف .. كيف شكلها ..؟! وهل هى جميلة ..
ام قبيحة ..!!!.. ففى النهاية .. هى أم .. وتريد أن
تطمئن .. كيف هى من سيرتبط بها ولدها ..?!..
حتى ولو لفترة مؤقتة .. لكن فضولها يغلبها لتراها رؤى
العين فحتى الخدم لم يراها احدهم ولا حتى ام
سعيد مكن اسرار العائلة ..

فلم يدع عاصم اى منهم يدخل لها حتى ولو لتقديم
الطعام كان يقدمه بنفسه لها
عندما سألت عنها عاصم بفضول:
- هى زينة يا عاصم...!!؟..

لم تتلقى الجواب الذى يرضى فضولها بل أجاب فى
نزق:

- أه .. زينة .. مجبولة يعنى.. بس ده يفرج فى
ايه...!!؟..

وبالطبع كان على حق فسيتزوجها أى كانت ..
وصلت لباب الغرفة وما أن همت بوضع المفتاح فى
قفل الباب .. حتى جاءتها ام سعيد راكضة فى هلع :-
إلجى يا حاجة.. الحاج مهران تعبان جوووى وطالبك
ضرورى..

سحبت الحاجة فضيلة المفتاح من القفل واندفعت
خلف ام سعيد تلحق بها لحجرة الحاج تحاول إيقاف

نوبة أخرى من نوبات السعال الذى اصبح يداهمه
بكثرة الفترة الاخيرة ولا يعاود إلتقاط انفاسه من جديد
الا بدواء خاص كتبه الطبيب مؤخرا ...

لا تعلم كم مضي من وقت وهي تبكي لكن عندما
رفعت رأسها من فوق الوسادة المبللة بدموعها وجدت
الشمس قد غربت منذ وقت قصير وسمعت من علي
البعد صوت مزامير وطبول تقترب وكأنها بوم ينق
...سدت اذنيها بكلتا يديها لا تصدق انها بعد ساعات
قليلة ستصبح زوجة لذاك الوحش معدوم الرحمة رغما
عنها.....

يا ألهي.... هتفت في سرها....
كيف ستعامل معه ومع قوته وسطوته...؟!..وكيف
ستقابل ذاك الجبروت...?!..

انها تعترف ان نظراته وحدها كفيلة بأن تجعلها تشعر
برغبة في الهرب من أمامه لتحتمي من حضوره
الطاغي..والذي يعضده تلك القامة الفارهة
الطول..والتي تجعلها تتراجع بضع خطوات حتي
تستطيع أن ترفع رأسها لتحديثه...
لابد وأن تنسي اللباقة في التعامل مع ذلك الغول لابد
وأن يقيم لها حسابا وأن تضع حدود في تعاملها
معه....

لن تدعه يري دموعها...لن تدعه يكسرها...
إن كان هو صعيدي ويتميز بصلابة الرأي والعقلية
المتحجرة.....

فهي أيضا تحمل نفس الجينات وستكون هي القوة
الداعمة لها والسلاح الذي ستستخدمه في حربهما
الغير معلنة...

نهضت تغسل وجهها وتنعش روحها بعد ذاك الإتفاق الذاتي... لن تدعه يعتبرها حطب المحرقة لإنتقامه وكراهيته المتوارثة بل ستجعله يندم علي اللحظة التي زج بها في لعبته القذرة ..

سمعت طرقات علي الباب فلم تجب... فتكررت الطرقات... وهي علي تجاهلها ..ففتح الباب وأطل برأسه متنحنحاً...

وتعجب عندما رآها جالسة ولم تسمح له بالدخول.. -أنا خبطت علي الباب.. كذك مسمعتيش.... قال بتعجب وهو يراها جالسة تسمع الطرق ومعللاً دخوله دون إذننها..

-لا سمعت...أجابت في تحدي...بس ده ها يفرق معاك سواء سمحت لك ولا رفضت دخولك...؟! نظر لها نظرات نارية لبعث لها برسالة مفادها..ليس ذاك وقت الحساب ... فالحساب قادم لا محالة.. مما

جعلها تزدرت ريقها فى صعوبة وهو يقول :

- المأذون وصل..وعمك جَدري بره..يا ريت تجهزي
عشان بعد كتب الكتاب عمك هياخدك وياه علشان
الفرح بكرة يطلع من داركم..

قالت فى سخرية:

-..مش من باب أولي كان كتب الكتاب يبقى فى بيت
عمي...!!؟... لن تصمت بعد الان ونظراته النارية لن

تردعها هكذا قررت وهى ترد فى ثقة وتحدى

-ده علشان سلامتك...لو رحتى هناك بعد ما تبجى

مرتى محدش هيجدر يمस्क ...أجاب فى حزم..

-سلامتي...!!؟..وضحكت ساخرة..هي فى سلامتي

دي...!!!!... لتستطرد بنفس النبرة الساخرة...لا..

وشوفوا مين اللي بيتكلم عن سلامتي...!!!!...

تغيرت تعبيرات وجهه وأصبحت تشبه ليلة عاصفة

مظيرة تنذر بالكوارث....

-لو روحتي لأهلك جبل كتب الكتاب ممكن
يجتلوكي.....قالها محاولاً التفسير ..

-أه..وانت بقي خايف عليا من القتل...!!!..ولا.. قلت
لنفسك لما تكتب الكتاب تضمن ان انتقامك كمل
وبقيت مراتك خلاص...؟!..

نظر اليها ملياً نظرات جعلتها تلتهب لكن كانت تعضد
مقاومتها أمام عينيه بمحادثة داخلية بينها بين
ارادتها :- اثبتي ... لا تضعفي..لا تخفضي رأسك مطلقا
في حضرته ليعلم منذ اللحظة انه لا سلطان له عليكِ
وأنتك لن تخضعي له مطلقا...واذا كان استطاع استغلال
نقطة ضعفك المتمثلة في حبك وخوفك علي ابيك...
www.abeeerkotob.com

فليعلم الآن...انه لم يعد لديكِ من تخافى عليه...او ما
تخافى علي فقدته...فأبيكِ وعائلتكِ تم ابعادهما عن
ميدان المعركة....والآن...ما سيحدث سيكون بينك
وبينه...

تعجب من نظراتها الواثقة و روحها المتمرده...
منذ متي أصبحت تمتلك تلك النظرات المتنمرة وتلك
اللهجة الواثقة وكأنها أُستبدلت في ساعات...!! من تلك
الرقيقة التي أنقذها في المزرعة والتي كانت تنتفض
بين ذراعيه كالصفور خجلا واضطرابا

إلي أخرى... لا يعلم حتي هذه اللحظة من تكون...
نفض تلك الخواطر عن رأسه وهو يهتف في حنق:-
أجهزي... عمك چاي ياخذ رأيك...

وخرج بشكل عاصف من الغرفة وما هي إلا دقائق حتي
دلف عمها ليأخذها بين ذراعيه وهو يهمس في
أذنيها...:

- والله يا بتي لو جلتيلي أنا مش موافجة يا عمي وان كل
الكلام اللى جلتيه لأبوك ده مش على هواك ما
هيكفيني روحه هو وعيلته كلاتها... محناش جليلين يا

بتي...أحنا أهلك وعزوتك جولي لاه...وهتشوفي عمك
العجوزده ممكن يعمل أيه علشان يحميكي؟!
أبتسمت في راحة...فللمرة الأولي.. منذ وطأت قدماها
تلك الأرض تشعر بالراحة والطمأنينة في أحضانعمها
التي ذكرتها بدفء ذرراعى أبيها..
-أطمئن يا عمي..أنا بخير.. بس بابا.. كويس...؟؟!!..
-هكذب عليكى يابتي...سبته في الدار
بيغلي...حاسس بالعجز..كيف ما يجدرش ينجى
بته..؟!..واعرة جووى دي علي أي راجل دمه
حامي..الله يكون في عونہ..وعونا..التهامية كلاتهم في
حزن كبير...ولدي حسام لحجته مرتين خارج ومعاہ
سلاحه وحالف يجتل عاصم الهواري.. بعد ما فهمته
انتِ عملتى كده ليه...احنا كلنا عارفين انك بتعملی
كده عشان خايفة على الكل .. وخايفة من الدم اللى
ممكن يبدأ من چديد.. بين العيلتين ...بس..

-عمي أنا موافقة...وموافقة جدا كمان..هتفت في
نفاذ صبر مقاطعة إياه بعد ما سمعت تلك الأحداث
الدامية و التي يمكن ان تشتعل اكثر كلما تأخر عقد
القران ..فلننهي الأمر إذن وليكن ما يكون..

- ده آخر كلام عندك...!!؟؟... سأل عمها متمنيا
تبديلها لقرارها...

أومأت برأسها موافقة....فربت علي كتفها في حنان
وغادر الغرفة...

تركها تنهبها الأفكار والمشاعر وتعصف بها الخواطر...
حتي انتفضت كل خلاياها عندما سمعت أصوات
الزغاريد تشق الجدران...

تعلن انها...

أصبحت زوجة للغول...

وصلت لبيت العائلة مع عمها وابن عمها
حسام... كانت المرة الأولى التي تراه فيها عن قرب وهو
هادئ بلا اندفاع كما رآته منذ ساعات راغب في
قتلها.. انه شاب قوي البنية مريح القسمات... تشعر
عندما تراه بأنك في يد أمينة...

يمكنك الاعتماد عليها دائما ولن تخزلك أبداً... كانت
قسمات وجهه تزدهم بالكثير من مشاعر... الغضب و..
الحنق.... والعجز.. مما يحدث. دخلت الغرفة التي
خصصت لها عرفت انها.. غرفة نبيل الابن الأصغر لعمها
قدري... انه أستاذ في الجامعة...

نظرت إلي براويز الصور علي الحائط والمكتب... انه لا
يشبه أخيه حسام....

فهو أقصر قامة وملامحه لطيفة.. يرتدي نظارة طبية
تضيف علي مظهره بعض من وقار علي الرغم من
علمها.. أنه لا يصغر حسام الا ببضع سنوات ..

توجهت إلي الفراش...مددت جسدها المرهق...انها
بحق مرهقة...

لا تريد أن تفكر في أي شيء....فقط تريد أن
تنام....لتنسي ذاك الكابوس الذي تعيش تفاصيله..
تعرف أن أبيها يرقد في أحدي الغرف المجاورة و رغم
ذلك لا تريد أن تراه...نعم..لا تريد.....

فليس لديها القدرة علي مواجهته من جديد فقد
تضعف في أي لحظة....أمام نظراته المعاتبة..
يكفيها...ما ينتظرها غدا عندما تصبح مع ذاك الوحش
تحت سقف واحد...

أغمضت عينيها وجسدها كله ينتفض ..سالت دموعها
حارة وهي تقول لنفسها :- تلك الدموع هي الأخيرة
التي ستزرفها عيناك ..منذ تلك اللحظة أنسي أمر
الدموع و تذكرى أمراً واحداً فقط.....

أنه لازال هناك الكثيرالذي ينتظر صلابتك
وصمودك...فتجلدي.... جففت دموعها في عزم
وراحت في سبات عميق...
تحاول أن تطرد صورة...عاصم الهواري...من مخيلتها
حتى لا يطاردها في أحلامها أيضا...

أستمر الطرق على الباب لفترة طويلة طرقات متتابعة
متلاحقة مع أصوات لصخب وضحكات ... فأندفع
حسام يفتح الباب فى عنف صارخا :- إيه.. خبر إيه
...الحرب جامت؟!...

تفاجئ بمجموعة من الفتيات تقف على باب دارهم
يحملون الكثير من الأغراض تتقدمهم فتاة لم تغب
ابتسامتها حتى مع غضبه وعبوسه الذى لم تنفك
عقدته حتى عند رؤيتها....

قالت الفتاة المرححة فى ثقة :

- أحنأ جايين للعروسة..

-عروسة أيه ؟؟!! ...قالها فى حنق .. مع ارتفاع

ضحكات الفتيات وتذكر ابنة عمه الموجودة فى دارهم

من الليلة السابقة...فأستطرد فى إحراج:

- أه ...زهرة بت عمى ..أفضلوا ...

وأفسح لهم الطريق وأشار لهم على غرفة نبيل التى

باتت زهرة فيها ليلتها...

أندفعت الفتاة المشرقة الابتسامة تطرق باب الغرفة

مؤكدة انها ستدخل بمفردها أولا وتذمرت باقى

الفتيات .. لكنها دخلت وأغلقت باب الغرفة خلفها

وهى تخرج لهم لسانها فى طفولية ولم تكن تعلم ان

هناك من يراقب المشهد ويبتسم .. على الرغم من

ندرة حدوث ذلك وهو يترك الدار للعروس وصويحباتها

- كل ده نوم يا عروسة ..؟!.. سألت سهام فى مرح
وهى توقظ زهرة .. والتى تعجبت لأفعال الفتاة التى لا
تعرفها...

-أكيد مستغربة.. أنتِ متعرفنيش.. أنا سهام .. أخت
عاصم جوزك..

كانت كلمة زوجك تلك والتى نطقها الفتاة المرححة فى
براءة كفيلة بإعادة زهرة لأرض الواقع فى قسوة جعلتها
تنتفض..فاليوم .. يوم زفافها على ذاك اللأدامى عديم
الرحمة يا الله .. لما أشرق الصبح ...!!؟؟.. لما لم تقوم
القيامة...!!؟؟...هكذا فكرت...عندما أيقنت انها
سويغات قليلة وتصبح معه وحيدة تحت سقف واحد
..أخرجتها كلمات كانت تنطقها سهام من شرودها لم
تسمعها كلها بتركيز ولكنها ألتقطت بعض منها وهى
تشير لبعض الأغراض والتى أتت بها ووضعتها جانبا
عندما دخلت الغرفة لتوقظها...

أومأت لها زهرة بالإيجاب .. فتنهدت سهام فى فرحة
وهى تقبل زهرة فى ود حقيقى هاتفة :

- ألف مبرووك ... وأطلقت زغرودة مجلجلة جفلت لها
زهرة .. ثم قبلتها من جديد وهى تستأذنها لان هناك
الكثير من الامور لم تُنجز بعد فى السرايى والتى تزينت
لاستقبالها...

نهضت زهرة من فراشها بعد مغادرة سهام ... والتى
شعرت بميل فطرى ل صداقتها فهى مرحة .. بريئة..
وأستعجبت كيف يكون لمثل تلك الفتاة مثل ذاك
الاخ...؟!.. والذى كان قدرها ان ترتبط به زوجا دونا عن
باقى البشر .. كان تهم بمغادرة الغرفة فأستوقفها شئ
ما فى غطاء مخملى موضوع بحرص على الجانب الاخر
من فراشها ... أقتربت منه فى حذر ووجيب قلبها تزداد
وتيرته ...

لامست أناملها ذاك الغطاء وتجرات لتفتح السحاب
الطويل ليطالعها قماش حريرى.. اكملت أخراج الرداء
من غطاءه وهى مشدوهة تتطلع لثوب زفاف من
المخمل والحرير لم ترى فى روعته من قبل.. مررت
أناملها على القماش الراقى وطفرت الدموع من عينها
على الرغم من الوعد الذى قطعته على نفسها بالألا
تذرفها أبداً .. لكن مرأى ثوب الزفاف الرائع ذاك حطم
دفاعاتها الصلبة كلياً.. لما يفعل بها ذلك؟!.. لما
أشترى لها ذاك الثوب الرائع ..؟!.. ذاك الثوب الذى
تتطلع كل فتاة لإرتدائه لمن خفق له قلبها .. ذاك
الرداء الذى يكمل الحلم الوردي بالعش الهانى والاحلام
التي أضحت واقع ملموس فى أحضان من تحب .. يا
الله .. هتفت فى حشجة بكاء لم تستطع كتمانها كثيراً
.. ودموع فاضت حتى أفرغت كل مشاعرها فشعرت
فجأه بخواء داخلى وألم فى مكان ما داخلها وكأنه جرح



ينزف بلا توقف .. هدأت قليلا ثم أستدارت لتفتح
باقى العلب ... يا له من وقح ...!!! هكذا هتفت فى
استنكار عندما طالعت الكثير من القمصان الحريرية
ومنامات ...

-واللهم ... صرخت مصدومة..

لن ترتدى مثل تلك الأردية أمامه حتى ولو توصل
راكعاً.. على الرغم من انها تتطلع لذاك اليوم .. بل يكاد
يكون هو هدف حياتها الآن .. لكن لن يكون ثمن ذلك
ابدا .. أن تختال أمام تلك العيون المتفرسة بواحد من
أحد هذه الأثواب والتي تفضح أكثر مما تستر.

حمدت الله أن أبيها قد أحضر لها بعض من مناماتها
عندما كان قادماً لإنقاذها من يد ذاك المتوحش...

حمد لله أن لديها البديل ... تنفست فى راحة
وأبتسمت فى تشفى وقد أستعادت صلابتها وقررت ان
تنهض لتستعد وهى تهتف فى داخلها بعزم :-

أحضرت ثوبا ابيض وحرير وتريد زفافاً...
فلتجرب...ولتقترب أيها الغول ...

فلتستمتع بتلك اللحظة الخاطفة من السعادة التي لا
تعرف متى تدق بابها من جديد .. دارت حول نفسها
تتمايل فى رشاقة وهو تضحك لصورتها فى المرآة و
ترسل لها قبلة فى الهواء..

-كم أنا جميلة فى ذاك الثوب .. الجميلة والوحش ..
هتفت ضاحكة

..عليها ان تعترف .. لم يهمل شيئاً ولو بسيط .. فقد
أحضر الثوب بكل ما يلزمه حتى غطاء الرأس والتاج
المُطعم بالورود .. وباقة الزهر .. وحذاء يشبه حذاء
سندريلا.و همست :

- أه .. لو ينفك السحر وتعود عند الساعة الثانية عشرة لحجرتها فى بيت ابيها وتكتشف ان كل ذلك كان مجرد حلم سخيـف . وتترك له الحذاء بفردتيه وليس فردة واحدة فهى لا تريده أن يعثر عليها من جديد ...

طـرقـات على باب غرفتها أيقظتها من أحلامها...دخل أبوها وما أن وقعت عيناه عليها حتى تطلع إليها فى حنان طاغى وأندفع يشملها بذراعيه ... رأت الدموع تتلألأ فى مقلتيه لكنه حبسها فى براعة وقال فى هدوئه المعتاد - يستعجلونا .. خلصتى يا زهرة...!؟.

-أه .. خلاص يا بابا ... بس ماما وندى أتأخروا ليه...!؟
- مش عارف يا بنتى .. الغايب حـجـته معاه ..هتلاقـيهم هنا فى أى لحظة وسط الفرـح لإنهم ملقيوش طيارة غير اللى هتوصلهم متأخر دى ..

كان يكلمها بعيون زائغة مضطربة فهو لا يريد أن يزيد
حزنها حزناً ويخبرها برفض زوجته منيرة الحضور
وإحضار ندى معها ..

قالت له بالحرف الواحد :- أنا مش ممكن أجى وسط
الهمج دوول اللى أنت وبنتك منهم .. ما يمكن عامل
مصيبه تانية تدفع ندى بنتى تمنها المرة دى ..

- يا الله يا بنتى ... العربية جهزت .. قالها لإنهاء
أسئلتها عن أمها وأختها وأخذ بيدها .. وما أن ظهرها
خارج الغرفة حتى تعالت الزغاريد من نسوة التهامية
والذى أمتلاً بهن بيت عمها .. شد أبيها على يدها
وسار بها حتى سيارة عريسها والذى رغم عن خمارها
الذى كان يغطى وجهها إلا انها استطاعت تمييزه
بسهولة فمن يملك ذاك الطول الفاره والحضور
الطاغى .. حتى فى وسط كل ذاك الضجيج كان حضوره
له صخباً يعلو على كل صخب .. تناول يدها من يد

أبيها والذي نظر اليه نظرات ملؤها الغضب ... فرد عليه عاصم بإبتسامة لا ملامح لها..

ودخل السيارة بعد أن ساعدها فى دخولها وبدأت الزغاريد تصدح من جديد وتصاحب موكب العروسين بالطبول والمزامير والطلقات النارية التى لم تهدأ ..
والتي كانت كافية لإنهاء حرب ضروس بنصر ساحق وتعالى الزغاريد من جديد عندما وصلت العروس لسراى الهوارى .. واستقبلتها سهام والحاجة فضيلة عند الدرج .. ليركن عاصم يذهب لمرافقة الرجال حيث المكان المخصص لهم ويدخلن برفقة زهرة حيث تجتمع النسوة للإحتفال ... رفعت الحاجة فضيلة الخمار من على وجه زهرة لتقف مشدوهة لا تحرك ساكناً... تعجبت زهرة وكذلك سهام من ردة فعلها ...
ولكن الحاجة فضيلة تماكنت أعصابها كالمعتاد من

أمرأة فولاذية مثلها وأمسكت بيد زهرة لتجلسها حيث
المكان المخصص للعروس وسط النسوة المحتفلات
لتجلس فى توتر تحاول ان تخفيه قدر استطاعتها
وتبتسم فى وجوه مدعوئها ابتسامات لا حياة فيها ...
حتى انها انسحبت لفترة من الوقت وبحث عنها
الجميع .. لتعود بعيون زائغة .. تنظر لزهرة فى
صدمة وكأنها ترى شبحاً...

وتبتسم ابتسامات بلاستيكية فى وجوه النسوة حتى لا
تشعر إحداهن بذاك الصراع الدامى الذى يدور
بداخلها بين تلك المشاعر المتقلبة التى تجتاحها الان
وخاصة عند النظر لوجة زهرة الصبوح ..

أستمر ذاك الطبل والزممر والنسوة اللاتي تبارين فى
مهارات الرقص لفترة لم تعلمها زهرة .. فعلى الرغم من
الصخب المحيط بها .. إلا أن صخب روحها المضطربة
كان الأعلى صوتاً والأكثر تأثيراً.... تعالت الطلقات

النارية من جديد ... وفجأة تعالت زغاريد النسوة
المجتمعات حولها .. وكأن هناك اتفاق ما ولم تدرك
ذلك إلا عندما أخذت الحاجة فضيلة بيدها تستحثها
على النهوض..فنهضت بقدم متيبسة كأنها تُبتت
للأرض بألف مسمار ...تسير بخطوات آلية لتصعد
معها حيث الغرفة التي خُصصت لهما هي
وعريسها...والتي هي فى الأصل غرفة عاصم.. كانت
فى الجانب الآخر من السرائى بعيداً عن الصخب الدائر
بالأسفل ...

وصلت أخيراً وتعجبت عندما قبلتها الحاجة فضيلة
على جبينها وتمنت لها السعادة والذرية الصالحة فلقد
توقعت منها هي بالذات معاملة مخالفة تماماً لما تراه
الآن ..

دفعت الحاجة فضيلة باب الغرفة وأدخلتها بعد أن
قرأت بعض آيات من القرآن الكريم .. لدفع العين
الحاسدة وجلب الفرحة والهناء..

وخرجت وتركتهما أخيراً وحيدة بعد كل ذاك الضجي
الذى لازال يدور بالأسفل والذى يصلها منه النذر
القليل حتى غرفتها..

أغلقت نور المصباح فغرقت الغرفة فى الظلام إلا من
شعاع نور يتسلل برقة من نافذة الشرفة .. أتجهت
لِلنافذة تتلمس بعض من الهواء النقى لعله يخفف من
ألم الرأس الذى داهمها منذ وطأت قدمها أرض
السراى... كان البدر مكتملاً فى السماء تتخلله بعض
السحب التى تغطى ضوءه فى بعض الأحيان ..

فهمست تقول :- القمر مخنوق ذىي. فقد سمعت أن
هناك حكاية شعبية ما تتحدث عن ما يسمى بالقمر
المخنوق يطلق عليه اهل الريف ذلك عندما تحيط به

السحب بهذه الطريقة و يعتبرونه نذير سوء فيطلب
سكان القرية من البنات العذراوات الخروج من أجل
الغناء للقمر لعل السحب تنقشع ويشع القمر نوره من
جديد ويذهب طالع السوء ...

همست لنفسها :- وهل هناك طالع سوء أكثر مما أنا
فيه الآن...؟! في غرفة نوم أكثر شخص أمقته في العالم
.. والليلة .. ليلة زفافنا ..

فُتح الباب في بطاء... فتشجعت مكانها ولم تتحرك ..
أغلق الباب ووقف مشدوهاً مما يرى .. تقف في ضوء
القمر والذي يلقي علي محياها شلالات من فضة
تجعلها أشبه بالحوريات بذاك الثوب الناصع البياض
والذي تتلأأ حباته كأنها تسبح في بحر من نور ..
هو يعرف انها جميلة .. بشرة مخملية بلون الحنطة ..
وعيون واسعة بلون الجوز .. وقامة متوسطة الطول على
الرغم من أنها بالكاد تناهز قمة رأسها كتفه .. يستمتع

دائماً عندما يراها تتراجع بضع خطوات حتى تستطيع أن تكون فى مجال أوسع للرؤية عندما تحدثه ... جسد رشيق .. لا يخفى رشاقتة ملابسها الفضفاضة فى غير مغالاة..أما شعرها فلم يره بعد .. لكن يكفيه تلك الخصلات التى تتمرد من تحت حجابها تلقى التحية... والتى كانت كافية لتذهب بثباته ورجاحة عقله ... أضاء الغرفة قائلاً فى صوت أجش من بقايا تأثر :- السلام عليكم .

-وعليكم السلام .. ردت و لم تتزحزح من مكانها..أقرب منها فى هدوء بعد أن خلع عنه عباءته ووضع عصاه الابنوسية جانبا ..فتنبهت وزاد وجيب قلبها وشعرت بأن الأرض تميد تحت أقدامها ... لكن .. لا .. لن تضعف الآن .. ستواجهه .. فهى لا تهابه .. وضع يده على كتفها يحاول أن يديرها ليرى عينيها.. لكنه فؤجى بها تدفع بيده بعيداً...

همست بصوت خفيض غاضب يقطر مقتاً :- إيااك .. تفكر حتى...مجرد تفكير إنك تلمسنى...

انكمشت على نفسها عندما وجدت أن لون عينية قد
استحال للون عاصفة سوداء حالكة فى عرض بحر يَمور
بالغضب وزمجر بصوت مكتوم يخرج من بين اسنانه
مقتربا منها ناظرا لعمق عينيةا وهو يقول :عاصم
الهوارى مبيأخدش حاجة غصب.. عاصم الهوارى لما
يعوز حاجة بتأچى طايعة تحت رجليه ... وفى يوم وعن
جريب جووى ...هيكون ده مكانك يا بت الداكتورر...
ناجى التهامي ...

لا تعرف من أين أتت بالقوة فى تلك اللحظة الدامية
لتنطق قائلة فى تحدى سافر :- يبقى خليك واثق أن
اليوم ده مش هاييجى أبداً....

فترة من الصمت اعقبت صدى كلماتها الأخيرة وبالنظر
لعينية مجددا أدركت أنها أيقظت الوحش من سباته..

الفصل الرابع

وقف طويلا أمامها يرمقها بنظرات تصهرها... كانت عيناه مزيج عجيبا من المشاعر والأحاسيس المختلطة ... انها تعترف الآن ... انها بحق تشعر بالرعب ... وفجأة ... وجدته يجذبها من ذراعها فى قسوة لتجد نفسها فى أحضانه..

انها المرة الأولى التى تكون فيها قريبة بذلك الشكل الحميمى من اى من كان .. انها تستشعر حرارة انفاسه اللاهثة التى تدل على اضطرابه وثورة غضبه ... ان انفاسه تلامس وجهها وتلفح بشرته الندية كحرارة شمس حارقة فى يوم قيظ ..

وتلاقت عيناهما للحظات.. كانت نظرات مضطربة حائرة .. تحمل الكثير من التساؤلات التى لم تجد من يجيب عنها ...

وأخيرا تكلم بصوت متحشرج على الرغم من الحزم الذى حاول ان يبطنه به :- أنا مبحبش اللى يراجعنى فى كلامى ويرد على حديثى .. كلمة .. بكلمة ... سمعانى ...؟!.. ثم استطرد فى جزل بصوت خفيض قريب من مسامعها :- وإلا .. صدجبنى .. ساعتها ردى مش هايحبك... لأنه هايبجى واعر عليكى جوووى .. يا بت الناس ...

لم تستطع ان ترد بكلمة واحدة تستعرض بها شجاعتها وتحديها لأوامره...فهى ليست من حماقة حتى تتحدى أسد فى عرينه مدعية شجاعة زائفة...الأفضل ان تنحى الشجاعة جانبا حتى تمر تلك الليلة..على خير. وفجأة .. أطلق سراحها ودفع بها بعيدا عن ذراعيه وهو يلهث بشكل ملحوظ وكأنه يقاوم حرب ضروس تستعر بداخله ويحاول فرض الهدنة بين طرفيها .

زفر فى نفاذ صبر وهو يشير لحمام الغرفة الخاص
قائلاً:

- خشى غيرة هـدومك وتعالى نامى .. خـلينا نُخلص من
الليلة اللى ما بينلهاش آخر دى ..

أخيراً أستعادت صوتها بعد أن عادت من الجحيم
الدامى بين ذراعيه وهى تقول فى صوت خرج كأنه
ليس بصوتها:- ممكن تدخل الأول .. لو حابب .. يعنى
..

ولم تكمل جملتها فقد سمعت زمجرته التى تعلن أن
رصيدها من صبره قد أوشك على النفاذ .. فجذبت
منامتها.. من حقيبتها واندفعت مهرولة إلى الحمام
...أغلقت بابه خلفها وظلت دقائق تُسند عليه ظهرها
غير قادرة على الأتيان بأى فعل .. يا آلهى...

انه بحق غول ... أغمضت عينيها فطالعتها صورة
عينية وهو ينظر اليها ففتحتها على عجل ... ستكون
تلك النظرات سبب لكوابيسها فى الأيام القادمة اذا
استطاعت الخلود للنوم من الأساس و هي تنام بعينه
..

- العون يا آلهى.... هكذا هتفت لنفسها وهى تحاول
التخلص من ثوب الزفاف الثقيل ..

نظرت لنفسها فى المرآة لتطبع صورتها به فى مخيلتها
فهى لن ترتديه مرة اخرى على ايه حال... هكذا فكرت
فى حزن مزقها... كانت ستكون أسعد الفتيات حظاً لو
أرتدت ذاك الثوب الرائع لأجل من تحب ... ودمعت
عيناها وهى تنزع الثوب عنها وتضع نفسها تحت رزاز
الماء الدافئ لعله يخفف بعض من آلام روحها العليلة
والتي عاود جرحها نزفه من جديد ..

وعلى الرغم من رغبتها فى البقاء تحت الماء والهرب
فى الحمام لأطول فترة ممكنة بعيد عن ذاك الوحش
المربط فى الغرفة.. إلا انها فضلت الإسراع والخروج...
فمن المؤكد انه ينتظر خروجها لينال دوره فهى لا
تستبعد أن يحطم باب الحمام فى أى لحظة لإخراجها
إذا ما تطلب الامر..

خرجت وهى ترتدى منامتها المحببة إليها وتضع غطاء
رأسها.. وما أن سمع باب الحمام يُفتح حتى تعلقت
عيناه بمحياها وهى تخط خارجه... توقع ان يراها
ترتدى أحد الأردية الحريرية التى اشتراها لأجلها...
ولكن يا لإحباطه عندما وجدها تخرج بتلك المنامة
العجيبة التى ترتديها..

نظرت هى إليه وشعرت بفرحة غامرة وهى ترى نظرات
الإحباط تطل صريحة من عينيه وهو يراها لا ترتدى أحد
أثوابه الخليعة ..

لم تتهنى بانتصارها المؤقت طويلاً فقد وجدته يهتف
فجأة ضاحكاً:- أدي اللى كان ناجص عشان الليلة
العجيبة دى تكمل ..بجامة!!!..و عليها جط
وفار..كما ان.

كان يضرب كفا بكف وهو ينهض مستمراً فى ضحكاته
التى زادت وتيرتها حتى أغلق باب الحمام خلفه...
خلع ملابسه واستدار ليضعها على المشجب فطالعه
ثوب الزفاف

فأبتسم ساخراً وهو يهمس قائلاً:- هى جوازة ولا أكثر..
خرج من الحمام ليجدها وقد تذرث بأحد الأغطية
حتى عنقها ممددة على الأريكة الموجودة بالقرب من
النافذة..

جيد انها عرفت أين موضعها بالضبط؟!..هكذا حدث
نفسه ليكمل فى غيظ....بت ناچى التهامي ..

وجد الصينية الزاخرة بأطايب الطعام والتي صنعتها
أمه خصيصة من أجل تلك الليلة الميمونة.. ونمت على
جانبي فمه إبتسامة ساخرة

رفع الغطاء عن الصينية وجلس شارعاً في تناول عشائه
بشهية كبيرة ولكنه أخيراً تذكر ان له عروساً وجب ان
تشاركه الطعام..

فقال في لهجة أمرة وهو ينظر لتلك المتكفنة بغطائها:-
تعالى كليلك لجمة..

لم ترد عليه .. وكأنها لم تسمعه... فقال في لهجة تنذر
بثورة عارمة:- انا ع كلمك... ولما أكلمك تردى على...
سمعانى...!!

قال الكلمة الأخيرة بلهجة تهديدية من الطراز الأول
فأومأت برأسها وهى تقول بصوت متحشرج:- مش
جعانة..
شكراً...

-مش بمزاچك.. انا لما اجولك كلى تاكلى...
تعاااالى...

انتفضت مع صرخته .. وهو يهتف بكلمته الاخيرة
وقامت لتجلس أمام صينية الطعام لتمسك بالملقعة
بيد مرتعشة ومعدة منقبضة...وأمعاء متقلصة حد
الألم ..

لكنها أكلت تحت تهديد نظراته المركزة عليها.. وكلما
أدرك انها تتصنع تناول الطعام ..نظر اليها زاعراً فى
حقن.. فتأكل على غير رغبتها حتى كادت تختنق ..

وأطلقت الشهادة وهو يقوم أخيراً من أمام طاولة
الطعام ليغسل يديه.. فتبعته فى هدوء.. غسلت يدها
و اندفعت لأريكتها تتدثر بغطاءها وتحتمى من نظراته
التي تحاصرها..

وأخيراً ... أغلق الأنوار .. ارهفت السمع لبعض الوقت
حتى غط فى نوم عميق... فبدأ الناس يداعب جفونها

ويرسلها لدنيا الأحلام أو ربما الكوابيس ...فهي تنام
فى عرين الغول .. كيف لها ان تنسى ذلك !!؟
و ...مع تباشير الصباح الأولى ... دوت صرخة جعلته
ينتفض من نومه هاتفا فى جزع:- ايه... جرى ايه!!؟
وتعالت الصرخات حتى شقت أرجاء السرائى العتيقة..
لتوقظ كل قاطنيها...

لم يعرف ما يحدث ... كل ما استطاع ان يستوعبه
بإدراكه المشوش من جراء الأستيقاظ فزعا هو تلك
الصرخات ..

وما ان انتفض من فراشه مهرولا لخارج الغرفة حتى
توقف فجأة... ليدرك أخيراً... أن تلك الصرخات
مصدرها عروسه التى وجدها متكومة على أرض الغرفة
تتلوى ألماً...

اندفع اليها فى جزع يسألها فى تعجب:- ايه فى؟!.. ايه
الى جرى؟!..

ردت وهى تتمزق :- مش عارف .. بطنى بتتقطع ..
حملها بين ذراعيه ليضعها على الفراش ويدثرها ... ثم
يندفع فى سرعة لخارج الغرفة ..

كاد يصطدم بأمه وأخته سهام واللتان جذبتهما
الصرخات فتجاهلهما فى توتر هاتفاً :- يا أم سعيد ...
فلبت المرأة النداء سريعاً ... فهتف بها :- شوفى ولدك
فين وابعتيه يجيب
الداكتور بسرعة ...

-ليه .. خبر ايه يا عاصم بيه !؟.. سألت المرأة فى جذع
- أنتِ هتحكى معاى .. همى وخلصى ... أجابها فى حنق
- حاضر .. أها .. جوام .. وركضت المرأة تبحث عن ولدها
عاد للغرفة التى دخلتها امه وأخته ... مستفسرتان ...
عما يحدث ولا زالت زهرة تتلوى ألماً ...
كانت تحاول كتم صرخاتها خجلاً .. لكن شدة الألم
كانت تدفعها لأن تعلق صرخاتها رغماً عنها ...

حاولت سهام تهدئتها بينما ظلت الحاجة فضيلة عند رأسها تقرأ لها بعض آيات القرآن الكريم مؤكدة .. انه الحسد و أن أعين النساء قد طالتها

أما هو فقد وقف متعجباً من حنان أمه تجاه زهرة والتي توقع ان تكون اكثر المتعاملين معها شراسة وقسوة... أليست هى بنت ناجى التهامي والذي طالما أزكت أمه الرغبة فى نفسه للانتقام منه!؟..

كانت ملامح وجهه جامدة كالصخر لا تعابيرفيها عندما دخل الطبيب مستأذناً فتنحت النساء جانبا..

وهتف عاصم فى ترحاب:- أفضّل يا داکتور.. اتفضل
تقدم الطبيب حيث ترقد زهرة منكمشة على نفسها..وبداً الطبيب فى فحصها فتنحى جانبا .. يطل بوجهه على شرفة الغرفة..حتى ينهى الطبيب فحصه ..

وأخيراً... قال الطبيب فى هدوء وهو يخط أسماء لبعض
الأدوية :-الظاهر المدام كلت أكل ثقيل عليها شوية ..
واضح انها مش واحدة على أكل الصعيد
قالها الطبيب فى مرح برئ وهو ينظر لزهرة.. أنا أديتها
حقنة هتهديها شوية
لحد لما تجيبوا الادوية اللى كتبتها دى .. وألف
سلامة عليها ..

-متشكرين يا دكتور ..ألف شكر .. هتف عاصم
-العفو يا عاصم بيه .. تحت أمرك فى أى وقت ..
-يا واد يا سعيد .. نادى عاصم على غفيره.. الذى ظهر
فى لمح البصر.. فقال له :- وصل الداكتور .. هم يا
واد..وألف شكر مرة ثانية يا داکتور وخذ الروشتة من
الداكتور وهاتها وأرجع طوالى ...
-أوامرك .. يا عاصم بيه ..

اندفع عاصم عائدا لغرفته.. فوجد زهرة وقد استكانت
بين ذراعى أمه وسهام تتطلع اليه فى حزن ...
- ما تجلبش يا خوى هاتبجى بخير ... همست سهام
- إن شاء الله .. قالها فى لامبالاة...

جاءت ام سعيد مهرولة بالدواء ولتبلى الحاجة فضيلة
أن نساء الهوارية جميعهم بالأسفل قد جئن لمباركة
العروس فى صبحيتها...

زفرت الحاجة فضيلة فى حلق:- و ده وجته.. مكنوش
جادرين يتأخروا شوية... البنية تعبانة.. هاتنزل لهم
كيف دلوجت..!!؟؟.....

نظر عاصم لها فى تعجب .. هل هذه هى الحاجة فضيلة
التى يعرفها ..!؟

رسوى جادوى

استكملت حديثها محاولة تجاهل نظرات عاصم
المتعجبة :

- روحى يا سهام استجبلهم على بال ما أجهز
وأنزلهم...وانتِ يا أم سعيد جدميلهم الشاى والحلو
على بال ما أحصلكم...
ثم هتفت فى ولدها :-عاصم ...تعالى مكانى يا
ولدى...

قالتها وهى تشير له ليجلس مكانها حيث كانت
تحتضن زهرة بين ذراعيها ..
سار فى بطاء لا يستطيع أن يتحجج بأى حجة حتى لا
يقترّب منها يتعجب من حال أمه ولا يستطيع التفوة
بكلمة لوجود أم سعيد ...
كتم أنفاسه حتى غادرت أمه وخلفها أم سعيد بصينية
الطعام الكارثة ...

نظر اليها .. ببعض من شعور بالذنب يكتنفه.. فهو من
ضغط عليها لتأكل على الرغم من عدم رغبتها فى
ذلك...

نهض فى بطاء وحذر .واضعاً رأسها على الوسادة نائياً
بنفسه عنها جاذباً على جسدها المسجى الغطاء...
إلا انه سمعها تهمهم من بين أحلامها بضع كلمات..
لم يكن يحتاج لأن يركز أو يرهف
السمع حتى يتأكد أنها تتمم بكلمة أكرهك ...
أبعد ناظريه عن محياها وتناول عصاه الابنوسية
وعبائه ليخرج من الغرفة لا يلوى على شئ ...
سوى أن يكون بعيداً عنها....
بعيدا بما يكفى ...

تجمعت نسوة الهوارية فى المضيضة الكبيرة التى ترتبط بصحن الدار بردهة واسعة يقبع على جانبىها غرف مختلفة أحداها كانت تلك التى قضت فىها زهرة أول ليلة لها فى

سراى الهوارية ... تذكرت عندما مرت بتلك الردهة تلك اللحظات الرهيبية التى قضتها فى تلك الغرفة فأرتعشت لأراديا و لكنها ألفت بتلك الخواطر خلف ظهرها حين وصلت إلى حيث أجمعت النسوة بعد ان أيقظتها سهام معذرة من أجل النسوة اللاتى أتين لمباركة زفافها بعد ان تأكدت انها على ما يرام ... وما أن دخلت القاعة حتى أطلقت الزغاريد ترحيباً بقدوم العروس أشارت لها الحاجة فضيلة حماتها لتأتى وتجلس بجوارها.. فأطاعت فى خجل وأعين الجميع تتفرسها... ربت الحاجة فضيلة على كتفها فى

حبور تحاول أن تزيح عنها شعورها بالخجل والإحراج
الذى يسيطر عليها

وبدأت فى تعريفها بنساء العائلة واحدة تلو الأخرى..
لكنها شعرت بشكل خاص بجو من العداء والغيرة الغير
مبررة تنضح من سمية ابنة عم زوجها وأُمها الحاجة
رتيبة منذ وصلت للمضيقة وكلتاها تتغامزان
وتتلامزان وهى على يقين من انها الموضوع الأساسى
لنميتهما ..

- والله ما حلوة .. ولا فيها ريحة الحلوة.. همست سمية
لأمها تقصد زهرة بكلامها ..
- أه مهياش فى حلاوتك.. لكن جدت تميل عجل عاصم
واد عمك اللى عجله يوزن بلد وبجت مرته.. يا
خايبة وانتِ اللى كنتِ جدامه من سنين ...ولا حتى
فكر يفتح أبوكِ او أخوكِ بأنه رايدك ...

- ما تجلجيش ياما ... عاصم واد عمى محدش فهمه
كدى..ديتها كام يوم ويزهج منيها... وساعتها مش
هيكون لحد غيرى..

-لما نشوف يا مخيلة...هايسيب

المصراوية دى اللى لفت عجله ويبصلك كيف؟!..
-هتشوفى ياما ..بتك هاتعمل أيه...؟؟!!

قطعت استرسال نيميتهما الحاجة فضيلة والتى لم
يكن يخفى عليها فيما تتهاامسان... فهى تعلم علم
اليقين أن رتبة زوجة غسان رحمه الله كانت منية
فؤادها أن تزوج ابنتها لعاصم ولدها..لكن هذا من رابع
المستحيلات فهى تدرك بشكل قاطع .. انها ترغب فى
ذلك طمعاً فى المال والجاة وليس حباً فى عاصم أو
تقديراً له ...

فهمت الحاجة فضيلة بحزم :

- إيه .. خبر إيه... يا حاجة رتيبة ..؟؟!.. إيه اللي
واخذك عينا وعن عروستنا الحلوة!؟..
أنتفضت رتيبة فى اضطراب قائلة:- لااه .. أها .. أنا
أها..وايه اللي ممكن يشغلني عن عروستنا الزينة دى
... وكمان أدى نجوط العروسة... مرت الغالى ... واد
الغاليين...

ونهمضت تضع حول جيد زهرة عقد من عدة أدوار من
الذهب الخالص كادت زهرة أن ترده فى إحراج لكن
منعتها الحاجة فضيلة فى إشارة منها لأن ذلك غير جائز
وان رد الهدية يعتبر إهانة ...

وردت الحاجة فضيلة فى ثقة وحزم:- تعيش يا حاجة
رتيبة.. تتردلك فى صباحية سمية بتك بإذن الله...عن
جريب ..

-تعيشى يا حاجة فضيلة ... وتفرحى بعوضهم يا رب..
وأنهت دعوتها بإبتسامة صفراء فمن تلك التى تستطيع
أن تضع نفسها فى موضع منافسة او ندية مع الحاجة
فضيلة أم عاصم الهوارى الذى يسوس البلد بأكملها
...بأشارة من إبهامه...

تناوبت النساء واحدة تلو الاخرى فى تقديم هدايا
الزفاف لعروس عاصم الهوارى سيد شباب الهوارية
ونجع الصالح بأكملها...

وعندما غادرت النسوة كانت زهرة لا تستطيع السير
من ثقل الهدايا الذهبية التى ترتديها حول جيدها
ومعصمها ومازحت سهام قائلة:- هفتح محل ذهب
باللى أنا لبساه ده كله ...

انفجرت سهام ضاحكة وهى تقول :-عوايدنا بجى...
تجولى أيه...!!.. كل حاجة عندينا بزيادة...

-صدقتى يا سهام ... قالتها فى شروء.. كل حاجة
عندكم بزيادة... بالذات الكره والإنتقام دووول بالذات
بزيادة قوووى...

لم تكن تدرك و هي تهتف بكلماتها أن عاصم دخل
المضيقة من بابها الخلفى
وسمع ما قالته وانتفضت هى عندما تنحنح فى
قوة...قائلا فى برود:- كيف حالك دلوجت !!! ...
أحسن...!!!

-أحسن الحمد لله... تعبتكم معايا ...
هز رأسه فى نفى دون أن ينطق بكلمة.. بينما ردت
سهام فى لوم وعتاب محبب:- كيف تجولى كده ..
دى أنتِ مرت أخوى الغالية.. يعلم ربنا بعترك
أختى...

أبتسمت زهرة ممتنة للود الحقيقى الذى تظهره سهام
بينما قال عاصم فى هدوء :

- تعالى يا داکتورة.. أبوی عایز یصبح علیکی... وسار
صاعداً الدرج وهی خلفه.. حتی وصل لغرفة أبیه...
طرق الباب ودخل وخلفه زهرة...

كان أبیه جالساً علی فراشه الذی لا یغادره أنهی صلاته
فی خشوع .. ورفع رأسه لیطالع ولده فأنفجرت
أساریه مازحاً.. :- یا مرحب بالعریس..

وکاد أن یطلق مزاح خارج إلا أن زهرة خرجت من خلف
عاصم فی تلك اللحظة لتتغیر ملامح العجوز من المرح
إلی الدهشة والتعجب وهو یهتف فی ذهول:-
فاطنة...؟!..

كان الحاج مهران الهواری مشدوهاً عندما وقعت عیناه
علی زهرة لكنه استدرک الأمر عندما تحدث عاصم فی
هدوء :

- دی الداکتورة زهرة یا بوی ... بت الداکتور ناجی
التهامي ..

رد العجوز فى تدارك :

- إيوه ..أمال ايه .. ما أنى عارف ..دى مرتك يا عاصم ..امال فاكرنى كبرت وخرفت يااااك...؟!..

-العفو يا حاج أنى .. وقاطعه والده فى حزم قائلا:- انت تخرج بره دلوجت وتسبنى مع عروستك ... تردد عاصم ولم يكن ينظر اليها لاحظت زهرة انه لم يستطع الا تنفيذ الأمر .. لم ترى جبروت ذاك الرجل ينحن إلا أمام شخصين فقط ... أبوه وأمه..

خرج عاصم وترك زهرة تشعر بخجل وأضطراب مع ذاك العجوز .. كان عاصم يشبهه فى بعض تفاصيل الوجه وبعض اللمحات خاصة العيون السوداء الحالكة إلا أن نظرات العجوز كانت تحمل الكثير من الحنو والرأفة

عكس نظرات ابنه القاسية التى دائما ما يوجهها إليها حاملة سهام البغض والكراهية التى تغذى روحه ...

تبسم العجوز عندما ادرك بنظرته الثاقبة ما تعانيه من
اضطراب فأشار

إليها لتجلس على طرف فراشه فأقتربت في آلية
وجلست حيث أشار تفرك يدها دلالة على مزيد من
التوتر الذى يعترئها... تطلع اليها العجوز فى حنو ثم
ربت على كفيها المتشابكين لتهدئتها هامسا :- كيفك
يا بتى ..زينة؟!

هزت زهرة رأسها علامة الأيجاب ثم همست بصوت
مضطرب:

- الحمد لله.

-عارف انك هنا مش بخطرڪ وعارف انك بتدفعى تمن
ذنب أنتِ مرتكبتيهوش بس نجول ايه فى عوايد
وتجاليد .. قتلانا وحكمانا.. ذى الرحايا دايرة ومحدث
بيجدر يهرب منيها إلا ابو جلب عاشج... عاشج بچد
وابتسم العجوز فى حبور وهو يتطلع إلى نقطة بعيدة

خلفها وكأنه يرى من خلالها ماض ولى حين استطرد:
-أبوكى كان العاشق ده ...

-بابا ...؟!... سألت زهرة فى تعجب

أوماً العجوز بالإيجاب وأكمل قائلاً :- أنا بترچاكى يا
بتى ... متزعليش من اللى حُصل وسامحى... عاصم
ولدى يبان جاسى ...وحش ذى ما بيحولوا عليه ...
لكن مع عيلته وحبايه... جلبه رهيف وأبيض من
اللبن الحليب ولو حُصل منه حاجة أو زعلك فى حاجة..
تعاليلى.. أنى ذى ما أنتِ واعية جاعد على سريرى
مبتحركش اشكيلى .. وأنا أخذ لك حبك منيه...

ابتسمت زهرة وشعرت تجاه ذاك الرجل الرائع بالإمتنان
فقد أحدثت كلماته الحانية فارقاً كبيراً فى تخفيف
بعض ما تعانيه من جراء تلك الأحداث المتلاحقة التى
عاشتها منذ أن رآها عاصم للمرة الأولى ...

أشار الحاج مهران لأحد ادراج الخزينة التي تتوسط
غرفته

قائلا:

- هتعبك يا بتى .. أفتحى الدرج ده .. و لافينى
الصندوق الأبنوس اللى فيه..

أطاعت زهرة الأمر وأحضرت له الصندوق والذى عالجه
بمفتاح كان يعلقه فى صدره ..فتح الصندوق ليُخرج
منه شئ ما ثم أغلقه ثانية ووضعها جانبا..قال لزهرة في
مودة :-

- جربى...

أقتربت زهرة مطيعة أمره فأنحنى ليضع قلادة من
الذهب لم ترى أروع منها...

نظرت متسائلة فرد العجوز فى فرحة
وقد برقت عيناه وهو يتطلع للقلادة فى جيد زهرة :

- دى هديتى ليك... يا مرت ولدى الغالى ... حافظى عليها..

دى غالية على جووووى ... دى بتاعت أمى الله يرحمها... لكن الغالى ... للغالى ... قالها فى عاطفة فياضة وهو يربت على خدها فى حنو بالغ .. جعل الدموع تترقق فى مقلتيها..

لكم تفتقد أبيها وحنانه.. لكن الله عوضها بذاك الرجل الرائع..

لما ابنه .. لا يملك بعض من حنان ورقة قلب ذاك الرجل !!!..

سألت نفسها متعجبة..

وكيف يكون لرجل قاسى متحجر القلب مثل عاصم لا يضع للمشاعر وزنا ولا يفكر الا فى الانتقام من أجل العائلة... واسمها.. وسمعتها... أب بتلك العقلية المتفتحة والتي تلعن الانتقام وتبغض الدم...؟!

أخرجها العجوز من شرودها وهو يقول.:
- جومى يا بتى لچوزك وأسمعيها نصيحة من أب لبتة
يمكن الوشوش ما تتجابلش تانى
أوعاكى تسلمى ...أوعاكى...
خليكى نجمة عالية... تبجى للأبد غالية...لحد ما يأمر
سلطان الجلوب... سمعانى ...لحد ما يأمر سلطان
الجلوب... ساعتها بس هاجولك ... انك بت أمك
صحيح ...

تطلعت زهرة للعجوز الحنون فى حيرة وتعجب من
كلماته التى تشبه الأحاجى... وهمت أن تسأله عما
يقصد لولا إشارته لها بالأنصراف
دخلت فى تلك اللحظة الحاجة فضيلة التى كانت زهرة
على وشك الخروج و تنبهت للقلادة التى تزين جيدها
... فتبسمت وأغلقت الباب خلف زهرة وتوجهت
للحاج مهران متسائلة :

- عطيتها لها.. يا حاج...

- أه... أجا ب في وهن...

جلست بجواره على الفراش تتطلع اليه في دموع
حبيسة قلما تراها تترقق في عيون الحاجة فضيلة
الحازمة..

فتطلع اليها في حنان وحب وسألت تداري تأثرها :-
هي يا حاج بت فاطنة... صوح...؟!.. هز العجوز رأسه
إيجاباً...

فأستطردت :- أمال أبوها ليه كذب على و جالي انها
ماتت يوم ما تولدت وأختي حصلتها بعديها بكام يوم
بحمي النفاس..

-أعذريه... تلاجيه ساعتها كان خايف على بته بعد ما
راحت أمها.. الخوف يعمل أكثر من كده...

-طب وبخيتة راخرة ها تكذب على... ده إلا دى...
ده معروفى معاها لساته مطوج رجبتها... لااه.. مش
ممکن يا حاج...

صمتت بضع لحظات ثم قالت فى تأكيد :-
بخيتة.....هى اللى لازماً أدور عليها دلوجت ...علشان
جلبى يرتاح..

-ريحى جلبك يا حاجة وأسألي بخيتة مع انها مش لازم
لها سوالات زهرة كنها فاطنة أختك... أول ما
أطلعتها... وكن فاطنة الله يرحمها جدامى....

أومات الحاجة فضيلة برأسها بالإيجاب على كلام
زوجها فهى تذكر رد فعلها عندما رأتها للمرة الأولى
وهى ترفع لها خمارها ...وكيف انتفضت عندما أيقنت
الشبه الصارخ بينها وبين أختها الحبيبة والتي رحلت
عنها ... لكنها تريد أن تقطع شكها باليقين والبحث

عن بخيته .. او بالأدق... الإرسال فى طلبها... وهى
تعلم تماما من يمكنه أن يدلها ...

خرجت زهرة من حجرة الحاج مهران الهوارى تملكها
الحيرة وخاصة لتلك الكلمات التى أوصاها بها فى آخر
كلماته... تتحسس القلادة التى تزين جيدها وهى تفكر
فى مغزى تلك الكلمات التى كانت كالأحجية بالنسبة
لها ... كانت تتوجه لتبحث عن سهام

مهرولة وهى تهبط الدرج فى سرور عندما أصدمت
بحائط من الفولاذ .. لولا صلابته لكانا الآن .. كلاهما
متكوم أسفل الدرج...

هو ايضا كان يندفع صاعدا لا تعرف لماذا!؟.. فهذا
ليس من طبعه... كان دائما واثق الخطوة يمشى
ملكا... فما ذاك الخطب الجلل الذى جعله يخرج عن
طوره...؟؟!!

لازالت بين أحضانه تحاول الثبات بأقدامها على
احدى الدرجات لتبتعد عن تلك الذراعين واللتان
تحيطانها كأحاطة السوار بالمعصم... بدأت أنفاسها
تضطرب وهى ترفع عينيها لترى تعابير وجهه الجامدة
والتي لم تكن تُنبئ بأى تأثيرنتيجة قربه منها بهذا
الشكل .. تنبهت ان عصاه الأبنوسية قد سقطت من
أعلى الدرج وأستقرت عند آخره بدوى مسموع

اما عباءته التى دائما ما يضعها على كتفيه.. فقد
سقطت الآن متكومة بعد حوالى درجتين من موضع
كفاحهما للبقاء .. تنبهت لذاك الوريد الذى ينبض
قرب صدغه والذى كان ينتفض فى ثورة وتمرد
واضحين... وشردت

الا انها انتفضت عندما انتهت أخيرا معركة البقاء
ليبعدها عنه يلتقط أنفاسه

فى تقطع تتابعه هى مذهولة وهو يتمالك نفسه فى
شموخ كشجرة باسقة أحت رأسها فى مواجهة
العاصفة لترتفع هامته فى صلابة وثقة وكأن شيئاً لم
يكن ..

مر بجوارها.. صاعدا الدرج فى هرولة غير معتادة
جعلتها تتيقن ان هناك خطب ما ..تناولت عبااءته
...ثم عصاه الأبنوسية ...وانتظرت لتعطيههم

له عند خروجه إلا انها وجدت سهام أخيرا والتي كانت
ساهمة على غير عاداتها ..

-سهام ... فى أية ... أخوكى طالع يجرى .. وأنتِ
مسهمة.. هو فى أية بيحصل!!..

-عزيزة بتولد.. أجابت سهام.. والولادة متعسرة...

-ربنا يقومها بالسلامة.. ودى تقربلكم أية ..؟!..

أنفجرت سهام ضاحكة وهى تقول :

- يا دوب جرابة من بعيد ..دى تبجى الفرسة بتاعت
عاصم ... مجلكيش بيحبها كد أيه... وعاصم كان طالع
يغير خلجاته... علشان يجيب لها داكتر مخصص من
المركز ..الداكتور صفوت .. مساعد الدكتور عونى
..مجدرش يعملها حاجة.. والدكتور عونى
مسافر..أحتاجوه ضرورى ف المزرعة ف مصر ..

ما ان همت بالكلام حتى سمعت أصوات أقدامه وهو
ينزل الدرج مهرولا تناول منها العباءة والعصا فى تعجل
و لم ينظر اليها حتى وأسرع مغادرا من قبل ان تفتح
فمها ..

نظرت لسهام فى حسرة وهى تقول :- يا ريتنى أقدر
أساعد ..

-تساعدى كيف؟! ..واضح ان الحالة واعرة بجد...

-انتى نسيتى انى دكتورة بيطرية ولا أيه !!!... يمكن
أقدر أعمل حاجة... بس الخوف من أخوكى لو فكرنا
نروح هناك ...

ظلت سهام ساهمة تفكر ثم فجأة هتفت بطريقة
أجفلت زهرة ...

-طيب هساعدك تروحي هناك .. يمكن صوح تجدرى
تعملى حاجة تساعدى بيها لحد ما الداكتور اللى راح
يجيبه عاصم ياچى وربنا يستر... هو فى عروسة تخرج
يوم صباحيتها... ده ها يجتلى... قالت الكلمة الاخيرة
فى رعب حقيقى ...بچد ذنبى ها يبجى فى رجبتك..
يا صغيرة على الجتل يا سهام...

-وانا ذنبى ها يبقى فى رقبة مين!؟..سألت زهرة
مازحة...

-هاروح اچيب لك عباية سودا من بتوعى تلبيسها
..وربنا يسترها بچد ..

قالتها سهام دون ان ترد على مزحة زهرة وتسرع
الخطى حتى لا تغير رأيها...

سارت سهام جاذبة زهرة من يدها فى الإتجاه الغربى
للنجع.. تتلمس الطرق الخالية من المارة ... وعلى
الرغم من قرب إسطبلات الخيل من السراى... إلا انها
باتت بعيدة فى أعينهما

نتيجة لخوفهما من ان يراها شخص ما ... وما يمكن
أن يحدث بسبب تجرؤهما على المجئ دون مشورة
من أحد ...

وصلتا أخيرا وقد بلغ بهما القلق مبلغه.. تلتقطان
انفاسهما فى

تلاحق ووصلت الإثارة بزهرة حد اللامعقول فهى
ستمارس مهنتها التى تشواقها سحبتها سهام خلفها فى
تلهف حتى مكان الفرسة عزيزة والتى كانت فى حالة

يرثى لها .. ما أن رأتها زهرة حتى اشفقت عليها ..
أقتربت من الفرسة فى هدوء محسوب .. رفعت
الفرسة رأسها كأنما تستطلع من القادم لإنقاذها...
جلست زهرة بجوارها

تربت على رأسها وتمسد عنقها فى حنان أستطابته
الفرسة ...

والتي أخذت تئن وكأنها تشكو لزهرة وجعها... تنبه
الدكتور صفوت والذى كان شابا لا يكبر زهرة بكثير
جاء به الدكتور عونى الطبيب البيطري المسؤول عن
الاسطبلات ليكون مساعد له لتلك الغريبة التي
أقترحت المكان .. ونظر إلى سهام التي ظهرت
بخطوات لاهثة نظرة استفهام فردت سهام فى فخر:-
دى الداكتورة زهرة مرت أخوى عاصم .. يا داكتور ...
توجه الدكتور صفوت بالترحاب لزهرة :
- أهلا .. أهلا يا داكتورة .. شرفتينا... وألف مبرووك..

تنبهت زهرة لكلماته فخرجت من شرودها وتأثرها ..
-أهلا بحضرتك .. أجابت فى خجل ... ثم غلبتها طبيعة
مهنتها فسألت فى استفسار :- أئه حالة الفرسة بالظبط
يا دكتور...!!؟؟

أخذ يشرح لها بعض الأمور الطبية التى لم تع سهام
كلمة واحدة منها فأنزوت فى ركن جانبى تنعى نفسها
على ما قد يحدث لها من جراء تشجيع زهرة على
المجئ إلى هنا ... أما زهرة فقد تحمست بشدة وهى
تقول للدكتور صفوت :- الأمر خير بإذن الله...أنا
أدربت كثر على الحالة دى وممكن أساعد .. علشان
معتقدش

نقدر نستنى أكثر من كدة .. فى خطر على حياة
الفرسة واللى فى بطنها وأكيد هحتاج مساعدتك يا
دكتور...

- طبعا ده يشرفنى ... أنا تحت امرك.. ده حضرتك
طلعتى زميلة وشاطرة كمان ... قالها فى ود
محبب... قابلته زهرة بابتسامة مجاملة وبدأت
عملها .. مرت حوالى الساعة أو يزيد... حتى أطلقت
سهم زغرودة مدوية حين أنتفض المهر الوليد يقف
مترنحا... وصهلت عزيزة فى ضعف فرحة لأستقبال
مولودها الأول ..

أما زهرة فقد تنفست الصعداء غير مصدقة إنجازها
للمهمة الشاقة والتي صفق الدكتور صفوت فى انبهار
عند إتمامها بتلك البراعة...
لمعت الدموع فى عيني زهرة وهى ترى حنو الفرصة
عزيزة على وليدها لطالما تمنى حنانا مشابها من أمها
.. والتي لم تسأل عنها أو حتى تأتى لتحضر زفافها ...
لا تعرف لما ذاك الجفاء!!؟؟

فلقد سامحها أبوها... فلما لم تسامح امها بالمثل
...؟!.. لما لم تسأل عنها؟! فهاتفها المحمول فى
حوزتها من بعد ما تأكد عاصم انها له بعد أن تم عقد
قرائنها و بعد ان ضمن أنه كبلها بالخوف على أبيها
والولاء لعائلتها..

أستفاقت من شرودها على صيحات سهام وهى
تحتضنها فى فرحة وانبهار حقيقى قائلة:- جدعة يا
زهرة.. مكنتش اعرف انك داكثورة شاطرة كده... والله
لما ياجى أخوى...ها تبجى فرحته كبيرة..

وفجأة...هدر صوت كالرعد أثار الفزع فى نفوس
الجميع...

رسوى جادوى

الفصل الخامس

انتفض ثلاثتهم ... صفوت وسهام وزهرة والتى وقفت
فى شموخ تدارى فزعها بكبرياء مثيرة للإعجاب عندما
سمعوا صوته

الهادر يسأل فى غضب وهو يوجه حديثه لسهام أخته
التى انكمشت من الفزع ولزهرة التى منعها كبرياءها
من ان تحذو حذوها :- انتوا بتعملوا ايه هنا.. وايه اللى
چبكم من الأساس؟! لم ترد احداهن فقط ضاعت
الحروف وتاهت وسط الثورة العاصفة المظلة من
عينيه السوداوين ...

-يا عاصم بيه ... أ.. هم الدكتور صفوت بالحديث
إنقاذاً للموقف لكن عاصم لم يمهل وأسكته بإشارة من
يده جعلته يبتلع كلماته فى اضطراب واستدار اليه فى
تجهم قائلاً:- متشكرين على مجهودك يا داکتور...

مكافأتك محفوظة حلاوة جيام عزيزة بالسلامة. حاول
ان يقاطعه صفوت ثانية موضحا ان المجهود والفضل
يعود لزهرة لكنه استطرد فى حزم:-تجدرتفضل يا
داكتور... أَلْف شكر .. وَيَا ريت تضايف الداكتور اللى
جبتة معايا من المركز لحد اما أجيبه يشوف عزيزة
وولدها...

لم يستطع صفوت الحديث من جديد فأستدار مغادرا
وهو يلقي بنظرة جانبية مليئة بالشفقة على ما سيؤول
إليه حال كل من زهرة وسهام...

ما أن غادر صفوت حتى انفجر بركان الغضب من جديد
وكانت اول كلماته التى نطقها بصوت خفيض يقطر
غضبا:- مين اللى چابكم هنا ومن غير علم حد ولا
بمشورة حد انطجوااا صرخ بالكلمة الاخيرة فى ثورة
عارمة جعلت كل من زهرة وسهام تنتفض فى مكانها
مذعورة...

توجه بحديثه لسهام التى كانت ترتجف رعبا وهو يقول :- أكيد دى شورتك .. مين ها يعرف يجبها هنا غيرك؟! .. وكاد ان يتهور ويرفع يده ليضربها .. إلا ان ذراعه توقفت فى منتصف الطريق إلى وجه سهام فقد وقفت زهرة فى المسافة الفاصلة بينه وبين أخته تحاول الزود عنها وهتفت فى حدة:- سهام ملهاش ذنب .. أنا اللى غصبتها تجبنى هنا... هى مكنتش موافقة .. وأنا اللى أصريت...

كانت يده لازالت فى علوها نظراته المشتعلة تقابل نظراتها المتحدية والتى تلقى بشرارت مستهجنة فى اتجاه يده المرتفعة فى وجهها...وما ان طالعه تلك النظرات المستنكرة حتى بدأت يده فى الانخفاض تدريجيا وهو يجز على اسنانه غيظا ..

هتف فى سهام أخته أن تنتظره بالخارج وألا تدع أحد يدخل دون إذن منه فأندفعت فى رعب حقيقى مهرولة

خارجاً بينما ظلت هي معه وحيدة.. يا ويلها لما فعل ذلك ..؟!.. تحرك فى خطى بطيئة أشبه بفهد جائع .. نظرات عينيه القاتمة تحاصرها وتجعلها تتراجع بشكل لا أراذى خطوات للخلف فى ذعر حقيقى تحاول مداراته بلا طائل .. أنقض فجأة على كتفيها .. يرجها فى عنف وهو يقول بصوت يغلى غضباً :- أنا مش حذرتك

جبل سابج متراجعنيش فى الحديث مهما حصل .. شكلك مبتتعلميش يا بت ناجى التهامي .. كرريها علشان يبجى فيها نهايتك.. ودفعتها بعيدا عنه فى عنف..

و نادى على خفيه سعيد الذى ظهر من العدم كعادته....:

- حضر العربية يا سعيد وخذ الهوانم على السرايا واتجه اليها فى حديثه وهو يقول :

- هموا يااالله... ولينا فى السرايا كلام تانى...
اندفعت كلتاهما فى سرعة تختفى من أمامه اتقاءً
لموجة الغضب الهادرة...

أما هو فوجهه انتباهه كلياً لعزيزة ووليدتها وأرسل فى
طلب الطبيب الذى جلبه لفحصهما ولا زالت تلك
النظرات المتحدية قابضة امام عينيه لا تفارقها....

كيف استطاعت تحديه بتلك الجرأة..؟! ومن أين لها
بتلك القوة..؟!.. انها فى كل مرة تتحداه تكشف له سرّاً
جديداً من اسرار شخصيتها والتي لم يكن هناك من
فرصة ليكشف أغوارها ويتوقع ردات فعلها...

هدأت نفسه بعد أن أطمئن على حال عزيزة ومهرتها
الرائعة والتي احتار ماذا يسميها..!؟

دخل السراي فبادرته أمه منادية أياه... فأستجاب
مسرعاً وتوجه حيث تجلس فى صحن الدار..أنحنى

مقبلاً رأسها وجلس صامتا... فنظرت اليه تثير أغوار
نفسه فهو ولدها قرة عينها.. أصطنعته على عينها..
تفهم كل شاردة وواردة تصدر منه.. سألت فى خبث
محب:- مبرووك .. على المهرة

الجديدة وعلى سلامة الغالية عزيزة.. وابتسمت فى
حبور عندما نظر اليها مبتسما وهو يجيب :- الله
يسلمك يا حاجة.. جابت مهرة سبحان الخلاج..

- طاب ومش أجل واجب عمله تشكر صاحب الفضل..
- انتى تقصدى مين؟!.. الداكتور صفوت .. والله طلع
شاطر .. مكنتش مصدج ده مكافأته كبيرة عندى..
- داكتور صفوت مين؟!.. أنا بكلمك على مرتك...

أنتفض عندما قالت كلماتها الأخيرة فسأل فى تعجب:-
وهى إيه دخلها فى الموضوع ..وايه اللى يودىها هى
وسهام هناك لوحديهم والمكان كله غفر ورجالة رايحة
چاية...!!؟

-لولا مرتك وشطارتها... كان زمان عزيزة واللى فى
بطنها راحوا بعيد الشر..سهم اختك حكيتلى اللى
حُصل كله...وكيف الداكتور صفوت مكنش عارف
يتصرف لحاله.. ومرتك

بشطارتها هى اللى نچدت عزيزة... وبدل ما تشكرها
چيت عليها وعلى أختك اللى مجطعة نفسها بكا من
ساعة ما رجعوا من عندك ...

اتضحت الصورة أمامه كاملة تلك الصورة التى أعماه
عن إدراكها غضبه الهادر عندما وصل ليجد زهرة تقف
تضحك فى مرح مع ذاك الطبيب الذى يماثلها سناً
تقريباً وتتفاخر بالأطفال وهى تحتضن سهم أمام ذاك
الغريب

هى دائماً جادة ومتحفزة تطل من عينيها نظرات
التحدى تلك وكأنها شرارات نارية قابلة للاشتعال فى

أى لحظة وقد تعجب حقا عندما رأى منها ذاك
الجانب الطفولى المرح..

وقد كان احتجاجه فى الاساس على إظهاره امام ذاك
الغريب الذى ضاحكته فى عفوية وبراءة ذاك جانب
آخر يكتشفه فى زوجته التى ما عاد يعرف كم من
الجوانب تحمل شخصيتها...؟!..

ولا نريد أن نعرف .. هكذا سمع عقله ينطق فى إصرار..
كانت أمه تعرف ما يعتمل فى نفسه فلم تقاطع تلك
الخواطر أو تزاحم تلك الأفكار...

لكنه قال فى هدوء يقطع استرسال أفكاره عند هذا
الحد :- أنا طالع أطيب خاطر سهام ...بس ده
ميمنعش انى مرضيش عن عملتها بس النية كانت خير
...

-ومرتك...؟!.. تساءلت أمه فى خبث محبب وهى
تدارى ابتسامة طلت رغما عنها على جانب فمها....

-خبر ايه يا حاجة ..؟!..مالك ..؟!.. بتحاملها ليه
كده...؟!.. مش دى بت ناچى التهامي برضك واللى
جبتها لحدك عشان تشفى غليلك منيه.. خبر ايه
بجى!!..ايه الحنية اللى ع تعاملها بيها دى.. وخوفك
عليها .. وعلى زعلها...!!.. ما تتفلج...

لم تجد أمه ما تستطيع ان ترد به ..
انه محق .. لكنه لا يفهم لما تفعل ذلك و لما تبدلت
مشاعرها تجاه زهرة بهذا الشكل المتناقض ... لو انها
تأكدت ان زوجة ولدها هى حقا ابنة اختها العزيزة
...؟!.. لو انها فقط تسمع كلمة من بخيطة خادمتها
وحلقة الوصل التى كانت بينها وبين اختها الراحلة ..؟!
كلمة فقط تؤكد بها شكوكها التى تصل لحد اليقين
...لكنها لا تعرف كيف يمكنها ان تخبره بكل تلك
الشكوك والظنون .. وكيف ستكون ردة فعله عندما
يعلم ان من حثته طوال سنوات للإنتقام من ابيها و



كانت هي وسيلتهم لتحقيق ذلك ما هي الا ابنة خالته...!؟

وأخر ما تركته من ذكراها ولا بد من تكريمها لا إهانتها والإنتقام من ابيها عن طريقها ...

لم يجد رداً يشفى فضوله وقد طال صمت الحاجة فضيلة فنهض مسرعا متوجها لإعلى حيث غرفة سهام...

لكنه أخذ يفكر فى شخصا آخر شخصا مدينا له..بفرحة كبيرة ...

خرج من غرفة سهام بعد أن طيب خاطرها.. عيناه معلقتان بباب حجرته... جذبهما بعيدا وهو يهبط الدرج ويتوجه للخارج مع تطلع أمه إليه دون ان تعقب بأى كلمة...

لم يعد إلا متأخرا كان كل من فى السراي قد خلدوا للنوم..

دخل حجرته وأشعل الضوء .. كان يعرف انها لازالت
مستيقظة

انتفضت مكانها عند دخوله تجمع أطراف غطاءها حول
جسدها...

خلع عباؤه ووضع عصاه الابنوسية جانباً وجلس على
طرف الفراش يخلع حذاءه ذى الرقبة العالية.. وقال
بصوت أجفلها كالعادة :- هاتى المداس.. وأشار لنقطة
ما أسفل خزانة الملابس حيث يقبع خفه المنزلى...

أتقدت عيناها غضباً وحنقاً وهى تنظر حيث أشار ولم
تحرك ساكناً وتجاهلت ما أمرها به للتو...
فنظر من جديد فى نفاذ صبر وهو يهتف حانقا:-
بجولك هاتِ المداس .. اتحركى..

لم تحتمل اكثر لهجته الأمرة فانتفضت وخرجت من
تحت دثارها الذى ألقته بعيداً فى ثورة وهو تقول :

- أنا مش جاريتك اللى أشرتتها.. أنا الدكتور زهرة
ناجى التهامي ... قالتها فى تفاخر وعزة حقيقية .. وَيَا
ليتها لم تفعل ...فقد نهض فى ثناقل مريب
يسيرباتجاهها .. نظرت حولها .. تتلمس العون .. لكن
إلى أين يمكنها الهرب ..؟!.. وهو فى خطوة واحدة كان
ممسكاً بها .. جذبها فى عنف ليلتصق ظهرها بخزانة
الملابس ويشل حركتها تماماً وهو يحاصرها بجسده
الرجولى وطوله الفارع.... كان يقيد حركة ذراعيها
الليذان قبض عليهما بكفين من فولاذ ... نظر فى عينيها
مباشرة وهو يقول :- أنتِ هنا أجل من چارية.. الچارية
بيندفع تمنها.. لكن
أنتِ هنا ببلاش .. تخليص حج.... وأقترب من أذنها
هامساً:- أنا مش نبهتك متراجعنيش فى الحديث ...!!
ودى المرة الثالثة..والثالثة ..ايه!
تابته.. يبچى متلوميش إلا نفسك ...

أقرب منها انفاسه الحارقة تلمح وجهها ونظراته
تشتعل ببريق عجيب مزيج من الغضب والرغبة فى
السيطرة على جموح روحها .. كانت تنتفض داخليا
بحق لكنها لم تشأ ان تشعره بسيطرته وتأثيره عليها ..
لذا التزمت أقصى درجات ضبط النفس وهى ترفع
هامتها لتنظر لعينيه بجرأة ورغبة عارمة فى تحديه ..
هى نفسها لا تعلم من أين واثتها .. لكنها كانت ممتنة
لها .. قابلت نظراته العابثة والتى تشير لإدراكه لما
يعتمل فى نفسها من مشاعر بنظرات حادة قاطعة لسان
حالتها يقول .. الا روحى .. لن تستطيع أسرها ولو بعد
مليون عام ... إياك ان تفكر حتى فى ان تلك الروح
الوثابة يمكن ان تهابك لأى سبب من الأسباب ... لقد
نلت ما أردت وجاءك إنتقامك على طبق من ذهب ..
لكن روحى .. انت واهم بل حالم .. لو اعتقدت لحظة

انك قادر على كبح جماحها وترويضها كفرسك
المحبة.. واهم بحق ..

ما ان تصادمت نظراتها المتحدية.. بنظراته النارية
التي كان لايزال يرمقها بها .. حتى عقد حاجبيه ..
يحاول مداراة دهشته التي طلت من عينيه تزاحم
التحدى .. ظل لحظات يرمقها بتلك النظرات
المندهشة .. وأخيرا .. وعلى حين غرة أطلق سراحها
ليبتعد في صمت عجيب .. ويتناول عصاه وعباءته
ويخرج من الغرفة ويغلق الباب خلفه في عنف جعلها
تجفل ...

عدة أيام مرت دون ان يحاول حتى التواجد في
محيطها او الدخول لغرفتهما الا في وقت متأخر جدا
من الليل و الخروج في وقت مبكر من الصباح و كانت

هي تعتمد التظاهر بالنوم في كلا الحالتين حتى تبتعد عن الاحتكاك به بأي شكل ..

اندفع للحجرة فى ضيق وتوتر في منتصف النهار مما جعلها تجفل في فزع فهذا الوقت من اليوم ليس معتاد ظهوره فيه .. اخذ يفتح خزانة ملابسه ويتناول بعض الملابس منها ويضعها فى حقيبة سفر أنيقة وهو يتحرك ذهابا وإيابا فى الغرفة يضع متعلقاته بها و هي ساكنة لا تأتى بحركة تتابعه بنظراتها في صمت ..

اتجه للحمام ليأخذ حماما ويرتدى ملابسه تنفست الصعداء عندما غاب عن مجال نظراتها لبعض الوقت و بحثت عن جوالها تريد ان تطمئن أبيها على حالها وربما استطاعت محادثة أمها وندى .. انها تفتقدهما بحق...



ها قد وجدت هاتفها قابع على المنضدة بجوار الأريكة .. لكن ما تلك العلبة من القطيفة القرمزية ومن تركها هنا !!؟؟

تناولت العلبة فى فضول وهى تتطلع لباب الحمام مخافة ان يُفتح فجأة.. لكنها لازالت تسمع صوت انسياب المياه .. فأطمأنت وفتحت العلبة فى حذر ... وأخيراً طالعتها حلية ذهبية قمة فى الروعة والجمال .. والأروع ... انها منحوتة ببراعة على هيئة زهرة تلمع فى فروعها ماسات صغيرة تتألق فى فخامة...

أُخذت من جمالها لكن لم يكن ذلك ما جعل وجيب قلبها يرتفع وإنما تلك البطاقة الرقيقة الموضوعة بعناية أسفل الزهرة الذهبية... أمسكتها... بأنامل مرتعشة وفضتها فى سرعة ... لم تع شيئاً منها لشدة توترها ... فأعادت القراءة من جديد محاولة التركيز :- "أهديتنى زهرة ... فأهديتكِ مثلها ... شكرًا .."

ماذا يقصد !!؟؟... سألت نفسها ..وما تلك الزهرة التى
أهديته إياها ..؟!.. انا لم اهديه اى زهور ..؟!.. لم يمهلها
عقلها للأستطراد .. بل هتف بها فى ضيق ... لا يهم
ذلك كله .. الأهم الان هل ستقبلى هديته ..؟!.. انتفضت
كالمذعورة وهى تجيب فى صوت عال :-لا طبعا ..
وأخفضت صوتها عندما لاحظت علوه المفاجئ ..
وتناولت اللعبة القرمزية وألقته فى الحقيبة المعدة
لسفره...

هى لا تحتاج لهدايا ذهبية وخاصة منه ... يشكرها !!!
ولما يشكرها ..؟!.. كان الاولى به ان يعتذر عن الطريقة
التى عاملها بها ... لكن طبعا ... الغول لا يعتذر .. هو
فقط يهين كرامتى ويذل كبريائى ... لكن لا يعتذر ..
لا اريد هديته مهما كانت روعتها كلمة اعتذار من
ذاك الوحش ستكون اكثر قيمة بالتأكيد ... بل انها لا
تقدر بثمن ...

خرج أخيراً من الحمام ورأها جالسة فى هدوء مريب ..

لم يعلق وشعرت هى بنظراته القاتمة التى تنصب عليها وتحاصرها ... انه قادر عن سبر أغوار نفسها وقراءة ما تفكر فيه بشكل تعجز عن فهمه وادراك كلفيته..
رفعت نظراتها بشكل لا أراى لتجده وقد بدل جلده من جديد ...

فها هو يرتدى ملابسها التى رآته بها للمرة الاولى ... بعيدا عن جلبابه وعمامته وعصاه الابنوسية ... انه يثير تعجبها ... فها هى تراه شخصاً آخر لا يمت للوحش الذى يمثله ذاك الرجل الذى يرهبه الجميع ويضعون لكلمته ألف اعتبار ... ولا يستطيع أحد معاداته أو الوقوف فى صفوف منافسيه ...
قالت لنفسها جاذبة خواطرها بعيداً عنه :- لا بد من الهرب ...

اندفعت للحمام هاربة ولم تكن تع انه ألقى نظرة
سريعة على الطاولة حيث وضع الهدية .. لكنه لم يجد
العلبة القرمزية فأدرك انها قد رأتها .. ولكن أين هي يا
تري...؟؟!!..

فتح الحقيبة للمرة الأخيرة ليضع فيها أحد الأغراض
الإضافية فوجد العلبة فى احد أركان الحقيبة ملقاة
بإهمال والعجيب انه لم يغضب لفعلتها والتي لا تعنى
الا شيئاً واحداً ... رفضها لهديته... لكنه على العكس
ابتسم فى شقاوة وحمل العلبة مرة أخرى ليلقيها فى
حقيبتها هى ... والتي لازالت تضم ملابسها التي
رفضت ان تضعها فى خزانة الملابس حيث تم إفراغ جزء
خاص لها قبل الزفاف لتضع فيه ملابسها...

همس وبريق عابث يلمع فى عينيه وهو يشعر بانه
يلعب لعبة القِط والفأر معها... ولما لا ...؟؟!!..

واندفع خارج الغرفة فى اللحظة التى خرجت فيها من الحمام حتى انه لم يلق السلام مودعاً...

لم تعرف كم سيغيب؟!.. لكن محتويات حقيبته تدل على انه سيتغيب على الأقل من أربعة أيام لإسبوع كامل...

اندفعت للفراش الذى اشتاقت له هاتفة فى نفسها :-
أخيراً ستنام على فراش وثير بعيد عن تلك الأريكة التى أرهقتها.. اندفعت تحتضن الوسائد فى فرحة طفولية... ستكون تلك الغرفة لها ولأسبوع كامل.. ستعيش حريتها

المفقودة... ستنام فى أرديتها الحريية وتخلع حجابها.. وتعيش فى هذه الليالى كل ما أفقدته فى الايام القليلة الماضية... ستتحرق من كل قيوده... ومن حضوره الطاغى وأنفاسه التى تؤرق نومها فى كل ليلة

وانتفاضاتها وفزعها كلما شعرت بحركة ما فى الغرفة
أخيراً ... ستتحرر من كل هذا وتنهأ ولو لبضعة أيام
... بالحرية والإنطلاق

بعيدا عن قيود الوحش ...

اندفعت لحقيبتها تنتقى منها ما تشاء من منامتها
وارديتها الحريرية التى اشتاقت لها... وفجأة ..
أصطدمت كفها بشئ ما مخملى الملمس.. لم يكن الا
العبة القرمزية التى تحمل هديته اليها ...

امتعضت .. لكنها لم تستطع ان تقاوم بريق الزهرة
اللامع فأخذت تتحسسها بأنامل رقيقة... لم تكن تعلم
ان له ذاك الذوق الراقى .. انه ادهشها صراحة ... لكن
الذى لا زال يدهشها ويثير تعجبها هو تلك الكلمات
المرافقة لهديته و التى لازالت لغزا بالنسبة

لها ... تنهدت ووضعت الهدية على الطاولة بجوار
الفراش وتدنثرت... وراحت فى نوم عميق تحاول ان

تبتعد عن كل ما يخصه ويحمل اسمه... لكن هيهات...

فها هو قد سبقها ليحتل أحلامها قابعا هناك ... ماثلاً
يأبى الرحيل ...

حتى فى أحلامها لا تستطيع الخلاص منه وكأنه أصبح
قدرها... ولكن منذ متى يمكن الهرب من القدر...؟!..

اندفعت سهام فى شقاوة كعادتها لحجرة زهرة والتى
كانت لاتزل مستغرقة فى نومها العميق لتهتف فى
تعجب :
www.aberkotob.com

- ايه ..يا خلع.. كل ده نوم ؟! لو كان عاصم اخوى
هنا...

لم تكمل سهام كلمتها فلقد استفاقت زهرة منتفضة
دفعة واحدة عند ذكر اسم عاصم ... ثم هدأت عندما

وجدت نفسها على الفراش وتذكرت سفره منذ عدة ساعات للمزرعة..

اسبوع كامل قبل سفره كان أشبه بهدنة حرب لم يكن يتواجد في السراي لوقت طويل ولا يأتي إلى غرفتهما إلا متأخرا يتسلل في هدوء ليلاً ... لينهض مبكراً ويغادر في هدوء أيضاً .. وتساءلت .. عندما ذكرت سهام اسمه في عفوية ..

ألهذا الحد مجرد ذكر اسمه يرعبها!؟. او ربما .. ذلك تأثير تلك الأحلام التي راودتها... والتي كان هو بطلها الأوحـد بلا منازع ...

يا آلهى .. ألا يمكن أن يتركنى لحالى أهناً فى وحدتى حتى فى احلامى...!!!... حدثت نفسها فى ضيق اخرجها منه صوت سهام وهى تهتف:- ايه .. هو احنا هنجضى اليوم نوم ولا ايه ...؟؟!...

-وانتِ عيزانا نعمل ايه يعنى !!؟؟.. سألت زهرة فى
تعجب ...

- جومى... فوجى كده وانا هفرجك على ارضنا.. يا
اللاه هجوم بدور المرشدة السياحية وامرى لله ...

قفزت زهرة فى فرحة هاتفة :- يعنى ممكن نخرج.. !!؟؟
-أمال أنا بجول أيه ...!!.. أنا استأذنت من عاصم جبل
ما يسافر يا اللاه جومى بجى ...

-طيب ..طيب..... واندفعت زهرة من فراشها .. ولم
تع انها ترتدى رداءها الحريرى الا بعد ان شهقت
سهام فى إعجاب :- ايه الچمال ده ..!!؟ يا عينى عليك
يا عاصم ... مسافر وسايب الچمال ده كله ...

أحمرت وجنتا زهرة خجلا وهى تبتسم لسهام فى محبة
قائلة فى نفسها:

- معذورة .. فهى لا تعلم ان أخيها لم يرى .. أى من
مفاتنها ... فهى زوجة مع وقف التنفيذ ... فلولا

كبرياءه ليلة زفافهما والذي تدين له بالكثير ..
لكانت أصبحت منذ ليلتها زوجة بالفعل رغما عنها...
كما كان كل شئ رغماً عنها ...

إن كان لعاصم الهواري حسنات ... فتلك هي الحسنة
الوحيدة التي قام بها لأجلها ... أنه لم يفرض نفسه
عليها كزوج له حقوق .. بل انه عاملها كأسيرة حرب
حتى إشعار آخر ...

خرجت مع سهام حتى الجانب الشرقي من النجع
حيث تقبع أراضى الهوارية الشاسعة والتي تمتد حتى
حدود الجبل الشرقي ... والذي يظهر قابع بقمته
السامقة... لماذا ذكرها ذاك الجبل بشخص ما !!؟؟....
شخص قادر على القفز بدون أى احترام او استئذان
لأفكارها وخواطرها ...



هتفت له فى نفسها:

- أيها المتطفل ... لما لاتبقى بعيداً عن خواطرى
وأحلامى مثلما انت بعيداً عن واقعى ولو لبضعة ايام
... بضعة ايام فقط .. أخذ فيها هدنة منك..

هدنة رجاءً يا آلهى من محيا عاصم الهوارى الذى لا
يفارقها والذى بدأت تضيق به فى صحوها ومنامها...

أيقظها صوت سهام من شرودها وهى تهتف مشيرة
للجانب الآخر :-بصى يا زهرة ... والجانب ده فيه أرض
عمك جدرى وأبوكى...

كانت المرة الاولى طبعا التى ترى ارضهم فيها..هى
فقط على علم بأن لهم أرض يتولى حسام بن عمها
قدرى الأشراف عليها ...

مدت نظرها إلى حيث تشير سهام فتنبعت من بعيد
لخيال يقترب منهما وعندما اقترب ذاك الشخص
تبينته...



انه حسام بن عمها ...

وقف أمامهما يلقي التحية فى جدية تامة كعادته .. لا يخلو وجهه من عبوسه المعتاد ...

-مرحب يا داکتورة... .. قالها متجاهلاً إلقاء التحية على سهام ..

-أزيك يا حسام .. أخبارك ايه وأخبار عمى.. يا رب يكون بخير ...

-بخير الحمد لله... رد ولا زال تجاهله لوجود سهام مستمرا مما جعلها تتلمل فى وقفتهما... ..

-دى سهام أخت عاصم .. قالتها زهرة حتى تخفف من الإحراج الذى شعرت به من جراء تجاهله لسهام .. أه .. رد فى عدم اهتمام ..

-أتجا بلنا جبل سابج يا زهرة... .. قالتها سهام فى حنق.. -مفتكرش إنى شفتك جبل سابج... .. قالها بلا مبالاة كاذبا فقد عرفها منذ طالع محياها من بعيد وهى تقف

مع زهرة..انها تلك الفتاة المرححة التى كانت تشاكس
الفتيات عندما أتت

لدارهم يوم زفاف عاصم وزهرة و يذكر أيضا كيف
انتزعت ابتسامته بشقاوتها ... وكيف تعلق بتلك
الابتسامة الطفولية التى لم تختفى عندما فتح باب
دارهم ناقماً على الطارق فطالعه ابتسامتها التى كانت
أول ما أشرق على وجهه العابس ...

-لاااه اتجا بلنا يوم ما جيت داركم يوم فرح زهرة و
اخوى وفتحت لنا الباب انا والبنات ... أزاى أنسى ...
هو فى حد يكشر كده ويتنسى...؟!...

نظر اليها فى غضب اشتعلت به عيناه الصارمتان
فأدركت زهرة أن سهام قد أشعلت الفتيل .. فجذبتها
من يدها فى قوة مبتعدتان وهى تقول لحسام :
- سلم لى على عمى .. وقوله انى باذن الله هزوركم
قريب ...

هز رأسه فى تفهم واستدار مغادراً هو الآخر موجهها
نظرات نارية حيث سهام التى بادلتها إياها فى حنق
تام وتمنت ان يحترق بها ذاك العابس والذى لا تزور
الابتسامة شفثيه أبداً.

ولم تكن تعلم انها هى .. كانت ذات مرة ... سبباً فى
احدى تلك الزيارات النادرة..

اندفعت أم سعيد تنادى زرزور فى حماس حيث يظل
قابعا فى الطرف النائى من الحديقة المحيطة بالسراي
حيث تم بناء حجرته .. والتى أمرت ببنائها الحاجة
فضيلة عندما قررت بقاءه فى السراي لخدمة ابنها
عاصم منذ كان طفلاً .. عندما جاء زرزور للسراي للمرة
الأولى كان عمره الثانية عشرة تقريبا فاقداً للنطق

..منبوذاً من الجميع ولا يعلم أحد من أين أتى؟!
وكيف ظهر فجأة في قلب النجع...!!؟؟

و لا حتى من أبويه ...؟!..حتى اسمه الحقيقي لا يعلم
به احد .. يعرفه الجميع بإسم زرزور...ولا يعرفون له
اسماً آخر ..

انه حاد الذكاء يدرك ما يدور حوله لكنه بلا حول ولا
قوة ... يعشق خدمة سيده عاصم الذى كان يحسن
معاملته ويفضله على جميع خدمه ويستثنيه
بمجالسته وأحياناً ببعض أسرارهِ.. وهل سيجد أفضل
من خادم أخرس ... لحفظ أسرارهِ وكتمانها...؟!..

اندفع زرزور من غرفته عندما سمع نداء أم سعيد..كان
يعتقد ان سيده عاصم قد عاد من سفرهِ ... فقد مرت
ثلاث ليال على غيابه .. لكنه كان مخطئ فقد أشارت
أم سعيد للسراي وهى تقول :

- الحاجة فضيلة طلباك فى السرايا روحلها على
المُندرة حلاً..

هز رأسه مؤكداً على فهمه للمطلوب واندفاعه لتنفيذه
فى ثوانى معدودة ...

فما هى الا لحظات حتى كان يقف على باب المضيضة
ينتظر الإذن بالدخول فأشارت له الحاجة فضيلة فدخل
فى تردد مطأطئ الرأس فبادرته قائلة :- أنت لِسَّه
بتجابل أمك ...!!؟؟..

سؤالها بشكل مباغت جعله ينتفض..ويجيب فى تردد
بإيماءة من رأسه ... أن نعم ... ثم أشار بيده
فيما معناه... أن ذلك على فترات متفرقة و طويلة...
-أنا عايزة النمرة بتاعت المحمول بتاعتها لو كان
عنديها أو أى نمرة أعرف أوصل لها بيها وأكلمها...
أشار زرزور مستفهماً...

-والله... أنت هتجج معاى ولا ايه...؟! سألته
بغضب جعله ينتفض

و أشار رابتاً على صدره طالباً السماح ... فأشارت له
بالأنصراف حتى يحضر الرقم الخاص بأمه مسرعاً ..
نفذ بالفعل ثم عاد من غرفته وهو فى حيرة ..متسائلاً
فى نفسه :- يا ترى لما تريد الحاجة فضيلة التواصل
مع أمه بعد كل تلك السنوات...؟!.. هل قررت كشف
المستور أم لماذا ...؟!؟

سلمها الرقم لاهثاً .. فأشارت له بالخروج ... و اندفعت
هى تسرع الخطى صاعدة الدرج حتى وصلت غرفتها
تلهث من فرط الإثارة..

أخيراً ستعرف ما كان يؤرقها منذ اللحظة التى رأت
فيها زهرة للمرة الأولى ...

جلست تلتقط انفاسها تمسك بجوالها وبقصاصة الورق
التي تحمل رقم الهاتف ..ترتعبش أناملها وهى تضغط

الازرار وتخطئ فتعيد الكرة من جديد ... وأخيرا ...
سمعت الرنين على الجانب الآخر فأخذت تلتقط
انفاسها

بصعوبة تنتظر الإجابة التي جاءت أخيرا بعد ثوان
مرت كدهر كامل ... ألتقطت انفاسها وهي تجيب :-
كيفك يا بخيطة... لساكى فكرانى ...!؟!

الصمت على الطرف الآخر كان هو السائد لعدة لحظات
حتى أجابت بخيطة فى صوت متهدج:- كيفك يا حاجة
فضيلة... أنتِ اللى لساتك فكرانى .!؟ وفاكرة وعدك
ليا.؟! ولا خلاص معدش هيرجع الحج لصحابه...

-بلاش تفتحي بالجديم يا بخيطة ... لِسَّه مأنش الأوان..
- أُمال... ليه كلمتينى .!؟؟... خير .!؟ أصل مكالمتك
عزيزة ولازماً فى حاجة واعرة جووى اللى تخليكى
تفتكرى بخيطة الغلبانة بعد السنين دى كلتها...
أزدرت الحاجة فضيلة ريقها بصعوبة وهي تقول :

- أختى فاطنة وبتها... ماتوا صوح ... ريحيني ..
محدث هيجولى الحجيجة غيرك ... يوم ما فاطنة
ولدت جولتولى إنها چابت بت وبعديها بيومين...
ماتت فاطنة بالحمى وجولتلى أن بتها كانت ضعفانة
وماتت هى كمان ... الكلام ده صوح!؟.. جولى يا
بخيطة ريحيني ... آلهى يريح جلبك...

-ها يرتاح كيف يا حاجة وانتِ كاتمة الحج.. وبيدك
تريحيني ... أنا جلبى عمره ما هايرتاح إلا لما أخذ
حجى.

-جلتلك ها يخلص ..بس فى الوجت المظبوط مش
دلوجت.. ودى أمانة فى رجبتى بس ريحيني..

-ما تسألنى الداكتور ناچى... مش بجى نسيبكم..
وخذتوا بته لولدك عاصم ... أسأليه وهو يجولك
الحجيجة...

-أنا عاسألك أنتِ ... وأنى عارفة إنك مش هاتكذبى
على..

-الداكتور ناجى هنا جنبى وسامع حديثنا كلاته...أها
.. هو عايز يكلمك.

أنتفضت الحاجة فضيلة كالمصعوقة وكادت أن تلقى
بالحاتف من يدها لولا تمالكها لأعصابها وسمعت صوت
الدكتور ناجى من الطرف الآخر يردد عدة مرات طالباً
لإجابتها عليه فأجابت بصوت متحشرج تكسوه الدموع
فسماعها صوته فلقد ذكرها بأختها الحبيبة فاطمة
..وكم كانت تحب ذلك الرجل المخادع الذى غرر بها
وجعلها تهرب معه لتموت وحيدة وبعيدة عن أحضان
أهلها وتُدفن فى أرض غريبة عن أرضها...

لن أسامحك يا ناجى التهامي...لن أسامحك أبداً...
هكذا أكدت فى أعماقها وهى تتمالك نفسها لتعود
فضيلة التى يعرفها الجميع هاتفة بصلاية:

- إيوة يا ناچی... ولا أجولك يا داکتور ناچی.. ذی الکل
ما بیجولوا...

-قولى اللى یریحک یا فضیلة ... أنتِ بالذات .. لیکِ
معزة خاصة عندی ومهما عملتی مش هزعل لإنک
حبیبة

فاطمة... ومكنتش بتحب حد قدک...

-لساتک فاکر فاطنة یا ناچی ...؟!..

فاطنة اللى خدتها من حضننا وراحت فی عز شبابها
بعید عن أهلها وعزوتها ..

- ولا عمری نستہا ولا لحظة... قالها فی صوت
متحشرج تهزه الدموع مردفاً :

- فاطمة دی حب حیاتی .. عمری ما حبیت ولا هحب
حد بعدها...وبعدين أزاى ممکن أنساها وحتة منها
کانت قصاد عینی لیل نهار روح منها ربنا وهبهالی لما
أختار فاطمة جنبه... كأنه سبحانه عالم بحالی کان

هايبقى ايه من غيرها فعوضنى بنسخة منها فى كل
حاجة... بنتى زهرة ... بنت فاطمة يا فضيلة
أنتفضت الحاجة فضيلة ووقفت مذعورة يرتجف
جسدها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها..ثم
أنفجرت باكية بكاءً متشنجاً لم تستطع كتم أهاته التى
وصلت لناجى على الطرف الآخر والذى أحترم حزنها
فى إجلال فصمت لفترة وما أن استشعر هدوءها حتى
استطرد فى هدوء مماثل :

- أنا عارف إن أنا غلطان عشان خبيت عليكى أنتِ
بالذات أن بنت فاطمة ممتتش..بس أنا ساعتها كنت
خايف عليها وعليها ... كنت مصدوم بموت فاطمة
وخايف على زهرة من الكرة والانتقام وفضلت مداريها
عن الدنيا كلها ... لكن ابنك وصلها واستخدمها علشان
ينتقم منى ..استخدم أقرب واحدة ليه..علشان ينتقم
من واحد كل ذنبه انه حب .. حاولت أقابلك يوم كتب

الكتاب لكن ابنك رفض نهائى... حاولت أعرفك الحقيقة.. يمكن ده يخليكى ترقى وتبعدى أذى ابنك عنها دى مهما كانت بنت الغالية ... لكن مأمكنش أبداً... فقلت أجى لبخيتة هى الوحيدة اللى ممكن تقنعك.. لأنها الشاهد الوحيد على صدق اللى بقوله... و يا ريت متلوميهاش لأنى انا اللى طلبت منها متقلش..

أنتِ بعتيها تخدم أختك وتبقى حلقة الوصل بينك وبينها..

لكن بعد موت أختك مسألتيش فيها .. ولما أنا اتجوزت عشان بنتى ألاقى حد يربيها معايا ...مراتى رفضت وجود بخيتة معانا ..فأجرت لها الشقة دى .. اللى هى فيها دلوقتى ... وبدفع لها مبلغ يعيشها مستورة... كفاية

الى عملته مع بنتى بعد موت أمها .. لولا وقفتها
معايا ومعاها .. كانت راحت منى هى كمان ... أنا كان
حزنى واخذنى وكنت هايم فى ملكوت تانى .. لولا
أهتمامها بزهرة .. كانت راحت منى فاطمة للمرة
التانية...

فضيلة ... بنتى زهرة مشفتش يوم حلو مع مراتى الى
هى فاكدة انها امها ... عمرها ما كانت حنينة عليها
عمرها ما كانت الام الى كنت بتمناها لبنتى ... ولولا
بنتى التانية ندى كنت سبتها من زمن ... زهرة عمرها
ما حسست بحنان أمها وجه ابنك وعمل عملته عشان
يدفعها تمن ذنب هى مرتكبتهاوش ... زهرة ملهاش
ذنب فى ماضى خلاص مش هايرجع ...

تنهد وهو يلتقط انفاسه بعد أنتهائه من سرد
قصته.. قصة الماضى والحقائق المبتورة والمشوهة...
الآن فقط وُضعت النقاط على الأحرف

الآن فقط ظهرت الحقيقة التي كانت ماثلة نصب
عينها كشمس ساطعة كانت تستشعرها... بحدسها
وتنكرها بعقلها ..

استطرد ناجى متنهدا : -زهرة أمانة فى رقبتك يا
فضيلة... هتسألك عليها فاطمة يوم الدين .. خلى بالك
منها وأبعدى عنها نار الإنتقام اللى ذرعتها فى قلب
ابنك وزهرة اللى هاتتحرق بيها لوحدها..
اللهم بلغت ... اللهم فأشهد..

ألقى السلام وأغلق الهاتف دون أن ينتظر منها الرد ..
تهاوت فضيلة على أريكتها تنظر للفراغ فى شروء تام
وقد أفلت من يدها هاتفها.. ليسقط مستقراً أسفل
قدميها ...

رسوى جادوى

الفصل السادس

تململت زهرة فى جلستها ... كانت تشعر بالملل والضيق... فالأيام فى تلك السراى شبيهة ببعضها لا تحمل أى جديد..البارحة تشبه اليوم ...لا شئ يثير فضولها .. هى لم تعتد

على تلك الحياة الراكدة بلا عمل ولا إنجاز يذكر .. انها تفتقد عملها بشدة ...تفتقد ان يكون لها هدف تسعى اليه وعمل تحبه وتتقنه تمضى فيه وقتها وتكتسب فيه خبرات تنمى قدراتها

اندفعت تنادى سهام ودعتها للخروج للأرض لأنها تشعر بالملل لكن سهام رفضت قائلة :

- لاه...مش عايزة أروح وأجابل واد عمك الكشر ده .. إحتمال نمسكوا فى خناج بعض تانى وساعتها مش هاتعرفى تنجيه من يدى...

ضحكت زهرة فى مرح وهى تتذكر شجارهما السابق
هاتفه :

-لا خلاص .. هحاول ما تتقابلوش ... مش طالبة
الحرب تقوم تانى ... ده احنا ما صدقنا هديت ..أوعلى
الأقل فى وقف

إطلاق نار بس عشان خاطرى تعالى معايا ... أنا زهقانة
قوووى ومش قادرة أروح لأسطبلات الخيل ... أنتِ
عارفة أخوكى محرج علينا ... تعالى معايا عشان
خاطرى... قالتها فى صوت متوسل لم تستطع معه
سهام الرفض فأحتضنتها زهرة فى فرحة ممتنة...

كانتا عند شجر المانجو الذى تفوح روائحه الذكية
لتملاً الأجواء وتفتح الشهية... جلستا تحت ظلال
احدى الأشجار وجمعتا الثمار الناضجة وبدأتا فى
تناولها فى شهية واضحة كانت أيديهما ووجهيهما

متخضبة بأثار المانجو الطازجة ولم تكن أحدهما
تتوقع أى زيارة من غريب ما يقطع عليهما استمتاعهما
بأكل المانجو بحرية ... إلا أنهما سمعا صوتاً مُرحباً
غصت له سهام وأخذت تسعل فى إحراج..

نظرت زهرة للقادم والذى لم يكن سوى حسام بن عمها
قدرى هتفت و هي تنظر نظرة جانبية معتذرة بإتجاه
سهام :

- أزيك يا حسام ... أتفضل كل معانا مانجا ... دى
حلوة قوووى...

جلس حسام على الجانب المقابل منهما وهو يقول
مفاخرا:- ما دجتش المانجا من أرضنا ..سكر ..مش
دى ..

-ومالها دى !؟.. سألت سهام فى حنق.
-ملهاش ..ذى السكر برضة... أجابت زهرة فى سرعة
محاولة تجنب الصراع المتوقع بين سهام وحسام ...

تجاهلها حسام كالعادة موجهاً حديثه لزهرة :- فى
بهيمة فى الزريبة يا داكثورة عايزينك تشوفيهـا
..لومفيهاش تعب ..؟!..

قفزت زهرة فى حماسة منقطعة النظر وهى تقول :

- أه طبعا ... يا ريت ..فين ..؟!..

-فى زرايب التهامية أكيد ... وأنا مينفعش اروح معاك
هناك ..هكذا قالت سهام فى تحدى سافر لحسام كان
مظهرها الطفولى الملطخ بأثارالمانجو التى تحيط بفمها
وذقنها تفرض على من يراها أن يقع غارق فى الضحك
وخاصة .. انها لا تدرك .. ان هناك بعض الآثار
المانجاوية قد تسللت لأعلى خدها وفوق إحدى
عينيها التى بلون العسل المذاب ...

لم يتمكن من رفع عينيه عنها .. لم يظهر على ملامحه
الجافة أى تعبير يوحى ولو بالابتسام ... إلا انه عانى

داخليا حتى يستطيع أن يكبح جماح ضحكاته... فلا تظهر على شفثيه معلنة عن نفسها...

لا يعرف لما فعل ذلك لكنه وجد نفسه لا أرادياً يمد يده بمنديله ليمسح تلك البقع المضحكة التي خضبت وجهها... تسمرت ولم تنطق لثوانى من أثر الصدمة... إلا انها تمالكت نفسها وانتزعت منه المنديل... ليستفيق بدوره على فعلته اللأرادية تلك... فيقف فى سرعة قاطعاً حرج الموقف مخرجاً زهرة من شردوها بسبب ما قام به منذ لحظات...

-ها هاتاجى يا داكثورة... ولا عاصم بيه مانعك عن أهلك...!؟

لم ترد سهام هذه المرة على تلميحاته بخصوص أخيها وعائلتها.. فهي مازالت مأخوذة بما فعل منذ لحظات -أه طبعا هاجى معاك.. وعاصم عمره ما منعنى عنكم على فكرة...

لماذا تدافعين عنه!!؟؟... سأل عقلها فى حنق... بينما
أكتفى قلبها بإبتسامة رضا ..

كانت تفحص ذاك الفرس المريض مأخوذة تماما
بعملها .. منفصلة عن العالم كلياً...

وكانت سهام تراقبها تنتظر انتهاءها بفارغ الصبر ..
فماذا سيحدث ان رآها أحد الهوارية هنا !!؟؟..
أرتعدت وهى تتخيل رد فعل عاصم أخيها ...

-أنتِ كويسة !!!... سأل حسام فى إهتمام عندما لاحظ
أرتعاشتها

أومأت برأسها ولم تستطع الإجابة تتحاشى تلاقى
عيونهما ...

إنه يراقبها وإلا .. كيف لاحظ أرتجافها!؟.. لم تشأ أن
تبدو ضعيفة فنظرت فى وجهه بثقة ذاك الوجه العابس
دوماً لما لا تتبسم ...!!!!

-أسمك حسام .. يعنى على وزن ابتسام ...ليه
مبتضحكش...؟!؟

انت عليك ندر لا سمح الله وبتوفيه وحالف ما
تضحك...؟!؟..

قالتها بإستهزاء ساخرة متوقعة منه أن يثور ويغضب
كعاداته ويزداد عبوساً وقتامة ...لكن ولدهشتها قال
وبنبرة صوته تحمل الكثير من الاستمتاع وبريق شقى
يرقص فى عينيه:- أه صوح اسمى على وزن ابتسام
..لكن الاجمل انه على وزن اسمك ... سهام ...
تسمرت سهام فى مكانها ... فالدهشة كانت من
نصيبها هى لم تعلق بحرف واحد ... وقد أزداد وجيب
قلبها... ماذا دهاه... هل هو مريض ... ؟؟!! لا بد وانه
كذلك ... أما هى فقد تخضب وجهها بحمرة خجل غير
طبيعية ... جعلته يشبه الفراولة الطازجة .. وألتصق

لسانها الذى لا يتعطل ابدا عن الرد المناسب بسقف
حلقها .. وما ان استطاعت استجماع شتات نفسها
حتى اندفعت هاربة من أمام نظراته المتفحصة التى
أربكتها...

تستحث زهرة على الرحيل متعلقة بتأخرهم عن موعد
العودة ...

أنتهت زهرة أخيرا وكتبت العلاج المناسب للحالة
وأعطته لحسام شارحة له كيفية استخدامه...

وفى نفاذ صبر سحبت سهام زهرة خارج أرض التهامية
مندفعة هرباً من آخر شخص كانت تتوقع ان تهرب منه
بدلاً من مواجهته ...

ألقت بنظرة خلف ظهرها لتجده يودعهما ... والعجيب
....

ان هناك نصف ابتسامة تخيلتها
مرسومة على شفثيه..

أندفعت كل من سهام وزهرة لصحن
السراي... ضاحكتان تتسابقان لصعود الدرج إلا أنهما
توقفتا فجأة عندما لاحظا وجود الحاجة فضيلة فى
مجلسها فى قلب الدار ..

توجهها إليها لإلقاء التحية لكنها كانت فى شرودها
تحاول استجماع شتات نفسها بعد تلك المحادثة
المطولة مع ناجى التهامي والتي أيقظت ذكريات
كثيرة ومبعثرة من زمن مضى ظنت انه ولى بلا رجعة
لكنه عاد وبقوة ... عاد ليخبرها ان شجرة الإنتقام
والثأر لا تطرح إلا ثمار من علقم مجبرة هى الآن على
تذوقها بلا قدرة على الرفض أو التمتع لأنها هى من
وضعتها فى فمها بيدها.. هى من أشعل النار وهى من
أزكتها طوال سنوات فى قلب أبنها ... وها هى تنتقم
لكن فى أعز ما تملكه.. تنتقم من الذكرى الوحيدة التى
تركتها أختها ... وغادرت ..

تطلعت فى شرود لزهرة فلاحظت سهام حال أمها...
فهمست لزهرة فى حذر :- يا الله على فوج يا مرت
أخوى وسببى الحاجة... مبتحبش حد معاها لما تكون
فى الحالة دى ...أمى وحفظاها...

رفضت زهرة :- روحى أنتِ يا سهام ... أنا مش هاسيبتها
كده... شكلها غريب ... لحسن تتعب .. أكون
جنبها... ولو قالت لى أمشى همشى .. بس مش
هسيبتها...

كانت تسمع الحاجة فضيلة همساتهما وترقرقت
الدموع فى عينيها هامسة :-حتى فى طيبة قلبها تشبه
أمها ... أختها الحبيبة الوحيدة التى كانت تعرفها
وتدرك حزنها وفرحها ... قبل ان تنطق بهما حتى لو
كانت تداريهما فى قلبها خلف الف سرداب.. انها
فاطمة ..روحاً وجسداً...ان فاطمة لم تمت ..انها قابضة
هنا على بعد خطوات منها ...

أشارت لزهرة التى أقتربت منها فى هدوء حذر
وجلست بجوارها حيث أشارت... ربت الحاجة فضيلة
بحنان على كتفها .. وضمت فجأة رأسها إلى
أحضانها...

لم تشعر زهرة يوما ما بحنان كذاك الذى استشعرته فى
احضان الحاجة فضيلة ... كان احساس صعب وصفه..
إحساس بالأمان والراحة... أحساس بالرغبة فى البقاء
للأبد فى أحضانها تتلمس الدفء والحنان الذى
أفتقدته دوماً فى علاقتها مع أمها منيرة...

لم تذكر يوما ان أمها طوقتها بذراعيها وأستقرت بين
أحضانها تتمتع بالمحبة كما هى الآن ...

كانت تشعر ان الحاجة فضيلة .. تصارع مشاعرها
.. لكن لم تجرؤ ان تسألها... رفعت رأسها ببطء لتتنبه
الحاجة وتشيح بوجهها عنها تدارى تضارب من مشاعر
لا تريد الإفصاح عنه...

أشارت لزهرة بالرحيل مشيرة للدرج والذي صعدته
زهرة فى شroud .. كانت لا تريد الرحيل وتركها
فى تلك الحالة .. وفى نفس الوقت ... لا تتجراً على
البقاء مخالفة أمرها..

انها المرة الاولى التى ترى فيها الحاجة فضيلة رمز
الحزم والشدة ... فى تلك الحالة .. تذكرانها اضطربت
عندما رأتها للمرة الأولى يوم زفافها ... لكن ابدا لم تكن
فى تلك الحالة التى هى عليها الآن.

دلفت زهرة لحجرتها... وقعت عينها على العلبة
المخملية التى تركتها على المنضدة بجوار السرير
فأشاحت بوجهها عنها واندفعت للحمام تستمتع
برزاز الماء الدافئ لعله يساعدها على النوم السريع
هربا من صراع قلبها وعقلها الذى اصبح مقررأ يومياً
منذ رحيل عاصم .. فما أن تغمض عينيها استعداد

للنوم .. حتى يبدأ التطاحن.. وتشتعل الحرب بين
الخصمين المتصارعين ..أرتدت أحد أرويتها الحربية
التى تماثل لون عينيها الجوزيتين ووقفت أمام طاولة
الزينة تمشط شعرها الحيرى وتضع بعض من قطرات
العطر الذى حرمته على نفسها منذ دخلت تلك الغرفة
لأول مرة ...

-لامانع من بعض القطرات هنا وهناك طالما أن الوحش
الذى تخشيه ليس هنا .. والغرفة ملك لك فعيشى
الحرية ولو قليلاً... هكذا حدثت نفسها..
دلفت للفراش تمنى نفسها ببعض ساعات من النوم
الهائى وبعد الصراع المعتاد راحت فى نوم
عميق تاركة قلبها وعقلها يتناحran بلا توقف..
تسلل ذاك الشبح فى ظلام الغرفة فى بقاء حذر وانتظر
لحظات حتى اعتادت عينيه على الظلام وأدار بصره
فى جنبات الغرفة لتسقط على

الأريكة الفارغة ثم تتجه فى سرعة للفراش ليرى جسدها يحتله .. تقدم ببطء ليقف بالقرب منها يتطلع إليها بإحساس لم يستشعره من قبل كان يفكر فيها دوماً... لم تكن تبرح خواطره وأفكاره ... حتى أحلامه لم تخلو منها مطلقاً..و كأنها أصبحت هاجسه الذى لا يستطيع التخلص منه..

كان من المقرر عودته غدا او بعد غد على أقصى تقدير إلا... انه انهى ما كان مطلوب منه بعد تلك المشكلة فى المزرعة و لم يستطع البقاء بعيدا أكثر من ذلك..

كان يكابر ويعاند نفسه كثيرا ... لكن أخيرا تحطمت مقاومته وطفق عائداً..

يدفعه احساس عجيب لحجرتة .. كى يراها... فقط يراها .. وليته لم يفعل ... كيف له ان يقاوم ذاك السحر القابع ها هنا على فراشه و الذى يتطلع اليه الان

على شعاع الضوء المتسلل من الحمام الذى اعتادت
على تركه مضاءً منذ أن رحل ..

أخذ يتطلع لذاك الرداء المخملى الذى يجعلها كتلة
مجسمة من الفتنة ... وشعرها الحريرى الذى يضاهى
الليل سواداً منثوراً حولها فى غجرية تبعثر روحه وتنثر
قلبه شظايا ونجوم على صفحة ذاك الليل..

ماذا لو لمست الليل .. لو تدثرت به !؟

ماذا لو غرقت فى ذاك الشلال وجمعت اللؤلؤ من على
شطان ذاك الثغر المقدس المحفوف بالأخطار..!؟

يا آلهى ... انك تهزى يا عاصم ... ماذا فعلت بك !؟..
أنت عاصم الهوارى تطير مسابقاً الريح فقط
لترها...!؟!.. لقد اصابك الجنون حتماً.. او أصابتك لعنة
ما جعلتك تفقد صوابك بهذا الشكل الخطر الذى ينبئ
بما هو أخطر ...

اندفع مقتلعاً نفسه إقتلاعاً من أمام فتنتها وتأثيرها
الطاغى.. وسار ببطء حتى لا يوقظها ودلف للحمام
يهدئ من ثورة نفسه وينثر خواطره وأفكاره التى دوما
هى محورها مع رزاز

الماء الدافئ المناسب على جسده.. وفجأة فتح عينيه
ليكتشف إنقطاع التيار الكهربائى...

لا ينقصه. غير هذا الآن .. أغلق شلال المياه ليخرج من
المغطس وما أن أنتهى من إرتداء جلبابه فى صعوبة
تامة نظراً لإنعدام الرؤية إلا وسمع صرخات مدوية
جعلته ينتفض خارجاً من الحمام فى حذر يتلمس
طريقه فى صعوبة .. توتره تلك الصرخات ويعيقه الظلام
من الوصول لمصدرها.. تلك الصرخات المدوية تحولت
لأنات خافتة الآن جعلته يرهف السمع حتى يستطيع
الوصول لمصدرها... وأخيراً وصل هاتفاً
فى ذعروقلق:- زهرة ... زهرة ..

كان يتلمس الطريق اليها حتى وضع يده أخيراً على
شعرها المنساب على ظهرها ومنه وضع كفه على
رأسها .. كانت تضم ركبتيها لصدرها جسدها متشنج
تئن بصوت خفيض يمزق نياط القلب.. رفع رأسها
المتكومة بين ركبتيها ليجد جبينها يتصبب عرقاً وهي
شبه غائبة

عن الوعي تهمهم بكلمات غير مفهومة تؤكد رفضها
لشئ ما بقوة...

جلس بجوارها يربت على كتفها ورأسها محاولاً تهدئتها
حتى يفك ذاك التشنج والتصلب في أطرافها
هامسا بالقرب من مسامعها :- متخافيش أنا جنبك
..متخافيش أنا هنا..

هدأت قليلاً و ابتدأت عضلاتها المتشنجة تسترخي
فأستطاع حملها.. فأنكمشت مرة أخرى في أحضانه ..
يعتريها الخوف الشديد وتتوالى

انتفاضات جسدها وارتعاشات تتوالى من حين لآخر لا
يعرف لها سببا ...

وضعها على الفراش فى حنو بالغ .. وانحنى يزيح غرتها
ويمسح بأنامله قطرات العرق التى تفصدت عن جبينها
أخذت تردد فى خوف من جديد هامسة بتوسل :

- لا ... متسبنيش ياماما منيرة... أنا بخاف من
الضلمة... متسبنيش ..

ألمه توسلاتها ... انها امها من تناديهها.. كيف تفعل بها
ذلك...!!...؟!... لا بد وأنها كانت طفلة حين ذاك ... لما
تلك القسوة...؟!... مد كفه يربت على رأسها فى حزن
مغلف بحنان جارف لا يعرف مصدره... ولا يظهر إلا
فى وجودها فقط ... هى فقط .. لا غيرها.

لماذا ...؟!...؟!... فجأة تشبث بيده التى كانت تجذب
عليها الغطاء وتدثرها فى حرص ... حاول أن يفلت كفه
برقة من يدها المتشبثة به لكنها غرست أظافرها فى

ساعده وأبت ان تتركه .. كانت ارتعاشات جسدها
تزداد .. فأشفق على حالها.. فترك كفه تستكين بين
كفيها قابعة فى أحضانها...

كان الآن يتكىء على حافة الفراش نصف جسده يكاد
يلتصق بها ... والنصف الآخر يتدلى من الفراش
وقدمه تسند جسده الشبه متهاوى ..

لم يعرف كيف ظل على هذه الحالة ... كل ما يعرفه
انها اخيرا استكانت .. والأدهى ... من كل هذا كفه

القابعة فى أحضانها التى تعلو وتهبط بانتظام رتيب مع
أنفاسها...وعطرها الذى تسلل إلى أنفاسه يفقده
صوابه... وشعرها المتناثر فى كل اتجاه

كأشاعات شمس ليلية تشرق متناقضة مع بياض غطاء
الفراش ...

تنهداتها المتقطعة الرقيقة ودموعها الساخنة التى
سالت فى صمت من عيون مغمضة بشدة مخافة أن

تفتحها لتجد أمامها أحد وحوش الظلام الذى تهابه
كطفلة تصارع كوابيسها..

يا ألهى .. انها تستدير لتقابله بجسدها..

انها الآن حرفيا بين أحضانه... الصبر من عندك يا رب
... هكذا همس متضرعاً يزداد وجيب قلبه وتضطرب
انفاسه التى اصبحت تقريبا تلفح بشرة خدها المقابل
لوجهه..

زفر فى قوة ... بأنفاس حارقة تجسد ما يعتمل فى
صدره من مشاعر وأحاسيس عاصفة...

عاصم... !!!... هكذا سألت من وسط غيبوبتها
ودموعها عندما فتحت جفونها بإعياء متطلعة إليه...
ثم غابت من جديد ...

لا ... هذا كثير .. هكذا همس وجسده ينتفض انها
المرّة الاولى التى يسمع فيها اسمه من بين شفّتها
مجردا..

ومتى!؟.. فى تلك اللحظة الدامية بالذات .. انه يحتاج
إلى الآلاف من أطنان الصبر حتى يتحمل تلك
المشاعر والأحاسيس المدمرة التى تعصف بكيانه فى
تلك اللحظة وهو بالقرب من تلك الفتنة المتجسدة..
انه يشعر بمشاعر متضاربة ومتناقضة حد الغباء ..
انها بحاجة اليه لحنانه .. لقربه .. انها بحاجة لتكون
آمنة بين أحضانه ... وهو لا يريد اكثر من ذلك ..
أن يمنحها ذاك الحنان الذى تحتاجه .. لكن ... هو لا
يستطيع ان يقترب ... قسمه لها فى ليلة زفافهما بأن لا
يقربها إلا اذا اتته راضية..
www.aberkotob.com
وخوفه أن يكون مستغلا لحالتها وخوفها ولجوئها إليه
...
انه لا يستبعد ابدا انها تحلم لأنها حتى ليست على
علم بقدومه من سفره...

الصبر من عندك يا رب ... هكذا ظل يهمس و يبتهل
متضرعاً...

حتى جاءت النجدة وزار النوم جفونه أخيراً.. وهولا
يعرف .. متى ولا كيف زاره...!!؟..

ومع تباشير الصباح الاولى فتحت عيونها ترفرف
أهدابها لا تتذكر إلا حلم غريب زارها بالأمس .. حاولت
ان تتحرك.. لكنها مقيدة لشيء ما وجسدها مكبل
بطريقة غريبة..

انها حتى لا تستطيع تحريك رقبتها للجهة الأخرى
فشعرها مكبل .. حاولت جذبه ببطئ لكنها لم تستطع
.. كل ما كان بإمكانها لحظتها هو إلقاء نظرة بنص عين
لهذا الشيء الجاثم على جدائلها يمنعها الحركة.. وما ان
فعلت حتى شهقت فى قوة وبذعر حقيقى...
شهقة .. أيقظت رفيقها الذى كان يصنع من شعرها
وسادة حريرية لرأسه بانتفاضة .. وهنا ألتقت

أعينهما.. كان لا يزل يأسر شعرها أسفل جزء من جسده
و ذراعه

تحيط بخصرها وغطاء الفراش يلتف بعبثية حول
أقدامهما معا .. ظل كل منهما يحدق فى الآخر لا يدرك
ما الذى حدث وكأن معركة ما قامت هنا
وكبلت كل منهما للآخر بهذا الشكل العبثى .. تذكر
دفعة واحدة كل ما حدث بالأمس بعد أن طرد سحابات
النوم التى كانت تكتنف فكره ... وكان أول من استفاق
.. لينتفض فى سرعة كالمصعوق ليكون خارج الفراش
فى أقل من ثانية ويندفع للحمام ويغلق
بابه خلفه فى عنف جعلها تجفل ... وقد أيقنت ... أن
حلم البارحة لم يكن حلماً... بل كان عين الحقيقة...

قامت من الفراش تمشى على أطراف أصابعها كى
تصل لحقيبتها وتسرع بأرتداء إحدى مناماتها قبل ان
يخرج من الحمام..

ولكن وهى فى منتصف الطريق للحقيبة فتح عاصم
باب الحمام فجأة ..

لتتسمر هى فى مكانها للحظات .. تطلع اليها ...
لازالت تحمل ذاك السحر الذى كاد ان يفقده عقله
البارحة..

ملامحها تحمل أثر النوم وشعرها الحريرى تناثر بشكل
همجى على ذراعيها وجانبى وجهها .. رداءها المخملى
الذى خلب لبه...يحيط بقدها المياس...

لازالت تلك الحورية التى كانت تتشبث به البارحة
هرباً من الظلام .. وانكمشت فى صدره كقطة فى ليلة
عاصفة شديدة البرودة ..

اندفعت هى للفراش مرة أخرى .. عندما طالعت
محياء..

تجذب الغطاء تتدثر به من قمة رأسها حتى أخمص
قدميها ..

تجاهلها تماماً وهو يعدل من عمامته امام المرأة..
وتناول عباة وعصاه الأبنوسية ذات الرأس الفضى...
وخرج من الغرفة تاركاً أياها تزفر فى راحة لتأخذ دورها
فى حمام دافئ سريع وتلحق بهم على طاولة
الإفطار...

لم تره طوال النهار ... وها هي الساعة قد تخطت
منتصف الليل .. يبدو انه لن يأتى .. وربما سيبيت
ليلته فى الاسطبلات .. لكنها كانت مخطئة فى ظنها
..فقد أنتفضت فى مكانها.. عندما فتح الباب فى
عنف غير عابئ بأنها قد تكون خلدت للنوم
..فيفزعها..

انكملت فى أريكتها.. حاولت على قدر إمكانها ألا تكون مرئية... حبست أنفاسها وتدفرت حتى عنقها... وأخذت تتابعه بعين شبه مغلقة ووجيب قلب قد يفضحها لصخبه..

أما هو فقد كان يجول فى الغرفة أشبه بفهد جريح.. يتعامل مع كل ما يقابله بعنف مفرط .. ألقى عباءته أرضاً.. وألقى عصاه جانبا فى عنف.. اندفع للحمام وأغلق الباب فى عصبية كادت تكسر زجاجه .. تنفست الصعداء لدقائق معدودة حتى خروجه من الحمام .. أطفأ أنوار الغرفة واندفع على الفراش ... وأخيرا سكن ..

وما أن بدأت فى إلتقاط أنفاسها حتى شعرت به يتقلب على الفراش كمن يتقلب على الجمر لا يهدأ لبضع ثوان..

تقلباته يصدر لها الفراش صوتاً كالأنين من شدتها
وتكرارها المبالغ فيه.. ماذا دهاه...!!؟؟...

انتفضت مع انتفاضته .. فتح الأنوار من جديد وارتدى
عباءته.. وتناول عصاه من مكان ما ألقاها.. وثبت
عمامته على رأسه فى عنف.. وتوجه ليغادر الغرفة..
ولكنه توجه للفراش أولاً ف جذب ملاءته من عليه فى
عنف وكذلك الغطاء وألقى بهما فى حنق على أرض
الغرفة... وأستدار فجأة لها فحاولت ان تتصنع النوم..
لكنه كان يعلم من اضطراب أنفاسها انها لازالت
مستيقظة..

تكلم من بين اسنانه فى غضب مكبوت لو انفجر الله
وحده أعلم بما قد يحدث ساعتها :- الصبح خلى أم
سعيد تغير فرش السرير كلاته... والفرش اللى على
الارض ده تخرجه... فهماانى..

واندفع خارج الغرفة ليتركها فى حيرة من مطلبه
العجيب...

تنفس بعمق يستنشق أكبر قدر من هواء الليل العليل
يملاء به صدره و هو فى طريقه للأسطبلات لعله
يخفف عنه بعض من حرارة تلك النيران التى تستعر فى
جوانبه يزفر فى ضيق .. لا يعلم ماذا دهاه...؟؟!!...
منذ دخلت حياته... وحياته أنقلبت رأساً على عقب..
كلما ابتعد عنها يشعر ان ألف خيط يجذبه اليها من
جديد

انها كَشِرك لا يستطيع منه الفكاك ... كرمال متحركة
كلما حاول الإفلات منها ... يجد نفسه متورطاً فيها
حد الغرق...

حتى فراشه أحتلته رائحة عطرها التى تأسره وتخلب
لبه.. حاول تجاهل عطرها الذى يغزو انفاسه .. والنوم
فى سلام ... لكن كيف...؟؟!!..

انها لا تأسر أنفاسه فقط بل تصل حيث منابع روحه ..
تغزوها فى رقة وتنبه عقله وخوابره لتعرض بثاً حياً
لتلك الليلة التى قضتها مرعوبة تتلمس الأمن فى
أحضانه وهو يتلمس العون من الله ...

الحمد لله انها عادت سيرتها الأولى وأرتدت غطاء
رأسها ومنامتها الطفولية برسوماتها المضحكة... وفجأة
وجد نفسه متلبساً بإبتسامة غزت شفثيه عندما
تذكرها وهى منكمشة ومذعورة...

لديها القدرة على أن تبدو قوية بشكل لا يصدق وفى
لحظات أخرى تتبدل لتبدو كطفلة تتلمس الاهتمام
والمساعدة ... حتى التفكير بها يدفع الضحكات
لشفثيه.. او يدفعه للغضب حد الجنون

أااااااه يا عاصم ستقودك تلك الزهرة إلى الجنون
حتماً.. قال محدثاً نفسه وهو يتمدد على أريكة
الاستراحة وقد وصل إليها أخيراً ..

تقلب على الأريكة من جديد يحاول أن يغفو ... لكن لا
فائدة...

حقاً إن ذلك لجنون مطبق....لازال الأرق يملكه والنوم
يجافيه ولا يزور جفونه المرهقة لأن عطرها لزال يحتل
روحه...

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رضوى جادويش

الفصل السابع

سمع صهيل فرسيه المفضلين فشعر بفرحة تدب فى أعماقه فأندفع إليهما يحييهما بقطع السكر التى يعشقونها ... والتى زادت من صهيلهما فرحا ... مما جعله يضحك على افعالهما المحببة لقلبه .. أسرج سلطان .. وأمتطاه فى مهارة فارس لا يشق له غبار واندفع به خارجا يسابق الريح .. لعله يخمد تلك الثورة التى تستعر داخله ..

نظراتها التى تطالعت بهها دوم لم تكن نظرات عادية قط بل نظرات تحمل قدر من التحدى والصمود لا يستهان به .. تلك النظرات التى تعكس روحها المتقدة .. تلك الروح التى لم يكن يعرف مقدار جموحها الا عندما طالع تلك النظرات النارية التى تتحداه بهها دوما .. انها فرصة غير قابلة للترويض .. لكن ليس مع عاصم

الهورى.. والذى لم يستعصى عليه ترويض فرصة
جامحة من قبل... هتف فى نفسه بعزم :- سأروض
غورها .. وجموح روحها .. سأجعلها طائعة لإشارة من
إبهامى.. سأجعلها تتمنى ان اكون راضيا .. فقط راضيا
.. ستأتى إلىّ يوما ما .. ستكون اكثر من شاكرة على ما
أمنحها إياه .. يا بنت التهامي ... سيكون راضيا هو
أقصى أمنياتك .. ساعتها ... وساعتها فقط .. سأشعر
انى حققت انتقامى..

كان غارق فى أفكاره وخواطره .. ينهب الارض نهبا
بحوافر فرسه سلطان غير عابىء بما يعترضه من حواجز
واثقا بسلطان ومهارته فأطلق له العنان ليزيد من
سرعته ... ويزداد اصطدام الريح بوجهه وعباءته التى
اخذت ترفرف خلفه مانحة إياه مظهر البطل الأسطورى
الذى لا يقهر .. خواطره وافكاره وصلت لذروتها بالفعل
..

والتي كانت تتمحور كلها حول شخص واحد .. منذ دخل حياته .. وهو لا يعرف للراحة سبيل ... زهرة ناجى التهامي .. هتف للريح فى تحدى وكأنه يحدث طيفها الذى يتمثل له الان فى الأفق البعيد أمامه فى تلك البقعة الصحراوية قرب الجبل فى اخر النجع والتي دوما هى ملاذه عندما يريد ان يطلق العنان لفرسه هرباً من كل ما يؤرقه هتف داخليا متحدياً :- صبراً.. الايام بيننا ... لنرى من سُيخضع تلك النظرات النارية الحارقة التى تلقيها بوجهى فى تحدى لجعلها تنقلب لنظرات خضوع وطاعة لتعرفى مع من تتعاملين و تدركين من هو عاصم الهوارى ...

سهل سلطان بشكل فجائى وقفز واقفاً على قوائمه الخلفية فتمسك عاصم بلجامه جيداً حتى لا يسقط بشكل مفاجئ من على صهوته.. لا يعرف ما الذى أجفل سلطان بهذا الشكل .. لكنه حاول التمسك على قدر

الإمكان حتى لا ينزلق من على ظهره.. لكن مع تكرار قفزات الفرس الملتاع .. كان لامفر من السقوط أرضاً... لكن لحسن الحظ كان خلف الفرس شجرة قصيرة نسبياً ارتطم احد كتفه بها .. مما خفف قليلا من شدة ارتطامه بالأرض ...

ظل لحظات على حاله مفترشا العشب يلتقط انفاسه المتلاحقة .. نهض فى ثقل يشعر بألم حارق بأحد كتفيه ... ذاك الكتف الذى ارتطم بالشجرة لحظة سقوطه ..

اطمأن على فرسه الذى سكن تماما بعد نوبة الفزع الغريبة تلك .. والتى اعترته منذ لحظات والتى قد يكون سببها احد الهوام .. كان يأكل بعض الأعشاب التى تطالها رقبتة .. وينظر فى بعض الأحيان حيث سقط عاصم يطمئن عليه ...

تحامل عاصم على نفسه حتى امتطى فرسه من جديد
وآلام كتفه تزداد وجعا.

سار سلطان فى اتجاه السراى
يحفظ طريقه عن ظهر قلب يمشى الهوينى وكأنما
يشعر بالآلام صديقه ... التى أصبحت تزداد مع كل
حركة ...

وصل حتى أبواب السراى فاستقبله الخفير سعيد
ملتاعاً .. فأشار اليه بالصمت وان يرسل سلطان
للأسطبل

وصعد هو فى بطنى حتى وصل غرفته دفع بابها فى
عنف أجفل زهرة .. كان يترنح متألماً.. لكنها لم تجرؤ
ان تتقدم خطوة بإتجاهه .. وجدته يتحامل على نفسه
ويتجه للحمام فى خطوات يحاول ان يجعلها ثابتة قدر
استطاعته...

ويغلق الباب خلفه فى عنف ايضا...

تكورت على نفسها فى خوف وقلق تنتظر فى اضطراب
خروجه من الحمام والذى طال بقاءه داخله .. ترى هل
حدث بالداخل ما يسوء؟! .. ربما فقد وعيه .. او .. لم
تستكمل

تخيلاتهما المضطربة.. فلقد قطعها بخروجه .. وَيَا لَيْتَه
ما خرج...!!

شهقت بصوت مكتوم ... وانكمشت فى اريكتها تكاد
تزوى عندما طالعها عارياً إلا من منشفة زهرية اللون
... تناقض بشرته البرونزية لوناً يلفها حول خصره ويسير
فى بطاء .. يتمختر كأسد مغتر فى وسط غابته..
استدار تجاهها فتوقفت نبضات قلبها ..صرخ فيها
فأجفلها كالعادة وانتزعها انتزاعاً من خواطرها تجاه
مظهره الغير متوقع بالمرة :-جومى .. شوفى حصل ايه
فى كتفى ..؟؟!!

-كتفك !!؟؟ .. سألت كالبلهاء لا تعرف ما المطلوب
منها بالضبط ... فأشار بنفاذ صبر .. إلى كتفه ...
فنهضت من أريكتها تتقدم نحوه فى بطاء كأنما تسير
فى حقل ألغام تتحسس خطواتها مع كل خطوة فى
اتجاهه... زفر فى نفاذ صبر.. فأسرعت قليلا لتقف
خلف ظهره البرونزى المفتول العضلات ليطالعه جرح
وخدوش أعلى الكتف تمتد لتشمل حتى أسفل الكتف
بقليل... قالت بصوت متحشرج...:

- فى خدوش وجروح على كتفك .. ولازم تتعالج ..
ابتسم ساخرا :- طب كتر خيرك .. مكنتش عارف من
غيرك هعمل ايه .. ثم هتف حانقا .. طب ما تعالجيها..
عندك الصيدلية فى الحمام شوفى ايه اللى ينفع من
الأدوية والمراهم اللى چوه ... وعالچي الجرح ..
وبعدين دراعى مش عارف ليه فى ألم لما بحركها ..

أقتربت أكثر لتفحص ذراعه .. وجفلت عندما لامست بشرته وارتفعت نبضات قلبها للضعف وهى تتحسس موضع الألم .. كانت تستشعر معاناته التى يخفيها ببراعة..

لكن تشنج جسده كان يشى بها ويفضحها .. أبعدت يدها لتقول فى صوت متهدج:- ذراعك لازم تترد .. واضح انك اتعرضت لصدمة جامدة .. أجاب فى هدوء بنبرة يخفى الالم بها وكأنه يطلب منها كوبا من الشاي:-

طيب ما ترددها... مستنية ايه ..؟!؟؟
-أنا...؟! .. قالت وهى تفغر فاهها وعيونها تنظر اليه على اتساعها ..

-انتِ مش داكثورة .. اخلصى..
-أنا دكتورة بهائم حضرتك ... عادت لطبيعتها المتحفزة وهى ترد فى سخرية جعلته ينظر اليها نظرات

نارية.. وفجأة جذبها من ذراعها القريبة منه لتحنى
عنوة حتى اصبحت عيونها فى مقابل عينيه القاتمة ...
يجز على اسنانه وأنفاسه الحارقة تخرج فى غضب
يحاول السيطرة عليه مؤقتا وهو يهمس:- كلمة زيادة
وهتشوفى منى الى عمرك ما كنتِ تتخيليه ... نفذى
الى بجولك عليه من سكات ..

مع اخر حروف كلماته دفعها عنه ورفع ذراعه متألما
فى صمت ظهر بوضوح على معالم وجهه الذى أربد .
فتناولت ذراعه فى رهبة دقائق قلبها تكاد تصم أذنيها
قالت تنبهه :- لما أعد لثلاثة هشد ذراعك بقوة ..
خليك مستعد ..

أوما برأسه فى هدوء وجبينه يتفصد عرقا .. ثم حانت
اللحظة الحاسمة .. لتجذب ذراعه وينتفض هو فى ألم
يجز على اسنانه تتلاحق انفاسه ... وتصدر عنه أهه ألم
حاول كبتهما لكنها فلتت من بين شفثيه غصبا عنه ...

هدأ قليلاً وبدأ فى فتح عيونه وألتقاط انفاسه بانتظام
...

دخلت هى للحمام فى سرعة تبحث عن دواء ما لتضعه
على جروح كتفه لكنها لم تجد ما هو مناسب ..
خرجت وأخبرته ... فقال لها ان هناك صيدليه أخرى
فى المطبخ بالدور السفلى يمكن ان تبحث فيها ربما
تجد ما يلئم ...

اندفعت خارج الغرفة .. تنزل على عجل تبحث فى تلك
الصيدلية بين أدوية مختلفة الاشكال والأحجام ...
وفجأة أظلمت الدنيا امام ناظرها ...
لا .. أرجوك يا ألهى ... ليس ثانية .. بدأت ترتجف
وتنكمش على نفسها ... تنتفض فى مكانها لا تستطيع
حتى الصراخ ...

كان هو ممدد على جانبه الأيسر ينتظرها حتى تحضر
دواء ما قد يساعد على اخماد تلك النيران التى يشعر

بها تجتاح كتفه المصاب ولكن فجأة انقطع التيار الكهربائي .. فتذكر رعبها من الظلام ... فتحامل على نفسه ناهضاً في ثقل ليخرج متوجها اليها بأقصى سرعة استطاعها... وصل للمطبخ اخيرا هاتفاً بأسمها .. فوجدها منكمشة بجوار أحد المقاعد .. انحنى اليها يربت على كتفها هامساً:- متخافيش .. أنا هنا معاك.. ما ان سمعت كلماته المشجعة حتى رفعت رأسها والدموع تغطي وجهها ولازال جسدها متشنجاً.. -تعالى متخافيش.. قالها ماداً كفه اليها .. فتشبث به كغريق يتشبث بقشة.. وما أن نهضت من موضعها حتى اندفعت لأحضانه ترتجف في شدة.. وتنتفض كعصفور في ليلة مطيرة...

ربت على رأسها التي كانت قابضة الآن بين أحضانه .. وهو يقول في صوت حاول ان يغلفه بالسيطرة على

الرغم من ان هناك شئ ما لم يستطع أخفائه قد ظهر
جليا فى نبراته شئ قد يشبه الحنان .. ام هذا هو حقاً
الحنان الذى يغلف نبرات صوته التى يبتثها لمسامعها
الان محاولا طمأننتها :- أهدى وكله هايبجى تمام ..
جسده متصلبا ومتشنجا مثلها تماما لكن لسبب اخر
مخالفا لخوفها....

لم يحاول ان يلفها بذراعيه كان يقف كحائط صلب
يتلقى خوفها ومعاناتها على أضلعه ..أحد ذراعيه يئن
ألما .. والأخر يئن أسفا لانه لا يستطيع أن يلتف حولها
ليشملها بعنايته كما يجب ..حاول ان يتحرك ليحضر
أحد الكشافات التى يعلم موضعها لكنها تشبثت به فلم
يستطع ان يتحرك قيد أنملة..

كان قلقه كله يتمركز حول استيقاظ احد ما لينزل
ويراهما فى هذا الوضع الغريبهى ترتجف فى
احضانه ..

وهو يقف فى مطبخ السراي لا يستره إلا منشفة
الحمام ...

وأخيراً جاء الفرّج ليسطع التيار الكهربائى من جديد ...
فتنهد فى راحة يبعدها عنه فى بطاء حذر قائلاً :-
خلاص .. افتحى عيونك يا زهرة .. تعالى ...

وأخذ بكفها يصعدا لحجرتهما وهى خلفه كالمنومة
مغناطيسيا يمسك بأحد كفيها كطفلة تائهة وبالكف
الأخر تتشبث هى بأنبوب أحد المراهم التى وجدتها
تصلح لعلاج جروحہ قبيل انقطاع التيار الكهربائى ...
تنهد فى إرهاق وهو يجلسها على حافة الفراش متسائلاً
فى هدوء:- أنتِ كويسة دلوجت ...
-الحمد لله ... أومأت فى بطاء ...

نظر لأنبوب الدهان الذى تحمله فأبتسم فى وهن :- هو
ده الدواء ... سألتها فأومأت بالإيجاب فى صمت فأردف:
- هاتِ .. هحاول أدهنه لنفسى ..

قالت فى هدوء ولازال رأسها مشوشاً :-أنا بقيت
كويسة ... وانت مش ها تعرف توصل لمكان الجرح
بنفسك ...

أمسكت بكفه فى عفوية اجفلته تصطحبه حتى جلس
على طرف الفراش لتصعده هى من الجانب الآخر
لتجلس خلفه وتأخذ جزء من الدهان على أطراف
أصابعها لتنشرها على الجرح فى رقة جعلته ينتفض
وتتشنج عضلات جسده ويبدأ ذاك الشريان فى صدغه
ينبض فى قوة ... فتساءلت ببراءة عندما لاحظت
تشنج عضلاته:- هو بيوجع ..!؟..

-شوية.. قالها كاذبا ..بس عادى كملى.

-خلصت ... قالتها وهى تغلق أنبوب الدهان ...ليقف
فى ثاقل يلتقط جلبابه من على المشجب القريب
ليرتديه... وبعد محاولة فاشلة لم يستطيع فيها تطويع

الجلباب ليرتديه بلا ألم ... اندفعت زهرة إليه لتتناول
الجلباب منه لتمرره من خلال رأسه أولا ثم ذراعه
المصابه ببطء حتى لا يحركها ويشعر بالألم .. وأخيرا
ادخل ذراعه السليمة بسهولة ..

كان يتحاشى نظراتها وهى تجذب الجلباب على
جسده لا يعرف لما ... انها المرة الأولى التى يجد نفسه
فيها ينأى بنظراته عن شخص ما .. ليس عاصم الهوارى
من يدارى نظراته .. ويخبأها... بل كان دوما ذو
نظرات جريئة.. قاسية ... متحدية .. نافذة .. لما الآن
ليست كذلك ..؟! www.abeeerkotob.com

وأمامها هى بالذات يحدث دائما ما لايتوقعه ...
يحدث دائما للمرة الاولى ..والاولى تماما .. دون سابقة
تذكر ..

تركته للحظات ..ثم عادت تحمل أحد الحبوب
الدوائية وكوب من الماء تقدمهما له ..

-ده مسكّن عشان ألم دراعك والجروح هيخليك تعرف
تنام ...

تناولهم فى صمت وتمدد على الفراش على الجانب
السليم من جسده .. يتابعها بنظراته حتى أطفأت
الأنوار وشعر بها تتمدد على اريكتها هاتفة تؤكد :- لو
عوذت حاجة ... ناديني.. أنا نومي خفيف ...
كان يهم بكلمة شكر لكن لا يعرف لم أطبق فمه عليها
ولم ينطقها .. وأخيرا راح فى نوم عميق .. متألماً
ومرهقاً.

حتى هى راحت فى نوم عميق على غير العادة ولكن
اثناء تقلبها على اريكتها سمعت همساً جعلها
تستفيق.. أنتفضت جالسة فى مكانها عندما سمعت
صوته يناديها...ألتقطت انفاسها وأرهفت السمع لعله
يناديها من جديد .. لكنها لم تسمع سوى همهمات
بسيطة...فقررت أن تستطلع الامر. قامت من مكانها

تسير على أطراف أصابعها تتلمس طريقها فى الظلام
الذى يعم الغرفة حتى وصلت قرب فراشه .. ولم تسمع
الا صوت انفاسه .. قررت العودة لأريكتها فيبدو انها
كانت تحلم ... لكن وهى فى منتصف الطريق سمعته
يهمهم من جديد ... ففتحت الإضاءة الخافتة التى
توجد على الجانب الآخر من الفراش واقتربت منه فى
بطء لتجده غارق فى بحر من العرق ... اقتربت اكثر
وانحنت تضع كفها على جبينه .. لقد كانت حرارته
مرتفعة للغاية ... استدارت تتجه للباب فإذا به يهزى
من جديد ينطق اسمها ... بأسلوب عجيب ... لم
تسمعه منه من قبل ...

انها نادرا ما تسمع اسمها من بين شفثيه ... فهو دوما
يناديه .. يا دكتورة او بنت ناجى التهامي خاصة
ساعات الغضب وكأنه سبة ... لم تسمعه ينطق اسمها

الا فى المرتين اللتان كانت خائفة ومرتعبة فيهما
...الاخيرة كانت منذ ساعات قليلة عندما نزلت
لتبحث له عن دواء لجروحه ...

واحمرت وجنتاها عندما تذكرت كيف اندفعت فى
احضانه تحتمى من رعبها بين ذراعيه العاريتين..
نفضت عن ذهنها تلك الأفكار ونظرت اليه ...

ها هو يهزى من جديد...ماذا تفعل الان وهو فى تلك
الحالة.. اتوقظ من بالدار!؟.. انها لم تتعد الخامسة
صباحا بعد ..فلتذهب وتجعل سعيد الخفير يستدعى
الطبيب ...

اندفعت تنفذ نزلت فى هدوء للأسفل وخرجت فى
خفة تنادى على سعيد الذى ظهر لها كعادته من
العدم .. كانت تعتقد ان تلك الخاصية .. ليست الا
لعاصم الهوارى .. عندما يناديه .. لكنه اثبت العكس

عندما ظهر يفرك بقايا نوم عن عينيه ويضبط عمامته
على رأسه وهو يقول:

- خير يا هانم ... تحت امرك ..

-عايزة الدكتور حالياً... روح هاته من سكات .. مش
عايزين نقلق حد ..

-خير يا هانم ... عاصم بيه بعافية ..؟! كان شكله تعبان
وهو راجع عشية بسلطان ...

-اه صح ... يا الله مضيعش وقت .. هات الدكتور من
تحت الارض بسرعة ..

واندفعت داخل السراي من جديد .. دخلت حجرتها
وهي في يدها منشفة نظيفة ووعاء به بعض الماء
والخل ..

وجلست بقربه .. تقوم بعمل بعض الكمادات الباردة
لعلها تخفض ولو قليلا من حرارته المرتفعة.. كان بلا
حول ولا قوة ملامحة هادئة مستكينة.

انها المرة الاولى التى تتفرس فيه وتنتبه لذاك الأنف
الشامخ .. وتلك الجبهة العريضة والفم الصارم ..
والشارب المهذب... والشعر الغزير الحالك السواد...
ملامحه رجولية خشنة لا تصلح الا لشخص واحد عاصم
مهران الهوارى .. تلك الملامح حتى مع استكانتها ..
تنبئ بالخوف والرهبة.. انها تتعجب انه مرض كبنى
البشر وها هو يتألم ويعانى ...تسألت فى تعجب فقط
ظنت ان حتى المرض يهابه .. لكنها كانت مخطئة ..
فها هو يرقد بلا حراك.. انه حتى يهزى وينطق باسمها
.. مرارا وتكرارا .. انها تسمعه الان يلفظ به .. كأنها ما
سمعت اسمها يُنطق من قبل .

-متخافيش .. انا جنبك .. متخافيش ... بدأ يزداد
هزيانه وها هو يتذكر ما حدث بالأمس عندما لحق بها
وهى تبحث عن دوائه...

لماذا تأخر الطبيب؟!.. لمعت الدموع فى عيونها
وهى تتذكر كيف لحق بها رغم ألمه .. هل تذكر
ساعتها مدى خوفها من الظلام ..؟!.. لقد تحامل على
نفسه رغم معاناته ليلحق بها ولا يتركها وحيدة تعاني
ازمتها مع العتمة التى ترهبها ...
هل يمكن ان يكون للغول قلب؟!..
سمعت طرقات على الباب .. ليستأذن الطبيب
ويدخل ... وينتظر سعيد الخفير على باب الغرفة ...
ألقى الطبيب التحية على زهرة واندفع ليفحص عاصم
فى هدوء .. قالت زهرة بعد فترة صمت :- رجع امبارح
تعبان وعلى كتفه جروح وخدوش ودراعه مخلوع ..
عملت اللى قدرت عليه ورديت دراعه واخذ مسكن
ونام ومرضيش بيعت لحضرتك .. هز الطبيب رأسه
تفهماً... وطلب مقص فأحضرتة زهرة على الفور ...
فبدأ يقص جلاباب عاصم من الجانب المصاب فى

جسده واستطاع ان يدير جسد عاصم بمساعدتها حتى يتفحص الجرح والخدوش الموجودة على كتفه الأيمن وفحص ذراعه المردودة... وقام باللازم وعندما انتهى كتب الدواء ..

مع التأكيد على الراحة والغذاء .. وعدم تحريك ذراعه المصابة لبضعة ايام ووضع لتلك الذراع حمالة لتظل محمولة بها بواسطة الرقبة ...

-لو فى اى حاجة .. ابعتلى يا مدام زهرة فى اى وقت .. تحت امركم ... وانا هزوره اطمئن عليه كمان يومين .

-متشكرين جدا يا دكتور تعبينك معانا وتشرفنا فى اى وقت ... مع الدكتور يا سعيد .. قالتها للخفير المرباط على الباب .. وخذ هات الدواء ده معاك من اى صيدلية تلاقىها فاتحة وأنت راجع ..

اغلقت باب الغرفة ونظرت من جديد لذاك المسجى بلا حراك ... بدأت حرارته فى العودة لطبيعته وبدأت

انفاسه فى الانتظام من جديد حتى الهلاوس اختفت
اخيرا وتوقف عن النداء باسمها بتلك الطريقة التى
كانت توترها... لا تعرف لماذا...!!؟؟... لا بد من ان تبدل
له جلبابه الممزق ذاك ... وتستبدله بقميص يسهل
عليها مهمة وضع الدهانات على الجروح فى كتفه...
وتبديل الأغطية ايضا ..

ليس الان بالطبع .. عندما يستفيق قليلا يمكنها فعل
ذلك .. الان عليها اعداد بعض الحساء لأجله حتى
يستطيع تناول تلك الأدوية التى نصح بها الطبيب مع
تغذية كاملة..

نزلت للمطبخ بعد ما تأكدت من انه افضل قليلا ..
بدأت فى اعداد بعض الحساء .. لتفاجأ بألم سعيد
تدخل متعجبة ... خير يا ست زهرة .. البيه بخير
دلوجت ...!!؟

لم تكن زهرة فى حاجة للسؤال كيف عرفت ذلك ..
فمن المؤكد ان سعيد اخبرها وهو فى طريقه لجلب
الدواء

-الحمد لله .. حاجة بسيطة وها يبقى كويس باذن الله
.. بصى انا خلصت شوربة الخضار ... علشان تبدأى
انتِ فى الفطار للجماعة .. متخضيهمش محدش
يعرف حاجة .. تمام
-تمام يا هانم ..

حملت زهرة صحن الحساء وتوجهت للغرفة .. فتحت
الباب لتفاجأ به ينهض بثقل من فراشه .. فأندفعت
تضع الحساء على اقرب طاولة لتهرول اليه فى اللحظة
الحاسمة لتتلقفه بين ذراعيها ... كان يترنح كالمخمور
ويعافر ليقف فى ثبات يستند بذراعه الأيسر على
خزانة الملابس التى كان جسد زهرة ينحشر بينها وبين
جسده الذى يلقي بثقله عليها

-رايح فين؟!..سألت بصوت مكتوم لحملها لثقل جسده ..انت تعبان .. الدكتور قال لازم الراحة.....قالتها وهى تضغط على أسنانها تتحمل ثقل وزنه على كتفيها ...

رفع رأسه التى كانت ملقاه على كتفيها فى ثقاقل .. وهو ينظر الى عيونها الان قائلاً بلهجة حاول ان يودعها ما يستطيع من قوة :- أنا مش تعبان .. أنا شديد .. شديد جووووى ... مع كلمته الاخيرة التى أودعها ما تبقى من قوة.. ترنح بشدة ليسقط على الفراش من خلفه .. ويسحبها معه.. لتسقط فوقه تقريبا بين ذراعه اليسرى وصدره ..

لابد انه بدأ يهزى من جديد.. انه ينادى إسمها بتلك الطريقة التى توترها وتشنجت أعصابها لأنها ادركت ان حرارته عادية .. وهو لا يهزى كما اعتقدت بل انه

ضمها اكثر لصدرة بيسراه.... لماذا تشعر الان بتهديد
خطر يدب فى أوصالها؟! .. حاولت النهوض .. لكن
يده أعادتها بقوة لترتطم من جديد بصدرة .. وتقابل
عيون قائمة يغشاها الإرهاق ...

-هو الداكتور كان هنا؟! سأل فى ريبة
هزت رأسها بنعم غير قادرة على الرد وفجأة انقلب
الوضع .. فقد نهض بشكل مفاجئ رغم ألمه متحاملاً
على ذراعه اليسرى.. لتصبح هى على الفراش ويطل هو
عليها من عليائه ينظر لها بحنق بالغ متطلعاً لعباءتها
الحريرية ذات اللون الوردي الناعم ... ثم يعود مركزاً
نظراته عليها وهو يهمس جازاً على اسنانه فى غضب لا
يستطيع إظهاره فى نبرات صوته بسبب تعبته لكنه ظل
جلياً من نظرات عينيه :- وجابليته بالعباية
دى؟؟؟.ووجفتى تخدى وتدى معاه فى الكلام طبعاً..
وانا مدريانش بحاجة...

حاولت ان تنطق بحرف واحد لكن نظراته النارية
القائمة وفحيح كلماته جعلها تتلعثم وهى تقول :- لا..
ما .. أصل..

واخيرا نطقت مبررة:- هى فيها ايه العباية !!؟.. ما هى
محتشمة اهى...؟

-اللون ده متجبلش بيه الرجالة.. قالها فى غضب ..
هو الأسود والكحلى والبني المسموح بيهم للخروج برا
باب السرايا .. غير كده لاه...

-ليه...!!!.. هو .. وبدأت فى الاعتراض والتذمر الا ان
نظراته أخرستها... وبدأت تنسحب تدريجيا حتى
تنهض من الفراش مبتعدة وتؤجل الحديث عن الألوان
المسموحة حتى يتعافى لأنه بدأ مرة اخرى فى الترنح
..ليعود ليتسلى من جديد على ظهره .. وكأنه استنفذ
قواه جميعها فى محادثتهما...

-أنت كويس؟!..قالتها وهى تقترب وتطل عليه ليومئ برأسه ويسحب جسده ببطء ليعود لموضعه الاول مستندا برأسه على وسادة صغيرة خلف ظهره..

-لازم تاكل...الدكتور قال التغذية مهمة... وأحضرت له الحساء لتضعه على الطاولة بجوار الفراش .. وتعديل من الوسادة خلف ظهره...

-ماليش نفس .. قالها فى عدم اهتمام .

-لا.. لازم تاكل علشان الدوا...انت هاتعمل ذى العيال الصغيرة ولا ايه ... و رغم انها نطقت كلماتها الاخيرة بعفوية شديدة الا انه هتف فى عدم تصديق :

- ...عيال صغيرة...؟!.. تنبهت لفداحة كلماتها فحاولت تصليح خطأها بسرعة :

- اقصد يعنى ..لازم تاكل علشان الدوا محتاج تغذية ده كلام الدكتور ..ووضعت صينية الطعام فى حجره وجلست على حافة الفراش تكاد تقع أرضاً وهو لا يريد

ان يتزحزح قيد انملة للداخل ليفسح لها مكانا مناسباً للجلوس.. همت برفع الملاعة لفمه حين هتف ساخراً:
- هتوكلىنى ذى العيال الصغيرة؟!.. اضطربت وكادت ان تسقط الملاعة بما فيها من حساء ... لكنها أجابت مقنعة إياه :

-أيدك اليمين مش لازم تحركها ... الدكتور قال كده هتاكل ازاي؟!..

استلم منها الملاعة مترفعاً وهو يقول:

- هاكل بيدى الشمال ..مش جصة يعنى ... قامت من مكانها وتركته يحاول تناول طعامه ..راقبته وهى تبتعد يأكل ملاعة بالكاد ويسقط عشرة ...

لم تستطع ان تكتم ضحكاتها فقهقهت و هي تتطلع اليه و قد اصبح يشبه الاطفال وهم يحاولون الامساك بالملاعة وإطعام أنفسهم للمرة الأولى.

رفع نظراته عن طبقه و تطلع اليها و هي تطلق ضحكاتها الصافية ... انها المرة الاولى التى يسمع فيها ضحكاتها و لا يراها متحفزة متممة كعادتها..

طال تطلعه اليها وهى تبتسم فى عفوية حتى شعرت بإحراج من نظراته المتفحصة... تحركت تنأى بوجهها بعيدا عنه فنادها بنفس الطريقة التى توترها ... فأستدارت اليه فى هدوء تستفهم عما يريد ..

فمد الملاعة ولم يتكلم ... فهمت انه يريد ان تكمل اداء المهمة التى لم يشأ ان تكملها .. عادت لمكانها بجواره وهذه المرة مدت يدها تسحب كرسى لتجلس عليه لكنه ابعد قدميه قليلا وأشار لها أين يجب ان تجلس ... جلست فى هدوء وتناولت الملاعة فقال :

- مكنتش حاسس انى جعان .. بس الشورية طعمها وريحتها يفتح النفس .. اول مرة ام سعيد تعمل شورية عدلة كده ...

ابتسمت ولم تعقب ورفعت المعلقة الاولى لفمه
فتلاقت أعينهما ..

تماسكت على قدر استطاعتها حتى لا يظهر إضطرابها
على ارتعاش يديها التى تحمل المعلقة .. لكن مع
المعلقة الثالثة بدأت تنهار أعصابها من جراء تفحص
تلك النظرات الفحمية ... واخيرا جاءتها النجدة على
هيئة طرقات متتابعة على الباب .. استأذن صاحبها
للدخول .. فإذا بها الحاجة فضيلة تدخل مهرولة
مذعورة على ولدها .. وما ان رأت زهرة تطعمه حتى
ابتسمت فى خبث وهى تقول :- ده انت الحمد لله
بجيت كويس اها .. ده انى اتخلعت عليك يا ولدى ..
بس طالما زهرة چمبك ... أنا مطمئة... اكتسى وجه
زهرة بالحمرة خجلا وتطلع هو لأمه متعجبا كالعادة كلما
راها تمدح فيها....

اقتربت الحاجة فضيلة تربت على كتف زهرة وتقول
فى مودة :

- ربنا يبارك لك يا بتي .. شكلك منمتيش طول الليل..
ام سعيد جالتلى انها دخلت عليكِ المطبخ لجيتك
بتعملى شوربة لعاصم ... تسلم يدك ويسلم تعبك ..
نظر لها من جديد ... فوجدها تدارى عينيها عنه
خجلا...

لتردف الحاجة فصيلة مبهجة :

-اسيبك تكمل أكلك .. توجهت بكلامها لعاصم واروح
اوصيلك على غدا محترم ترم بيه عضمك..
وانصرفت وأغلقت الباب خلفها فى هدوء وهى تتطلع
لهما فى حبور ... وعادت النظرات تتلاقى من جديد ..
خرجت من الغرفة بعد ان اطمأنت على تناوله دواءه
وانه راح فى نوم عميق ... على الرغم من عدم نومها
الليلة الماضية الا سويكات قليلة لا تتعدى أصابع اليد

الواحدة الا انها لاتشعر بالنعاس ... فأخذت رواية
كانت قد استعارتها من سهام التى بدأت تختفى
فترات طويلة فى غرفتها وتميل للعزلة لا تعرف لما ...
نزلت للحديقة تجلس فى ظل أشجار المانجو الوارفة
على الأرائك المريحة .. لتبدأ فى القراءة ... لكن لا
تركيز لديها فتركيزها بأكمله يتجه لوجهة واحدة تجاه
ذاك الذى يقبع مريضا فى غرفته بالأعلى ... لا تعرف
كيف تفسر ما يحدث لهما .. وبينهما ... هناك
شرارات ما تتولد من قربهما .. لماذا تنتفض عندما
ينظر اليها تلك النظرات المتقدة المتفحصة .. ولما
تتوتر .. وتتشنج أعصابها .. عندما يناديها بإسمها
بطريقة تجعلها ترتجف داخليا متمنية بأن ينطقه دوما
ولا يتوقف ... ان ما بينهما أشبه بحبل مطاطى مشدود
احيانا ومرتخ احيانا اخرى ... وما بين جذب وشد

تمضى علاقتهما العجيبة ... هي تكرهه .. أكدت
لنفسها .. ولكن هل تلك الأحاسيس العجيبة التي
تعترىها فى غيابه قبل حضوره .. هي مشاعر
كراهية...؟؟!!..

بجانب ذلك الحاجة فضيلة وعلاقتها العجيبة بها ..
والتي تثير دهشتها ... هي تعرف مدى كرهها لأبيها
ورغبتها فى الانتقام منه .. من خلالها .. فكيف
تعاملها بذلك الشكل الرائع؟! وذاك الثناء الذى لا
ينقطع؟!.. وحنيتها التي لم تجدها من امها نفسها
...؟؟!!.. قامت تمشى قليلا لعلها تهدأ من ذاك السيل
من الأفكار والخواطر الذى يداهم عقلها ... كانت تقف
الان امام بستان من الريحان قطفت بعضه تستنشقه
لعله يعيد لها هدوء روحها وصفاء نفسها ... وعادت
لتجلس من جديد تفتح كتابها لعلها تنسى افكارها

وخواطرها قليلا بين صفحاته .. لم تكن تدرك ان هناك
اعين قاتمة تراقبها من عليائها.. تطل عليها من شرفة
حجرتيها ... تداهمه نفس الافكار وتقض مضجعه
نفس الخواطر .. وقف يتابعها بنظراته .. ويتذكر ما
قامت به لأجله .. واخيرا قرر النزول اليها .. لا يعرف
لما بدأ يستطيب البقاء بقربها ..؟!.. ويشعر برغبة
ملحة فى استفزازها والشعور بمتعة عجيبة عندما
تناطحه وترفض وصايته وتتمرد على اوامره .. كانت قد
بدأت فى المطالعة حين وجدت ظل شخص ما يحجب
عنها ضوء الشمس الذى كان يصلها عبر الأغصان ..
فرفعت رأسها .. لتفاجأ بسليم .. بن عم زوجها .. وأخو
سمية .. تلك العقربة التى لا تستسيغ صحبتها...
كانت لا تستشعر الراحة فى وجود سليم .. دائما ما
كانت نظراته فاسقة لا تحمل اى قدر من الإحترام
لكونها زوجة بن عمه.. انها لا ترتاح لذاك الرجل ..

همت بالنهوض .. ليهتف فى سماجة...:
- وaaaaااه يا داكثورة.. اذا حضرت الشياطين ولا ايه ...
...!!؟؟..

-لا ابدا ... ده انا افكرت حاجة مهمة نسيت أعملها ..
اتفضل ده بيتك ... قالت كلماتها بنبرة رسمية ..فى
تلك اللحظة ظهر عاصم على الدرج متوجها ناحيتها
وقد فوجئ برؤية سليم يقف معها يتسامر ..

اندفع بعنف ناحيتهما حتى وصل إليهما فى اقل من
خطوتين واسعتين ليهتف بكل الحنق والضيق الذى
يحملة فى صدره موجهها حديثه لزهرة:- انتِ ايه اللى
منزلك هنا ومجعدك فى مجعد الرجالة... اتفضلى على
چوة... نظرت فى ضيق له .. ارادت ان ترد .. لكن
نظراته النارية حذرتها من مجرد المحاولة فأندفعت فى
غضب لداخل السراى... ليهتف سليم فى فخر
مصطنع :

- طول عمرک حمش یا واد عمی...
-خیر یا سلیم ..ایه چابک بدری کده؟! سأل عاصم
بنفاذ صبر..
-ابدا .. سمعت انک تعبان ..جلت اجی اطمین
..واشوفکم ممکن محتاجین حاجة ..
-تسلم. ..شیلینک لعوزة کبيرة .. انا بجیت تمام .. هی
دراعی بس محتاجة راحة .. وها تبجی بخیر باذن
الله...

-طب تمام ..قالها سلیم بنبرة محبطة وهو یُکمل
حديثه.. المهم اننا اطمنا عليك ... اسيبك ترتاح ...
-متشکرین علی سؤالك وسلامی لمرت عمی وسمية...
-یوصل باذن الله ...

وخرج من السرائی وهو یزفر فی ضیق فقد توقع ان
يجده بلا حراك .. لكنه قط بتسع ارواح..هكذا هتف
سلیم فی داخله حقدا...

الفصل الثامن

دخل الحجرة يتطلع الى أريكتها .. لكنه لم يجدها
تشغلها كالمعتاد .. كانت فى الحمام ترتدى منامتها
... خرجت لتجده فى مقابلتها... اخفضت نظراتها
تحاول المرور حيث اريكتها لكنه كان يسد الطريق
عليها ... وقفت بلا حراك تنتظر ان يُفسح لها الطريق
بلا جدوى....انتظرت .. وانتظرت ... ولكن الجبل لا
يتزحزح... انتظر ان تتطلع اليه تلك النظرات المتحدية
التي تتقنها وتذهب بعقله وتثير جنونه .. لكنها حتى
لم ترفع رأسها تتطلع اليه ... كان يعرف انها غاضبة لما
حدث امام سليم .. لكن منذ متى يهمله غضبها
ويحاول استرضاءها...؟!..

حاولت المرور على حين غرة فوقف فى طريقها يسده
عليها فأرتطمت بذراعه المصابة .. تأوه فى صوت

مكتوم جعلها تجفل وتندفع عائدة اليه تتأسف فى
ندم :

-انت كويس .. معلىش مكنش قصدى ..

-خلاص ... قالها وهو يمسك ذراعه .. وقد غام وجهه
ألما ... محصلش حاجة .. وتوجه لفراشه فى صمت ...
شعرت بندم يعتريها ... وتذكرت انه قد حان دهانه
على جرحه... كما انه لا زال يرتدى ذاك الجلباب
الممزق .. ولم يبدله ..

توجهت لخزانة ملابسه فتحتها وتطلعت بها.. انها
المره الاولى التى ترى فيها محتوياتها ... بنظرة سريعة
أمتدت يدها لقسم القمصان ... فتناولت احداها
وقسم آخر للسراويل المنزلية فتناولت واحد منهم ...
ثم فتحت احد الأدراج الذى رأت ام سعيد تضع فيه
بعض الملابس فأخذت احداها ... كان يراقبها صامتا
فى استمتاع ... نظرت اليه اخيرا هامسة :

-بعد إذناك بس أغير فرش السرير ...

تحرك فى هدوء للجانب الاخر للحجرة حيث اريكتها
ليجلس عليها فى صمت ولازالت عينيه تتبعها كظلمها
وتراقب كل سكناتها حتى انتهت من تبديل أغطية
الفراش ...

ثم استدارت له ممسكة بملابسه واضطربت وهى
تقلبهم بين يديها ... فأدرك حيرتها ... فتناول السروال
يحاول ارتدائه وهو جالس .. واخيرا جذبه الى وسطه
ليرتديه كاملا ... وهى تدير رأسها حرجا تتصنع البحث
عن شئ ما .. اخيرا وجدته عند انتهاءه... أمسكت
بالمقص لتشق جلبابه وتنزعه بعيدا عن جسده ليظل
عارى الصدر يشرف عليها بقامته المديدة التى تشعرها
بضالتها ... امتدت يدها لتأخذ منه القميص لتساعده
على ارتدائه وهى ترسل نظراتها فى كل اتجاه إلا
اتجاهين صدره العارى وعينيه القاتمة... لكنه رفض

اعطاءه لها مشاكسا فى مرح .. رفعت نظراتها
مستفهمة .. ليشير اليها

وابتسامة على شفثيه .. يذكرها بأنها لم تضع دهانه
على جرحه بعد ... ادركت ذلك فلقد نسيت من
اضطرابها انها لم تضع دهانه على جرحه بعد ..

انه يشوشها ويفقدها تركيزها كليا وهو يحاصرها بهذا
الشكل الغير عادل .. بنظراته الآسرة وصدره العارى..

تناولت الدهان واستدارت خلفه .. لتبدأ فى وضعه
ونشره على مواطن الجرح التى بدأت فى الاندمال الى
حد ما .. كان صامت تماما لم يتفوه بكلمة ... الا انها

شعرت بتصلب عضلات كتفيه .. انتهت اخيرا
فتناولت منه القميص .. ادخل يده السليمة اولا ..

وضعت الطرف الاخير من القميص على كتفه المصاب
وهى تشب على أطراف أصابع قدميها .. لتلاحظ ذاك

الشريان الممتد بطول رقبتة .. ينبض فى عنف .. هل

يشكو من شئ ما ..؟!..تساءلت فى نفسها ورفعت
نظراتها لتصدم بنظرات عينيه التى ارتجفت عندما
طالعتها ... كانت تحمل مزيج غريب من المشاعر لم
تستطيع تحديدها بالضبط .. مزيج لم تراه من قبل ..
يختلف عن تلك النظرات التى لا تحمل فى طياتها
سوى الرغبة فى الانتقام .. والتشفى..

وفجأة .. جفل كل منهما مع طرقات مسرعة على باب
الغرفة ودخول أعصارى لسمية حتى قبل الإذن لها
بالدخول .. تطلعت إليهما لثوان حاقدة ... ثم اندفعت
لعاصم فى هلع مصطنع تتحسس ذراعه وصدره
بوقاحة:-

أنت بخير يا واد عمى ... هتفت فى فجاجة... خلعت
جلبى عليك... ده انى من ساعة ما سليم جالى .. وانا
ولا على حامى ولا على بارد ... تعال.. استريح فى
سريرك .. وجذبتة من ذراعه .. استريح .. انت ملكش

الا الراحة دلوجت .. وقفت زهرة فى صمت تتطلع
لذلك المشهد الممجوج.. تحاول على قدر استطاعتها
كبح جماح رغبتها فى الامساك بسمية تلك والإلقاء بها
خارج الغرفة ...

لا تعرف لما سمية بالذات تثير فيها ذاك القدر من
الكراهية والرغبة الحقيقية فى قتل احدهم .. لما هى
بالذات يا ترى؟!..

ربما لأنها مدعية وتحاول إظهار ما لا تستشعره حقا و
بشكل فج ايضا..!!؟. ربما ..همست فى نفسها .. هى
شخصيا ليس لديها تفسير منطقى يريحها ..

اندفعت فى تلك اللحظة الحاجة فضيلة تنظر لذلك
المشهد بعينى صقر لتهتف فى صرامة :- خلاص يا
سمية .. اطمنتى على واد عمك ..اهو بخير والحمد لله
.. سيبيه بجى يستريح هو ومرته ...

وضغطت الحاجة فضيلة على تلك الكلمة الاخيرة وهى
تكمل فى حنو:

- المسكينة منامتش ...طوول الليل جنب عاصم من
حجها تستريح ..

-طيب...قالتها سمية بحقد سام .. انى تحت على
العموم يا واد عمى لو احتجت لأى حاجة نادم على...
ونزهضت فى ثقاقل ورشقت زهرة بنظرات مميتة
وخاصة عندما رد عاصم وهو يتطلع لزهرة التى كانت
تقف على الطرف الاخر من الأحداث صامته ولم تنبس
بكلمة متعجبا لشعوره بإدراك ثورتها الداخلية على
الرغم من هدوء ملامحها فقال وهو يتطلع لزهرة :-
متشكرين يا سمية .. بس مظنيش هحتاجلك..ومرتى
جنبى..

كانت تلك القشة التى قسمت ظهر البعير .. والتى
جعلت سمية تندفع من الغرفة كسهم انطلق من

قوسه.. .. وتمتد يد الحاجة فضيلة لتغلق خلفهما
الباب وهى ترمى ولدها بابتسامة واسعة .. اما زهرة ..
فكانت أشد الموجودين تعجبا .. ليس لما قاله .. ولكن
لما شعرت به ...

ما هذه الفرحة البلهاء التى تشعر بها!؟.. وما تلك
السعادة التى غمرتها فجأة ...!!؟؟...

ولما ينبض قلبها بذاك الشكل المجنون وهى تغالب
ابتسامة تحاول القفز عنوة على شفتيها ...!!؟؟...

من المؤكد انه قد اصابها الجنون .. لابد وانه كذلك
لتفعل بها مجرد كلمات عادية كل تلك الافاعيل
وتجلب لها ذاك الكم الهائل من الحبور و الذى لم
تستشعره منذ أمد بعيد ...

كان يتطلع إليها وإلى اضطرابها الذى تحاول مداراته
.. كان يعتذر منها بطريقته الخاصة على تصرفه معها
امام سليم ..

كانت لاتزال واقفة يعثرها الخجل والتساؤل..
لكنه أدرك كل ذلك بمهارة وشعر به فى سهولة عجيبة
جعلته يتعجب من نفسه وقدرته على قراءة مشاعرها
واحاسيسها بتلك الشفافية ..

متى استطاع ذلك...؟! وكيف...؟!
تمدد على الفراش يحاول قطع ذاك التواصل
اللاشعوري بينهما..فأندفعت هى فى عفوية تسحب
الغطاء على جسده المسجى...

أنتقت العيون لثوانى خاطفة...لتعود هى تحتفى
بأريكتها لعل النوم يزورها ويخلصها من تلك المشاعر
الغامضة التى تتلاعب بها ..

تحسنت ذراعه كثيرا وعادت لطبيعتها والفضل لها
..فالحق يقال ..لم تكن تغفل عن موعد دواء او دهان
لجراح كتفه.. او حتى غذاءه ... كانت تهتم بكل

كبيرة وصغيرة ولا تغفل اى ما يخصه ... فترة بقاءه الطويلة نسبيا داخل السراى جعلته يحتك بها اكثر ويتعامل معها عن قرب .. ليكتشف عنها الكثير الذى يجهله .. والعجيب ان كل ما اكتشفه أسعده كثيرا بقدر ما اقلقه لأن ما اكتشفه جعلها تقترب اكثر وأكثر من قلبه بشكل اثار حيرته ..

رأها ودودة مع الجميع .. ام سعيد والتى دوما ما تمازحها... امه التى تعاملها كابنة لها مما يثير تعجبه.. سهام التى تحبها كشقيقة ودوما ملتصقة بها... ابوه .. الذى ما يفتأ يذكرها بالخير وينادى عليها لتجالسه ويأنس لها .. وكم وجدته يضحك مغتبطاً على نوادرها والمواقف التى تعرضت لها من جراء مخالطتها للحيوانات اثناء عملها .. كانت تتنازعه مشاعره ما بين امتنان لها .. وحقدا عليها ..

هل هذه ابنة الرجل الذى أراد الانتقام منه ..؟!..التى
أراد إذلالها وأخضاعها له وجعلها تركع طالبة العفو
والرحمة؟!.. يكاد يجن ... من فى السراى بأسرها لا
يحبها ويأنس لوجودها حتى انت !!..قال مخاطبا نفسه
... لا .. هتف عقله بها فجأة .. انا فقط ممتن لما
فعلته من أجلى أثناء فترة مرضى .. هذا مجرد شعور
بالإمتنان ليس أكثر ..نعم ... أمتن لها وأشكر لها
اهتمامها بى واعتنائها لأحوالى فى ساعات مرضى .. انا
لا احمل لها من مشاعر سوى ذلك ...
انتفض ونفض عنه تلك الخواطر بسرعة عندما دخلت
امه الى المضيقة حيث يجلس يتطلع من نوافذها
الطويلة

التى تكاد تصل للأرض الى جانب من الحديقة التى
تحيط بالسراى... ابتسمت فى محبة خالصة له

وجلست بقربه تربت على كتفه فى حنان وكأنها تنفض عنه ما يعتريه من فكر يؤرقه.

-اختك ومرتك استأذنونى يخرجوا لأرضنا .. وانا وافجت .. انتبه بكليته لها فتابعت :- بجالهم فترة مخرجوش بره السراى.. ومرتك الصراحة مش متعودة على الحبسة دى وتعبت معاك فى رجدتك.. جلت تغير چو .. أنا بعتهم مع حسان بالكارتة لغيط الموالح

-وماله يا حاجة.. مضرش ... اهم فى الأمان فى أرضنا مرحوش حته غريبة... بس تعال جوليلى ... أنت ايه حكايتك بالضبط..؟!..

-حكاية أيه ..؟!..بدأ الاضطراب يعتري الحاجة فضيلة ولاحظ عاصم عليها ذلك فهذه من المرات النادرة التى يرى شعور آخر غير الحزم والشدة يرتسم على وجه أمه...

-حكايتك مع بت ناچى التهامي .. ده انت بتعامليلها
أحسن من بتك سهام ... چرى ايه بجى...!?!... كثير
كنت عايز استفسر عن المعاملة الملوكى اللى
بتعامليلها بيها دى كنك انت اللى نجتيلها على الفرازة
عشان تجوزيلهاالى ...

-صدجت ... كنى انا اللى اخترتها .. قالتها بنبرات
غلب عليها الحزن الدفين واللوعة..

-ايه الفوزاير دى يا حاجة ..؟!..لأول مرة مفهمكيش ..
ولا أبجى عارف جصدك أيه...!?!...

-تعال فوج على أوضتى... الحيطان ليها ودان .. قالت
كلماتها وهى تنتفض من مكانها لتتوجه لأعلى الدرج
حيث حجرتها و نهض فى همة يتبعها تتنازعه الحيرة
من تصرف امه العجيب .. لكنه كان على يقين ان ما
ستطلعه عليه هو احد اهم اسرارها.. وان لديها ما يبرر
تصرفاتها ..

اغلقت خلفها باب الحجرة فى احكام وتركته يجلس على احد الـآرائك فى جانب الغرفة وتوجهت لخزانة ملابسها ..فتحت احد الأدراج بواحد من تلك المفاتيح التى لا تفارق رقبتها وأخرجت أحد الصناديق المعدنية .. وتوجهت حيث يجلس فلذة كبدها وجلست فى صمت .. لثوانى .. زفرت بقوة تحاول تخفيف توترها .. قبل ان تفتح ذاك الصندوق لتلتقط منه إحدى الصور الفوتوغرافية .. تتطلع اليها فى شوق عجيب لم يره عاصم مرسوم على محيا هذه السيدة الجبارة من قبل .. واخيرا .. أطلقت سراح الصورة من بين يديها لتمررها اليه .. ببطء..

تناول منها الصورة وهو يتطلع لوجهها الذى تتصارع على قسماته مشاعر شتى ... ثم حول ناظريه للصورة ليدقق فيها لثوان مبهوتا.. ثم يقف من هول صدمته مأخوذاً بما يرى ينظر للصورة لحظة .. وفى اللحظة

الثانية يوجه نظره لأمه ... وهكذا عدة مرات .. حتى استعاد أخيراً رباطة جأشه وقال بصوت حاول جعله طبيعياً :- دى كنها زهرة مرتى .. بس الصورة جديدة .. وكم ان متصورة چمبك... كيف ده؟! ..

-دى مش زهرة مرتك يا عاصم ... قررت إلقاء الحقيقة دفعة واحدة .. دى فاطنة أختى ... مرت ناجى التهامى الى هربت معاه .. واللى انت عارف جصتهم زين ... وتبجى..

وازدردت لعابها .. تحاول الا تتوقع رده فعله المدمرة..تبجى أم زهرة ... جلس فجأة .. بعد ان سمع اعترافها كاملاً و الذى كان بمثابة انفجار هزه وأصاب ثباته فى الصميم

ظل يتطلع للصورة الفوتغرافية كالمشده.. لم ينطق بحرف واحد ... انها زهرة .. كأنها هى ... سبحان الله ... نسخة أخرى منها .. وكأنهما توأمتان... وفجأة ..

لمعت فى رأسه

تداعيات الحقيقة بكل تفاصيلها فهتف غير مصدق :-
يعنى انت عايزة تجولى ياما .. ان زهرة تبجى بت أختك
فاطنة.. يعنى زهرة بت خالتى!!؟؟..أومات برأسها ايجابا
وهو لا يزال غير مصدق ما يسمع ويرى لكنه انتفض فى
عنف وهو يتساءل صارخا :- عايزة تجوليلى انك
مكنتيش تعرفى .. ده يُعجل !!؟؟.. متعرفيش ان أختك
خلفت بت .. وسمتها زهرة !!؟؟.... كيف يا حاجة ..
كيف !!؟؟..

-ناجى أبوها خبى على... قالتها امه صارخة وعيونها
تترقق فيها الدموع .. انا لو كنت اعرف مكنتش سبت
بت أختى تربيهها ست غريبة عنيه .. عمرها ما داجت
الا الجسوة على يدها ... ابوها كان خايف انى أخذ بته
منيه .. بت أختى ..الى ماتت بعد الولادة... فجالى
ان البت كمان ماتت بعد امها ...كنت فاكرة لما

كلمتنى وانت جايبها على هنا .. ان دى بته من مرته
التانية .. مكنتش أعرف انى خليك تنتجم منيه فى أعز
حاجة عندى وهنا شهقت الحاجة فضيلة شهقة
مكبوتة واندفعت الدموع من عينيها اندفاعا وكأن سد
قد تحطم من جدار روحها ... لم يرى عاصم امه بذاك
الضعف وتلك الاستكانة لم يرى ابدا دموعها تغرق
وجهها ..

لم يحدث ذلك ابدا .. على الاقل أمامه .. لطالما
تساءل .. هل تبكى تلك المرأة مثل باقى النساء؟؟؟
..والآن .. فى تلك اللحظة يرى ذلك بعينه ..
اندفع اليها متعاطفا مع ضعفها الذى لم يألفه ... يربت
على كتفها ويقبل رأسها المنحنى خجلا تحاول ان
تدارى دموعها التى لم تستطع منع هطولها ..
-خلاص أهدى .. أهدى يا حاجة...

-عارف آخر حاجة جالتهالى فاطنة ايه فى جوابها
الاخير ليا .. كانت ساعتها فى شهرها .. على ولادة ..
جالتلى .. لو چت بت هچوزها لعاصم ولدك غصب عنه
.. وابتسمت فى وهن من بين دموعها .. عرفت ليه
جلتلك كنى انا اللى اخترتها .. وعرفت ليه .. انا بعاملها
احسن من سهام بتى لانها بت الغالية .. اللى
ظلمناها كلنا ومحدث حن عليها .. ابوها يوم ما خبى
على وجودها .. ويوم ما چاب لها مرت أب ما عرفتش
معاها طعم الحنية .. ودلوجت احنا ظلمناها .. يوم ما
فكرنا ندفعها تمن غلطة ابوها بچوازا بىك غصب
عنيها لو مكانش كل ده اسمه ظلم يا ولدى ...
او مال يبچى ايه الظلم !!؟؟..

تداعى اما ناظرى عاصم كثير من المواقف التى جعلت
الصورة واضحة أمامه بكل تفاصيلها ... معاملة امه لها

ابوه عندما رآها للمرة الاولى ... نادى عليها بأسم أمها..

الدكتور ناجى ولهفته لمقابلة أمه ليلة كتب الكتاب ليعرفها حقيقة الامر .. واخيرا ... ذاك الخوف المرضى من الظلام والذي يعتريها .. وسماعه لها تهزى باسم زوجة ابيها .. فى احدى تلك النوبات كانت دليل واضحا .. على سوء المعاملة التى كانت تتلقاها من تلك المرأة التى لا تعرف حتى هذه اللحظة انها ليست امها ...

-زهرة متعرفش كل ده طبعا..؟!..سأل وهو على يقين من الإجابة ولكن ليطمئن قلبه ...

-أبوها جالى انها متعرفش وعائز هو اللى يجولها بنفسه..

-ليه؟!..سأل عاصم فى حيرة..

-معرفاش... هو جالى كده ..

-ومنجلهاش احنا ليه ؟؟؟. وبعدين احنا مبنخدوش
أوامر منيه ناچی بيه ده ... قالها عاصم نزقا فى نفاذ
صبر

-اصبر بس يا ولدى ..ناچی ده بحوره غويطة .. مش
يمكن فى حاجات تانى منعرفهاش وممكن تضر زهرة ولا
حاجة عشان كده عايز هو يجلبها بنفسيه!؟.

لم يقتنع عاصم بكلام امه على الرغم من إظهاره عكس
ذلك .. لكنه قرر ان يطيعها ولا يخبر زهرة بحقيقتها ..
حتى يرى ما ستنطوى عليه الامور ..

واستأذن من أمه بعد ان أعطاها وعدا بعدم اخبار زهرة
بأى حرف مما دار بينهما .. مهما حدث .. حتى تعرف
متى ينوى ابيها ابلاغها...

لم يكن يدرك كلاهما ... عاصم وأمه .. أن هناك
شخص آخر كان يسترق السمع لحديثهما و يدرك الآن
سر زهرة ... وأصبح يعرف من تكون ...

اندفعت كالمجنونة تدخل دارهم فى عاصفة هوجاء
كالعادة ... تنادى امها بأعلى صوتها وهى فى قمة
الغضب لترد امها فى فزع:- ايه ... خبر ايه يا مخيلة
... داخلة واخدة فى وشك كده؟!..

كان ذلك رد الحاجة رتيبة على دخول ابنتها سمية
الاعصارى..

-خلااااااص .. هموت من الغيظ ياما... البت اللى
اتچوزها عاصم .. كل ما أجول هجلعها من هناك ...
تتبت اكثر واكثر ...

دخل فى تلك اللحظة اخيها سليم وهو يطلق صفيرا ينم
عن مزاجه الرائق وما ان رأى اخته تغلى من الغضب
حتى توقف يسأل فى اهتمام :- ايه اللى حُصل تانى
مخلى شكلك زى اللى غرج غيطه؟!..

-طبعا چاى ورايج ولا على بالك ... ما انت متعرفش
المصيبة اللى سمعت بيها فى دار عمك...

استطاعت ان تستحوذ الان على كل اهتمامه... بينما
أمهما تنظر لهما فى ضيق وكأن الامر لا يعنيهها.. فقالت
فى حنق:- لساكى ورا عاصم .. خليكى... والله ما تلومى
الا روحك.. وخليكى عايمة ورا عوم اخوكى... ما هو لو
ابوكى لساته عايش .. كنت خليته يلمك... لكن هجول
ايه .. أمر ربنا .. هتموتنى ناجصة عمر يا ولاد غسان ..
قالت كلماتها الناقمة واندفعت مبتعدة الى المطبخ
من حيث أتت..

بينما تحرك سليم ليجلس ملاصقا لأخته التى سألها فى
لهفة:- ايه اللى سمعته فى بيت عمك..!!؟؟.. جولى..
انطجى..

-عارف بت الدكتور ناچى اللى اتچوزها عصام دى
تبجى مين!؟؟

-تبجى الجمر ..البدر فى تمامه .. حظه دايمآ عالى
جايب السما حتى فى الحريم ... قالها فى غل وحقد
يقطر من كل حرف

-جمر ايه ... وزفت ايه؟!..انت جاصد تشلنى مش
كده...؟!..

-جولى طيب تبجى مين ...ومتزعليش

-تبجى بت خالته.. عرفت يا خووى..

-مش بجولك مخبلة .. خالته مين يا حزينه..!!؟..

-خالته فاطنة مرت ناچى التهامى... وهو كان جايل

للحاجة فضيلة انها ماتت ورا امها .. وعاصم لما جابها

غصب واتجوزها علشان يذل ناچى التهامى كان فاكرها

بته من مرته الثانية ... فهمت..

-ايه الحدوثة دى ..ما تتصدجش...

-بجلك سمعتهم بودنى وعاصم وأمه بيتكلموا .. عاصم

نفسه مكنش يعرف .. البت نفسها متعرفش لحد



دلوجت... يعنى زنجت زنجة سودا .. كنت عايزة
اخلى منها واخلىها من دار عمى .. تاريها متبته
بالجووى .. بت ... ناچى... قالتها وهى تزفر حانقة
زفرة حارقة أودعتها كل حقدتها ...

-دى شكلها اتغفلت بجد ... وراح يفرك جبينه
بسبابته وهو يفكر بعمق .. لاز بصمت شيطاني حتى
تفتق ذهنه اخيرا عن فكرة جعلته يقفز فرحا...انحنى
على اخته التى كانت تنتظر بفارغ صبر .. وفتحت
عيونها وأذناها على مصراعيها وهو يقول فى جزل :-
بصى انا لِسَّه شايف عاصم واد عمك رايح ناحية
إسطبلات الخيل .. هتروحيه .. وهتجوليله اللى
هجلهولك ده بالحرف ...سمعانى ...

هزت رأسها عدة مرات موافقة فى حماس وهى تتشرب
كل حرف ينطق به اخوها....

كان يتجه لأسطبلات الخيل تتنازعه الافكار وتعبث به
الخيالات بعد ذاك السر الدفين الذى قذفته امه
بوجهه....

لقد قلب ذاك السر كل الموازين ...

ما وضعها الان ...؟!.. وما وضعه هو؟!.. .. هل سيظل
يعاملها بنفس الطريقة المتأرجحة تلك !!؟!.. .. وكيف
وهو يدرك الان انها تستحق افضل معاملة ..؟!.. هل
من المنطقى ان ينقلب فجأة بالمعاملة للنقيض ..؟!.. و
كيف يمكنه ذلك ..؟!..

انه حتى لو أراد لن يستطيع .. انها تدفعه لتلك
المعاملة الخشنة .. بنظراتها النارية التى تحمل الكثير
من الندية والتحدى ..و.. كذلك

.. كذلك ماذا؟!.. لا يعرف .. عندما يراها أمامه ..
يحدث له أمورا لم يعهدها من قبل و تعتريه مشاعر
وأحاسيس لم يخبرها تجعله يريد الانتقام منها لأنها

السبب فيها .. لانه لا يدرك حاجته لمشاعر كالاهتمام والحنان .. الا بوجودها .. انها تدق حصون قلبه المنيعه بمعول من حنان ورقة لم يسبق له ان تجرعهما.. ان قلبه القاسى .. قلب الغول .. يئن لنظراتها البريئة .. ويأخذه الكبر عندما تنقلب تلك النظرات لنظرات تحدى وندية تجعله يفقد صوابه ليعود وحشا من جديد ...

انتفض من خيالاته عندما وجد شبح امرأة خلف احدى الأشجار يشير له .. نهض فى حذر وعندما اقترب أفصحت المرأة عن نفسها ...

-سمية ...؟!.. ايه اللى چابك هنا .. مرحتيش ليه على السرايا !؟.. قالها حانقا من ظهورها المفاجئ فى مكان يعج بالرجال التى تأتى لمقابلته من كل صوب وجهة.. -عيزاك ضرورى فى أمر مهم ميتأجلش ..

-استنينى فى السرايا .. روحى .. واستدار مغادرا
ليقطع عليها استرسالها فى الحديث .. لكنها
استطاعت ان تجذب انتباهه مرة أخرى عندما هتفت
... موضوع بخصوص مرتك..

استدار بكليته ليواجهها وقد ضاقت عيناه وهو يسأل
فى حيرة :- موضوع ايه .. !!؟؟ .. صمتت فى دهاء ..
لتثير فضوله .. الا انه هتف فى نفاذ صبر .. ما تنطجى
.. موضوع ايه !!

-مرتك .. بتتوالس مع واد عمها على اختك ..؟؟!..
-ايه اللى بتجوليه ده..؟؟؟ .. شكلك اتجنيتى ...هتف
بغضب مكتوم

-لاه .. متجنتش ولسه بعجلى يا واد عمى .. مش
مصدقنى.. روح شوفهم عند غيط الفاكهة هتلاجيها
واجفة مع واد عمها حسام وفى يدها سهام ..

كان يسمع كلماتها التي تشتعل كراهية وحقد وهو يغلى غضبا وحنقاَ ظهر في كلماته وهو يقول :
- عارفة لو اللى بتجوليه ده مطلعش صوح ..هعمل ايه
..؟!..

نظرت اليه في دلال وهى تقول فى غنج :- اعمل فيا
الى انت عاوزه انا جابلة... بس انا عمرى ما اكذب
عليك ..انت بالذات يا واد عمى ... ولولا ما انت
تهمنى وشرف الهوارية اللى انت رافعة دايمافوج
راس الكل يهمنى ...مكنتش جيت وجلتلك علشان فى
الآخر يبجى جزاتى تعاملنى كده ... قالت كلماتها
الاخيرة وهى تقترب منه فى اغراء لم ينتبه له ورأسه
تموج بالكثير من الافكار وقلبه يغلى على مرجل
مشتعل ..

دفعها عنه وهب مسرعا ليقفز فى رشاقة ليعتلي
صهوة جواده سلطان ويندفع حيث غيط الموالح ...
تسرع فى أثره شياطين الدنيا ...

-مش يا الله بقى يا سهام .. الشمس حامية .. وأنا
تعبت الصراحة..خلينا نرجع السرايا ... بقالنا كتير
هنا..

-لااه ..شوية كمان يا زهرة ... قالتها سهام متشبثة فى
ذراعها كالأطفال... هو احنا ورانا ايه لما نرجع .. ولا
اتوحشتى عاصم ..اعترفى..

على الرغم من ان زهرة تفاجأت بسؤال سهام الاخير الا
انها حاولت التظاهر بثباتها على قدر المتستطاع وهى
تبتسم فى هدوء :- طيب خلاص .. هنقعد كمان شوية
صغيرين عشان خاطرك .. وفجأة سمعوا سلاما ...

- السلام عليكم .. نطقها حسام من خلفهما جعلهما
تستديران فى سرعة لتكون سهام اول من أجاب
بإشراقة غير معتادة على وجهها..

-وعليكم السلام يا استاذ حسام .. ثم أجابت زهرة ..

-أزيك يا حسام وأزى عمى..!!؟ ...

-الله يسلمك يا داكثورة .. تمام ..بيسلم عليك..

كان يحدثها لكن عيونه تنصب على سهام لا تغادرها..
وهى على غير العادة مستمتعة .. تقابل نظراته
بابتسامة عذبة خجول ..

ماذا يحدث هنا !!؟؟... سألت زهرة نفسها وهى
تتعجب مما ترى ..أين ذهب شجار القط والفأر والذى
يبدأ عندما يجتمعا .. !!؟؟...

لا تعرف لما شعرت بالخطر فجذبت سهام من يدها
وهى تقول :- طيب احنا كْنَا لِسه ماشيين يا حسام
عشان اتأخرنا..

-لسه بدرى يا زهرة .. جذبت سهام يدها .. مستعجلة
ليه .. !!؟..

-ايوه صح يا بت عمى .. مستعجلة ليه!؟..سأل حسام
بدوره ..

-لا مش مستعجلة ولا حاجة .. بس اصل احنا بقالنا
كثير هنا وأتأخرنا.. ولازم نرجع ... قالت زهرة بلهجة
تحذيرية لسهام ..

-انا اللى اتأخرت .. قالها فى ابتسامة اعتذار وهو ينظر
لسهام ..

فزاد شعور زهرة بخطر ما يحدق بهم جميعا ... ان
إحساسها فى ذاك الصدد لا يكذب ابدا ... شعرت بأن
برودة ما تجتاح معدتها وهى تتذكر ان ذلك كان نفس
الهاتف الملح عليها .. عندما اختطفها عاصم .. لابد
وان يرحلوا الان .. وفورا ..

-ألحجيني يا داكثورة .. جاموستى بتموت ..

قالها احد الفلاحين والذى يبدو عليه الهلع والخوف
من فقدان بهيمته الغالية .. والذى ظهر فجأة من
العدم أمامهم جميعا ... وقد وجدت زهرة ظهوره
نجدة بعثها الله فى الوقت المناسب .. لتحجم ذاك
الشعور المتناهى بالخطر والذى اعتراها منذ ظهور
حسام ..

-فين يا حاج ... أهدى ودلنى على مكانها .. وانا تحت
امرك ..

وسارت زهرة خلفه تجذب فى يدها سهام التى كانت
تسير خلفها مغصوبة فى ضيق واضح .. كطفلة أنهموا
رحلتها المحببة فجأة رغما عنها ... لكن حسام تبعهم
مصرأ .. كان دار الرجل وزريبة ماشيته تقع فى الركن
القريب من حقل الموالح ... فوصلت زهرة لتلتفت
وتجد حسام مازال يسير خلفهما..

-تقدر تمشى يا حسام .. انا هشوف جاموسة الراجل
الطيب ده وهنروح على طووول .. قالتها وهى تنظر
لسهام نظرة تحذيرية كى لا تعارض كلامها .. فصمتت
متزمرة.. اما حسام فقال فى ثبات ..

-لا ميهمكيش يا بت عمى .. شوفى شغلك .. وانا
هستناكم...مينفعش تفضلوا هنا من غير راجل
معاكم...

لم تكن تملك الوقت لتجادلها وذاك الرجل الفقير
يتعجلها..

فدخلت زريبة ماشيته وهى تجذب سهام خلفها
وتترك حسام خارجها... ولم تدرك وهى تندمج فى
عملها .. بشغف كالعاده ان سهام غافلتها وخرجت
متسللة لتقف مع حسام خارجا ..
-أتأخرت على فكرة وكنت همشى بجد .. قالتها سهام
فى دلال

-معلش.. غصب عنى .. ده انا چيت چرى.. وسبت
كل اللى فى يدى .. عشان اشوفك لما عرفت أنكم
هنا..

ابتسمت فى خجل وهى تتطلع اليه هائلة:- خلاص ..
سماح المرة دى ..

-تفتكرى زهرة خدت بالها؟!..سألها فى توجس
-هى حست اكيد بس مش متأكدة طبعا لأنى
مچلتلهاش حاجة..

-ربنا يستر .. لأن .. وقطع استرساله عندما وجد
عيونها تجحظ فجأة وتنتفض فى هلع لتجرى مسرعة
ناحية الزريبة التى تتواجد بها زهرة صارخة فى ذعر:-
ألحجبنى يا زهرة ... ألحجبنى يا مرت اخوى .. اخوى
چاى على هنا وشافنى مع حسام واد عمك ...
كان صراخها كفيل بأن يفزع ليس زهرة وحدها بل تلك
البهيمة ايضا والتى انتهت زهرة من علاجها اخيرا

لننتفض البهيمة فى ذعر متقهقرة لتصدم زهرة
وتسقطها أرضا وتدهس على قدمها بحافرها الضخم ...
لتتعالى صرخات زهرة هذه المرة ويندفع كلا الرجلين
..عاصم وحسام ... لداخل الزريبة بعد ان كان كل
منهما يقف قبالة الآخر كليث فى سبيله للدفاع عن
مملكته وصرخاتها فقط هى التى جذبت انتباههما
بعيدا عن صراعهما..

اندفع عاصم فى جزع ناحية زهرة التى كانت ترقد بلا
حول ولا قوة جبينها يتصبب عرقا وعيونها تغم من
دموع ألم تحاول كتمانها ... نظر لحظات لأخته فى
حنق واضح وهتف بها :-روحي نادى حسان بالكارثة
على هنا بسرعة .. واستنينا فيها

سمعانى .. ودقق على الكلمة الاخيرة التى قالها من بين
اسنانه ..

اندفعت هى تنفذ فى سرعة اقرب لسرعة الضوء المهم
انها تختفى من امام نظراته الان بأى ثمن ..
وجه أنظاره لزهرة التى زاد عليها الالم .. اقترب ليضع
يديه خلف ظهرها تمهيدا لحملها لكنها أبّت فى اصرار
.. فمد يده لتستند عليها ... وضعت كفها الرقيقة فى
كفه الرجولية الضخمة فكانت كنجمة فى احضان
السماء ... سرت فى جسدها أرتعاشة وهو يطبق على
كفها حتى تستطيع تحميل جسدها على كفه ..
فأرجعتها لإحساسها المتزايد بالالم ليس اكثر ...
صرخت للمرة الثانية ألما عندما لامست قدمها الارض
.. وتهافت .. لثوان ظنت انها عادت للأرض من جديد
.. لكنها كانت بين ذراعيه ... لماذا دوما لا تحدث لها
المصائب الا وهو قريب منها ويكون نتيجتها الحتمية
هى الارتكان على تلك الذراعين والاحتماء بذاك
الصدر!؟..

لماذا لا يدعها بمصائبها فى سلام ..
فجأة وجدت نفسها مرفوعة إجباريا لمستوى صدره
ينظر اليها نظرات عجيبة .. مبهمة ..
نظرات تحمل من البغض والكراهية بقدر ما تحمله من
الإشفاق والخوف عليها ...
ما به ..؟!.. و لماذا يبدو غريبا عنها متباعدا على الرغم
من انها بين ذراعيه!..؟..

حملها ليتوجه بها خارجا حيث عربة حسان التى
وصلت الآن لكنها لازالت تشعر ببعده عنها بعد
المشرق عن المغرب!..؟؟.. ذراعه متصلبتان حولها
وعيونهم زائغة لا تريد ان تقابل نظراتها كأنما تتهرب
منها وجسده متشنج يكاد يكون عودا من صلب ..
وضعها بسهولة فى العربة بجوار سهام التى كانت
مطأطئة الرأس لا تريد مقابلة نظراته ... اما هى فكان
يتحاشى نظراتها متعمداً بشكل عجيب تحركت العربة

.. وتركت حسام خلفها يرمقه عاصم بنظرات متوعدة كادت ان تحرقه حيًا ... لم ينطق الا بكلمة واحدة كانت موجهة لحسان ليتوجه لعيادة الطبيب ليفحص قدم زهرة المصابة والتي ألقى عليها نظرة سريعة قبل ان يبعد نظراته عنها متجاهلا إياها ..

كانت العرببة تسير بهم متأرجحة على تلك الطرق الغير ممهدة فتزيد من ألم ساقها الذى بدأ يطرد مع كل اهتزاز للعربة .. كانت تتطلع اليه خلسة فتجده صامت متجاهل على غير عادته ..

لماذا تشعر ان ذاك السكون ما هو الا سكون ما قبل العاصفة .. وان خلف ذاك الصمت المريب الكثير من الافكار والخواطر التى لا يعلم مدى خطورتها الا الله ... هل رؤيته لحسام وسهام معا هى سبب تغيره المفاجئ هذا ...؟؟؟

نهزت نفسها فى عنف ناعته نفسها بالغباء هاتفة
بداخلها :- طبعا لها تأثيرها .. ده أكيد ...

أَلقت نظرة على سهام التى تجلس بجوارها ترتعش رعبا
لا تجرؤ على رفع رأسها ومقابلة نظراته .. انها حقا
تشفق عليها .. ماذا ينوى ان يفعل مع تلك
المسكينة!؟؟...

لم تعرف انهم وصلوا للوحدة الا عندما بدأت العربة فى
التباطئ ..

وطالعهم بناء ابيض من دور واحد يفصح عن نفسه ..
نزل عاصم فى هدوء ولم ينتظر ان تسمح له بحملها بل
حملها فى سرعة ومهارة لتعود مرة اخرى لحصار
ذراعيه المتشنجتين وقبل ان يدخل للوحدة الصحية
استدار لسهام يأمرها بصوت كالفحيح :- متحركيش
من عندك لحد ما نرجعوا...

لم تجرؤ على التفوه بكلمة بل هزت رأسها عدة مرات
ايجابا..

دخل للوحدة فاستقبله الطبيب فى ترحاب متسائلا:-
خير يا عاصم بيه ... المدام فيها حاجة...وهو ينظر
لزهرة التى يحملها بين ذراعيه بوجه متجههم ...
-أه يا دكتور .. يا ريت تشوفها .. كانت بتكشف على
بهيمة من البهايم وداست على رجلها .. هنا جريب
منك فجلنا نعدى عليك أسرع .. بدل ما نروح السرايا
ونتعبك تاچى...

-الف سلامة يا هانم ... قالها الطبيب وعاصم يضع
زهرة على سرير الكشف الطبى ... واقترب من زهرة
يسألها .. عن كيفية حدوث الإصابة من جديد فسردت
له ما حدث دون التطرق للجزء الخاص بسهام ..
وبأفزاها لها وللبهيمة والتى كانت السبب الأساسى
فيما حدث ...

- طيب نكشف على رجلك ونشوف ... وامتدت يد الطبيب تكشف عن قدمها غطاء الكشف الأبيض .. الا انها لاحظت وقوف عصام فى مكانه لا يتزحزح ... فوضعت يدها على الغطاء لا تريد ابعاده عن قدمها ... تسمر الطبيب فى مكانه شاعراً بالإحراج .. نظرات عاصم الموجهة لها كانت لامبالية بشكل كبير لكن على الرغم من ذلك ... قال بصوت هادئ ولم يحول نظراته عنها :-
اكشف من فوج الغطا يا داکتور ..

امثل الطبيب لأوامره وما ان امتدت يده لتلامس موضع الإصابة الذى بدأ يتورم حتى ندت عنها أهة عميقة .. جعلته ينتفض رغما عنه وكمحاوله للتستر على تلك الانتفاضة .سأل الطبيب فى اهتمام :-خير يا داکتور .. فى حاجة چامدة ...؟؟!!..

-لا متقلش حضرتك .. هى بس كدمة شديدة شوية ..
لازم لها الراحة .. وانها مدسش على رجليها المصابة ..
أوتحمل عليها بتقل جسمها على قدر الإمكان .. مع
رباط ضاغط وشوية أدوية .. والراحة بكثيره اسبوع
هاتبقى تمام ان شاء الله ..

-تمام .. قالها عاصم وهو يهز رأسه فى تفهم ثم يستدير
اليها بكليته ... ليحملها من جديد ...

يا ليتها تستطيع السير لتبتعد عن ذراعيه مئات
الاميال .. قالت لنفسها وهى تكتم انفاسها قابعة فى
ذاك التجويف المسمى صدره تتسلل اليها رائحة عطره
الرجولى وتنصت لتلك الدقات الصاخبة التى يصدرها
ذاك القلب القاسى .. تلك النبضات التى يتردد صداها
فى ذاك التجويف الذى تحتله بين ذراعيه وكأنها
طبول تعلن الحرب ..

رفعت ناظريها فى حذر لتطالع ذاك الذقن الغير حليق
والذى أعطاه مظهرأ أشبه بالقراصنة وقطاع الطرق ..
ذقن متعجرف مثل صاحبه يرفعه فى ثقة من لا يهاب
شيئاً ..عند نهايته يقبع ذاك الشريان الذى ينتفض فى
قوة تنذر بالخطر ..تعلقت عيناها بذاك الشريان بشكل
لأرادى لا تحيد بعينيها عنه ولم تدرك انه تنبه
لعينيها المعلقة به الا وهو يضعها على فراشها ..
لقد وصلت السرايى .. ولم تشعر وقد استغرقت الطريق
كله فى تأمله .. انزلها فى بطاء وحرص شديدين وكأنها
مصنوعة من زجاج .. وما ان سحب ذراعيه من تحتها
حتى استند بهما على الوسادة التى تريح ظهرها عليها
لتصبح اسيرته من جديد .. لم يتفوه بكلمة .. لم لا
يتكلم .. لم لا يثور ويتوعد كعادته... كل ما نالها منه
... هى تلك النظرات المختلطة التى تربكها بحق ...

تلك السهام التى يرسلها بعينه تحمل خليط من
مشاعر لا تستطيع فصلها .. وتمييزها..

انها ترتعش الآن .. وهى لا تستطيع الهرب من تلك
النظرات المحاصرة لها .. تكتم انفاسها التى لا تستطيع
اخراجها من صدرها و الذى بدأ يضج بتلك الدقات
الصاخبة التى تمزقه..

واخيرا ... ابتعد فى بطاء .. ليسير باتجاه الباب ويقول
بنبرة عميقة:- هبعت لك الدوا اللى كتبه الداكتور
مع خال.. وصمت فجأة.... ليستدرك مع الحاجة..
وخرج واغلق الباب فى هدوء...

رسوى جادوى

الفصل التاسع

سار عبر الممر القصير الذى يفصل جناحه عن باقى
غرف السراى ليمر بجوار غرفة سهام .. ليتوقف قليلا
.. ويطرق الباب .. دخل ليجدها تقبع متكومة فى احد
جوانب فراشها .. وما ان رآته حتى انتفضت واقفة ..
تراجع للخلف كلما تقدم منها ..

تعلو وجهها علامات الرعب من مجرد التفكير فى ردة
فعله والتى تتوقعها شرسة بالطبع .. اصبحت الآن
تلتصق بالحائط خلفها لا ملجأ اخر تأوى اليه ...

وقف يتطلع اليها لبرهة من الزمن مرت عليها دهراً
قبل ان ينطق متسائلاً بصوت هادر :- ايه اللى بينك
وبين بن جدرى التهامى ..؟!

انتفضت وهى تجيب فى سرعة وبحروف مضطربة :-
ها يكون ايه يعنى ... مفيش يا خووى ... ده انى

مشفتوش غير مرتين فى الارض مع زهرة ... حتى
أسألها .. ده انى حتى مكنتش أعرفه جبل سابج ... ولا
عمرى شفته..

-يعنى فى المرتين شفتيه مع زهرة؟!..سأل بلهجة
عجيبة لم تفهمها .. لكنها أجابت بسرعة :- إيووه كنت
معاها .. أسألها حتى وهى تجولك ...

-ما أنا هسألها ... همس فى لهجة مسمومة وهو يشرد
فى تخيلات شتى حتى انتبه مرة أخرى ليسلط نظراته
القائمة على أخته التى انتفضت من جديد وهو يقول:-
مفيش خروج تانى ليكم بره السرايا الا معاى.. فاهمة !?
-إيووه... فاهمة فاهمة ..أمرك يا خووى..

واستدار ليخرج من الغرفة كالعاصفة صافقا الباب
خلفه فى عنف ...

تناولت دواءها الذى أحضرته لها الحاجة فضيلة وهى
ملتاعة بعد ان علمت بما حدث ... جالستها قليلا ..
ثم تركتها لتستريح ..

لأن دواءها يسبب النعاس ... استلقت على الفراش
وأغمضت عينيها .. لكن ذاك النعاس المزعوم لم يزور
جفونها .. كانت تتمنى لو تستطيع ان تأخذ حماما
دافئا يلقي عنها ذاك الأرق السخيف الغير مبرر
ويدفعها للنوم .. وكالعادة دون تفكير مسبق .. نهضت
فى بطاء تتوجه للحمام وهى تقفز على قدم واحدة ..
وحمدت الله ان ما من احد تنبه ان قدمها المصابة
بدون ذاك الرباط الضاغط الذى أوصى به الطبيب ..
فلا قدرة لها على الانحناء لتفكه او تربطه من جديد ...
بدأت تلهث بسبب قفزاتها المتتالية ولازال باب
الحمام بعيدا ... ستفقد وعيها حتى تصل هناك قالتها
فى خيبة أمل وأخيرا وبعد معاناة وصلت لأعتاب

الحمام وكادت ان ترقص فرحا الا ان صوت باب
الغرفة الذى فُتح فجأة ... أجفلها .. فكادت تسقط ..
ولكن كالعادة تلك الذراعين تلقفاها من جديد .. لما
تشعر أنهما أصبحا قدرها هما وصاحبهما ..؟!..
-جمتى ليه من سَريرك ..؟!.. سأل فى حنق
..منادمتيش ليه على حد يساعدك؟!..
-أكيد الكل نام دلوقت .. محبتش أزعج حد ... قالتها
متوترة

-هناديلك سهام .. قالها وهو يحاول مساعدتها لتجلس
على احد المقاعد المجاورة ..
-لا مفيش داعى ... قالتها فى سرعة .. ده أنا كنت
هاخد حمام عشان اعرف انام ...
اللعنة على تسرعها وزلات لسانها التى لاتنتهى ...
لماذا ينزلق لسانها دوما ولا يكبح جماح عشقه لسرد
التفاصيل .. وله هو بالذات ...

فجأة لمعت عيناه ببريق عجيب جعل انفاسها تتوقف
عندما قال :

- بسيطة .. عايزة تاخدى حمام .. مفيش اسهل من
كده ..

-ايه هو اللى بسيط ده ومفيش اسهل منه ...!!؟ .. سألت
بتوجس وبنبرات متوترة...

لم يجيبها بل حملها بذاك المقعد الذى تجلس عليه
وتوجه للحمام ...

شهقت وقالت فى فزع حقيقى :-من فضلك نزلنى ...
خلاص مش عايزة .. انا خلاص جالى نوم والله .. رجعنى
على سريرى لو سمحت ...

-أولا ده مش سَيرِك .. ده سَيرِى أنا .. ثانيا .. انا مش
سواج چنابك تجوليلى نزلنى هنا يا أسطى .. أجوم
اسمع الكلام وانزلك .. ثالثا .. ووده الأهم .. أنتِ عايزة
تخدى حمام يبچى لازماً تخدى حمام .. انا مرتى

متنامش ونفسها فى حاجة أبداً ... قالها بلهجة مازحة
مشاكسا إياها ..

-طيب انا نفسى ارجع الاوضة ... قالتها وهى تعتقد
انها نجحت فى إمساك نقطة عليه ..

-من عنايا ... هارچعك طبعاً

-صحيح.. قالتها مقاطعة.. لكن بعد الحمام ..

استدرك وشعرت هى بخيبة الامل وهى تراه يعدل من

ضبط المياه الساخنة والباردة من صنوبر المغطس

الذى أزاح ستائره جانبا ... وما ان وصل ضبط المياه

لدرجة معقولة .. حتى حملها وكرسيها ليدخلهما

المغطس شهقت هى فى عدم تصديق لما يحدث

وزادت شهقاتها عمقا عندما مد يده لأسفل ذقنها

ليفك رباط حجابها فأنتفضت متمسكة به وهى تهتف

فى ذعر :

- أنت بتعمل ايه ..!؟

-حد هياخد دش بالحجاب..؟!؟ رد لها سؤالها بسؤال متخابثاً ولا زالت لهجته المرححة تبطن كلامه...

-يعنى هو فى حد بياخد دش بهدومه؟!؟ قالتها فى تهورثم لعنت نفسها الف مرة ... لما لاتصمت ..؟!...
لما لاتخرس وتبتلع لسانها الذى سيوردها يوم ما موارد التهلكة ..؟!... ان لم يحدث ذلك اليوم... الآن .. وفى تلك اللحظة .. ابتعدت يديه عن عنقها لتبرق عيونه من جديد بنظرات عابثة وهو يقول:- تصدجى صوح ..؟!... وهم بالاقتراب منها الا انها صرخت فى زعر... جعلته يتراجع ضاحكا مؤكدا انه ما كان فاعلها وإنما هو تهديد ليفزعها ليس أكثر.. خرج من الغرفة لحظات ليعود بمقص فى يده جعلها تجفل وهى تتمسك بأطراف عباءتها..

امتدت يده لتقص عباءتها على احد جانبيها وهى لازالت تتمسك بها تضمها اليها حتى انتهى وقد غامت

عيناه واختفى البريق العاثر ليحل محله قتامة
تحجب الرؤية تماما عن قراءة اى مشاعر تسكن تلك
العينين ...همس بصوت متحشرج يحاول تغليفه
بالمرح :- واحدة بواحدة ... فتذكرت ما فعلته بجلبابه
عندما أصيبت كتفه فكتمت ضحكة كادت تقفز على
شفتيها وتنبهت وهو يقول :- خدى راحتك ولما
تخلصى نادينى ... وتناول مِئْزَر من خلف الباب
ووضعه على مقعد اخر بجوار المغطس قائلاً .. إلبسى
ده .. ها يبجى سهل عليكِ ... واستدار خارجاً وتنفست
الصعداء ... وهى تحاول تنفيذ ما نصحتها به ...
وأعترفت انها ما كانت لتستطيع خلع تلك العباءة
بمفردها مع حال قدمها المتورم وداخل المغطس الذى
قد يعرضها للأنزلاق وحدوث كارثة أخرى ...
انتهت من حمامها .غير قادرة على مناداته لا تواتيها
الشجاعة لتفعل ولم تكن فى حاجة لذلك فعندما سمع

صوت خرير الماء وقد توقف منذ مدة وهى لم تنتهى .. فقلق .. وجاء يطمئن ببعض طرقات على الباب فسمحت له بالدخول ... توجه لها ليحملها من جديد ولكن هذه المرة .. أنتقلت لها عدوى التشنج لتكون من نصيبها .. خاصة وهى تلملم أطراف مئزرها الحريري .. عند نهاية عنقها تارة .. وأسفل ركبتها تارة أخرى غير قادرة على تثبيت تلك المنشفة التى جمعت بها شعرها الندى بديل عن حجابها ... لتسقط غير مأسوف عليها وهو يضعها على الفراش ... ليتناثر شعرها الرطب على ذراعه التى كانت لاتزال تحيط بكتفها .. وضعها ببطء وهو يحاول بمجهود جبار كتم شهقة ندت عنه وهو يزيح ذراعه لتساقط جدائل شعرها مارة بساعده ليقف لحظات مبهورا .. ثم يتحرك فى هدوء يحسد عليه حيث موضع أدويتها على الجانب الآخر من الفراش ليتناول ذاك الدهان .. حانت

منها إلتفاتة تجاهه وهى تجمع شعرها وتضع علي رأسها تلك المنشفة التى ولحسن الحظ سقطت بالقرب من رأسها .. وجدته يتناول بين يديه الرباط الضاغط .. اذن فهو لم ينساه .. عاد من جديد ليجلس أسفل قدميها و لم تستطع هى ان تأتى بأى حركة مع ذاك المئزر الحريري الذى يقيد حركتها .. مد كفه ليتناول قدمها ويرفعها ليضعها على فخذة .. فتندفع هى تلملم أطراف ذاك المئزر اللعين لتغطى ما تصل له يديها .. فلا تنكشف ساقيهها... كانت يداه ماهرتين تعرفان موضع الألم بالضبط.. كيد خبير وضع الدهان وبدأ فى نشره ... بحركات دائرية حول موضع التورم شعرت بالراحة ...وبدأ الأسترخاء يدب فى أوصالها .. حتى انتهى أخيرا فتناول الرباط الضاغط وبدأ فى لفه حول كاحلها وموضع التورم ... لم يرفع رأسه عن قدمها طوال فترة عمله .. وما أن انتهى حتى أعاد قدمها

لموضعها ونهض صاحباً غطاء الفراش على جسدها
وأطفأ الأنوار ليعم الصمت التام الذى لا يقطعه الا
وجيب القلوب ..

وذاك الأرق الذى طرد النعاس بلا رجعة ولم يزورهما
حتى خيوط الصباح الأولى ..

استيقظ متمللاً بسبب النوم على تلك الأريكة التى لا
تناسب طوله الفارع .. تمطع يشعربتيبس ظهره وتطلع
حوله لا يدرى كم الساعة الآن ... فالستائر تعتم
الحجرة بالكامل فلا تدرك فى اى ساعة تكون ... من
نهار او ليل ..

نظر لشاشة هاتفه ليفاجئ انها تخطت التاسعة .. نهض
فى ثقاقل ... عظامه تئن .. يسير متسللاً حتى لا يوقظ
زهرة وقد أرهف السمع فتناهى لمسامعه صوت
تنفسها المنتظم مما يؤكد انها لاتزل تغط فى نوم عميق
.. وقف يتأمل محياها .. وبداخله ألف تساؤل تثير

شكوكه مرة .. وتطمئنه مرة.. لا يعرف أيهما يصدق
!!؟.. هل يمكن ان يكون ادعاء سمية صحيح ..؟!.. هل
يمكن ان يصل انتقامها مما فعله بها حد توريث اخته
سهم مع بن عمها ؟!.. ام ان شكوكه تلك مجرد شكوك
حمقاء لا أساس لها من الصحة !!؟.. كيف يكتشف
ذلك !!؟..و كيف يتركها تمر بفعلتها تلك بدون
عقاب..؟!.. وفي المقابل .. كيف له معاقبتها بعد ذاك
السر الذي أفصحت عنه الحاجة فضيلة .. والذي
يستوجب منه حسن معاملتها لا الاساءة لابنة خالته
الراحلة؟!..

الكثير من الظنون ومئات الأسئلة .. ولا إجابة واحدة
ترضيه وتريح باله.. تنهد في ضيق وخرج في هدوء..
هبط الدرج لتقابله امه بابتسامة بشوش حيث تجلس
في صدر الدار حيث جلستها المفضلة .. جلس صامتا

يبدو عليه الإجهاد .. وأثار الأرق بادية على ملامح وجهه..

ربت أمه على كتفه ... وكأنها تدرك ما يعانيه من تخطيط..

-زهرة زينة النهاردة...!!؟؟..سالت لتبادر بكسر حاجز صمته

هز رأسه أن نعم:-الحمد لله .. أحسن .. سبتها نائمة ..الداكتور جالى الأدوية اللى بتأخذها...عتخليها تنعس ولازماً ترتاح ..

-وانت ؟!!..ميتا هايرتاح بالك ..!!؟؟..
-أماااا...قالها متنهدا فى نفاذ صبر ... شالله يخليك مطلباش هى حكاوى ملهاش عازة... أنا مفيجش..

-زهرة حلالك يا ولدى .. قالتها فى هدوء من يقرر حقيقة غائبة عن ذهنه.. جعلته ينتبه بكليته لها عاقدا جبينه فى حيرة .. وهو يقول فى صوت متحشرج :

- جصدك أيه..؟!؟

-جصدى انك تجربها منيك وتراضيهها وتكسب جلبها بالحنية .. و...كان يرهف السمع لكلمات امه بكل مسامعه وقد لاقت صدى محبب فى قلبه وعقله .. عندما قاطعه الخفير سعيد متنحنحا :- عاصم بيه .. فى حد طالب يجابل الداكتورة

-حد مين ده...!!؟؟..تساءل فى تعجب وانتفض واقفا...ليندفع خارج السرائى يقف على درجاتها الأمامية ينتظر دخول ذاك الشخص الذى كان يقترب وهو يلهث من فرط ثقل ما يحمل ..والذى وضعه أخيرا على الارض زافرا فى راحة.

كانت قد استفاقت من نومها تشعر بألم قدمها وقد تحسن قليلا ... لكنها تشعر بالوحدة والرغبة فى استنشاق الهواء النقى .. سقط نظرها على شئ ما يبرق فى ظلمة الحجرة ..

تمعنت النظر قليلا لتكتشف انه الرأس الفضى لعصا
عاصم الابنوسية ...إذن فهو لم يخرج بعد وإلا ما كانت
عصاه هنامتى استيقظ يا ترى .!؟ تناولت العصا فى
رهبة و استندت عليها وبدأت تتوجه ناحية الشرفة ...
وصلت أخيرا وفتحتها لتجلس على أحد المقاعد تتطلع
لذلك النهار المبهر وتملاً رثتها بذاك النسيم العليل ..
شاهدت من البعد سعيد الخفير يفتح باب السرائى
لشخص بحمل ما ... عندما أقرب لينزل ما يحمل كان
تحت شرفتها تمام فتعرفت عليه .. أليس ذلك هو
الفلاح الذى عالجت بهيمته بالأمس والتي تسببت فى
أصابتها.؟!..ما الذى آتى به إلى هنا!؟..

سمعت صوت عاصم والذى ميزته نبضات قلبها
المتسارعة قبل أذنيها يسأل الرجل المسكين الذى
يقف أمامه بلا حول ولا قوة:

-خير.. أنت مين؟!..وتعرف الداكتورة منين وعايزها
فى أيه !!؟؟...

أرتبك الرجل أمام ذاك الكم من الأسئلة وخاصة أنه
يقف أمام عاصم الهوارى بجلال قدره ..

تردد الرجل فى خوف وهو يقول :

- أنى ..حامد أبو عامر يا عاصم بيه ... أنا اللى الست
الداكتورة لحجت چاموستى إمبارح ..وكانت السبب
فى اللى حصل لرجلها ..

-وأيه اللى جايبة فى يدك ده...؟!..سأل عاصم فى
ريبة..

-ده سطل لبن ... جلت والله ما حد دايجه جبل ما
أجيبه للداكتورة .. كفاية تعبها معاي واللى حصلها
بسببى ..

-أأأأأه ... هدية يعنى ...!!!..سأل عاصم
مبتسما....مما شجع الرجل على الابتسام قليلا بعد ان
كان ينتفض رعبا ..

-حاجة على كدنا يا بيه .. مش كد مجام الداكتورة ..
بس والله ده أنى حرمة على بيتى .. جبل ما هى
تدوجه ...كفاية انها عالجت الچاموسة اللى حيلتى ..
واللى فاتحه دارى .. ربنا يبارك لها فى صحتها يا رب..
كانت زهرة تستمع إلى الحديث الدائر من الشرفة وقد
همت بالإستدارة لتدخل للحجرة فهى لا تريد أن ترى ..
كيف سيتعامل الغول بغيرته المعتادة مع ذلك
الرجل المسكين ..لن تتحمل رؤية ذلك ...لكن للعجب
.. سمعت قهقهاته وهو ينزل الدرجات الأمامية للسراى
ويتوجه للرجل ويربت على كتفه فى ود كأنه صديق
قديم هاتفا :-هدية مجبولة يا حامد ... وبجولك
أيه!!؟؟..

-أأمرنى يا عاصم بيه ؟؟!..قالها الرجل فى صدق..
ورغبة فى التنفيذ .

-أنت السبوع ده كله .. ولحد لما تجوم الداكتورة
بالسلامة تجيب يومى لبن الچاموسة ... بس إيه ..
هتاخذ تمنه .. بتاع النهاردة بس هنجبلوه هدية ..
ماالشى ..!؟

-ربنا يجبر بخاطرك يا عاصم بيه .. ههل الرجل فرحا ..
فأشار له عاصم لباب جانبى يُدخل إليه سطل اللبن
يؤدى به لداخل مطبخ السراى .. وأشار لسعيد خفيه
فأقترب ملبياً

-جول لأمك يا سعيد تديله اللى فيه النصيب من طبخ
النهاردة ...

-يا بيه هو كان يطول .. ده كفاية اللى حُصل بسببه
للاكتورة..

-سعيد ..نهره عاصم ...روح أعمل اللى بجولك عليه
من غير كتر حديث أنت مسمعهوش بيجولك حرمه
على بيته .. وده اكل عيشه من بيع اللبن ... يرجع
لعياله بأيه يا حزين ...؟؟!!..

هز سعيد رأسه متفهما عندما ظهر الرجل من جديد
يهم بالانصراف إلا ان سعيد أوقفه ليعود به من جديد
لداخل المطبخ .. سار عاصم الهوينى يبتسم فى حبور
يشعر بسلام داخلى لم يعهده منذ زمن طويل .. شعور
من الراحة النفسية يغمره ويحتل روحه .. شعور قد
فارقه ولم يعود اليه منذ أمد بعيد .. أبتسم لنفسه فى
سعادة من جديد.. ليجد الرجل قد عاد يحمل ما فيه
النصيب مهللا بالدعاء:- ربنا يبارك لك يا عاصم بيه ..
ربنا يحفظك ست الداكتورة يا رب ..ويجعلها جوازة
العمر والسعد والهنا ..ويرزجكم بالذرية الصالحة ..
ياارب ..

قهقهه عاصم وهو يضع يده فى جيب صديريه وهو
يقول :

- وعلشان الدعوتين الحلوين دوول .. خد دوول
لعيالك..

مد الرجل يده يتناول ما جاد به عاصم وهو يهمس غير
مصدق :- وكن الليلة ليلة عيد ..

انفجر عاصم ضاحكا من جديد.. وهو يربت على كتف
الرجل .. الذى استدار مغادرا وهو يقلب فى النقود غير
مصدق واخيرا استدار فجأة لعاصم هاتفاً بلهجة تحمل
صدق الدنيا كله فى كلمات صاغها بفطرته :- ربنا
يريح بالك ..ويكفيك الفكر والخاطر.. ويمتلك بحلالك
.. ياارب.

نظر اليه عاصم فى امتنان ممزوج بالدهشة ولم يعقب
الا بابتسامة على دعوة الرجل التى مست قلبه ..
فللمرة الثانية وفى أقل من ساعة .. يستمع لتلك الكلمة

.. حلالك .. هل هى صدفة...!!؟؟..ولكنه وجد نفسه
يهتف من اعماق قلبه ..

-أمين .. وهو يرفع هامته حيث شرفة حجرة نومه
حيث تقبع من كان يظنها نائمة ليصطدم بنظراتها وهى
تقف هناك فى علياءها ... وتساءل.. منذ متى وهى
تقف هناك يا ترى !!؟؟...

أخفض رأسه وسار باتجاه السراى .. ودخلها .. وهى
ايضا دخلت فى بطاء تستند على عصاه حتى وصلت
لأريكتها فجلست فى بطاء تتوقع دخوله بين لحظة
وأخرى .. لا تعرف لما دقائق قلبها تتسارع بهذا الشكل
العنيف لمجرد التفكير فى رؤيته ..!!؟؟.. انها لازالت
مشدوهة مما رآته يحدث أمامها مع ذاك الرجل
المدعو حامد .. انها تكتشف جوانب خفية فى
شخصية ذاك الرجل والملقب بالغول لقساوة قلبه ..
لكن ما رآته لا يمت بصلة لقساوة القلب .. فلقد عامل

الرجل اروع معاملة .. وأحسن إليه بالفعل قبل الكلمة ..

دقات على الباب اخرجتها من شردوها منتفضة فأعدلت فى جلستها وأعتلت الحمرة محياها الرقيق وهى تسمح لمن بالباب بالدخول .. ظنت لوهلة بأنه عاصم لكن كانت ام سعيد تحضر لها أفطارها..دخلت بصينية الإفطار تلقى عليها تحية الصباح .. ثم تركتها أمامها وأستأذنت لبعض شؤونها ..لا تعرف لما شعرت ببعض الإحباط عندما ظهرت ام سعيد على الباب بدلا منه مما جعلها تفقد شهيتها فجأة ولا تشعر برغبة فى تناول الطعام فحاولت إزاحة الصينية بعيداً لكى تنهض متوكئة على عصاه ..لكن صوت إشعارا لرسالة على هاتفها أعادها لتجلس من جديد لتفتح هاتفها والذي لحسن الحظ كان بالقرب منها على الطاولة بجوار صينية الطعام ...فضت الرسالة فى بطاء يخالف وجيب

قلبه المتسارع و قرأت :

- "كل كويس عشان دواك .. واشرب اللبن... ده هدية
من الچاموسة اللى صابتك "

انفجرت ضاحكة .. عندما انتهت من قراءة رسالته
القصيرة ..

وللعجب.. استعادت شهيتها فجأة لتتناول فطورها
بإستمتاع أثار دهشتها وشربت اللبن حتى آخر رشفة
...

نهضت بهدوء تتوجه للفراش حتى تتمدد قليلا .. فذاك
الدواء يدفعها بالفعل للنعاس ..

تمددت .. وفضت رسالته من جديد لتقرأها وتعلو
وجهها الابتسامة .. واخيرا تغمض عينيها وتروح فى
نوم عميق .. تخللته الكثير من الأحلام ...

لا تعرف كم مضى عليها وهى غائبة فى دنيا الحلم
فقد تململت فى فراشها عندما تناهى الى مسامعها
صوت وصول رسالة إلى هاتفها .. فتحت عينيها فى
صعوبة لتتطلع الى الرسالة قرأتها .. وفجأة تنبه عقلها
.. لتستفيق كليا وهى تقرأها للمرة الثانية .. انه هو ..
هو من أرسل الرسالة ..

إنه يذكرها بميعاد الدواء الثانى ويؤكد عليها تناوله ...
كم مضى من الوقت على نومها ..؟! انها مشوشة ..
ورسالته زادت من تشوشها لقد مر اكثر من ساعتين
على نومها ... اللعنة على ذلك الدواء .. نظرت مرة
أخرى لشاشة هاتفها.. متسائلة فى حيرة .. لماذا يهتم
بها بذلك الشكل ..؟!.. لماذا تغيرت معاملته معها
...؟!.. او بتعبير أدق ..لماذا اصبحت علاقته بها
عجيبة ومتقلبة ...?!..

فما بين صمته القاتل المثير للريبة والذي يصاحبه
نظرات ترهبها ..

و ما بين ...ثورته العاصفة التى يصل بها للذروة .. فهو
اما صامت حد الخرس ..او ثائر حد البركان ..

حتى نظراته ... فهى ما بين نظرات غاضبة تموج
بالرغبة فى قتلها ..أو نظرات تحمل الكثير من الرغبة
فى أرضاءها..

ماذا دهاه ...؟؟؟!

هى لا تدرى حقا ما يحدث !!؟؟... وما الذى يدفعه
لذلك التذبذب فى التعامل معها ..؟؟!

تناولت دواءها وتمددت من جديد وهى تشعر
بالممل..

دقات الباب .. فأعدلت فى جلستها .. فدخلت
سهام .. فى خجل تطأطئ رأسها .. فأبتسمت زهرة
عندما رأتها هاتفة فى مرح ترفع عنها الحرج :

-أخيرا حد جه علشان يقعد معايا .. ده أنا هموت من الملل

-بصراحة يا زهرة ..أنا مكسوفة منيكي .. لولاي..
مكنش حُصل اللى حُصل فى رچلك .. أنا السبب
سامحينى ...قالتها سهام بندم حقيقى ..

-أيه يا بنتى !!.. هتفت زهرة ساخرة ... حادثة عادية ..
وجت بسيطة متكبريش الموضوعيعنى هو انا
كنت هروح فين يعنى برجلي...!!؟.. وابتسمت زهرة
... أدبنى قاعدة والاكل بيجيلى لحد عندى .. فى دلح
أحسن من كده ...!!!

قهقهت سهام وهى تقول :- لا مفيش الصراحة ..
-سهام ..؟!.. نادت زهرة لجلب انتباهها كليا.. ثم
استدركت :- انتِ ايه اللى بينك وبين حسام بن عمى
...؟!..

أضطربت سهام وطأطأت رأسها من جديد وبدأت
تفرك فى يديها دلالة التوتر وأخيرا أجابت فى تردد:-
أنا مش هخبى عليكِ يا زهرة .. أنتِ بالذات هتمنى لنا
الخير .. الصراحة

هو عايز يتجدملنى ..

شهقت زهرة وهى تضع كفها على فمها فى صدمة
ثم هتفت غير مصدقة :

-أنتِ بتتكلمنى بجد ..؟! .. انتوا بعقلكم .. أزاى هو
يفكر فى كده أصلا .. وأزاى أنتِ تطاوعيه يا سهام ..
أزاى ..؟! ..

-وايه اللى فيها يا زهرة...؟! .. ده عايز يتجوزنى على
سنة الله ورسوله .. يعنى لا عيب ولا حرام .. هتفت
سهام بتعجب اثار زهرة لتهتف بدورها فى انفعال :

-لا عيب .. وحرام .. عيب وحرام فى عُرف الهوارية ..
لا يمكن أخوكِ يوافق .. ولا أبوكِ ولا أمكِ طبعا .. أنتِ

بتنبشى فى القديم تانى .. بعد ما صدقنا اتقفل
بجوازي بأخوك ...

-بالعكس .. جوازك بأخويا هو اللى شجعنا .. خلاص
الجديم اتجفل... ايه المشكلة لما واحد من التهامية
يتجدم لواحدة من الهوارية .. طالما جصده شريف ..؟!
-أنتِ متأكدة إنه بيحبك سهام! استفهمت زهرة
-طبعا بيحبنى .. أمال عايز يتچوزنى ليه
...!!؟؟.. هتفت سهام بثقة

-مش يمكن حسام عايز يكرر حكايتى مع أخوكى ..
ويتجوزك برضة انتقام منه ...!!؟؟..
-لاه .. قالتها فى عنف .. حسام بيحبنى .. بيحبنى
بچد .. قالتها فى تأكيد .. ومش ممكن يعمل معايا
كده..

-ربنا يستر .. تنهدت زهرة .. ربنا يسهلها لكم ..
الموضوع مش سهل خالص ..

- ما ده دورك أنتِ بچی ...

-أنا ...؟؟!!... سألت زهرة فى دهشة ..وأيه اللى يدخلنى
فى موضوع ذى ده ...؟؟!!...

-يعنى ..ممكن تفتاحى عاصم وتمهديله الموضوع ..

-أنا . !؟ سألت زهرة مرة أخرى .. لكن هذه المرة فى
سخرية ...أنا آخر حد يقدر يفيدك صدقيني ..

-بس ..جربى وشوفى .. مش هاتخسرى حاجة ...

كادت زهرة تنفجر ضاحكة .. حقا .. لن تخسر أى شئ
.. ربما رقبتهها .. شئ ليس بالأهمية على أى حال
..لكنها قررت مهادنة سهام حتى تستطلع الحقيقة من

حسام وترى على ماذا ينوى ..

-طيب يا سهام .. هشوف .. ربنا يسهل وفى الوقت
المناسب هقول لأخوك .. وربنا يستر ..

قفزت سهام من الفرحة وعانقت زهرة فى سعادة
حقيقية ..



سعادة عاشقة تعتقد ان الحبيب قريب المنال .. غير
عابئة بما تحمله الايام فى جعبتها من تقلبات
ونوائب ..

اندفعت سهام لتخرج من غرفة زهرة عندما استوقفتها
فجأة قائلة :- هاتيلي رواية حلوة من عندك أقرأها
علشان الملل ده

-حاضر .. أحلى رواية لعيون أحلى زهرة ... وأرسلت لها
قبلة فى الهواء قبل ان تغلق الباب خلفها .. وتغادر ..
فى سعادة ...

كانت مستغرقة فى قراءة الرواية التى جلبتها لأجلها
سهام .. ولم تشعر بقدومه الا وهو يفتح باب الغرفة
.. أنتفضت وعدلت من جلستها على الفراش .. دخل
فى هدوء وألقى السلام بادلته التحية وعادت الى

مطالعة روايتها وقد غاب عنها التركيز فى وجوده
فأصبحت لا تع للكلمات معنى ..

كان يبدو مرهقا .. ترك عصاه وخلع عنه عباءته وتوجه
للحمام .. الذى غاب فيه لفترة وكأنه ينفذ عنه اثار
ذاك الإرهاق الباد على محياه .. فقد كان يغيب النهار
بطوله لا ترى له اثرا ... واستنتجت ان هناك الكثير من
العمل يستغرق منه النهار بأكمله ... خرج اخيرا وهو
لا يزال يجفف شعره بمنشفة تغيب وجهه كله بين
طياتها .. واخيرا نفضها بعيدا ليطالعها بذاك الشكل
الطفولى وهو مشعث الشعر أشبه بطفل مشاغب لا
تعرف لما زاد وجيب قلبها بشكل لا أراذى .. توجه
لطاولة الزينة مشط شعره الحالك السواد ونثر على
جلبابه بعض من العطر وتوجه لاريكتها التى احتلها منذ
حادثة قدمها تمدد عليها وعيونه معلقة بسقف الغرفة

ربما يزوره النوم ولو لحظات .. هم بإغلاق نور
الأباجورة المجاورة عندما بادرتة متأسفة:

- انا آسفة .. اخدت السرير منك ونمت انت على
....لم يمهلهما لتكمل أسفها ..

-لا أسف ولا حاجة المهم تطيبى وتبجى زينة ..
وأغلق الأنوار وكأنه يقطع استرسال الحديث بينهما ..
تمددت على الفراش .. هى تعرف انها لن تنام لأنها
نامت بما فيه الكفاية بسبب تلك العقاقير التى تدفعها
للنعاس دفعا فى أوقات لست مناسبة للنوم من
الاساس ...

تقلبت كثيرا على الفراش لعل النوم يزورها شفقة
بحالها فهى لا تستطيع حتى الخروج من الغرفة لتقرأ
قليلا .. ليس عليها الان الا الحملقة فى سقف الغرفة
المنقوش لتقتل الوقت .. لكنها ارتجفت عندما تنامى
الى مسامعها صوته وهو يسألها :

- منمتيش ليه !

هل يشعر بها ويسشعر أرقها وسهادها

-نمت كثير بسبب الدوا .. فمش جى لى نوم .. أجابت
بصوت مرتجف قليلا ..

-وانا كمان مش چى لى نوم ... اجاب فى صوت رخيم
يغلفه الإرهاق .. فتعجبت .. كيف يخاصم النوم من
كان فى إرهاقه !؟..فتح النور المجاور لأريكته وهو
يعتدل جالسا زافرا فى ضيق .. ثم هب واقفا .. واندفع
خارجا من الغرفة .. اعتدلت فى جلستها .. وهى لا
تعرف الى أين ذهب !؟ .. بالتأكيد ليس خارج السرائى
.. لانه لم يأخذ عباءته وعمامته وعصاه كما تعود
...ربما يجلس قليلا فى الحديقة حتى يغلبه النعاس
فيعود .. مدت يديها لتفتح الأنوار على الطاولة
الملاصقة لفراشها وتناولت روايتها لتبدأ فى مطالعتها
من جديد .. غابت فى احداثها لتفاجأ به يدخل الغرفة

.. و هو يحمل بين يديه صينية طعام عليها كأسين
من الحليب وبعض المقرمشات الخفيفة التى تصنعها
ام سعيد فى الفرن الخلفى الملاصق للمطبخ ...
تعجبت .. هل يحمل لها الطعام حتى فراشها ...!!!..
دوما .. وأبداً .. سيظل هذا الرجل يفاجئها..
اقترب من الجانب الاخر للفراش ليجلس وهو ممسكاً
بالصينية المستديرة محاولاً عدم سكب الحليب وهو
يعتدل ليواجهها .. وضع الصينية على الفراش بينهما
اخيراً دون أية خسائر .. ومد لها يده بكأسها فتناولته
فى ثبات وهى فاعرة فاهها مدهوشة مما يصنع ..
-اشربى اللبن هيساعدك تنامى وخدى كللى الفايش ده
عشان الأدوية اللى بتخديها ..
تناولت المقرمشات التى قدمها لها وهى مسحورة
تقريباً ..

اما هو فكان يتعامل بأريحية كبيرة اربكتها .. هل هذا هو عاصم مهران الهوارى ...؟!.. قاسى القلب الذى لا يعرف ما تعنى كلمة رحمة ولم تُخط تلك الأحرف الأربعة فى قاموسه اليومى .. للتعامل مع البشر...؟!؟
اربكتها كليا .. فما عايشته صباحا .. ورأته يحدث امامها ..وتعامله الرقيق معها الان يؤكد على خطأ ظنها .. ان ارتباكها من تصرفاته وصل ذروته بالفعل فهى تشعر بأنه يدللها او شئ ما شبيه بالدلال .. ام تراها واهمة...؟!؟؟ وهو مجرد مشفق عليها لمرضها ليس اكثر...؟!؟؟ او ربما يرد الجميل لها لإعتناءها به اثناء حادثة كتفه ...؟!..

لا تعلم اى الأسئلة السابقة هو الإجابة الصائبة لهذه الحالة العجيبة والرائعة التى يعاملها بها ...لكنها شعرت ان السبب الاخير ربما يكون هو الأقرب للصواب.. انه فعلا يرد جميل لا اكثر.

أجفلها عندما لاحظ شردوها وهو يقول محفزا:- اشربى اللبن جبل ما يبرد .. وكلى .. يمكن تكونى چعانة وانت مش واخدة بالك ..

أطاعت دون ان ترفع رأسها لتواجه نظراته .. ارتشفت قليل من الحليب وتذوقت المقرمشات اللذيذة .. والتى أعجبت بها عندما تناولتها للمرة الاولى وأصبحت مفضلة لديها ...

-بتجرى ايه ...؟؟!!...سأل وهو يوجه نظراته متفحصاً غلاف الرواية التى تطالعها والتى وضعتها على الفراش مجاورة لها بالقرب من صينية الطعام.

-دى رواية بتسلى بيها عشان ببقى زهقانة وانا لوحدى طول النهار وخاصة لما سهام بتكون مشغولة ومش فاضية تقعد معايا ..

- "كبرياء وتحامل"...قرأ اسم الرواية وقد اظهر اهتماما .. اثار تعجبها ..بتحكى عن ايه بچى ...؟!.. هل ما

سمعتة صحيحاً ..؟!.. هل يريد لها ان تقص عليه
احداث الرواية ..؟! حاولت التهرب وهى تقول ::
- يعنى .. احداثها مش هاتعجبك .. كلها عشق
ومسخرة .. قالت كلماتها الاخيرة ساخرة تذكره بكلمات
سابقة له قالها عندما رآها منذ فترة ليست بالبعيدة
تطالع نفس النوع من الروايات وعلى ما يبدو انه تذكر
فأنفجر ضاحكا هاتفا في مرح :- وماله .. اهو نشوف
بتوع العشج والمسخرة دوول بيجولوا ايه؟! اهو ناخذ
فكرة ..

يبدو انه مُصر على موقفه وان أرقه عاقبته ستدفع هى
ثمنها ...

-بس انا خلصت ربع الرواية .. قالت متحججة...
-احكىلى اللى فاتنى واتابع معاكى احنا مورناش
حاجة.. وتمدد بأريحية وهو يعدل الوسائد خلف
ظهره..

ولمعت عينيه ببريق عابث وابتسامة شقية وهو يقول:- يا الله .. احكى يا زهرة زاد...

انفجرت ضاحكة بعد ما سمعت لقبها الجديد وتوقفت ضحكاتها فى خجل وهى تجده يتفرس فيها وفى ملامح وجهها الباسم والذى أشرق كشمس فى منتصف الليل..

تداركت خجلها بصعوبة وأخذت تحكى له ما فاته من احداث الرواية وهو يستمع بإنصات أبهرها .. كان لا يقاطعها الا للإستفسار عن حدث ما او اسم شخصية من الشخصيات حتى انتهت من سرد ما فاته وبدأت فى القراءة بصوت مرتعش قليلا يغلب عليه الخجل ثم استمدت الثقة قليلا بعد ان وجدته متابعا معها يهز رأسه متفهما الأحداث .. ظلت تقرأ .. وتقرأ حتى رنت منها نظره جانبية له .. فوجدته يشبك ذراعيه لصدره ويغمض عينيه ورأسه يرتاح على الوسائد خلف ظهره ..

أعتقدته راح فى نوم عميق الا انه سألها فجأة :
- ليه وجفتى .. انا متابع .. لو انتِ تعبتي .. خلاص ..
- لا .. لا متعبتش .. افكرتك نمت ..
- لا .. انا منمتش .. عجبانى الجصة دى .. كملى ..

بدأت فى القراءة واذ فجأة تمتد كفه لتلتقط كفها فى
عذوبة وتحتضنها لصدره وهو لا يزال مغمض العينين
كأن ما فعله شئ معتاد يقوم به كل ليلة والغريب انها
لا ترى أى اثر على ملامحه ينبئ بتأثره فقط استكانة
عجيبة لملامح وجهه وهى التى تنتفض الان اضطراباً
ولا تستطيع قراءة حرف واحد دون تلعثم ..
أهو يعذبها بطريقة جديدة ..؟!.. و كيف يريد
الاستمرار وهما على هذا الوضع ..؟!.. ستخبره بأنها تعب
وهاجمها النعاس لتسترد كفها الحبيسة بين احضانه
وما ان همت بأن تفتح فمها معترضة حتى وجدته
يستدير ليؤليها ظهره ساحبا كفها معه .. لينجذب



جسدها كله بالتبعية لتصبح فى وضع لا تحسد عليه ..
حمدت الله انه حمل الكاسات الفارغة وصينية الطعام
بعيدا على الطاولة المجاورة له وإلا لكانت تنكفى
عليهم الان .. ظلت على وضعها المعلق ذاك .. كفها
مشدود لأحضانه وجسدها فى الطرف الاخر من الفراش
.. حاولت ان تسحب كفها منه ببطء .. لكنه تشبث به
... كتشبث طفل بلعبة تمنى الحصول عليها ونام وهو
يحتضنها.. كانت على يقين انه غارق فى النوم .. من
انتظام انفاسه الهادئ .. فكيف يتعلق بكفها
هكذا؟!.. وماذا هى فاعلة الان ...؟!.. تمددت مرغمة
تقاوم النعاس حتى باغتها لتذهب فى نوم مشوش ملئ
بالاحلام عن كفها القابعة الان بين احضانه ..
همهمت فى نومها تتقلب بحرية اخيرا بعد ان كانت
اسيرة النوم على جانب واحد .. ولم تكن تع لما ...؟! ..
واخيرا بدأ عقلها فى العمل بكامل طاقته لتتذكر كفها

التي أسرها عاصم ولم تعرف متى أطلق سراحها .. أنتبهت تتطلع حولها لا تجد أثرا له .. ولا أثر لكؤوس الحليب .. هل كان حلما من بنات أحلامها التي داهمت نومها !؟

طرقات على الباب اخرجتها من خواطرها فأعدلت في جلستها ونسقت شعرها وهندمت عباؤها الحريرية الزرقاء بلون البحر .. فإذا بها سهام .. دخلت بمرحها وصخبها المعتاد وهي تحمل صينية إفطارها هاتفة :-
كفياك نوم .. جربنا ع الضهر ..

-صحيح ..؟! سألت مستفسرة في نفسها .. متى استيقظ ومتى غادري يا ترى ..؟؟! .. وجاءها الجواب من سهام وكأنها سمعتها تسأل:- ده عاصم بره بجاله يا جى ساعتين وزيادة ... نزل فطر معانا .. بس ايه .. مجلكيش على الانبساط والزعجطة اللي كان فيهم .. عملتي ايه في اخوي يا زهرة .. أعترفي !!؟! قالت

جملتها الاخيرة بصوت احد المحققين .. مما دفع
زهرة للإنفجار ضاحكة ..

يا ترى ما هو سر تلك الفرحة والسعادة اللتان تصفهما
سهما؟!..رن هاتفها معلنا وصول رسالة ما ..
انه هو .. لا تعرف لما شعرت بذلك قبل ان تطالع
الهاتف ..

فضت الرسالة ليتأكد حدسها .. قرأتها بعينها التي
شعت بإبتسامة فرحة :-

" متنسيش دواك .. ومتجريش الرواية من غيرى .. "

-سهما .. عايزة رواية تانى أقرأها ..
-لحجتى خلصتى الى اديتها لك امبارح!?!...

-لا مخلصتهاش .. قالتها وهى تبحث عن حجة مناسبة
.. بس أفكرت انى قريتها قبل كده فعايزة غيرها ..

-طيب يا ستى وماله هچيب لك غيرها تأمرى .. هو انا
أجدر أجول لاه.. ده كان عاصم يجتلىنى ... ده موسى



الكل عليك .. و توجهت للباب .. تحضر من غرفتها
رواية أخرى .. لكنها توقفت عند عتبة الباب تسأل
زهرة فى تردد:- لمحتى لعاصم على موضوعى يا زهرة ..
!؟!..

-الصراحة لا يا سهام .. أجابت زهرة فى صدق ..
واستطردت عندما وجدت العبوس يكلل ملامحها ..
استنى بس لما اقدر امشى على رجلى عشان أكلمه
واعرف اهرب من وشه قبل ما يقتلنى بسببك ..

زال العبوس عن ملامح سهام وانفجرت ضاحكة وهى
تقول :- تصدجى صوح !؟!.. عندك حج برضك .. لازماً
تأمنى نفسك .. واندفعت خارج الغرفة تحضر الرواية
وتترك زهرة تتناول أفطارها شاردة فى احداث الليلة
الماضية وما يمكن ان يحدث هذه الليلة من ألف ليلة
وليلة .. التى بدأها البارحة وتذكرت لقبها الجديد..
"زهرة زاد"... فكررتة ضاحكة فى سعادة ...

الفصل العاشر

دخل عاصم من الخارج ينادى ام سعيد التى حضرت على عجل ملبية نداءه ..

-الداكتورة أتعشت ...؟؟!...سأل بإهتمام

-أه .. أmaal أيه .. هو احنا نجدر نتأخروا عن عشاها وميعاد دواها كماان ... احضر لجنابك العشا .؟؟!..

-لاه .. حضرى كوبايتين لبن كبار وطبج فايش.. وطلعيهم للداكتورة فوج..

-حاضر من عنايا يا عاصم بيه .. واندفعت مسرعة تنفذ ما أمر به وهم هو بالصعود .. فتفاجئ بأمه تجلس على أريكة جانبية لم يكن بإستطاعته رؤيتها فور دخوله و قد كانت تتابع المشهد السابق فى حبور ولم تتفوه او تتدخل حتى انتبه لوجودها فعاد اليها ينحنى مقبلا كفها متسائلا:

- كيفك يا حاجة ..؟؟!.. سأل فى أهتمام ..

-أنا زينة .. طول ما انت وأختك وممرتك زينين.. قالت
كلماتها .. وشبح ابتسامة رضا يطل من عيونها ...

-الحمد لله .. قال فى سعادة ..

-جوم يا الله اطلع ارتاح .. ربت على كتفه فى
لطف..

-الله...؟!.. انت مش عيزانى أجعد معاك ولا ايه يا
حاجة...!!؟؟.. سأل مازحاً..

-لا متجعدش .. أكدت مازحة على الرغم من صرامة
لهجتها .. جوم ارتاح يا الله .. انا كمان جايمة اطمئن
على ابوك وانعس .. جوم .. هم ..

نهض فى ثاقل مبتعداً وما ان وصل لأولى درجات
السلم حتى ظهرت ام سعيد بصنية الطعام ..

-وااااه.. انت كل ده.. ولسه مطلعتيش اللبن
...!!؟؟.. سأل ام سعيد فى حنق .. واستطرد أمراً وهو

يتناول الصينية من يدها ... طب هاتى الصينية
وروحى شوفى حالك ..

تركت له الصينية ليصعد بها وهى فى قمة دهشتها ..
تقف متحيرة فاعرة فاها مما يحدث ومن ذلك التغير
الذى طرأ على عاصم الهوارى و الذى تحول فجأة
لشخص اخر لا تعرفه ..

لاحظت الحاجة فضيلة ما اعترى ام سعيد من دهشة
..مما جعل الابتسامة تقفز لشفتيها وهى تهتف فيها :
- چرى ايه .. واجفة ليه كده يا ولية !؟..روحى نامى ..
اچرى ..

انتفضت ام سعيد من شرودها وقالت فى سرعة وهى
تستدير مبتعدة :- حاضر .. اها.. رايحة اها يا حاجة..
وما ان ابتعدت ام سعيد حتى أطلقت الحاجة فضيلة
العنان لضحكاتها .. ونظراتها تتبع ظل ولدها الذى

غاب أعلى الدرج تتمم ببعض الدعوات تتمنى من
الله ان يقبلها ..

سمعت زهرة خطواته الواثقة على الدرج صاعداً
فأرتعشت لا تعرف لما .. وصارت دقات قلبها كالطبول
.. تحركت وهى تسير ببطء على قدمها المصابة التى
استطاعت فى الصباح ان تمشى عليها قليلا ...
تمددت على اريكتها .. فقد كانت تريد ان تفسح له
المجال ليعود لفراشه .. ويتركها حيث تقبع دائماً
بعيدا عن أنظاره .. فتحت الرواية تتصنع القراءة
عندما وصل لباب الغرفة وفتحه فى هدوء وهو يحمل
أكواب الحليب .. لم يجدها على الفراش كعادتها فى
الايام الماضية عندما سقطت نظراته عليه فأدار وجهه
لأريكتها فوجدها تزينها بمحياها .. زادها جمالا تلك
العباءة الحريرية بلون العسل وشعرها الرائع الذى تصر

على ربطه بشكل معقوص خلف رأسها محاولة ان تدارى من روعته قدر الإمكان .. استفاق من شروده ملقياً السلام..

-السلام عليكم ..كيفيكِ النهاردة؟! سألها بوجه باسم جعلها تزدرت ريقها لترطب حلقها الذى جف فجأة وترد فى هدوء مصطنع :- الحمد لله .. أحسن كثير ..

وضع الصينية على الطاولة المجاورة لها وخلع عنه عباءته وعمامته وتوجه للحمام .. غاب فيه بعض الوقت ليخرج منتعشاً ليفاجأها كعادته فى الايام الماضية فيتمدد على الأريكة التى انزلت عنها قدميها منذ دخوله الغرفة لتستقر رأسه على فخذاها وتنتفض هى فى ذهول من فعلته الغير متوقعة .. ترفع يديها بعيدا عن جسدها وكأن رأسه الراقدة الان فى حجرها كتلة من جمر ألقيت عليها بغتة كانت تحاول

السيطرة على ارتجاف جسدها حتى لا يدركه لكن
كيف تدارى تلك الارتعاشة فى صوتها وهى تحاول
الإعتراض على جلسته ممددا بهذا الشكل الحميمى
الذى يفقدها هدوءها وثباتها...؟!؟

هتف بنبرة عادية ليخرجها من خواطرها :- ها .. مش
هتكملى الرواية بتاعت امبارح .. !!؟؟..

- اه .. طبعاً.. قالت بحروف مرتعشة .. فتحت روايتها
عند موضع توقفهما بالامس وبدأت فى القراءة .. لا
تستطيع التركيز فى الأحداث او الشخصوص وموضع
رأسه كحريق مستعر .. جسدها كله متصلب وعنقها
متشنج ولا تقوى على الحراك ..

لا ترى بسبب وضعه ذاك سوى شعره الحالك المتموج
وبعض من جبهته العريضة وأنفه الشامخ .. قاومت
رغبة ملحة بل هى رغبة مجنونة راودتها لتمد كفها
لتعبت بلطف فى خصلات شعره...

حرك رأسه للخلف قليلا لتصعد نظراته لتقابل نظراتها
فتضطرب معتقدة ببلاهة انه قرأ خواطرها .. فأرتجف
كفاها.. لتسقط الرواية مفتوحة الصفحات على
وجهه..

وضعت كفها على فمها تكتم شهقة خجلى باغتتها اما
هو فرفع الرواية عن وجهه وهو يقول مازحاً :- ما تجولى
تعبت من الجراية .. بدل ما ترمى الرواية فى وشى ..
وقهقه ضاحكا .. اما هى فقد مدت يدها فى تردد
واستلمت الرواية تحاول التركيز فى احرف الكلمات
.. وذهنها شارد يفكر فى طريقة تدفعه بها .. لغير تلك
الوضعية الحميمة التى يتخذها الان لكن ما كان
فوق احتمالها حقا .. هو ان يحول رغبتها المجنونة..
لحقيقة و ان يمد يده ليمسك احد كفيها المتشبهة
بغلاف الرواية ليضعها على رأسه فتغلل أناملها بين

خصلات شعره .. لتترتجف دون قدرة على مجابهة
تلك المشاعر التى غمرتها..مزيج من الحنان والفرحة
والإضطراب والنشوة .. ممزوجة جميعها بقليل من
رهبة ..

لا تعرف كيف استطاعت اخيراً ان تخلق عذرا مقبولا
لإنهاء تلك المعاناة فقالت وهى تتصنع الألم :- انا رجلى
بصراحة بدأت توجعني .. وعازية امدها ..

لم يكذب خبرا .. نهض فى حماسة ليحملها فورا دون
ان يمهلهما حتى فرصة للإعتراض لتكون هى وروايتها
بين ذراعيه ليضعها فى حنو بالغ على طرف الفراش
الذى تفضله ويستدير بهدوء ليستقر متمدداً بشكل
عفوى بنفس الوضع الذى اتخذه فى الليلة السابقة
ينتظر ان تكمل سردها للقصة ...

ثم تذكر فجأة الحليب القابع على الطاولة الأخرى
فنهض ليحضره بالقرب منهما .. ناولها كأسها لتهتف
لنفسها .. "لقد جاء فى وقته بالضبط ... فلقد جف
حلقى من افعاله " شربته فى إستمتاع وكان هو يراقبها
فى إستمتاع اكبر ... وبدأت فى سرد احداث الرواية
لتجد كفها فى لحظة خاطفة قابضة بين احضانه كما
كانت فى الليلة السابقة .. وتنتهى الليلة .. بنعاس
يخامرها كأثر للدواء لتسقط من جديد فى ثبات عميق
.. وقد سقطت الرواية بين ذراعيها ورأسها يتوسد ظهره
المائل أمامها الان .. بعد ان أولاهها أياه وهو يأسر
كفها..

تثأبت فى حبور وهى لا تزل نصف نائمة ورفرفت
أهدابها .. وفجأة فتحت عينيها على اتساعهما عندما

اصطدمتا بزوج من العيون القاتمة تتفرس فيها
بنظرات عابثة مرحة.

انتفضت هى تعدل من هندامها بعد ان فوجئت بذاك
الاقتحام...

وصل اضطرابها لذروته وعلى العكس منها تماما
..استمتعاه كان فى قمته ..

فهو يبدو مرتاحا صاف الذهن تشع من عينيه نظرات
لاهية لا تعرف لها سببا .. دفعت الدماء الحارة
لوجنتيها خجلا .

كان يجى ويذهب فى الغرفة لا يرفع نظراته عنها...
شعرت بالمعنى الحقيقى للأسر على الرغم من بعده
الجسدي عنها ..

-كيفك النهاردة...؟!.. سأل والإبتسامة لم تفارق وجهه
..تلجلج لسانها فى الإجابة...انها غير معتادة على مثل
تلك النظرات .. وتلك الابتسامة التى تذيب عظامها ..

-الحمد لله ..هتفت اخيرا متصنعة الثبات ... انا بقدر
امشى على رجلى دلوقتي ..م ووقفت فى ثاقل تبرهن
له على ذلك .. وتقدمت خطوات حتى وصلت على
مقربة منه ..

-حمدالله على السلامة .. قال فى حبور .. بس
متجليش علي رچلك اديها يومين كمان .. قال ناصحاً
بصدق...

-حاضر...أجابت بعفوية .. ظل ينظر اليها لبرهة ..لا
تعرف ما سبب تلك النظرات التى يطرها بها منذ
فتحت عينيها .. انها تكاد تذوب تحت وطأتها و خاصة
انها تحمل قدر لا يستهان به من الدفء والحنان .. انها
غير معتادة على تلك المعاملة منه .. وغير قادرة على
تحمل ذاك القدر الوافر من الدلال والعطف اللذان
يشملها بهما .. قطع افكارها ليسألها فى مودة وهو يضع

ساعة اليد حول معصمه:-عايزة حاجة اچبهالك معايا
وانا چای...!!؟.....

-لا..شكرًا .. عيزاك طيب .. أجابت بعفوية .. كما
كانت تجيب ابيها .. عندما يسألها نفس السؤال ..
لكم اشتاقت له ..

على الرغم من ان اتصالتهمما لا تنقطع الا انها فى شوق
حقيقى لرؤيته والتمتع بعطفه وحنانه ..

استرعت الإجابة انتباهه على الفور .. ليرفع رأسه اليها
.. أتريده حقا طيباً .. وبخير ..؟!.. ام لازالت تكرهه
كما لم تكره احد من قبل ..؟!.. سأل نفسه ..لكن لا
أجابة .. لذا سحب نفسه من شروده وقطع سيل نظراته
اليها .. وألقى التحية فى عجل وخرج مغادرا.

أسترعى تبدله فى اللحظات الاخيرة قبل مغادرته
انتباهها.. لكن لا تفسير لديها لتلك التقلبات التى
بدأت تلاحظها مؤخراً ...

مر اليومان التاليان بنفس الوتيرة التى تحبس انفاسها .. وبنفس النظرات التى باتت تألفها .. حتى انها .. ولتعجبها اصبحت تشتاقها فى احيان كثيرة .. تهيأت أخيراً للنزول فى صحن السراى بعد ان حُبت لعدة ايام داخل جدار حجرتها التى ضاقت بها .. همت بفتح الباب .. فإذا برسالة ما تصلها على جوالها .. لم تكن لتسأل عن مرسلها .. فوجيب قلبها قد أجاب .. لتقرأها عدة مرات كالعادة .. حتى تتفهم ما تحويه .. " انزلى الچنينة .. ورا السرايا .. هتلقى هدية جومتك بخير .. حمدا لله على السلامة " ... قرأت الرسالة عدة مرات .. هل أحضرها هدية بمناسبة شفافئها ..؟! لما يعاملها بكل ذاك اللطف ...؟!.. سألت من جديد سؤالها الذى اصبح مقرراً ... و نزلت فى بطء لا تريد ان تزيد من الضغط على قدمها مر بعض الوقت .. حتى اصبحت أخيراً خلف السراى كما أكد فى

رسالته .. خطوة اخرى .. وتوقفت مذهولة لا تستطيع حراكاً.. فagre فاها فى صدمة حقيقية .. حتى انها شعرت بالدموع رغما عنها تترقق فى مقلتيها فى فرحة غامرة ...

كان يتجسد أمامها .. بناء صغير من حجرة واحدة واسعة أشبه بأكواخ الافلام الخيالية بألوانها الزاهية .. والورود والأزهار والنباتات المتسلقة التى تغطي سطحها وجوانبها

تحركت كالمشدوهة لتصل لتلك الغرفة حتى انها نسيت آلام قدمها ... لتخطر الى غرفة الأحلام هذه لتجد كل ما يخطر على بالها .. آرائك ووسائل ناعمة مخملية .. شاشة عرض تلفزيوني .. بساط خفيف ناعم يغطي الارض ..منضدة دائرية تتوسط المكان ... واخيرا .. مجموعة كبيرة من القصص والروايات

المختلفة الاحجام والأنواع مرصوصة على رفوف جانبية بشكل منظم ..

جلست تستقبل هذه المفاجأة فى ذهول تتلفت حولها فى عدم تصديق وهى تجلس فى تلك الغرفة الحلم وكأنها انتقلت الى فصول احدى تلك الروايات التى تعشقها ..

هل فعل كل هذا لأجلها !!؟؟.. هل حقا تُكبد تلك المشقة من اجل اسعادها !!؟

انتفضت فجأة .. عندما باغتتها سهام وهى تهتف فى مرح :- حمدا لله على السلامة .. ايه ده !!؟.. لجيتى المفاجأة .. كان نفسى اوريها لك .. بس الظاهر عصام سبجنى وجلك عليها ..ها ايه رأيك .. !!؟؟...

- حلوة قوووى .. بجد تسلم ايديكم ... قالت وهى لاتزل تحت تأثير المفاجأة وأثرها العميق فى نفسها ...

-ايدىكم مين بس !!؟؟..هتفت سهام ساخرة .. جولى
تسلم يده .. عاصم كان بيسبج الزمن عشان لما تجومى
وتحبى تنزلى الجنينة متجعديش هناك فى مجاعد
الرجالة .. فعمل للحريم مجعد لوحدهم ..عشان جال
ايه...!!!.. هتفت سهام متصنعة الحقد .. انتِ بتحبى
جراية الروايات فى الجنينة .. ماشى .. هنيالكِ ..
وعجبالى يا رب .. صرخت سهام بدعائها الاخير بقوة
متحمسة مما دفع الضحكات على شفتى زهرة ..لكن
نظرات سهام انقلبت لنظرات ذات مغزى .. فهمتها
زهرة فأومأت برأسها مجيبة إياها :-حاضر .. هكلمه يا
سهام بإذن الله .. بس فى الوقت المناسب ..
اندفعت اليها سهام فى مرح تقبل وجنتيها .. وتندفع
لتلبى نداء ام سعيد عليها لتساعدھا فى بعض الشؤون
..

قضت معظم النهار فى خلوتها الجديدة تستمتع
بالهواء المنعش والطبيعة الخلابة اللذان افتقدتها
طوال اسبوع كامل من المكوث بغرفتها .. وامتدت
يدها تتفحص الرفوف لتمسك بإحدى الروايات
وتتصفحها غير مدركة لذاك الشبح الذى كان يقف
بعيدا يراقبها فى مزيج من شوق وتردد .. يراقب
سكناتها وحركاتها وهى لا تدرى بوجوده ..

حمد الله فى سره .. لأنه أقام تلك الغرفة العجيبة
بمنأى عن رواد السرائى وحراسها وإلا كانوا شاهدوه
الآن وهو يتلصص على زوجته وأصبح أعجوبة تلوكها
الأفواه ساخرة .. اطلال الوقوف فى مكانه خلف تلك
الأشجار الوارفة مأخوذ بها .. لا يريد ان يتقدم فيكسر
حاجز خلوتها البرئ الذى يلفها بهالة من الفرحة
والحبور لا يراها على وجهها الا فيما ندر ...



لكن لابد له من ذلك فقد تلحظ هي وجوده أو يلحظه
احد خفراءه.. ظهر من خلف الأشجار متظاهرا بأنه
وصل لتوه .. فتنبهت زهرة لوجوده فعدلت من جلستها
وقد بلغ بها الخجل مبلغه .. ماذا يجب عيها ان تقول
.. أتشكره!؟.. انها لا تقوى على ذلك .. تشعر بخجل
رهيب يملكها ويعقد لسانها على النطق بكلمة شكر
واحدة على هديته ..

تقدم والابتسامة تكلل محياه متسائلا :- كيفك
دلوجت...!!؟..

تلعثمت وهي تحاول اخراج الكلمات من فمها .. :- انا
.. الحمد لله .. وأشارت بكفيها للمكان وهي تقول
بإضطراب .. شكراً .. بجد .. المكان .. يعنى حلو
قوى..

-عجبك...!!؟؟.. سأل والفرحة تقفز من عينيه ..

أه .. طبعاً .. أجابت فى سرعة ... عجبني جداً ..
تعبت نفسك ..

-تعبك راحة قالها صادقاً ... وهى تجلس صامتة لا
تستطيع ان تزيد كلمة فقد تذكرت كيف كان يأتى
يومياً طوال فترة مرضها منهاكاً ولم تكن تعلم انه
يحضر لتلك المفاجأة الرائعة لأجلها ...

شعر بحرجها .. فنظر بجوارها .. ليجد احد الروايات
التي كانت تطالعها ..

-شايف انك بدأتى رواية جديدة من غيرى .. كان
يقولها مازحاً .. على العموم انا مسامح ...

ابتسمت فى ود وهى لا تستطيع ان ترفع رأسها لتقابل
نظراته التي لا تقوى على مواجهتها ..

استأذنت لتساعد فى اعداد الطعام .. لتهرب من
حصار عينيه لكنه لم يسمح لها خوفاً على قدمها

المصابة .. ودخل وهو يؤكد لها .. انه عند انتهائهن
من اعداد المائدة سيرسل من يناديها ... رحل عنها
وتبعته بنظراتها حتى اختفى .. وأخذت هى تجيل
بنظراتها فى الحجرة بإستمتاع تام وشعرت بنشوة
عجيبه تغمرها ..

انه يتذكر كيف كانت تحب القراءة فى الحديقة
خاصة بجانب احواض الريحان .. فأشرف بنفسه طول
فترة مرضها على إقامة مكان خاص بها .. والعجيب
.. انه لم ينسى ان يضع أضيص من الريحان فى كل
جانب من جوانب الغرفة ... لم تستطع ان تترك نفسها
لتلك الخواطر والأفكار التى تذهب براحة بالها ..
فقررت النهوض

لتذهب لتساعد ام سعيد وسهام بالمطبخ لعلها
تتخلص ولو لبعض الوقت من شتات نفسها ..

وقفت بالفعل رغم اعتراض كل من سهام وام سعيد على تواجدها بالمطبخ بدلا من راحتها لأجل قدمها التي لم تتعافى بشكل كامل .. لكنها اصررت على صحبتها حتى ولو لم تقم بعمل حقيقى ..فقد اكتشفت ان عاصم اخبرهن بانه سيحضر عمال للبيت ولا بد من مساعدة ام سعيد فى تحضير الغداء لهذا العدد..

سألت زهرة سهام :- عمال لإيه يا ترى !!؟؟...
-انا عارفة ... قالتها سهام فى ضيق .

انخرط النسوة جميعهن داخل ذاك المطبخ الواسع الذى على الرغم مما يحمله من بعض الأدوات القديمة التى تنبئ بعمر تلك السرائى إلا انه ايضا لا يخلو من بعض اجهزة حديثة تحمل عبق الحداثة والقليل من الرفاهية ...

وزعوا الاعمال وانخرطت كل منهن فى عملها مع بعض
المزاح والضحكات التى كانت سببها .. عبث سهام
وشقاوتها...

اضطربت زهرة فجأة عندما سمعت صوته يأتى من
مكان ما داخل صحن السرائى... حاولت الإنكماش فى
مكانها..والإختباء من نظراته فى ركن بعيد .. لكن لا
مفر ..

دخل ينادى أم سعيد يتأكد ان الطعام .. قد تم أعداده
كما أمر ..

حاولت ان تتجاهل حضوره الطاغى الذى يغمرها
كموجات مد عاتية على الرغم من أختبائها فى مكان
... بعيد عن مجال رؤيته نسبياً... لكن .. لا محالة
صوته العميق ونظراته المتمهلة

وحضوره الأسر لا يتركوا لها فرصة الهرب أو الفكاك من
شركه...

سألته الحاجة فضيلة التى تبعته للمطبخ :-العمال
والحاجات اللى معاھم دى ايه يا ولدى .؟؟!!
-دى مولد كهربا يا حاجة..

-ليه...؟؟!!...سألت فى تعجب ... من ميتا بيھمنا الكهربا
جطعت ولا لاه.. عادى يعنى ...
-معلش ...أنا هرتاح كده...

لم تكن زهرة تسمع ذاك الحوار الجانبى فھتفت سهام
تسأل أخيھا من جديد :- بتجول دِہ ايه يا عاصم يا
خوى...؟؟!!...

-أقترب من زهرة وهو یرد على سؤال سهام :- دِہ مولد
كهربا يا سهام عشان ينور البيت دايما أول لما النور
يجطع يشتغل ويرجع الكهربا .. واقترب فى همس من
زهرة التى كانت توليه ظهرھا تتحاشى نظراته...
ليستطرد فى جزل :
-عشان خاطر الناس اللى ع يخافوا...

قالها بهمس وهو يقترب من مسامعها مما جعلها
تنتفض بشكل جعل السكين التي تمسكها تضرب في
يدها ..

وتأوهت لمرأى الجرح النازف في يدها .. فاندفع هو
في اضطراب محيطاً بها من الخلف يحيطها
بذراعيه ليضع كفها المصابة أسفل شلال المياه
الجارية من الصنبور الذي فتحه على عجل ... هاتفاً
في سهام لتحضر القطن ومطهر ..

كانت لا تستوعب ما يحدث ... حدث كل ذلك في
غفلة بسبب قربه منها .. فقدت السيطرة تماماً... انها
حتى لا تشعر بأى ألم يذكر من جراء ذلك الجرح
المزعوم ..

منذ اللحظة التي أحاطها فيها وهو يحتضن كفها
المصاب بتلك الطريقة الملهوفة... لم تعد تشعر بشئ

إلا بقربه الذى يدمر أعصابها ويفقدها هدوءها
النفسى المعتاد ... كانت غائبة

فى خواطرها لا تركيز يذكر فيما يحدث من حولها .. لا
تركيز فيما عاداه... لم يخرجها من شرودها وخواطرها
المتمركة حول كنه ذاك الرجل الذى يحاصرها بذراعيه
الآن .. إلا صوت أنثوى يقطر غيرة دخلت صاحبته فى
غفلة من أصحاب الدار الذين التهوا بما حدث لزهرة ..
صوت ينبئ بقدوم رياح حقد وكرهية قد تعصف
بالجميع ...

نظر جميعهم بإتجاه ذاك الصوت الذى هتف فى
تعجب :

- واللاه.... لحجتوا تدخلوا العروسة المطبخ ...؟؟!...
دى لساتها عروسة جديدة..... هتفت بذلك سمية أبنة
عمهم غسان بصوت يملؤه الحقد واستطردت فى
سخرية:

- وکمان جرحت حالها... شكلها ملهاش فى الطبخ
وشغل الحريم ده ...

كان عاصم لازال مأخوذاً بجرح زهرة الذى كان يطيبه
الآن بوضع بعض الضمادات الطبية عليه ينظر اليها قلقاً
لا ينتبه لكلام ابنة عمه الذى ينقط سماً فى كل حرف
من حروفه... كان مأخوذاً بها .. يديها الجريحة بين
كفه.. نظراتها الخجلى... تتهرب من نظراته العطشى...
لم يوقظهما من شرودهما الا صوت سمية الحاد النافذ
الصبر وهى تهتف بشراسة :- متخفش يا واد عمى
ده چرح صغير ميخلكش مخلوع عليها كده...

تنبه عاصم للمرة الأولى لمدى اقترابه واحتوائه لزهرة
فتنحج فى ضيق وقال فى غضب مكبوت :- عاملة ايه
يا سمية .. قالها وهو ينظر لزهرة .. ومرت عمى وسليم
اخبارهم ايه!؟..

ابتسمت ابتسامة صفراء وهى تقول فى غنج متكلف
:- كلاتهم بيسلموا عليك ... انت عارف بنعزك كيف
... وركزت على حروف كلمة نعزك وهى تنظر لزهرة
نظرة تمنى ان تقتلها خلالها... نظرة نارية مسمومة..

- سلامى ليهم .. وخلينا نشوفهم ... عن اذنكم... قالها
مستديرا للمغادرة .. عندما استطرد من باب
الواجب..وانتى يا سمية ..اتغدى معانا

-تسلم لى يا واد عمى ... هو انا اجدر ارفض لك طلب
.. قالت كلماتها الاخيرة فى دلال ممجوج لا يخفى على
أحد حتى ان سهام وأم سعيد تبادلتا النظرات فيما
بينهما مشفقتان على زهرة من تلك الغيور الحمقاء ..
لكن زهرة أستأذنت فى هدوء لترتاح فى غرفتها حتى
موعد الغذاء....

دخلت حجرتها و تمددت على اريكتها قليلا رفعت
كفها الجريحة لتنظر

لتلك الضمادة التى تلفه .. هو من وضعها حول كفها ...
هل كان حقاً ملتاعاً عندما رآها تنزف .. أم انها
تتوهم.....؟؟!

لماذا كلما اقترب ضاعت منها سيطرتها على أعصابها
وشعرت ان احرف الأبجدية قد اضطربت على لسانها
فلا تستطيع النطق بحرف واحد!؟...

نهضت تنظر من نافذة الغرفة ... على ما يحدث من
هرج ومرج بالأسفل ... هل يفعل كل ذلك من
أجلها!؟؟!...

ما سر اهتمامه بها !!؟.. منذ ليلة البارحة وهو يفاجئها
بما يقوم به من اجل إرضائها... وهى ايضا متفاجئة
من ردات فعلها تجاه أحواله المتغيرة تجاهها...
ظهر الآن فى مجال نظرها فى الأسفل .. يأمر وينهى..
حضوره الطاغى حتى وهو بعيد عنها لا يدرى وجودها
جعلها ترتعش بشكل غريزى لأرادى..

لكن من قال .. انه لا يدري...!!؟؟
ففجأة.. نظر للأعلى حيث تقف فى شرفتها...وتلاقت
عيونهما للحظات قبل ان تضطرب وتبتعد للداخل
متحاشيه نظراته ...

سمعت طرقات على الباب ... أذنت بالدخول
للطارق..

توقعت انها سهام ... لكن لم تكن غير سمية ... التى
دخلت تتفرس فى الحجرة بشكل خالى من الذوق ..
وهى تقول متصنعة المودة.. :- جلت أجي أجد
معاكى لحد لما يحضرونا الغدا...

-أفضلى... قالتها زهرة فى هدوء مرحبة على مضمض
-ها .. عامل ايه معاكى واد عمى عاصم .. هو واعر
وشديد ... وانتِ بندرية مش متعودة على طبعنا...
-الحمد لله ..ردت زهرة فى اقتضاب.

-أوضتكم حلوة... قالتها وهى تجول ببصرها فى ارجاء
الغرفة مستطرده أنتِ عارفة ..دى أول مرة ادخلها و
انتبه للى جواها أصل مش من عوايدنا العروسة تدخل
أوضتها جبل چوازها.

و تصنت اضطراباً بعد ذلك التصريح المسموم وهى
تكمل بث سمومها فى جو الغرفة والذى اصبح خانقا
فجأة بعد هذا التصريح ولا تعرف زهرة لذلك سبباً..

-أنا مجصدش... اوعى تكونى زعلتى... ده كان كلام
بس يعنى ..أنتِ عارفة الأهل وهنا بالذات فى الصعيد
... البت بتبجى مكتوبة لواد عمها من وهى فى
اللفة...

ونزهت فى ثقاقل منتظرة أن ترى تأثير كلماتها
الحاقدة على وجه غريمتها ... لكن وجه زهرة ظل مبهم
بلا أى تعبيرات ... ولم تستطيع سمية ان تستشف
من ملامحها ما يشفى غليلها...

دخلت سهام لتدعوها للغداء... نهضت سمية تتوجه للخارج وهى تلقى بنظراتها النارية على الغرفة والتي حلمت فى يوم من الايام ان تكون عشيها الهانى...

همست سهام فى أذن زهرة وهما تهبطان الدرج :- متخلّش كلامها يدايحك... دى غيرانة منك... ابتسمت زهرة فى شرود تطمئن سهام...

لكنها لا تعلم ما تلك المشاعر التى تكتنفها منذ تصريح سمية .. لماذا تشعر ان هناك شئ ما يتحرك .. ها هنا فى صدرها .. شئ لا تعرف كنهه ... احساس لم تستشعره من قبل...

أحاساس جعل من سمية خصم لدود .. لا تعرف لماذا؟؟؟ و وضعتها فى خانة المنافسة ولكن على أى شئ نتنافس....؟؟؟ لم تعرف إجابة على أسئلتها... ولم تجد الوقت الكافى لتجد إجابتها عندما وصلت للمائدة لتجد سمية تحتل كرسيها بجوار عاصم الذى كان



يستمع لحكاويها .. وينفجر ضاحكاً... جاءت لتجلس متوقعة انه سيحث سمية على الانتقال لمقعد أخر غير مقعدها.. لكنه كان مأخوذاً بذكرياتهما الحمقاء التي كانت تسردها الحاقدة فى فرحة غير موصوفة... جلست فى المقعد المجاور لسهام .. تختبئ خلفها ... يتأكلها ذاك الشعور المتنامى الذى لا تعرف توصيف له..

شعور مغلف بغضب مكبوت يندر بالإنفجار فى أية لحظة..

لم تتناول طعامها .. إنما أوهمت الجميع بأنها تأكل فقد كان فى حلقها غصة ما لو انها أكلت ملعقة واحدة من طعامها.. لأختنقت بها...

فى تلك اللحظة سمعت سمية تقول لعاصم فى نفس اللهجة المتغنجة :

- فاكرا يا عاصم لما سليم وجعنى من على المهرة
وانجرحت رجلي وفضلت شايلنى لحد الدار...

فى تلك اللحظة نظر عاصم لزهرة والتى أخيراً.. خرجت
من مخبأها خلف سهام ليصطدم بعيون جوزية تشتعل
غضباً.. مما جعله يبتسم ويهمس فى
نفسه.. أخيراً.. أستيقظ الوحش...

وكان على حق تماماً فلقد هبت زهرة من مقعدها
تستأذن لأنها تشعر بالصداع... شعر بخيبة أمل عندما
رأى رد فعلها... انها تهرب لا تدافع كما توقع من
روحها الوثابة المقاتلة والمندفعة دوماً...

-روحي يا بتى أرتاحى... قالت الحاجة فضيلة وهى
تتوقع انها غضبت من حكايات سمية الغير بريئة
المقصد

ففضلت لها الأبتعاد...

اندفعت تتجه لصعود الدرج.. وفجأة .. ألتوت قدمها
أسفل جسدها ..فصرخت فى ألم ...صرخة جعلت
الجميع

ينتفض مهرولاً اليها وكان عاصم أول من وصل لموضعها
منحنياً يتطلع لقدمها وما أن لمسها حتى صرخت
متأوهة...فهتفت الحاجة فضيلة فى ضيق:- خبر ايه..
عين مين اللى صابتك يا بتى!؟..

ردت سهام مصدقة على كلام أمها تلقى بالكلام لتفهم
سمية انها المقصودة :- صدجتى يا حاجة... دخل
علينا مين غريب النهاردة...!!؟..

اشتعلت سمية غضباً وتقاذفت الغيرة شرارات مع
نظراتها النارية ... ليس فقط من كلام الحاجة فضيلة
وسهام

والتي كانت تدرك انها المقصودة به
ولكن غضبها وغيرتها وحقدتها وصل ذروته بحق..

عندما وجدت عاصم يحمل زهرة بين ذراعيه ويصعد بها لحجرتهما كانت تتشبث برقبتة تستكين فى احضانه..

وهو متميم بها .. لا يهتم لما عاذاها...
كان ذاك المشهد كفيل بقتلها ... الف مرة غيرة
وحقداً..

فأندفعت خارج السرايى دون ان تلقى التحية على سهام والحاجة فضيلة والتي أطلقت كل منهما ضحكة مجلجلة على تعبيرات وجهها الشرسة..

فتح عاصم الغرفة ودخل بشكل جانبى حاملا زهرة بين ذراعيه ثم أغلق الباب بأحدى قدميه...

وجلس على الفراش ... والغريب انه لم يضعها عليه كما توقعت .. بل ظل محتفظ بها فى أحضانه يميل بجذعه..

ليتفقد قدمها المصابة لكنها فاجأته وتملصت من بين
ذراعيه لتقف فى شموخ بلا أى ألم أو وجع يذكر ..
ظل ينظر اليها فى حيرة وصدرها يهبط ويعلو
اضطراباً...حتى انجلت الصورة بوضوح فى عقله...
لينفجر ضاحكاً...حتى أرتمى بظهره على الفراش من
شدة قهقهاته...

أعتدل أخيراً محاولاً كبح جماح الإنخراط فى نوبة أخرى
من الضحكات الهستيرية ينظر اليها وهى لازالت على
حالتها تقف فى اعتداد وصمود جندى على وشك
الولوج لساحة المعركة ... يزداد وجيب قلبها مع ارتفاع
صوت ضحكاته... حتى انها حاولت منع نفسها قصراً
من الانخراط فى نوبة ضحك مماثلة..

وقف ليشرف عليها بقامته المديدة و التى تشعرها
بالتهديد وعدم الحماية وبدأت تتهرب بنظراتها
بعيداً..

مد كفه فى حنو بالغ يضعها تحت ذقنها ليثبت
نظراتها المشتتة لتقابل نظراته القاتمة والتي تراها الآن
كنهرين من عقيق مذاب...سأل فى همس قاتل :-أنتِ
عتغيرى...على...

لابد أن تبتعد الآن عن تأثيره وتخرج بعيداً عن مجاله
حتى تستطيع امتلاك زمام أمرها والرد بما يحفظ
كبرياءها

صوت داخلى فى منطقة ما من وعيها حثها على ذلك..
فتراجعت خطوات للخلف مبتعدة عن تأثير لمستة
الحانية وأولت له ظهرها.. وهى تقول فى صوت
حاولت تغليفه بالحزم على قدر استطاعتها :- أه طبعاً
بغير... تهللت أساريه لإعترافها الغير متوقع ...
فأستطردت... بغير على كرامتى وكبريائى...
استدارت لتواجهه وقد تبدلت ملامحه للنقيض...

وهى تكمل فى قسوة لم تعتدها فى نفسها :
- الغيرة اللى حضرتك تقصدها دى ملح الحب يا
باشمهندس .. وأعتقد الحب ده آخر حاجة ممكن
تكون بينا...

لاحظت ملامح وجهه الرخامية التى لا تحمل اى تعبير
يذكر ... اما عينيه فكانت قصة أخرى فقد تحولتا
لإعصار ينذر بكارثة .. كان يضم كفيه فى قسوة وذاك
الوريد فى رقبته ينبض فى غضب حد الانفجار...
وفجأة .. اندفع فى سرعة البرق للخارج صافقاً الباب
خلفه فى عنف أجفلها...

دخلت كذوبعة نارية تلقى حقيبتها على يمينها لتسقط
أحد التماثيل الرخامية محدثة دويماً صاخباً جعل امها
الحاجة

رتيبة تجفل فى انتفاضة وتهتف فى استنكار:-
حُصل ايه يا حزينه... جاية ليه من عنديهم زربينك
طالعة...!!؟؟

-البت دى مش سهلة ياما.. مش هانعرف نخلصوا
منيه بالساهل ... هموت من الغيظ ... هطج... قالتها
سمية فى حقد وغيره..لامثيل لهما..

-أنا جلت كده محدش صدجنى... أشربى ..

-لا ... أنا محدش ياخد من يدى حاجة كانت
بتاعتى.. وهتشوفى...

-يعنى هاتعملى أيه!؟.. كان التساؤل من نصيب أخوها
سليم الذى ظهر فجأة أعلى الدرج لينزل ويقابلها
ساخراً... كنتِ عملتى جبل سابج ما هو كان جدامك...

-لا .. هعمل .. وهعمل كتير كمان ... أنا سمية غسان
الهوارى... تيجى واحدة من التهامية تاخد مكانى
وأجد ساكتة... دى لو اخر يوم فى عمرى...

ومتجعدش السنيورة دى فى البلد ولا لحظة تانية...
-طيب واللى يساعدك...؟!..سأل سليم فى شيطانية..
- عنايا ليه...هتفت فى لهفة ..
-بس منجيش نجول .. لاه .. ومش هاجدر.. وكلام
الحريم ده...
-لاه متخافش أى حاجة هتجولى عليها هعملها.. بس
تغور البت دى من هنا..
-خليكم كده... أنتِ عايزة عاصم .. وهو عايز سهام ..
عشان ورث عمكم كلاته يبجى فى يدكم.. ماهو ابوكم
كان عنديه كده وأزيد ضيعه على مزاجه.. وع
الحريم... قالت ذلك الحاجة رتيبة فى تحسر مستطردة
موجهة كلامها لولدها سليم :- ما أنتِ طلبت سهام
كذا مرة وانت واد عمها.. وأولى بيها رفضوك ليه .. يا
حزين .. ثم استدارت عائدة مرة أخرى لمخاطبة سمية
ساخرة..وانتِ ما كنتِ جصاد المحروس واد عمك من

سنين مطلبكيش ليه .. ومستنياه وموجفة حالك عليه
واهو راح اتچوز وهملك.. خليكم يا ولاد غسان... والله
ما هتچبوها البر... وعاصم الهوارى.. غول لو وجعتوا
فى يده .. تبجى ياالله السلامة ...

تركتمهم فى نفاذ صبر وصعدت لغرفتها... وانزوى
كلاهما يتحدثان فى صوت خفيض.. هو يشرح وهى
تصدق على كلامه بإيماءة من رأسها وأبتسامة جزلة
تحمل كل الحقد مرسومة على محياها...

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رضوى جباريش



عبير الكتب
للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

الفصل الحادى عش

لم تراه النهار بطوله بعد ان خرج حانقا ... هل تراها قد تمادت فى قسوة كلماتها؟!..هل حقا تلك الكلمات .. كانت موجهة له...أم كانت موجهة لها فى الاساس...؟!..كأنما تذكر نفسها بأن عاصم الهوارى ... هو خاطفها... هو من جاء بها إلى هنا لينتقم من عائلتها ويذل أبيها.. وها قد حقق مراده.. وهى الان أسيرته... حبيسة داره... لا يمكن أن يجمعهما سوى البغض والكراهية التى هى مراثيها الأذلى ...

هى تشعر انه يتغير فى طريقة معاملته لها.. يبحث عن ما يرضيها.. أو يشعرها بالأمان ليفعله لأجلها... لكن عقلها أكد عليها مراراً أن ذلك ليس له دافع غير دافع الإحساس بالذنب فقط لاغير... ولا يمكن أن يكون لأى دافع

آخر قد يومهما قلبها به... عاصم الهوارى غول بلا
قلب...

لا تنسى ذلك تأكدي تماماً ان ما يفعله قد يحمل
أغراضاً أخرى غير رغبته المفاجئة فى ارضاءك... أنتِ
بحق ساذجة.. هتف عقلها فى سخرية... أنتبهى
لخطواتك فقد تجددين قدميك مغروستين فى أرض
موحلة ولن تستطيعى ساعتها الفكاك ...

كان قلبها منزوى يئن فى صمت يحاول الدفاع عن ما
يجول بداخله من خواطر ومشاعر.. لكنه وقف عاجزاً
أمام سطوة عقلها المسيطر تماماً..

وفجأة جفلت وأخرجها عنوة من تخيلاتها وخواطرها
طرق عنيف واندفاع لسهام داخل الغرفة.. وهى تهتف
فى فزع :

- ألحجيني يا زهرة .. ألحجيني.. حسام واد عمك راح
يطلبنى من اخوى عاصم دلوجت .. وأخذت تولول بعد

جلوسها تلتقط انفاسها على احد المقاعد وهى تضرب
بكفيها على رأسها ..

-بجد ..!!! حسام راح لعاصم يطلبك .. مش قلتيله
استنى اما أكلمه انا ...؟؟!..

-مرضيش.. وجالى من ميتا بنوسطوا الحريم فى امور
النسب .. دى تبجى عيبة فى حجه ولازماً هو اللى
يكلمه كلام رجالة وراح له.. هانعملوا ايه دلوجت
...؟؟!.. يا مُرك يا سهام .. يا مُرك ..

-اهدى يا سهام .. بإذن الله هاتيبنى سليمة .. ومتهى
لى حسام أتصرف صح ..هو ادرى بالواجب والمفروض
.. متخافيش ان شاء الله كله هايبقى تمام .. قالت هذه
الكلمات وهى تربت على كتف سهام تطمئنهما على
الرغم من توجسها هى شخصياً بِمَا يمكن ان يحدث ..
وخاصة ان اختيار حسام للتوقيت قاتل .. فعاصم بعد

ما حدث بينهما بالأمس .. لا تعتقد ابدا انه يفضل ان يراها او يرى اى شخص من طرفها او له صلة بها .

توقيت خاطئ تماما قد اخترته يا بن عمى للحديث فى موضوع شائك بهذا الشكل .. همست فى نفسها .. وهى ترجو ان يمر الأمر على خير ..

وصل حسام لداخل حدود إسطبلات الهوارية متقدما نحو المقاعد المتراسة التى يجتمع فيها كل رجال الهوارية وشبابها على فترات لتباحث امور العائلة واستشارة كبيرها فيما يخص اعمالها او خصوماتها ..

ولحسن الحظ .. لم يكن هناك الا جمع قليل .. هموا بالإنصراف فى نفس اللحظة التى ظهر فيها حسام يلقي السلام .. فألقوا السلام بدورهم ورحلوا ..

-اتفضل اجعد .. خير يا حسام .. مش بعادة .. قالها عاصم فى تعجب من وجود حسام فى مكان هو اقرب

ما يكون من حرم مقدس للهوارية لا يتطفل عليه
غريب .. ولا يطأه غيرهم.

تنحنح حسام فى حرج .. وقال فى هدوء :

- أنا چاى لك يا عاصم فى موضوع شخصى ..

-موضوع شخصى.. وعقد عاصم حاجبيه تعجبا .. خير
تحت امرك ..

-انا من غير مجدمات كثير .. چاى اطلب يد الانسة
سهام أختك ..

ظل عاصم بلا اى ردة فعل للحظات ثم نهض فى ثاقل
.. متسائلا فى سخرية:- سهام ...؟؟!...أختى أنى..!؟

رد حسام فى هدوء متجاهلا نبرة السخرية فى تساؤل
عاصم :

- ويكون ليا الشرف طبعا .. يا عاصم ..

-وانت بجى ..وانت چاى تخطبها .. محدش جالك ان
واد عمها متكلم عليها ولسه مدينا هوش كلمة!؟..ولا

انت متعرفش عويدنا ..؟!.. نطق كلماته الأخيرة بنبرة
تقطر استهزاءً.. مما دفع حسام لينتفض من مجلسه
قائلاً :- لاه ..محدث جال انها مخطوبة لواد عمها ..
واللى نعرفه انه اتجدم لها واترفض والحديث ده
جديم..

-لاه .. قالها عاصم مؤكداً .. طلبها تانى من كام يوم ..
واحنا مردناش عليه .. وبعدين اذا كنا رفضنا واد عمها
الى من توبها وأولى بيها .. هانجل بيك إنتا .. ليه
!؟؟.. واستمرت نبرة الإستهزاء والتعالي فى كلمات
عاصم ..

-أفهم من كده .. ان طلبى مرفوض !؟ سأل حسام وهو
يتمسك بأقصى درجات ضبط النفس حتى لا ينفجر
غاضبا فى وجه ذاك المتغطرس الذى يحدثه ..
-معلوم .. رد عاصم وهو ينظر لحسام نظرة إحتقار من
أعلى رأسه حتى اخمص قدميه.. مش عايزة ذكاوة

دى.. ويكون فى معلومك اللى انت بتفكر فيه مش ها
يُحصل.. فريح روحك احسن ..

-اللى بفكر فيه ...!!؟..سأل حسام وقد بدأ يفقد رباطة
جأشه .. جصدك ايه!! انى طمعان فى اختك وعايضا
لمالها .. ليه ...!!؟؟ انت متعرفش بتكلم مين؟! انا حسام
جدرى التهامى.. وعِندى اللى عِندك وبزيادة .. يعنى
عمرى ما هطمع فى مال ولا أرض لِانى عندى منهم
ويفيض والحمد لله ..

انفجر عاصم ضاحكا بإستهزاء.. وهو يقول :- طب اهدا
على نفسك بس .. بلاها فشخرة كدابة .. وكون انك
تفكر فى اختى من اساسه .. دِه كِدِه انت دماغك
شطحت لبعيد جوووى.. والأبعد .. انك تفكر انى
بالساهر كِدِه ممكن اچوزك اختى عشان تنتجم منيها
وترد لى اللى عملته مع بت عمك .. نچوم السما اجرب
لك من مچرد التفكير فى دِه..

-هو ده اللى چه فى بالك .. !!؟.. رد حسام بصوت هادر .. اذا كان كده يجبى انى اللى ميشرفنيش أخط يدى فى يد بنى ادم ذيك .. واندفع حسام خارجا من حرم الهوارية .. تتعقبه شياطين الدنيا .. والمزيد من ضحكات عاصم الساخرة ..

اندفع عاصم لداخل السراى كالثور الهائج ينادى بصوت جهورى على سهام التى قفزت من مكانها منتفضة عندما سمعت صراخه تحتمى بزهرة وهى ترتعد والتى طمأنتها .. وخرجتا سويا لمقابلته على اعلى الدرج .. وما ان رأها حتى هتف صارخا فى اخته المذعورة:- تعالى هنا .. حلاااا..
نزلت سهام الدرج فى ببطء.. وكأنما تساق الى قدرها وهى متشبثة بذراع زهرة من خلفها تأبى التخلي عنها

.. حتى وصلت لأسفل الدرج وهى تسأل فى براءة
مصطنعة وبنبرة مهزوزة متوترة :- خير .. يا خوى ..؟!..
-حضرى نفسك .. خطوبتك السبوع الجاى .. قالها فى
هدوء مخيف ..

-صح يا خوى ..؟!...هتفت فى سعادة
-أه .. أمال أيه...؟!؟؟ .. واد عمك سليم مستعجل .. رد
فى نبرة تحمل الكثير من الغموض والترقب ..
-سليم ..؟!... هتفت سهام فى صدمة .. سليم واد
عمى .. سألت فى ذهول ..

-اه .. هو فى حد تانى ..؟!... سأل ساخرا ..
فأندفعت سهام فى لوعة تنحنى قرب كفه القابضة
على رأس عصاه الأبنوسية تقبلها فى توسل:- لاه .. لاه
ياخوى .. أحب على يدك .. سليم لاه .. الا سليم ..
متجبلش حسام التهامى .. لكن .. مترمنيش لسليم ..
اهون عليك تجوز.. لم تكمل جملتها .. فقد جذبها من

شعرها لتصبح فى مواجهته وهو يقول جازا على اسنانه:

- وانتِ عرفتى كيف .. ان حسام التهامى .. اتجدم لكِ...؟!.. كان ينظر الى عيونها التى تحولت لعيون مذعورة وبدأ جسدها ينتفض .. و..

صرخت زهرة إنقاذاً لها:- انا الى قلت لها ..

كانت المرة الاولى التى يتنبه لوجودها فقد أعماه غضبه عن رؤيتها تقف على جانب الدرج مختبئة خلف احد الأعمدة تشاهد المشهد من بعيد دون تدخل .. والآن .. لا تعلم ما الذى جعلها تقف فى وجه المدفع بهذا الشكل السافر ..؟!؟

دفع عاصم اخته بعيدا لتتعلق بأحد المقاعد قبل ان تسقط أرضا وبدأ فى التحرك صوب زهرة بعد تصريحها الأخير الذى اخرجته عن طوره ..

انقض على كتفيها بكفيه قابضا عليهما وهو يهزها فى
ثورة صارخا بصوت هادر كالرعد :- اذا كنتِ فاكرة انى
هسمح ان أختى تبجى فى يوم مكانك تبجى بتحلمى با
بت الدااااكتور ناجى .. بتحلمى .. اختى مش ها تدخل
دار التهامية .. عشان يخلصوا منها الجديم والچديد ..
سمعانى ..جولى لواد عمك خطتكم انتِ وهو خطة
خايبة متخيلش على عيل صغير ما بالك بعاصم
الهوارى .. واخذ يهزها بقوة ..

وهو يصرخ .. سمعاااانى ..تلك الهزات المتتابة
جعلتها تشعر بالغثيان الذى فاق الحد خاصة بعد
سماعها كلماته المسمومة طاعنا فيها وفى بن عمها
بتهمة كلاهما منها برئ ..

تركها دافعا إياها بعنف عائدا لأخته صارخا فيها :-
جومى .. هاتى المحمول بتاعك .. جووومى ..

أندفعت سهام مهرولة تصعد الدرج .. فى تخطيط
ناظرة لزهرة بامتنان لإنقاذها وفى نفس الوقت .. يقتلها
إحساسها بالذنب تجاهها .. فلقد وضعت نفسها امام
ثورة اخيها التى يتجنبها الجميع من اجل انقاذها من
مصير مظلوم .. لو علم مجرد علم انها على علاقة
بحسام و تبادلته الرسائل والمكالمات الهاتفية على
فترات لقتلها بلا رحمة ... وتذكرت ان عليها حذف
كل الأرقام والرسائل قبل اعطائه الهاتف ..
اما زهرة والتى لازال الغثيان يسيطر عليها لم تستطع
الوقوف صامته امام اتهاماته البشعة ..
فتقدمت مترنحة لتقف أمامه من جديد لا تعرف كيف
واتتها القوة او الشجاعة للوقوف أمامه و هو كان أشبه
بقطار بدون مكابح لتتحداه الان .. لكنها .. لن تصمت
على إهانتها .. وإهانة بن عمها وعائلتها بالكامل ولو
كلفها هذا حياتها

-عارف ..؟؟!.. سألت فى هدوء يسبق العاصفة جعله
ينتفض متعجبا ناظرا لها بعيون يملأها الغضب والثورة
وبحواجب معقودة بنفاذ صبر ينذر بتجدد العاصفة ..
لتكمل هى بنفس الهدوء ..انا بشفق عليك ..

انتفض متوجها لها بكليته يشرف عليها بقامته المديدة
وبصدر يهبط ويرتفع ملتقطا الإنفاس بعد ثورته
الهادرة .. ومنذرا بإندلاع ثورة قد لا تقل إشتعالا عن
سابقتها .. اكملت دون ان يرمش لها جفن :- بجد والله
انت صعبان عليا قوووى...معقول كل السواد والحق
والرغبة الغريبة دى فى الانتقام .. كل ده مخزون هنا
!! وشارت بسبابتها لقلبه .. لتسأل بصوت متحشرج :-
انت ازاي عايش كده...؟؟!..

و بدأت عيونها تدمع رغما عنها وهى تستطرد غير
قادرة على التوقف وكبح جماح لسانها :- اول مرة
اعرف ان الناس عندها حق لما سمتك الغول .. غول

قلبه مات ودفنه من زمان ومبقاش غير الحقد
والانتقام معششين فى صدره .. بجد .. ربنا يعينك
على نفسك .. قالت كلمتها الاخيرة وهى تندفع من
أمامه قبل ان تغلبها دموعها صاعدة الدرج لتقابل
سهام فى طريقها اليه وفى يدها هاتفها الذى تناوله فى
غضب وبكل غل و انفعال .. وخاصة بعد كلماتها التى
سمعتها للتو قذف به للحائط ليسقط اجزاء .. مع
صرخات سهام المذعورة وهتاف الحاجة فضيلة وهى
تدخل من باب السراى متسائلة عن الثورة الهادرة التى
تسمع احداثها من الخارج ..
وكذلك .. تلك العيون الدامعة التى كانت تراقب
المشهد من بعيد من احد النوافذ وهى غير قادرة على
الدفاع عن حبيبة لطالما تمنّاها ولا يستطيع ولا يجرؤ
على البوح ..

اندفع زرزور مبتعدا عن النافذة التى كان يسترق
النظر والسمع منها على ما كان يحدث داخل السراى
ليعود ادراجه لحجرتة المتواضعة فى أطراف الحديقة
المحيطة بالسراى والتى كانت دوما ملاذه من الدنيا
عندما تضيق به نفسه ويريد ان يبتعد عن البشر بكل
آثامهم وضغائنهم وأحقادهم لا يؤنسه إلا صحبة ناى
.. ينفس فيه لتمثل انفاسه أنغاما لا يستطيع البوح بما
تحمله من معانى .. كان نايه هو وسيلة حديثه وبوحه
للعالم .. جلس يحتضن ركبتيه لصدره وهو يتذكرها ..
لقد دخل لهذه السراى وهى ابنة الثلاث سنوات ..
وشعر يوم أوكلت له الحاجة فضيلة حمايتها أن قدره
أصبح مرهون بها .. رآها تترعرع كزهرة ندية امام
عينيه وتحت إشرافه وحمايته .. مثلما كان أخيها
عاصم .. تحت حمايته .. على الرغم من انهما فى نفس



السن تقريبا ربما هو يكبر عاصم بعام او أكثر .. لكن
هى كانت دوما موضع اهتمامه ورعايته .. لم يكن
يغفل عنها ولو لحظة ..

كم عشق اسمه عندما نادته به للمرة الاولى .. انه
يتذكر كل لحظة من لحظات حياتها مقترنة بحياته ..
حتى أصبحت تلك الشابة فائقة الجمال .. بروح مرحة
.. وعيون نجلاء .. وقلب طاهر .. أه .. يا سهام ..

هتف زرزور فى لوعة .. وهو يحدث نفسه جاذبا أياها
من أتون الذكريات ... عرفتى تعشجى يا سهام .. عرف
جلبك يدج لغير زرزور ... لو تعرفى انى اولى الناس بيك
وبحبك ... أه .. يا سهاااام ... والله .. ما فى حد بالدنيا
دى كلها .. يعرفك كدى .. ولا هيحبك كدى.

وأحتضن نايه بين شفتيه ليخبر العالم كله انه عاشقها
دون ان يستطيع البوح بابجديات عشقه لمخلوق...

-على ايه الغاغة اللى انت عاملها دى يا عاصم .. خبر ايه .. ايه اللى حُصل لكل دِه ..؟!..سألت الحاجة فضيلة فى حجرتها التى اصطحبت اليها ولدها البكر لتستفهم عن سبب ثورته التى لم تشهد منها الا القليل عندما دلفت لداخل السراى بعد قضاء بعض المصالح الخاصة ببعض الاقارب و الذين تودهم كل فترة وتجود بما فيه النصيب لإعانتهم على مطالب الحياة والتزاماتها ..

هم بأن يتكلم ..لكن قاطعه طرق على باب الغرفة .. أذن لمن بالباب بالدخول فى ضيق لتتقدم فتاة بصينية عليها أكواب عصير منعش طلبته الحاجة فضيلة قبل صعودها .. كانت فتاة فى السابعة عشرة من عمرها لم ترفع وجهها عن الصينية التى تحملها .هتف فيها عاصم بغضب :

- انتِ مين يا بت ..؟!.. اضطربت الفتاة حتى كادت



تُسقط الصينية بما عليها .. ورفعت رأسها بإضطراب
تستنجد بالحاجة فضيلة التى هتفت

فى عاصم :- رجفت البنية يا ولدى .. دى كسبانة..
بت رجب الكلاف الله يرحمه .. بتجرى على عيشها
وعيش اخواتها وجصدتنى .. جلت تاجى تساعد ام
سعيد فى شغل السرايا ونكسبوا فيها ثواب ..

-طيب .. هداً قليلاحطى اللى فى يدك وروحى..
ولو الحاجة شكت منك .. ملكيش عيش هنا.. هتف
فى الفتاة التى وضعت الصينية من يدها وهى تحرك
رأسها موافقة عدة مرات حتى غابت من الغرفة وهى
تغلق الباب خلفها....

-ها مجلتش .. كانت على ايه الخناجة اللى شفتها
تحت دى .. !!؟.. أعادته الحاجة لواقع القصة بسؤالها
فعادت لهجته تنضح بالثورة والشدة من جديد

-على أيه ..؟!.. أجولك يا حاجة .. على آخر الزمن ..
بن جدرى التهامى يتجراً ويتجدم يطلب يد سهام
..تخيلى

انا اسلم اختى .. لولاد التهامى ...؟!.. وبيدى ...؟!..
لمعت عيون الحاجة فضيلة ببريق عجيب عندما
سمعت ما اخبرها به عاصم ورددت فى شroud عجيب:
- بتجول واد جدرى التهامى ..هو اللى طلب سهام
..؟!..

-أه .. يا حاجة .. تصدجى ..؟!.. هتف عاصم ساخراً
- طب وفيها ايه دى ..؟!.. سألت الحاجة فضيلة ببراءة
جعلت ولدها ينتفض متعجباً وهو يتفرس فى أمه
وكأنها شخصاً غريباً لا يعرفه .. ليسأل باستغراب :-
خبر ايه يا حاجة؟! انت واعية انا بجول ايه ..
وعلى مين ..؟!.. دوول التهامية اللى طول عمرك ما
بطجيش سيرتهم .. ها تديهم بتك ..؟!..

-خابرة انهم التهامية .. قالت بهدوء مريب ..وبعدين
انت شفتنى وافجت على چواز بتى من ولدهم .. انا
بجول وفيها ايه .. ما يتجدم .. واحنا لينا نجبل او
نرفض .. ولا أيه ..؟!..

نظر عاصم لأمه بشك وريبة .. لا يعرف ما الذى تخفيه
الحاجة فضيلة بجعبتها .. فهى أمه التى يدرك عقليتها
جيذا .. ويدرك تماما ان ردها هذا .. يخفى ويبطن
..الكثير والكثير...

www.aberkotob.com

اندفعت سهام لحجرة ابيها الحاج مهران باكية شاكية
ظلم أخيها :

-يرضيك يا حاج ..!!عاصم عايز يجوزنى لسليم انت
ترضهالى دى ..؟! ترضى يرمىنى لسليم واد عمى اللى

مش عايزنى الا عشان مالى وورثى بعد العمر الطويل
ليك .. تجبل يا حاج .. قالت سهام كلماتها متشنجة
وقد تورمت عيونها من البكاء والنحيب..

أشار اليها ابوها وهو يسعل كعادته فدنت منه مطرقة
الرأس جسدها يهتز انفعالا وتشنجا على ما أل اليه
حالتها .. أخذ ابوها يربت على كتفها فى إشفاق فهى
مدلته بلا منازع وما كان يرفض لها طلبا ولا يقوى
على حزنها يوما ..

-أهدى بس .. مين ده اللى يستجرى يزعل الجمر ..
تلاجيكى ضايجتى عاصم فجال الكلمتين دوول .. لكن
عمر اخوكى ما يعمل كده .. وبعدين هو انا رحت
فين...؟!.. هو يجدر يعمل حاجة من غير شورتى ..
جوليلى بجى .. عملتى ايه خلتيه عايز يجوزك
المدعوج سليم...?!..

-انا معملتش حاجة .. قالت سهام فى براءة .. واد
جدرى التهامى هو اللى عمل .. وارتسم الخجل على
محياتها .. طلب يدى من عاصم ..

-واد جدرى التهامى .. مين فيهم ..؟! ما هو عنديه
وادين ..

-الكبير يا حاج .. حسام .. قالت سهام باندفاع ..
فأنفجر الحاج مهران ضاحكا :- ده انت تعرفيه بجى..؟؟
طأطأت سهام رأسها من جديد لا تقوى على مواجهة
عيون ابيها الذى قال فى ود :- طب وماله .. لو بن
حلال وراجل چدع .. ايه المانع ..؟؟!

-جول الكلام ده لولدك يا حاج .. راجل محترم
ومحاسب كد الدنيا .. ومنسبينهم وبتهم عندينا ..
وأخلاجهم ذى الفل .. ده يتعيب ..؟! .. قالت سهام
فى حماس منقطع النظير دفع ابيها للإنفجار فى

الضحك مجددا مصحوبا بنوبة السعال المعتادة وهو يقول بعد ان هدأ سعاله قليلا :- يخيبك يا سهام .. انى لازماً اشوف الحليوة ده اللى وافجت عليه سهام الهوارى بجلالة جدرها ..

-انا مجلتش انه حليوة على فكرة قالت سهام مشاكسة ابوها فى مرح ..

-مش محتاجة تجولى يا جلب ابوكى.. الحاج مهران يفهمها وهى طيارة .. وربت على رأسها فى حنو وهو يقول:- متجلجيش .. اخوكى عيحبك ومش ممكن يزعلك او ياجى عليك..

أنتفضت سهام عندما أستاذن عاصم فى الدخول وما ان رآها حتى قال فى ضيق :- حلاً جاية چرى تشكىنى للحاج ..!!

-واااه يا عاصم .. امال تشكى لمين غير لابوها...؟؟؟.. هتف الحاج مهران فى نبرة مؤنبة جعلت عاصم يتراجع

من فوره هاتفاً :

- لاه .. طبعاً يا حاج .. ده انت الخير والبركة .. احنا عايشين بحسك ومن خيرك ..

فأندفعت سهام تستأذن للخروج من الغرفة لا تقوى على رفع رأسها لتقابل نظرات اخيها المتوهجة غضبا .. بينما نظر ابوه له وهو يقول فى صرامة غير معهودة عند حديثه لولده:- خبر ايه يا عاصم .. مش كنا فضيناه موضوع سليم ده .. ايه اللى فتحه تانى .. وايه المشكلة فى ان واد جدرى التهامى يتجدم لأختك .. ما احنا منسبينهم .. وبتهم اللى هى مرتك بالمناسبة عندنا .. ايه المشكلة لما نديهم بتنا .. وهم ناس محترمين .. وولدهم .. ميتعيبش ...؟!!...

-خبر ايه ...؟!!... انت كمان يا حاج؟! .. انا مبعجثش عارفلكم .. بجيت أنا دلوجت اللى غلط .. وانا اللى ضد التهامية على طول الخط وكلكم معاهم .. لاه...وايه

کمان ..هتف ساخراً.. بتشعروا فيهم .. وهتدوهم
بتکم..ثم هتف من جديد حانقا :- وانی ایه درانی یا
حاج انه مش عایز اختی تخلیص حج ذی ما خدنا
بتهم ...!!...؟.. مین یضمن لی انهم هایعملوها بما یرضی
الله ویشیلوها فوج روسهم ..!؟ انا بعمل کده .. عشان
خایف علی اختی .. یا حاج ..فهمتنی...!!...؟..

-فهمك .. فهمك جوووی یا ولدی .. فهمك اكر من
روحك ..بس انت معذور .. فاکر ان التهامية کلاتهم
جواهم نفس الغل والانتجام اللى امك سجتھولك
ضدهم .. اللى چواک ده .. چواک لوحدک یا عاصم
عامی عینک وجلبک عن حاجات کتیر حوالیک
حاجات لو نسیت غلک وانتجامک شویة .. مش
هتشوف أچمل منیها .. وهاتندم علی کل لحظة من
عمرك ضیعتها فی اوھام کدابة ملھاش عازة

اسمع من ابوك اللى ميهموش فى الدنيا كلها الا
سعادتك .. وراحة بالك...

نزلت كلمات الحاج مهران على قلب عاصم كالبلسم
الشافى فقد كانت كلماته شبيهة لحد كبير بكلمات
سمعها منذ ساعة ... وتذكر كلمة واحدة .. دوت ببراح
روحه .. نطقها صاحبة نظرات نارية ولهجة متحدية
..... أنت أزاى عايش كده!؟؟...

كانت تحتوى دوما بحجرة الحديقة تقضى فيها جل
وقتها .. تجلس فيها بالساعات تقلب اوراق رواياتها
وكتبها هربا من واقع يحيط بها .. وواقع اخريفرض
نفسه داخلها .. واقع من مشاعر وأحاسيس تفتك بها
رغم رفض عقلها .. الا ان قلبها .. يضرب بكل تعقلها
عرض الحائط .. لم تكن تعرف ان هذا ممكن ..

ان يتعارض قلب وعقل فى جسد واحد .. ان يتخذ
العقل اتجاها.. لياخذ القلب الاتجاه المضاد ..
يا لها من معضلة !!..

وهى التى تدفع ثمن تلك المعضلة و تتمزق اشلاءً ما
بين بين .. لا هى قادرة على مطاوعة عقلها بسبب
سطوة القلب .. ولا هى قادرة على مطاوعة قلبها
.. عندما يفرض العقل قرارته المصيرية ..

كانت غارقة فى متابعة احداث حياتها متصنعة الغرق
بين سطور احدى الروايات .. لكن تركيزها كان ينصب
على ما يدور بمخيلتها ولم تنتبه لذاك الخيال الأنثوي
الذى يقترب

-أزيك يا زهرة .. كيفك ...!!؟؟.. سألت سمية فى وداعة
مصطنعة..

-أهلا يا سمية .. اتفضلى .. نطقته زهرة بلا حماسة فلا



داعى لتصنع المودة فكل واحدة منهما تعرف انها لا
تتقبل الاخرى على اى حال ..

-مش عايزة اعطلك .. بس انا كنت معدية من جنب
السرايا جلت أجى أطل على مرت عمى .. وعليكم ..
-فيكى الخير يا سمية .. بيتك فى اى وقت ..
-أه طبعا بيتى .. امال ايه معلوم .. بيت عمى يبجى
بيتى ..

قالتها وقد بدأ غلاف المودة المصطنع يذوب ويظهر
الغل والحقد يقتر من الكلمات ..

-طب أقوم أجيبلك حاجة تشربيهها .. نهضت زهرة رغبة
فى تجنب ذاك الحوار العقيم مع تلك الحاقدة التى
كانت علي استعداد لفعل اى شئ فى سبيل الفوز
بقلب عاصم .

ودت ان تهتف فى وجهها :

- خذيه بكل سرور .. فلتأخذى قلبه القاسى .. فهو
يناسبك تماما .. وصدقينى لن أغضب أو أحزن فهو
يستحقك .. كما انك تستحقينه..

رأت من موضعها خيال سهام يشير لها من نافذة
علوية...فاستأذنت وغادرت المكان الموبوء بالحد
مبتعدة متعلقة بجلب المشروب ..

اندفعت لداخل السراي فبادرتها سهام لتلحق بها عند
مهبط الدرج وهى تتلفت حولها قبل ان تتكلم :- زهرة
..

هو حسام مبعتكيش حاجة ..!! سألت سهام فى قلق
وترقب

-بععلى ..!!؟.. ها يبعث لى ايه ...!!.. سألت زهرة فى
تعجب

-رسالة .. او اى حاجة نفهموا منيها هو ناوى على ايه
...?!!..

-ما هو اللى كان ناوى عليه عمله .. وطلبك وأخوكى
رفض .. انتِ مستنية يعمل ايه تانى .. ؟!!.. سألت زهرة
بتعجب

-مش عارفة ..؟!.. بس اهو بسأل .. بصبر روحى ..
-طيب .. اروح اطلب حاجة لبنت عمك تشربها ..
عشان نخلص وتمشى هى مش ناقصة تعب اعصاب
كفاية اللى احنا فيه .. هتفت زهرة بنفاذ صبر

-عندك حج.... انا مش طايجاها .. ولا طايجة سيرتهم
هى وأخوها.. الله يكون فى عونك انك جاعدة معاها ..
تركت سهام و توجهت للمطبخ تطلب شاي لسمية
لتعود لها لتجدها من البعد تطلب بين الروايات وتعبث
بالكتب على الأرفف.. والأدهى من ذلك كله انها
لاحظت انها كانت تعبث بهاتفها المحمول .. والذى

نسيته هى .. حين اندفعت مسرعة لداخل السراي
لإحضار المشروب وهربا من سخافاتهما وقد تركته سمية
على عجل عندما شعرت بإقترابها .. ماذا كانت تفعل
به يا ترى وتتصنع الان العبث بالارفف.. وكأنى لم
أرها...!!...؟..

أرتشفت سمية رشفة سريعة من الشاى ثم نهضت
راحلة على عجالة ليست من طبعها أثارت تعجب زهرة
.. لكن رغبتها فى رحيلها كانت أقوى من ان تتساءل
لما رحلت ..

أخذت زهرة تقلب فى جوالها لتعرف لما كانت تعبث
به لكنها لم تجد شئ غريب يدعو للدهشة .. ربما
أعجبها وكانت تتفحصه .. ربما ..

وفجأة اهتز هاتفها معلنا عن وصول رسالة .. فضتها
بوجيب قلب عال .. ظنا انها من عاصم .. لكن خاب
ظنها

فضت الرسالة العجيبة .. " يا ريت يا بت عمى .. انا
عايز اجابلك فعلا.. فى حاجات لازماً نخط فيها النقط
على الحروف .. هجيلك فى إسطبلات التهامية
النهاردة الساعة خامسة المغرب .. معلىش .. مش فى
البيت مش عايز عمك ياخذ خبر.. " .. تعجبت .. هذه
رسالة من حسام .. فضتها من جديد لتتساءل فى
استغراب هامة :-.. بيقول يا ريت فى أول الرسالة
على ايه ..؟!.. وبعدى وانا هقدر اعمل ايه فى
موضوعكم تانى يا حسام .. اكتر من اللى حصل ..؟!..
وبعدى هخرج ازاي أصلاً ..؟!..
اندفعت بالرسالة الى سهام التى تلقتها فى فرحة
غامرة..
-روحى يا زهرة عشان خاطرى.. شوفيه بيفكر يعمل
ايه..؟!..

-اروح فين يا سهام ..!!؟.. هتفت زهرة غير مصدقة
لما تطلبه سهام .. لا كده جنان رسمى .. انا اصلا
هخرج ازاي ..؟!.. ده أخوكى يدور فينا كلنا القتل ..
انت شوفتى عمل فيا ايه لمجرد انه عرف ان انا اللي
قلتلك على خبر طلب حسام لأيدك .. أنت أكيد ناوية
على موتى .. صح !!!

لم ترد سهام .. وظلت تزرع الغرفة جيئة وذهابا حتى
هتفت فى نشوة :- لجيتها .. انتِ تروحي للحاجة
فضيلة وتستأذنى منها انك عايزة تزورى عمك جدرى
.. وتروحي تشوفى حسام .. ولا من شاف ولا من درى..
ايه رأيك ..؟!.

-أه من دماغك لما تكونى عايزة حاجة؟!.. انفجرت زهرة
ضاحكة وسهام تنحنى تحيىها وترسل لها القبلات فى
الهواء .. كنجمة سينمائية.

-خلاص .. انا هروح استأذن من الحاجة واجهز و ربنا
يستر .. قالت زهرة في خوف

-ها يستر .. بس بجولك .. صمتت سهام فى خجل ..
أبجى سلميلى عليه .

-حالا اضر ... قالت زهرة بإبتسامة وهى تندفع باحثة عن الحاجة فضيلة لتجدها قابضة بمكانها المفضل فى إحدى القاعات المظلة على الحديقة..

ما أن دخلت حتى استرعت انتباه الحاجة فضيلة فوراً..
كانت تشم فيها رائحة العزيرة الراحلة .. فأشارت لها
الحاجة قبل جلوسها .. بأن تأتي لتجلس بجوارها
فأطاعت زهرة في وداعة لتربت الحاجة على كتفها في
محبة خالصة هاتفة:- كيفك يا بتي .. زينة ..؟!..

-الحمد لله .. أجابت زهرة ..

-بجولك .. انتبهت زهرة .. أوعاكِ تكونِ زعلتى من
عاصم ..والله عاصم جلبه طيب .. بس هو حمجى
حبتين..

لم تكن زهرة لتجادلها فيما يخص عاصم مطلقا.. لذا
أثرت الصمت .. ثم تشجعت :- ممكن أروح لعمى .. لو
سمحتى يا حاجة...؟!..

-زيارة يعنى ..؟!.. سألت فضيلة فى توجس..

-أه طبعا .. ولو حضرتك فاكرة انى ممكن أقوله حاجة
من اللى حصلت هنا .. حضرتك أطمنى .. مش ممكن
طبعا .. انا بس عايزة أزوره .. لأنى مرحتلوش خالص..
بابا وصانى أزوره دايمًا .. لو مفيش عند حضرتك مانع
...؟؟!!..

-طب .. ومطلبتيش من چوزك ليه .. كان وداكِ
بنفسه..!!..

سألت الحاجة فضيلة فى خبث ولكن زهرة صمتت قليلا ثم اجابت فى هدوء:

- مش عايزة أفتح معاه مواضيع تخص عيلتى خاصة بعد موضوع حسام وطلبه أيد سهام .. فجيت أطلب من حضرتك السماح بالزيارة .. لو مش ها يحصل من وراها مشكلة ..

-طيب يا بتى روحى وماله .. حجك طبعا ..
-متشكرة يا حاجة .. هروح أجهز .. عن إذنك ..
-روحى يا حبيبتى .. فى حفظ الله ..

www.aberkotob.com

رسولى جلالى

الفصل الثانى عش

اندفعت سمية متصنعة الهرولة حتى كادت تصدم
بعاصم لولا يقظته ليقفها فى الوقت المناسب فهتف
بضيق:- خبر ايه يا سمية ..واحدة فى وشك ..!؟

-معلش ..اصل مستعجلة يا واد عمى .. مختش بالى

-حصل خير .. بس على فىن العزم ان شاء الله .. ؟!! ..

-راجعة دارنا .. ده حتى انا كنت لِسَّه راجعة من
عنديكم وشوفت مرتك .. وهى رايحة نواحى إسطبلات
التهامية..

- مرتى .. انتِ متوكدة..!؟سأل متوجساً

- أه طبعا متوكدة .. هو انا هتوه عنيه ما تاجى

تروحنى.. وتتعى معانا .. سليم تلجاه بالبيت

دلوجت.. قالت فى دلالتها الممجوج..

- معلش.. مرة تانية يا سمية .. أعتذر مندفعاً



والشياطين تتبعه.. وابتسامتها أقرب ما يكون لفحيح
حية رقطاء..

اندفع حسام فى طريقه حتى وصل لأسطبلاتهم.. كان
يسرع الخطى رغبة فى اللحاق بابنة عمه فى الميعاد
المتفق عليه .. لابد وان يكون هناك جديد لترسل له
ابنة عمه رسالة تبلغه فيها رغبتها فى لقائه.. وترغب
فى ذلك بعيدا عن دارهم ..و.. بعيدا عن علم عمها
وتحدد له فيها الميعاد والمكان المخصص للقاء..
لقد جاء وقد ألغى كل أعماله ربما يتحقق أمله فى
الزواج من سهام ويكون لدى زهرة الحل لمعضلة
زواجهما..

دخل الإسطبلات يبحث بعينه عنها .. ثم تذكر انها لم
تأتى الى هنا الا مرة واحدة .. وبالتأكيد لا تعرف فى

المكان سوى ذاك الإسطل الذي قابل فيه سهام للمرة
الثالثة ..

ابتسم للذكرى .. فهو بحق يحب تلك الغلباوية التي
تملك لسانا يناهز طولها مرتين .. لكنها ايضا تملك حسا
فكاهيا عاليا وروحا مريحة طفولية .. لقد تغير كليا منذ
عرفها وذلك العبوس الذي كان يكلل ملامحه انقلب
لإبتسامة دائمة ..

هو نفسه لا يعلم كيف ومتى حدث ذاك التغير ..!!...?
لكنه يستشعره فى نفسه مثلما استشعره جميع من
حوله ..

قاطع صوت زهرة استرسال خواطره وهى تنادى بإسمه
فى خفوت... فأندفع لمصدر الصوت على عجل ..
-أزيك يا داکتورة .. هتف حسام ..
-الحمد لله يا حسام .. كله خير ..

-أزى سهام ..؟!.. سأل حسام بابتسامة كان من النادر
ان ترسم على محياه .. تعجبت منها زهرة رافعة
حاجبيها ..انه بحق يعشق سهام .. ان مجرد ذكرها
أبدله لشخص اخر لا تعرفه..

-على فكرة هى كمان بعثالك السلام .. ابتسمت زهرة..
-صحيح ..!!.. ربنا يسلمها .. أجاب فى حبور..
-المهم انت بعثلى الرسالة ليه .. فى جديد..؟!..
سألت متلهفة

اما هو فقد اجاب عاقدا حاجبيه :- انا جلت الجديد
عندك يا داكثورة .. لأن انتِ اللى بعثى الرسالة ..
وحددتى المكان وزمان المجابلة ..
هتفت زهرة فى تعجب :

- انا مبعثش رسايل .. ده انا حتى معرفش رقمك.

نظر كل منهما لآخر مندهشاً وقد شعرا بشكل غريزي
ان الامر لا يخلو من ورطة ما .. لكن زهرة كانت الأسبق
للخروج من حالة الدهشة تلك لتهتف متسائلة حتى
يتسثنى لهما الرحيل فى عجالة:

-المهم .. قولى انت ناوى على ايه فى موضوعك مع
سهم...!!...؟... سألت فى ترقب منتظرة إجابته والتي ما
ان هم بنطقها حتى سمعا صوتاً جعل الدم يتجمد فى
عروقهما رعباً يهتف مجيباً سؤالها :

- أجولك أنا يا داکتورة هو ناوى على ايه!؟... كان صوتا
صارما قاسيا يكسوه الغل .. صوت لا يملكه الا شخص
واحد فقط .. عاصم الهوارى .

كان كلاهما يقف مشدوهاً لم يستطع الإتيان بأى ردة
فعل ولا حتى النطق بكلمة .. فزهرة عرفت ان هذه
نهايتها من نظرات عينيه التى تمرور بالثورة والغضب
القاتل ..

نظرات بحدة سكين مَسنون تمزقها بلا رحمة .. اما
نظراته لحسام .. فكانت تكفى لصرعه قتيلا فى
لحظتها..

-عايزة تعرفى واد عمك ناوى على ايه .. !! سأل عاصم
ساخرا بنبرة تقطر حقداً...ناوى على اللى انا كنت ناويه
يوم ما شفتكِ يا داكثورة..

-لا يا عاصم .. انت فاهم غلط .. حسا.. اندفع اليها
كالإعصار مما دفعها لتقطع كلامها فى رعب .. وها هو
يصل اليها ممسكا بذراعها فى عنف .. جاذبا إياها
خارج المكان وهو يهتف فى غل :
- وچالك عين تدافعى عنيه كمااان ...!!؟؟..

-انت مش راضى تفهم ولا تسمع حد ليه...؟!.. صرخت
فى يأس وهى تحاول جذب ذراعها من يده التى تقبض
عليها بلا رحمة .. ترك ذراعها وهو يهتف بغضب
هادر..

-انا مبسمعش الا صوت واحد .. صوت دِه .. أخرج
من جيب جلبابه مسدسه الذى يحمله دوماً واستطرد
فى وحشية أرعبتها.. ومشيفش جدامى دلوجت غير
لون الدم ..

انكمشت على نفسها وهى ترى تطور الموقف بهذا
الشكل ..وها هى الان.. ترى الغول بشحمه ولحمه
وقسوته وجبروته أمامها .. وكم أرعبتها الصورة ..!!
هتف حسام لعاصم محاولا امتصاص غضبه بأى
طريقة:

- اسمعنى بس يا عاصم ... الموضوع فيه سوء تفاهم
.... فى حد عايز يوجعنا فى بعض..
هتف عاصم ساخرا :

- ها .. وايه كمالاان ...؟!.. ثم تغيرت نبرة صوته بشكل
وحشى صارخا :

- ما اصل انى مغفل عشان اصدج الكلام ده .. هى خلصت على كده وانتوا جببتوا آخركم معايا يا ولاد التهامية .. ورفع مسدسه لأعلى وأطلق عيارا ناريا فى الهواء جفل على اثره البهائم فى الإسطبل .. وارتفع صهيل الأحصنة وصرخت زهرة فى رعب واضعة كفيها تغطى أذنيها فى هلع حقيقى .. وبدأت ترتجف وهى تتذكر تلك الليلة .. التى جاء أهلها امام سراي عاصم .. وبدأت المعركة .. كانت المرة الاولى التى تسمع فيها صوت الرصاص الحى .. لكن هذه المرة .. التهديد الذى يحمله عاصم و المرسوم الان على ملامح وجهه المرعبة .. لن يظل تهديدا .. بل سيأخذ وضع التنفيذ حالا.. لكن هى لن تدع ذاك يحدث.. لن تدع ميراث الدم يتجدد .. وتعيش العائلتان ويلاته مرة أخرى.. لا تعرف حقا كيف واثتها الجراءة .. لتدفع نفسها لتقف

أمامه تصد بجسدها جسد حسام صارخة :
- لو عايز تقتل حد هنا .. أقتلنى أنا بس بلاش حسام ..
كفاية دم بين العيلتين يا عاصم .. كفاية دم عشان
خاطرى..

هم حسام للزود عن ابنة عمه .. لكن عاصم فاجأه
.. وفاجئ زهرة بدورها والتي كان يرمقها بنظرات
مبهمة لم تستطع ثبر أغوارها .. لكن ما تعجبت له
بالفعل كان ردة فعله .. فقد اخفض سلاحه ببطء شديد
ولاتزال تلك النظرات التى تقفز من عينيه ترعبها.. وما
أرعبها اكثر هو اقترابه منها وميله اليها هامسا فى غل:
- جلك عليه جووى !!!.. وماله .. هجلك .. هجلك
بداله .. وازداد همسه وحشية مؤكداً .. هجلك بس
بطريجتى وجذبها من ذراعها خارجاً .. وهو يهتف فى
وجه حسام صارخا :

- أوعاك تكون مفكر ان حسابك معايا خُص .. لاه..
لِسَّه حسابك معايا تجييل جوووى ..

اندفع حسام خلفه يضع جسده يسد باب الإسطبل
مانعا إياه من الخروج وهو يجذب زهرة خلفه بهذه
الطريقة يدفعه رعبه عليها ليتحدى الغول وهو على
هذه الحالة التى يعميه فيها غله وحقده عن ادراك
الحقيقة واستيعاب ما يحدث والذى قد يصل لحد
المكيدة .. فيما يجرى فهتف صارخا بدوره وهو
يعترض طريقهما :- سيب زهرة يا عاصم .. بكفياها..
وانا جدامك أها..

انفجرت ضحكة خشنه ساخرة من اعماق عاصم بعد
لحظات من الصمت يتبادل فيها النظرات بين حسام
وزهرة والتى بدأت بحق ترى الدنيا تتأرجح امام عينيها
وهو لايزل قابضا على ذراعها بقسوة :- ايه يا واد
التهامى..

ها تمنعنى أأء مرءى ولا ايه .. !!؟.. وءءع بعءام
بعاءا .. مءءملش فىها فارس مش لاءة علىك الشهامء
.. وبعءىن .. ماأنا آلنا اصبر .. ءورك آاى ..
مساءل لىه على رزآك...!!

وانءع عاصم آجر زهراء آلفه وءع بها بعنف لءصء
العربء الءى صهلاء أأصنءها عءءما آذب لآامهما
فى قسوء .. لءءع العربء آسابق الرىآ .. وفآاء ..
أسمع طلق نارى مآهول المصءر .. ىءرء صءاه فى
هءوء اللىل ..

ولم ىكن ذلك الامر الذى ىمكن ان ىسءرعى انءباه عاصم
فى آلك اللآظات .. فذاك امرشائع لا ىءعو للقلق او
الآساؤل .. وعاصم بعء آلك الآالة الءى آلبسآه عءءما
رأهما سوىاً.. ورأى كل منهما كيف ىءافع عن الآخر لم
ىكن لىهآم الا بآلك الءى آآاوره فى العربء آنآفض رعبا
وهى آرى على مآياه أمرا لا آرىء آآى آصءىقه ..

كان يجرى كالمجنون الذى تلاحقه شياطين الجحيم
وقلبها ينتفض بشكل هستيرى بين جنبات صدرها ..
عبرا بوابة السراى وأوقف العربى بتهور كاد يدفعها
لتنقلب بمن فيها ...

نزل قافزاً وجذبها من يدها فى خشونة .. حاولت ان
تقاوم .. لكن مقاومة إعصار فى تلك اللحظة أهون
بكثير من مقاومة هذا الوحش الذى يكبل معصمها
ويدفعها دفعا أمامه كأسيرة حرب .

انتفضت امه وسهام عند رؤيتهما بهذه الحالة وهما
يدلفان لداخل السراى ... لكنه قال بصوت هادئ
متصنع لا يعكس إطلاقا حجم الغضب الذى يعتل
بصدره وهو يضغط على اسنانه فى غل :- محدش
يدخل بكلمة .. مرتى وانا حر فيها .. حاولت امه
التدخل رغم ذلك وهى ترى الذعر بادياً من عيني

زهرة... واندفعت الدموع من عيني سهام لمرأها بهذا الشكل وخاصة انها تعلم السبب فيما يحدث .. ليتها لم تستمع لكلامها وتذهب للقاء حسام .. لكن بماذا يفيد التمنى الان .. وماذا سيحدث لهذه المسكينة...؟!..

هتفت الحاجة فضيلة بشفقة وهى ترى عاصم يجذب زهرة خلفه للأعلى والتى حاولت مقاومته ليحملها عنوة كجوال من القطن على كتفيه قابضاً عليها بذراعه والتى حاولت التملص منها .. لكن لا فائدة ..

-مش كده يا عاصم .. التفاهم ميبجاش كده .. هى عملت ايه لكل ده .. طب فهمنى؟!..
صرخ عندما وصل لأعلى الدرج :

- عملت اللى عملته .. محدش له صالح.
دفع باب الحجرة بقدمه فى عنف ليدلفا اليها .. لينحنى قليلا ويدفع بها بعيدا عن كتفه لتلامس

قدمها الارض وهى تترنح بلا اتزان للحظات قبل ان تستعيد توازنها من جديد.. ليدفع الباب بعنف مرة أخرى مغلقا إياه .. وقف يلهث بشدة يتطلع اليها وعيناه تنصب عليها فى جزل بغيض نظراته أشبه بنظرات ذئب جائع ...

بدأت تتراجع خطوات بطيئة للخلف وهى تعلم انها هالكة لا محالة .. انه يبدو خارجاً عن السيطرة .. تراه الان يتقدم اليها كفهده يتربص بفريسته وفى طريق تقدمه خلع عمامته وألقى عصاه من يده .. وصل تقهقرها لنهايته عندما اصطدمت بباب الشرفة خلفها وألتصق ظهرها بالحائط .. فى نفس اللحظة التى لحق بها ليأسرها بين الحائط و ذراعيه الممتدان بطولهما واللتان أسند كفهما على الحائط موازيتان لرأسها .. ليقول بصوت خفيض أجش يأتى من اعماق سحيقة :

- فى نفس المكان اللى انتِ واجفة فيه ده يوم فرحنا..
وعدتك انى مش ممكن ألك المسك الا برضاكى.. وكنت كد
الوعد .. لكن الوعد مع واحدة زيك ميتصانش
وميتبجيش عليه لإنك ميجتيش على
حاجة..ومصنتيش اى حاجة..نظرت لعينه الغائمة
فى رعب حقيقى وهى تسأله :
- قصدك ايه ..؟!!..

اقترب اكثر وأكثر مقلصاً طول ذراعيه وهمسه يتخلل
مسامعها مع انفاسه الحارة التى لفتحت جانبى وجهها
كنيران الجحيم :

-جصدى انى هجتلك .. بس بطريجتى يا بت التهامى..
كمحاولة اخيرة للفرار .. انحت لتعبر من تحت احدى
ذراعيه لتندفع مبتعدة .. لكنه كان الأسبق لتصل اليها
ذراعه ليعيدها مرة أخرى لأسرها مطوقا إياها بين
ذراعيه وهى تقاومه بضراوة .. جذب حجابها ليقذف

به بعيدا .. وانفلت عقال جدائلها التي تثير جنونه
ليزرع كفيه فيهما بقسوة ليمسك جدائله بكفه قابضا
عليها ومثبثاً رأسها لينظر لعمق عينيها المرتعبتين حد
الموت وهو يهتف منتشياً :- شفتى كنت كريم معاك
كيف...؟؟؟ وحاش عنيك نفسى كيف !!؟؟.. بس انت
متستهليش أعاملك ولا الأميرة وانتِ أخرك جارية ..
يااا بت التهامى ..

كانت لا تُزل تقاومه فى بسالة ولا تعرف أين ذهبت
دموعها فقدت تحجرت تماما فى مقلتيها رعبا وهلعا
مما يحدث .. استطاع بمهارة تكبيل كفيها خلف
ظهرها .. فأصبحت لا تقاومه إلا بعصيان جسدها عن
الإنصياع لرغباته .. كان لسانها تعقده الصدمة .. لم
تنطق بكلمة تدافع بها عن نفسها او حتى توصمه فيها
بالعار...

لكن فجأة ..وعلى غير المتوقع .. استسلم جسدها
ولم تعد تستطيع مقاومة ذاك المارد الذى تدفعه
الرغبة فيها حد الجنون الى إذلالها بهذا الشكل الذى
لم تتخيل حدوثه ولا فى اسوء كوابيسها..
ان ذراعيه حول جسدها تصيبها بالغثيان .. وقبلاته
المتناثرة بعشوائية هنا وهناك .. تجلدها كالأسواط..
لا تعرف متى بالضبط وجدت نفسها تهتف بهذا
الصوت الهادر كانت المرة الاولى فى حياتها تسمعه
يخرج من أعماقها بهذا الالم والقهر:- هو ده اللى انت
عاوزه .!؟ ده اللى هايرضيك! توقف فجأة ينظر اليها
وقد هزه صوتها وما يحمله من دلالات وكأنه يستفيق
تدريجياً من غيبوبة تغشى عقله وقلبه وجوارحه عن
ادراك مدى معاناتها .. كانت لاتزل فى أسرها بين
ذراعيه .. يتطلع لعمق عينيها المقهورتين فى

اضطراب وتشوش وهى تكمل بنفس النبرة الهادرة :
خد اللى انت عاوزه وأعتقنى لوجه الله... ان كان هو
ده التمن اللى يرضيك ..خده وأدينى حريتى بعيد
عنك..

ابتعد عنها فى بطاء غريب وذراعاها تخلصها من أسرهما
وكأنه يستعيد وعيه تدريجيا .. عيناه معلقتان بعينيها
التي كساها الدمع وعرف طريقه اليهما اخيرا... نظرات
عينيه تبدلت كليا من تلك النظرات الشهوانية التي لم
تكن تحمل غير الرغبة والانتقام .. الى نظرات حائرة
..زائغة.. مضطربة انفجرت تجهش باكية بشهقات
دامية تخرج من اعماق روحها المجروحة تدارى وجهها
بكفيها وتحاول وأد شهقاتها .. لكنها لا تستطيع ..
وقف كالمشدوه .. لا يعرف ..ماذا فعل ...؟؟!!.. وكيف
يتصرف ...!!؟...

يكاد يقتلها الان غيظا وحقدا .. ويموت رغبة لياخذها
بين ذراعيه ليقتلها هياماً وعشقا .. انه يكاد يجن .. ان
لم يكن اصابه الجنون بحق .. فما كان الذى جرى
بينهما منذ لحظات .. الا نوبة جنون دفعه اليها حقه
وغيرته وغضبه وحمقه وعشقه .. ان رؤيتها مع بن
عمها ودفاعها عنه بهذا الشكل جعل الحقد والغل
يسيطران عليه .. كان كمن تحركه الشياطين ..

ما ان هم بأن يتكلم عندما بدأت شهقات بكاءها تخمد
قليلًا ..

حتى ارتفع الطرق على باب الحجرة فى قوة
اجفلته .. استدار مبتعدا ليفتح الباب فى آلية لتطالعه
سهام لاهثة .. وهى تهتف :

- إلحج يا خوى .. الحكومة تحت وطالبينك .. معرفش
ليه ...؟! ...

سأل بلامبالاة...:

- حَكومة .. عيزنى ليه دوول...؟؟!..طب روحى.. وانا نازل لهم ..

عاد لداخل الحجرة من جديد .. يتناول عبااته وعمامته الملقاة أرضا وهو يتطلع إليها بنظرات مضطربة لا يملك من الكلمات ما يمكن ان يخفف به عنها... فخرج فى صمت يلقي عليها نظرة أسف أخيرة ليتركها تنخرط فى نوبة بكاء جديدة ..

هبط الدرج فى رتابة ليستقبله احد الضباط يبادره بالسؤال :

- انت عاصم مهران الهوارى ...؟؟!!..

اجاب فى هدوء:

- ايوه يا باشا .. خير

-اتفضل معانا.. قال الضابط فى حزم....



عبيير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com

قال عاصم ساخرا:

- اتفضل يا باشا .. وماله .. بس على فين العزم ان شاء الله ...!!؟..

هتف الضابط بنفاذ صبر :

- انت مطلوب القبض عليك فى جريمة قتل .

قهقهه عاصم بإستهتار:

- جتل مرة واحدة ...!!؟.. وجتلت مين بجى...!!؟..

-انت متهم انك ضربت المدعو حسام التهامى بالنار ..

هنا اختفت كل ملامح السخرية والإستهزاء من على

محيا عاصم .. ليحل محلها الصدمة وعدم التصديق

فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صرخات مدوية

من اعلى الدرج.. هاتفة باسم سهام التى سقطت

مفترشة الارض فاقدة وعيها ..

-كنت فين من الساعة الخامسة.. للساعة الخامسة والنص مساءً..!!؟.. سأل وكيل النيابة عاصم فى حزم..
ليجيب عاصم فى هدوء :

- كنت فى بيتنا سعادتك .. وحضرة الظابط لما چه ياخذنى لجانى هناك ..
-يعنى مكنتش مع المجنى عليه لحظة وقوع الحادث..!!؟..

صمت عاصم قليلا ليجيب فى هدوء مصطنع :
- لاه.. مكنتش معاه ..

بدأ الغضب يكتنف وكيل النيابة ليهتف فى حنق:
- امال ليه فى شهود شافوك وانت خارج من نطاق إسطبلات التهامية بالكارتة .. وبتجرى بسرعة كبيرة ..
وكان معاك حد جواها .. فى نفس وقت الحادث تقريبا ..

صمت عاصم ليحسب كل كلمة بميزان الذهب قبل
ان ينطق قائلًا :

- انا كنت معدى من هناك .. وكنت مستعجل .. ادى
الحكاية كلها ..

لم يشأ ان يذكر القصة الأصلية.. فهذا معناه استدعاء
زهرة .. والاطلاع على امور عائلية حساسة لا يجب
الإفصاح عنها او ذكرها .. هو لم يطلق النار .. هى
الوحيدة التى تعرف تلك الحقيقة .. هى الوحيدة التى
يمكن ان تشهد بذلك .. ففى لحظة إطلاق النار كانت
هى معه .. وحدث ما تبع ذلك من تداعيات جنونه ..
ان الله انتقم لها بأسرع مما تتخيل .. او حتى تخيل
هو..

اخرجه صوت وكيل النيابة النزق من شروده :
- المسدس ده بتاعك .. !!؟.. وقدم له مسدس فى
كيس بلاستيكى.. تطلع اليه عاصم فى تركيز ..

ثم أوماً ايجاباً :

- أه يا باشا بتاعى .. بس جبتهوه منين ...؟!.. ده عندى
ف دلابى .. مش بستخدمه بجالى زمن .. اللى معايا فى
جيبى هو اللى بستخدمه و مش بيفارجنى الا لما خده
حضرة الطابط منى .. والاتنين مرخصين يا باشا ..
-السلح ده هو اللى لقيناه بالقرب من موقع الجريمة
.. و لقينا رصاصة .. موجودة بجوار المصاب ..
والمعمل الجنائى هيحدد .. اى من السلاحين
المتحرزين بتوعك .. هو اللى عملت بيه الجريمة...
تغيرت ملامح عاصم للغضب هاتفاً :- بس انا مجتلتش
حد ..ومعرفش ايه اللى ودى سلاحى الجديد
هناك...؟!..

ابتسم وكيل النيابة فى سماجة :-متقلقش يا سيد
عاصم .. احنا ها نعرف ايه اللى ودى سلاحك هناك
وهنبلك..

وأخذ يملأ على مساعدته الآتى .. :
- قررنا نحن وكيل نيابة .. حبس المتهم .. عاصم مهران
صادق الهواري .. أربعة أيام على زمة التحقيق ..
وضغط وكيل النيابة على ذر بجواره ليندفع احد
العساكر لداخل المكتب مؤديا التحية العسكرية فى
صلاية .. ليأخذ عاصم لحبسه كما أمر .. وحتى إشعار
آخر ..

كانت تقف فى مرح مع بعض صديقاتها يتبادلن
الحديث ..
حتى موعد المحاضرة القادمة .. لم تكن ابدا ممن
يفوت محاضراته مهما كانت الأسباب .. فهى بحق
تستحق وعن جدارة ان تكون الاولى على دفعتها ..
ثلاث سنوات متتالية .. وهذه السنة كما تتمنى ... لن
تكون استثناء .. فهى ابنة الدكتور ناجى الهواري ..

على ايه حال .. وهى ورثت حب العلم عنه بكل تأكيد..

اندفعت لداخل القاعة تتخذ مكانها قبل بدء المحاضرة.. لتمر امام شابين .. اطلق احدهما صفيرا عاليا دلالة اعجابه بتلك الرائعة التى مرت بهما .. هى بالتأكيد رائعة .. رشيقة القد .. جميلة الوجه.. كستنائية الشعر.. جوزية العينين ..

كانت فتنة متحركة خاصة بملابسها المتحررة قليلا عما هو معتاد .. وكانت تلك هى نقطة خلافها الاساسية مع اختها الكبرى زهرة .. التى لطالما لامتها عليها .. وحاولت إقناعها بارتداء الحجاب .. لكن تأثير امها .. السيدة منيرة .. كان على ابنتها .. بالتأكيد هو الأكثر وقعاً..

بدأت المحاضرة .. ليدخل استاذ جامعى جديد ..
شاب فى نهاية العقد الثالث من عمره .. انه هنا فى
الجامعة منذ عدة ايام .. الجميع يتحدث عن نبوغه
فى تخصصه..

وقف الاستاذ الجامعى على منصته ليتحدث فى ثقة
وابتسامة بشوشة ترتسم على محياه الأسمر يعدل من
وضع نظارته الطبية :

- انا الدكتور نبيل قدرى .. سعيد انى بينكم هنا
النهاردة وانى هكون أستاذكم السنة دى .. نبدأ على
بركة الله ..

-واضح انه دكتور لذيذ ومش هایتعبنا .. همست
احدى صديقات ندى لها .. والتى نهرتها بدورها
كالعادة .. لتركز فى كل كلمة ينطق بها ذاك العبقرى
والذى طارت فرحا عندما علمت انه أستاذهم المختار
لهذه المادة التى يشكو من صعوبتها الجميع ..

رفعت ندى يدها رغبة فى طرح احد الأسئلة التى
جالت بذهنها..ليسمح لها بطرح سؤالها وابتسامة
هادئة ترسم على شفتيه :

-.. لكن يا دكتور .. نظرية حضرتك تخالف نظرية تانية
كانت بتؤكد على العكس تماما .. بأنه..
بدأت هى فى سرد بنود نظريتها وهو يستمع فى
اهتمام لتتسع ابتسامته .. هاتفاً :

- اسمك ايه ..؟!..

ابتسمت فى ثقة :

- ندى ..

لازالت ابتسامته الواسعة تكلل شفتيه وهو يتطلع اليها
والى جمالها الأخاذ .. كان يعتقد دوما ان الغبيات
فقط من يسعين لإبراز جمالهن بهذا الشكل الصارخ
رغبة فى التغطية على ضحالة عقولهن .. لكن .. هى

اثبتت العكس لتوها.. جمال فى العقل يصاحبه ابداع
فى الخلقة

اخرج نفسه من خواطره حولها وهو يشير لها لتجلس
ليقول فى هدوء:

- الإجابة عن السؤال القيم للانسة ندى .. هيكون
عنوان محاضرتنا الجاية باذن الله ..

وانهى محاضرتة ورحل فى هدوء.. حيث مكتبه الذى
خصص لاجله عندما تم ندبه للعمل بهذه الجامعة فقط
لهذا العام ليسد عجزا فى تدريس مادة تخصصه قبل
تحضيره للسفر من اجل تلك المنحة التى حصل عليها
ليكمل دراساته بالخارج..

انه يشعر بالحر ج الشديد فها هو بالقاهرة ولم يزور عمه
الدكتور ناجى التهامى الآن فوقته مزدحم للغاية ما بين
محاضراته بالجامعة وتجهيزه لسفره والعمل على بعض
أبحاثه .. انه حتى لم يستطع زيارة نجع الصالح بعد

تلك التطورات التى قصها عليه أخوه حسام .. وتجدد
العداء القديم .. بين عائلته والهوارية.. والذى كان
ضحيته .. بنت عمه الكبرى .. والتى لم يلتقيها يوما
ولا حتى ألتقى عمه .. الذى كان دائم الاختباء بسبب
ذلك العداء .. كان يعتقد ان عمه يبالغ فى الاختفاء
هكذا .. لكن بعد ما حدث لأبنته تأكد انه ظلمه وان
عمه كان لديه كل الحق فيما فعل ..

همس فى رغبة صادقة :

- لابد ان أفرغ وقت لزيارة عمى حتى لا يغضب الحج
قدرى علينا ..

اندفعت ندى بإتجاه سيارتها الصغيرة بعد ان أنهت
محاضراتها .. وما ان همت بفتح بابها.. حتى اعترض
طريقها شابان كانا فى أثرها منذ خروجها من المحاضرة
هتفت فى حنق لهما :
- أى خدمة ..؟! ...

-طبعا .. وده سؤال ..؟!.. عايزين نتعرف على القمر.
قال احدهما فى لهجة سمجة أثارت سخطها..
هتفت فى ثورة :

- طب يا الله من هنا.. بدل ما انديلكم الأمن يمنعوكم
تدخلوا الجامعة من اساسه ..
صرخ فى وجهها احد الشبان بعد ان اثارتة بلهجتها
الغاضبة التى تحمل بعض من تعالى :- انتِ شايفة
نفسك على ايه ..!! ده انت ..

هتف صوت هادئ من خلفهما يحمل نبرات حازمة :

- هى انسانة حرة.. على ما اعتقد ..؟!..
نظر الشبان خلفهما ليواجهاه ليسخر احدهما :
- وحضرتك بقى .. أحد المعجبين .. ولا ايه حكايتك
بالظبط ..!

ليبتسم نبيل فى سخرية ويصرخ الشاب الاخر فى
صديقه:

- ده الدكتور نبيل .. انت هتودينا فى داهية .. يا اللاه
بينا ..

واندفع الشابان من أمامه فى دعر .. ليتابعهما بنظراته
حتى تأكد من اختفائهما ليعاود النظر اليها
بنفس النظرات الواثقة الرزينة:
- أنتِ بخير...!!؟؟..

أومأت وهى تقف مندهشة من رد فعله الواثق وتصرفه
الراقى استطرد مشيراً لسيارتها :- أركبى .. وخلي بالكِ
بعد كده .. أبقى أركنى العربية فى مكان ميكنش هادى
..عن إذنك.. وغادرها وهى كالبلهاء لم تستطع حتى ان
تشكره على موقفه معها وكأن القطعة أكلت لسانها..
ما بهرها حقا .. ليس تعامله مع الموقف .. لكن هى
عيناه ..

نعم عيناه التى لم تحيد عن وجهها.. ولم تتفرس فيها
كما يفعل الجميع بلا استثناء.. هى تعلم ان ملابسها
متحررة

لكن هى حرة .. لطالما أكدت على ذلك مع زهرة أختها
..

هى حرة فيما ترتديه .. هى تُمارس حقها لا اكثر .. لما
لا يدعوها فى سلام .. هم يقيمون المرأة بقدر القطع
التى ترتديها .. كل الرجال تفعل ذلك . كان هذا ظنها
فى كل الرجال بالفعل .. لذا أسقطتهم من حسابها
تماما .. لكن هو ..

انه الوحيد الذى لم ينظر الى جسدها .. بل نظر لعقلها
.. ومنحها صك الحرية الذى كانت تسعى لامتلاكه ..
على الرغم من إدعاءها دوما .. بأنها تملكه بالفعل منذ
ولادتها ..

"هى انسانة حرة " الم يقل كذلك .. وهى بالفعل كذلك.. فلتضرب بأراء الجميع غرض الحائط .. ما عادت تعنيها أراءهم ..

يكفيها تلك النظرات التى لم تُبتذل فى تقييم ما هو دون عنقها .. لتتشبث فقط بتقييم ذاك العقل الذى يحتل تلك الجمجمة الصغيرة ..

صرخ الحاج قدرى التهامى وهو يندفع بين طرقات المستشفى التى نقل اليها ابنه حسام :-.. ولدى.. ولدى .. حد يجولى حمله ايه ..؟!.. كان يتلفت حوله كالذى فقد عقله من شدة صدمته .. وجميع التهامية من حوله يحاولون تهدئته حتى عثروا اخيرا على الطبيب الذى استوقف الجمع المتجمهر متسائلاً:-
انتوا جايين لمين كده ..؟!..

رد احد المصاحبين للحاج قدرى:
- احنا بندور على حد يدلنا على حال واد عمنا حسام..
-أه اللى جه من ساعة مضروب بالنار...!!؟..
صرخ الحاج قدرى بصوت مرتعش:
- أه .. هو يا بنى .. هو
-هو فى أوضة العمليات .. أدعوله تعدى على خير ..
انتحب الحاج قدرى وهو يستند على احد مرافقيه
..صارخا من قلب اب مفطور على ولده:
-ياااارب ..

رفرفت أهدابها فى بطاء و اخيراً .. فتحت سهام
عينيهـا..

لتنتفض وهى تطالع عيون أمها الملتاعة .. والتى
تجلس مجاورة لها على طرف الفراش..

وزهرة التى تتطلع اليها فى ذعر وخوف حقيقى ..
وشخص اخر يقف بعيدا فى طرف الحجرة يحضر شئ
ما بين يديه لم تتبن ملامحه..

لتصرخ فجأة وقد تذكرت كل ما حدث.. لتحاول
الحاجة فضيلة تهدئتها ..لكن لا فائدة .. وبدورها
حاولت زهرة ..لكن كان رد الفعل واحد فى الحالتين ..
الصراخ كان هو رد الفعل الوحيد ..وكلمة واحدة ..
جتله .. أخويا جتله ..

ليندفع الطبيب من طرف الغرفة .. ليمسك بذراعها
غارساً فيه محقن مهدئ حتى استكانت فى ثوان
وتوقفت صراخاتها ..وارتخى جسدها المتشنج..

دخل سليم السرايى مندفعاً وهو برفقة ذاك المحامى
الذى يتولى كل قضايا العائلة وامورها القانونية ..و

الذى طلبته الحاجة فضيلة .. ليأتى اليها .. أدخله
سليم لإحدى القاعات ..

واندفع ناحية المطبخ لتطالعه كسبانه وهى تقول فى
خلاعة...:- اى خدمة ي سليم بيه ...?!!..

أشار اليها لتتبعه لأحد الجوانب المتطرفة خارج
السراى ليهمس مؤكداً لها:- خدى اللى ليكى وغورى
من هنا .. فى اى وجت ممكن يچروكى.. انا حذرتك
اها..

انتفضت وقد تغير لونه وجهها :- لكن انت جلتلى
اعمل اللى تطلبه .. وها تتچوزنى ذى ما وعدتنى ..
كان يتلفت فى قلق :

- أه .. أه هاىحصل .. بس لما الدنيا تروج.. انتِ بس
أخفى فى اى حته دلوجت وبعدين يحلها ربنا .. وتركها
.. وقبل ان يبتعد هتف :- روحى بلغى الحاجة فضيلة
ان المحامى تحت معاي .. واعملى اللى جلتلك عليه ..

واختفى داخل السرائى ليجعلها تتساءل :
- هل كانت مخطئة عندما غامرت بكل شئ من اجل ..
سليم الهوارى ..

واندفعت بدورها لداخل السرائى .. لغرفة سهام
تستدعى الحاجة فضيلة لمقابلة المحامى ..
خرجت الحاجة فضيلة برفقة الطبيب من حجرة سهام
لتودعه وتركت برفقتها زهرة .. لتدخل القاعة .. فيقف
المحامى وسليم احتراماً.. ويتصنع سليم الحزن
هامساً:- كان مخلصنا فين ده يا حاجة فضيلة !!؟..

لتنهره الحاجة فضيلة فى صلابة :
- ايه .. جلبت معددة يا سليم .. ولا ايه!؟..عاصم برئ
وميعملهاش وربنا هينجيه بعون الله .. وانصرفت
بأنظارها للمحامى وهى تسأل بغرض التأكد:
- ولا أيه .. يا استاذ حامد ...!!!.. تنحنح المحامى فى
احراج وهو يجيب :

- والله يا حاجة انا كنت فاكّر الموضوع بسيط وكان
نفسى أطمّنك... لكن انا لِسّه راجع من النيابة ..
للأسف .. فى مكان الجريمة لقوا سلاح عاصم بيه ..
وفى رصاصة منه كانت فى مكان الحادث .. وكمان ..
سلاحه التانى أكدوا ان هو اللى تم بيه الجريمة
..والرصاصة اللى كانت فى جسم المجنى عليه انطلقت
منه ..

انتفضت الحاجة فضيلة فى ذعر حقيقى هاتفة :- يعنى
ايه الكلام ده؟!..فهمنى ..

ازدرد المحامى ريقه بتوتر :- يعنى الجريمة لابسة
عاصم بيه .. وخاصة مع الشهود اللى أكدوا وجود
العداوة بين العيلتين .. وان عاصم بيه كان اخر واحد
مع المجنى عليه قبل وقوع الجريمة ..
اختفى اللون من وجه الحاجة فضيلة هاتفة :

- يعنى مفيش أمل ..!!؟ أنا متوكدة .. وأخذت تهز رأسها بعدم تصديق ..ولدى ميعملهاش .. ميعملهاش..

-لكن لِسّه فى أمل .. هتف المحامى وهو يرى حالتها المنهارة لتطلع اليه بكليتها ويعود اللون لمحياتها الشاحب من جديد وهى تهتف متلهفة :

- أمل أيه ؟!..جوول .. ولو كان ايه ..هانعله

-الامل الوحيد .. فى حسام نفسه .. المجنى عليه .. هنا صرخت الحاجة فضيلة فى فرحة :

- هو مماتش ..!!؟

ابتسم المحامى :

- لا .. الحمد لله .. ادعيله بس ربنا ينجيه ..نجاة عاصم بيه متعلقة بكلمة منه .. لو فاق وأكد ان مش عاصم اللى ضربه بالنار .. ساعتها .. عاصم بيه يطلع منها ذى الشعرة من العجين ..



وقفت الحاجة فضيلة وقد استعادت كامل حيويتها
هاتفة :

- ربنا يجومه بالسلامة لأبوه الغلبان اللى تلاجيه جاتل
حاله عليه دلوجت .. وربنا يعدم اللى فيه الخير ..
-يا رب يا حاجة .. لحسن موقف عاصم بيه سئ جدا...
ابتسمت الحاجة فضيلة فى ثقة وهى تهمس :
- كله خير .. كله بإذن الله خير..

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رغمى جهاد

الفصل الرابع عشر

كان يزرع زنزانته جيئة وذهابا وقد مسه الجنون
بالفعل .. انه لا يطيق الحبس.. لا يحتمل القضبان ..
لم يعتد

هذا القيد لروحه قبل جسده ..
واخذ يتساءل كالممسوس.. ما سبب كل ما يحدث له
..؟!..

هل دخولها لحياته بهذا الشكل القصرى جلب عليه كل
تلك الويلات .. ليعود ذلك الصوت الداخلى يهتف من
جديد :- لما تُلصق بها كل مصائبك وأخطائك..؟!..
كفااك .. هى ابدا لم تكن مذنبه .. ان الذنب ذنبك ..
اعترف بذلك أيها الاحمق

...الاحمق..؟!.. لو نطق بها .. اى من كان .. بخلاف
ذاك الصوت الداخلى الصادر من أعماقه .. لكان الان
قتيلا يترحم عليه الأحياء .. ولكن .. ماذا يفعل بذاك

الهاتف الذى يؤرقه ويدافع عنها .. ويجلده ..
لقد اصابه الجنون بحق .. انه مشطور لنصفين .. جزء
يدافع عنها بضراوة .. وجزء يوصمها بكل آثام الارض..
متى سينتهى هذا الصراع ..

لا يعلم ...؟!.. كل ما يعلمه انه ممزق ما بين بين .. لا
هو يدينها فيرتاح ويقذف بها خارج حياته .. ولا يبرأ
ساحتها فيحمل كل الأوزار كاملة بلا نقصان ويطلب
منها الصفح والغفران.

لم يخطئ ذاك الصوت .. انه بالفعل أحرق .. وهل
هناك حمقاً أشد ضراوة من محبته لتلك البريئة
المذنبه ...!!!..

وفجأة .. تمثلت أمامه على الجدار المقابل .. بكل
رقتها وصلابتها .. ضعفها وعنفوانها .. إغراءها وطهرها
..دموعها وضحكاتها .. خجلها وجراتها..

وتذكر فى حسرة .. كيف تركها !!؟.. وقفزت لمخيلته
صرختها النابعة من اعماق روحها وهى بين ذراعيه ..
فطأاً رأسه وهو يضعه بين كفيه فى إنهاك .. لو كانت
غفرت له كل ما سبق .. فهى بالتأكيد لن تغفر له
مطلقاً.. ما اقدم عليه فى تلك اللحظة المشؤومة ..
مسح وجهه بكلتا يديه .. محاولاً صرف تلك الخواطر
عن مخيلته .. وسؤال واحد يلح على فكره .. ينهكه حد
اللانهاية..

هل من الممكن .. ان يحبها ... وأن يكرهها .. بنفس
القوة .. وبنفس القسوة .. ولنفس الأسباب ..؟!..
.. هل هذا ممكن..؟!...

هتف نبيل التهامى لعمه بعد ان أغلق هاتفه ..
-عمى انا لازم اسافر البلد حالا .. واندفع متجها للباب
.. ليهتف فيه عمه الدكتور ناجى بدوره .. :

- زمانهم جاين فى الطريق يا نبيل .. انت لِسَّه
مقابلتش منيرة .. وند..

قاطعہ نبيل .. وهو يفتح باب الشقة فى عجلة :-
بقولك لازم اسافر يا عمى .. ودلوقتى حالا .. حسام
اخويا ضربه بالنار ..

صرخ ناجى :- ايه ...!!؟.. انت بتقول ايه ...؟؟.

-للأسف يا عمى .. والمتهم .. صمت لحظات .. عاصم
جوز بنتك الدكتورہ زهرة ..

صرخ ناجى من جديد :- كما ان .. ثم اضطرب وهو
يتلفت متوترا :- استنى .. انا لازم أجى معاك .. أسترها
يا رب ..واندفعاً للمصعد .. الذى وصل فى تلك اللحظة
.. وكلاهما يتأكلهما القلق .. من القادم ..

-زهرة .. حبيبتي .. انتِ بخير ..؟! هتف الدكتور ناجى
قلقا عندما اجابت زهرة على اتصاله .. لابد وان اخبار
ما حدث قد وصلته بالتاكيد ..

ردت زهرة بصوت حاولت ان يبدو طبيعيا لا ينضح بكل
ما عانتة فى الايام الماضية :- اهلاً بابا .. وحشتنى .. انا
كويسة الحمد لله ..

تنهد الدكتور ناجى :

- الحمد لله .. انا كان عندى الدكتور نبيل بن عمك
قدرى .. وعرفنا الى حصل .. وجينا .. و

قاطعتة زهرة بلهفة :- يعنى انت هنا .. فى النجع ..؟!..
-أه طبعا .. كنت هعرف ان ده كله حصل ومجيش
اشوف عمك واطمن على حسام .. واطمن عليكى ..
عاملة ايه فى كل اللي بيحصل ..؟!..
-تطمن على حسام .. هو ..؟!..
كانت تسأل فى تعجب .. فقد فهموا من ضابط الشرطة الذى قدم لإلقاء

القبض على عاصم ان حسام اصابته الرصاصة فى
مقتل وتوفى على الفور ان دموعها لم تجف من
لحظتها .. وما حدث لسهام .. زاد الامر صعوبة ..
اجاب ابوها ولم يلحظ تعجبها :

- أه .. ده لِسَّه خارج من أوضة العمليات دلوقتى..
حالته صعبة .. بس خير ..يقوم بالسلامة بإذن الله ..
لم تصدق زهرة اذنيها وانفجرت باكية غير قادرة على
مداراة فرحتها بنجاة بن عمها :
-الحمد لله .. هتفت فى سعادة

ليقابلها ابوها على الخط الاخر مرددا:
www.abeeerkotob.com
- الحمد لله .. ربنا يتم شفاه على خير .. المهم .. ايه
وضع جوزك فى القضية ..

صمتت ولم تجب للحظات واخيرا اجابت بتوتر :
- وضعه صعب .. لأن سلاحه هو اللى اضرب منه النار

فعلا على حسام .. بس هو معملهاش با بابا .. انا متأكدة ..

تنهد الاب :

- جوزك ومن حقاك تدافعى عنه يا بنتى ..

تنهدت فى عمق محاولة التحدث بحيادية :- لا يا بابا .. انا عارفة انه محاولش يقتل حسام .. انا متأكدة .. وحسام نفسه عارف كده .. هو الوحيد دلوقتى اللى فى ايده نجاة عاصم ..

صمت ابوها متحيراً ولم يعلق فاستطردت :

- فى تفاصيل كثير محدش يعرفها يا بابا .. ولو انا متأكدة ان كلامى ها يفرق وها يخرج عاصم منها مكنتش كتمت شهادة حق .. لكن كلامى .. وشهادتى ممكن يورطوه اكر .. عشان كده متكلمتش .. والحمد لله ان حسام بخير .. وبإذن الله .. يقول اللى يرضى ضميره ..

-باذن الله يا بنتى .. خلى الدم بين العيلتين يوقف
بقى..

ثم تنحنح مستطردا .. ده انا كنت عايز اقابلك عشان
اقولك على موضوع مهم .. لكن واضح ان التوقيت
طبعاً غير مناسب ..
سألت زهرة :

- موضوع ايه ...؟!..

اضطرب ابوها :

- موضوع مهم خاص بيك.. كنت عمال أجاهله من زمان
.. بس واضح انه هياتأجل المرة دى كمان ..
سألت زهرة بلهفة :

- مينفعش تقوله على التليفون .. ما انا سمعك أهو يا
بابا ...؟!..

-مينفعش على التليفون للأسف .. لازم نتقابل .. لأن
فى امور كثير .. هتحبى تسألى فيها ومش هتلاقى

الاجابات الا عندى .. بصى .. سبيها بظروفها.. لو
الوضع اتحسن وقدرت اقابلك هعرفك .. خلاص ..
-خلاص .. اجابت بعدم اقتناع والفضول يقتلها ..
-سلام يا حبيبتي .. وخلي بالك من نفسك ..
-سلام يا بابا .. وابقى سلملى على ماما وندى .. اللى
نسيونى..

اصابته الكلمة الاخيرة فى مقتل لكنه اجاب متجاهلا
لها وكأنه لم يسمعها :- حاضر يا زهرة .. سلام عليكم ..
-وعليكم السلام ..

اغلقت الهاتف .. وألف الف تساؤل يقفز الى ذهنها..
ما هذا الموضوع الذى يريد ابيها اخبارها عنه..؟!..
ولما شعرت انه يتلأأ فى ذلك .. ويتحين الفرص
لتأجيل إخبارها..؟!..
www.aberkotob.com

والكثير الكثير من الأسئلة .. التى لم تجد لها اجابة
واحدة شافية ترضى فضولها .. نهضت مسرعة ..وقد

أَلقت كل ذلك الفضول وكل تلك الأسئلة خلف ظهرها
.. لتندفع حيث سهام .. لتعلمها بالخبر السعيد ..
اندفعت زهرة لحجرة سهام فى سعادة وهى
تتقافز كالاطفال هاتفة :- الحمد لله .. الحمد لله ..
نظرت إليها سهام فى تعجب .. ولم تهتم ان تسأل عن
السبب واشاحت بوجهها بعيدا .. فأسرعت زهرة
تواجهها وهى تهتف فى لهجة جزلة :- حسام لِسَّه
عايش ..

انتفضت سهام واعلنت كل خلاياها الانتباه وهى تهتف
فى عدم تصديق ... :- صوح .. ولا بتكذبى علىّ .. !!؟..
هتفت زهرة ضاحكة :- وهى دى حاجة فيها كذب .. أه
.. عايش .. والله العظيم عايش .. وخرج من أوضة
العمليات .. بعد ما خرجوله الرصاصة وهو تحت
الملاحظة دلوقتى ..

دمعت عيناها وتهدج صوتها وهى تمسك بكف زهرة :

- بجد .. بجد يا زهرة عايش .. حسام عايش ..؟!؟

أومأت زهرة برأسها ايجابا وقد غلبها التأثير فدمعت عيناها لتندفع سهام لأحضانها وتنفجر باكية بشكل هستيرى جعل زهرة تحيطها بزراعيها مشفقة على حالها وهى تفكر .. كم هو مضمّن حال العاشقين!؟.

فها هى منذ لحظات فى مكالمتها مع ابيها تدافع عنه متأكدة من براءته على الرغم من أفعاله معها وتلك القسوة التى عاملها بها .. كان فعلا كالوحش .. كان قبلها يعاملها بحق كالأميرة ويقوم بكل ما يرضيها ويسعدها .. حتى انها تعجبت لذلك .. كان رائعا فى الايام الاخيرة اثناء مرض قدمها .. احيانا كانت نظراته لها تثير شكوكها و ظنونها لكن نفس تلك النظرات تتبدل فى لحظات لتحمل الكثير من الحنان والدفء.. كان بالفعل يثير جنونها ..

تذكرت فجأة تلك النظرة الأسفة التى ألقاها قبل ان
يندفع من الباب عندما جاءت الشرطة لإصطحابه ..
وكأنها نظرة مودعة كان تحمل الكثير من الأسف والالم
والرغبة فى طلب الصفح .. قرأت تلك النظرة ككتاب
مفتوح .. وتعجبت كيف أمكنها ذلك فى ظل الألم
الذى كانت تعايشه لحظتها ...؟!.. كيف استطاعت ان
تترجم تلك النظرة بهذه الاحترافية .. وهى التى لطالما
احتارت فى تفسير نظراته التى كان يغمرها بها ..
وخاصة فى الفترة الاخيرة .. !!?... انها مشطورة
لنصفين .. وكأنها تعاني ازدواجاً فى الشخصية .. شطر
منها يمجته ويتمنى ان يذهب بغير رجعة جراء ما قام
به تجاهها منذ اللحظة الاولى التى رآته فيها ودخل
حياتها ليخط اول سطور لإذلالها وعذابها فى كتاب
قدرها ..

والشطر الاخر منها .. يتمنى له النجاة والخلاص .. لا
يهم ماذا فعل ..؟!.. الأهم ان يكون بخير وان يعود من
جديد إلى حياتها الى مشاكستها ودفعها لتحديه..
ليعود لأمه التى تموت من اجله دون ان تُظهر.. ولأبيه
الطيب الذى يحتاجه سندا فى آخر أيامه .. وأخته
الوحيدة والتى مهما قالت او فعلت .. فهى لازالت
تحبه وتحترمه.

انها تكاد تفقد صوابها وهى لا تدرى .. الى اى شطر من
نفسها يمكن ان تنحاز..؟!.. وتساءلت .. هل يمكن لها
ان تكره .. وتحب ... ذاك القاسى الحانى .. بنفس
القسوة .. والقوة.. ولنفس الأسباب!؟؟... لم يكن هناك
اجابة .. وايضاً لم تكن تعلم انها ليست الوحيدة التى
سألت نفس السؤال ..
ولم تكن الوحيدة ايضا التى لم تجد الإجابة ..

-يعنى برضة مش عايز تعترف ..؟!.. صرخ وكيل النيابة
فى وجه عاصم المجهد .. ليلتان مرا عليه بلا راحة او
غمضة جفن .. أغمض عينيه الان فقط رغبة فى التقليل
من شدة الصداع الذى اكتنف رأسه المكتظ بالخواطر
والأفكار وهو يجيب فى نفاذ صبر :- اعترف بإيه بس يا
باشا .. اعترف بحاجة معملتهاش .. انا مجتلتش حد ..
وعمرى ما رفعت سلاحى الا ف الحج ..

ابتسم وكيل النيابة ساخرا:- اه .. الحق .. الحق من
وجهة نظرك طبعا !؟

كظم عاصم غيظه وهو يضم كفه فى قوة رغبة فى
تسديدها لوجه ذاك الاحمق .. ولكنه صمت ولم يرد .
ليعاود وكيل النيابة الضغط من جديد لسلب اعتراف
منه هاتفاً فى حنق :- الجريمة لبساک .. لبساک ..
والشهود والأدلة كلها ضدك .. اعترف بقى متعبدش
قلبنا .. لانك فى الاخر برضة .. هتشيل القضية ..

تنهد عاصم فى إرهاب .. ولم يجبه .. لتتابع طرقات
على الباب ويدخل أحد العساكر ليعطي للضابط إشارة
ما يقرأها معلنا فحواها :-.. المستشفى بلغتنا .. ان
المجنى عليه فاق .. قالها وكيل النيابة وهو ينظر
لعاصم ... انا رايع على هناك .. يمكن أقدر أخذ منه
كلمتين .. ونقفل القضية دى .. و أرجع يا اما بدليل
ادانتك .. يا بدليل براءتك ... قالها وهو ينظر لعاصم
بشك .. وأمر العسكرى ليعود بعاصم من جديد
لمحبسه ..

-حمد الله على السلامة يا حسام .. همس وكيل النيابة
بالقرب من رأس حسام .. الذى فتح عينيه فى وهن ..
ليبتسم فى بطاء .. بملامح شاحبة وشفاه جافة .. :- الله
يسلمك يا باشا ..

-أنا مش هتعبك .. انا عايز منك تأكيد .. بأه او لأ..على
كام سؤال ...هز حسام رأسه موافقا.. ليستكمل وكيل
النيابة .انت شفت اللى ضربك بالنار!؟

فهز حسام رأسه رافضاً.. يعنى مش هو عاصم الهوارى
؟!!.

ليفتح حسام عينيه بأقصى قوة يملكها تعجبا وهو يقول
واهنا :- عاصم الهوارى .. لاه .. مين جال كده .. !!؟
-سلاحه .. اللى انت أضربت بيه ..

حاول حسام بأقصى قدرة لديه التحدث رافضا ما قيل
:- لاه يا باشا... جلت لك لاه.. عاصم الهوارى
معملهاش..

-بس الشهود بتقول انه اخر واحد كان معاك.. وانه كان
طالع يجرى من ناحية الاسطبلات .. اللى انت أضربت
فيها ..

-أه .. صوح .. لم ينكر حسام .. وهو يبتلع ريقه
الجاف بصعوبة ليكمل فى إرهاب .. هو كان معدى من
جنب إسطبلات التهامية .. مر وسلم لما لجينى ..
وبعدها خد كرتته ومشى وحصل اللى حصل بعدها ..

-ورصاصته اللى لقوها على ارض الإسطبل .. جت هناك
أزاي .. ؟!!.. سأل وكيل النيابة فى خبث..صمت
حسام قليلا .. ثم اجاب فى هدوء:

- واحنا واجفين يا باشا.. اتخيلنا اننا لمحنا تعبنا ..
خوفنا يعمل حاجة للبهائم فضرب عاصم نار عليه ..
ادى كل الحكاية ..

تنهد وكيل النيابة فى نفاذ صبر :

- يعنى خلاصة القول .. عاصم الهوارى .. مش هو اللى
ضربك بالنار ... ؟!!..

اوما حسام فى تأكيد :

-لاه مش هو يا باشا .. مش هو ..

انتفض وكيل النيابة ومساعدته الذى كان يكتب كل كلمة نطق بها حسام ليغادرا غرفته ..
ليعود الحاج قدرى والدكتور ناجى .. ونبيل للحجرة ليطمأنوا على حسام بعد هذا الاستجواب المرهق ..
ولم يكن يعلم اى منهم .. ان اعترافات حسام تلك ..
انقذت عاصم من مصيبة محققة لم تكن لتتراجع عن كاهله .. لولا تلك الكلمات ..

هتفت سهام فى زهرة تلح فى اصرار :- عشان خاطرى
يا زهرة .. اسمع صوته بس .. اصدج انه بيكلمنى يجول
ألو بس عشان خاطرى ربنا يخليكى ..
-طب بابا هيقول ايه بس .. همست زهرة مؤنبة .. اتصل
فى ساعة ذى دى .. عشان اطمئن على حسام؟! .. والله
ليقول مجنونة .. ابتسمت زهرة ..

لتعاود سهام إلحاحها:- وماله .. ما يجول .. هي
الكلمة ها تلزج.. ده ابوك برضك .. انفجرت زهرة
ضاحكة لتستكمل سهام :-هيجول جلعانة على واد
عمها وعايضة تظمن عليه ..

-طيب خلاص .. وافقت زهرة .. اقنعتيني.. انا هتصل
وأمرى لله.. وأمسكت بهاتفها ترن على ابيها الذى
كانت تعلم انه لازال بالمشفى مع عمها ونبيل .. رد
بعد عدة رنات بصوت قلق :- خير يا زهرة .. فى حاجة
..؟!..

-لا يا بابا .. متقلقش كده .. انا كنت بظمن على حسام
..اخباره ايه دلوقت!؟..

-الحمد لله .. احسن كثير .. فاق وبيكلمنا .. وكله
تمام..

هزتها سهام تتعجلها فقالت فى سرعة :- ممكن اكلمه
يا بابا.. ؟!!؟.. يعنى يقدر يرد عليا .. ؟!!؟..

استغرب ابوها طلبها لكنه قال فى تردد :
- أعتقد ممكن .. هشوفه كده .. وابعده الهاتف عن أذنه
.. يسأل حسام .. هل بامكانه التحدث لزهره .. فاجاب
حسام بلهفة :

- اه .. طبعا ..

وهو يمد يده يلتقط الهاتف الذى سلمه له عمه وهو
لايزل على تعجبه ..

-ألو .. همس حسام .. فلم يتلقى رداً على الطرف الاخر
غير شهقات بكاء .. كان يعلم انها لها .. لسهام .. التى
ألتقطت الهاتف من زهره وابتعدت عدة خطوات
لتجلس على طرف فراشها غير قادرة على الوقوف ..
وهى اخيرا تستمع الى صوته الذى ظنت انها لن
تسمعه من جديد .. لن تسمعه للأبد ..

-سهام .. همس حسام مرة اخرى متأثراً من صوت
بكائها الحار..

واخيرا اجابت بصوت متحشرج يكتنفه الدمع :
- نعم...!!..

-بحبك.. يا مچنونة..

لتزداد شهقاتها وهى تقول :

-سامحنى .. انا السبب .. اخويا..

قاطعها حسام متنهدا :

- اخوكى مش هو اللى ضربنى بالنار يا سهام .. مش
عاصم صدينى ..

انتفضت فى فرحة وهى تُمسح دمعها عن خديها :

- صوح..بچد يا حسام .. مش عاصم ...؟؟!...

ابتسم حسام فى ضعف محاولا كتم ضحكاته متألما :

- حتى وانتِ زعلانة وبتبكى .. جادرة تضحكىنى .. اه

عاصم بيحبك وموفجش على چوازنا.. بس مش لدرجة
يجتلنى عشان خاطرك يعنى ..



استعادت شغبها لتهتف :

- جصدك ايه ؟! ..مستاهلش يجتل عشان
خاطري؟!..كتم حسام ضحكاته من جديد ليقول
مشاكسا:

- تستاهلي طبعاً..بس سيبيلى انا موضوع الجتل ده ..
شاورى بس ..وانا اجيب لك خبر اللى ميعجبكيش..
قالت فى دلال مشاكسة :

- لاه .. مفيش داعى .. انا مش هتچوز سوابج..
-دى اخرتها .. سوابج .. ابتسم حسام .. ادى آخرت
اللى يتبع الحريم..
انفجرت ضاحكة لتقول :

- طب كفاياك كده عشان متتعيش .. وبإذن الله
هكلمك تانى..
-طيب .. وعلى العموم عاصم خارج وممكن تلاجوه
عندكم فى اى وجت ..

هتفت فى فرح :

- صوح .. عاصم هاىخرج .. لتنتفض زهرة لسماع سيرة
عاصم .. وتنتبه لمجرى الحديث..

-اه ياذن الله .. قال حسام .. عجال ما اخرج انا كمان
واعرف اشوفك ... صمت قليلا ليهمس ثانية... سهام
.. انتبهت دون ان تجيب .. مش هتكونى لحد غيرى
ولو كانت دى اخر حاجة اعملها فى حياتى..

وفجأة .. انطلقت الزغاريد من قلب السراى .. لتنتبه
كل منهما .. فتنتفض زهرة فى وجل .. وتبتسم سهام
.. للقال الحسن وهى تغلق الهاتف فى نشوة ..

عبرت ندى بوابة الكلية بعربتها .. وكانت تتجه لتوها
لمكان تصف فيه سيارتها .. وتذكرت نصيحته لها ..
فبحثت عن مكان مزدحم قليلا .. لتصف سيارتها به

..وتندفع لحضور محاضراتها .. وكانت محاضراته
إحداهن .. انها تنتظر المحاضرة بلهفة .. لانه سيناقش
نظريتها التى اثارته المحاضرة الماضية .. جلست
تنتظر فى قاعة المحاضرات لكن الوقت مر ولم يأتى
احد .. هو معروف بدقة مواعيده ..ماذا حدث يا ترى
...!!؟.. دخل احد الطلاب .. ليهتف لهم ..

-الدكتور نبيل قدرى معذّر عن محاضرات الاسبوع ده
يا شباب ..

الاسبوع بكامله ...!!؟?... ترى ماذا حدث .. ليتغيب
عن محاضراته وهو المعروف عنه دقة مواعيده ..
وعدم تخلفه عن احداها.. لابد وان السبب أمر جلل
...!!؟.. لكن .. ما هو يا ترى ...!!؟..

وقف عاصم فى صحن السراى .. يتطلع لأمه الحاجة
فضيلة التى اندفعت إليه فى شوق تلقى بنفسها بين
ذراعيه باكية ...

كانت هذه من المرات النادرة التى يرى فيها تلك
السيدة الفولاذية تبدى بعض من ضعف الأنوثة ..
ضمها بين ذراعيه بحنان وهو يهتف متصنعاً المرح :-
والله يا حاجة .. ايه امال .. خبر ايه .. انا مكنتش فى
الغربة .. دوول هم يومين غيبت فيهم ...؟؟! .. واحنى
رأسه يقبل هامتها التى كانت مغروسة بإحضانه لترفع
هى نظراتها إليه وهى تقول بصوت متحشرج ...:- والله
يا ولدى .. كنهم سنتين .. مش يامين .. بركة انك
خرجت بالسلامة ..

رسولى جلالى

وفجأة كعادتها نفضت عنها حزنها كأنه لم يكن لتأمره
فى محبة ..:

- يا الله روح اتسبح .. وهجيبك لجمة تاكلها.. وتنام
كد تلت تيام كده عشان شكلك تعبان .. وچعان نوم ..
انفجر عاصم ضاحكا وهو يكرر:

- تلت تيام نوم ..؟!.. وماله .. أوامرك يا حاجة ..
وسحبته من كفه تدفعه لصعود الدرج وهى تهمس له
فى إشارة لأعلى .. ليتطلع للأعلى .. فىرى زهرة تقف ..
على استحياء فى اعلى الدرج .. كانت تريد الإختباء
فى غرفة سهام .. لكن لمتى .. وأيضا هى لا تريد ان
يدرك احد ما يدور بينها وبين عاصم وهتف بداخلها
صوتا لذاك الشطرمنها والذي يناصره مهلاً بفرحة
لمرآه عندما أزعنت لإصراره فى الخروج لإستقباله رغما
عنها .. لم تجرؤ ان ترفع نظراتها لتتطلع اليه .. لكن هو
رفع بصره لإشارة امه التى أكدت هامسة :

- البنية كان مخلوع جلبها .. شوية عليك .. وشوية
على واد عمها .. وشوية على سهام وحالها ..
اطلع لأوضتك يا ولدى .. وخد مرتك ف حضنك ..
ومشفكش جبل تلت تيام تحت .. جبل كده ..
ميحصلش..

لم يقهقه عاصم لدعابة امه هذه المرة بل طرقت
كلماتها قلبه وعقله كالمطارق ..

يأخذها بين احضانه!!؟.. يا ليتة يستطيع .. ولثلاث
ليال فقط ..!!؟.. بل يتمناها بين ذراعيه عمره كله ..

صعد الدرج بآلية حيث تقف ولم يتفوه بكلمة حين
وصل اليها .. وهى بدورها لم تنطق بحرف .. كانت
ترتعش من قمة رأسها حتى اخمص قدميها حين طل
عليها من عليائه .. تخطاها ليسير فى ذاك الممر الذى
يؤدى لحجرتهما وهى خلفه .. تسير بتؤدة .. دقائق

قلبهـا وكأنهـا طبول حرب تظن ان الجميع يسمعها ..
كما تسمعها الان تصم آذانها فترتبك خطواتها خلفه ..
دلف للغرفة وترك بابها مفتوحاً .. لتتردد قليلا .. ثم
تدخل مغلقة الباب خلفها ... أين يمكن لها ان تبتعد
حتى يتجاهل وجودها وينساها ...؟!... فربما يفكر فى
استكمال ما لم ينتهى منه قبل عدة ايام ..

اتخذت احد الأركان ملجأ لها ليدخل هو الى الحمام
لثوانى ثم يخرج وقد نسى شئ ما .. اقترب من ذاك
الجانب لتنكمش فى مكانها فى ذعر .. هاله ما ارتسم
على محياها من ملامح مرتعبة مد يده للمشجب
خلفها يلتقط جلبابه..

ليهـمس صادقـا :

- اطمنى ... مش هتكرر تانى ... اخر حاجة عايزها هى
.. وتردد قليلا ليكمل .. انك تكونى فى حضنى وانتِ
مش راضية .. ولو هموت .. مش ها تُحصل تانى ...

دمعت عيناها وبدأت تشعر بالإرتخاء والراحة بعد ان
وصلها الصدق فى كلماته ولا تعرف ما الذى دفعها
لترفع

عينيها الدامعتين اليه .. ليسب فى سره ويلعن .. وهو
يجذب أنظاره بشق الانفس بعيدا عن عينيها التى
تأسره ليندفع للحمام جاذبا جلبابه خلفه فى عنف ..
وهو يقسم انه لو انتظر لثانية واحدة فقط امام تلك
النظرات .. فانه لا يعتقد ابدا انه .. سيكون قادر على
الوفاء بعهده الذى تعهد به منذ لحظات فقط..انتهى
من حمامه ليخرج فلا يجدها بالغرفة ..فيتنفس
الصعداء.. ليرتدي عمامته وعباءته ويتناول عصاه
الابنوسية ويندفع هابطاً الدرج .. لتفاجأ به امه
فتهتف فى تعجب...:

- على فين العزم .. انت لحجت ترتاح!؟

-معلش يا حاجة .. مشوار ضرورى مينفعش يتأجل ..
أخلصه وارجع ارتاح بجد ..
-مشوار ايه ده ...؟!.. سألته الحاجة بفضول ..
ابتسم عاصم :
- مشوار يا حاجة .. مشوار ..
ليندفع خارجا هربا من أسئلتها .. وفضولها ..

طرقات على باب غرفة حسام جعلت الجميع يتنبه
للقادم ويفغر كل منهم فاه مدهوشاً.. كان الاول الذى
استفاق من ذهوله و اجاب الطارق الذى يقف الان على
اعتاب بابه .. هو حسام نفسه و الذى هتف فى
ترحيب وهو يعتدل بصعوبة :- اهلاً .. اهلاً ..اتفضل يا
عاصم .. ادخل ..

وقف كل من نبيل والدكتور ناجى والحاج قدرى لثوان
مشدوهين لرؤية اخر شخص يمكن ان يتوقعوا زيارته
لحسام .. لينتبه نبيل متوجها لعاصم يتناول منه كل
تلك الهدايا والأغراض التى يحملها ويضعها على
المنضدة الموجودة فى أطراف الغرفة .. ويرحب به
الحاج قدرى هاتفاً :- اهلاً يا بنى .. اتفضل .. مشيراً
لهداياه.. مكنش فى داعى تكلف نفسك..

ليرد عاصم فى هدوء وهو يجلس على احد المقاعد
القريبة من حسام :- دى حاجة بسيطة يا حاج.. حمدا
لله بالسلامة يا حسام .. قالها ملتفتا لحسام الذى
ابتسم فى ود :- الله يسلمك .. وحمدا لله بسلامتك انت
كمان ..

ليبتسم كل من بالغرفة ليقول عاصم :
- انا چاى أتشكرك .. لولا شهادتك كان زمانى ..

قاطعه حسام هاتفاً بتعجب :

- بتشكرنى على شهادة الحج!! ده مش جميل انى عملته فيك ده حبك وانا رديتهاهولك..

ابتسم عاصم فى امتنان ونهض يربت على كف حسام الممددة أمامه على الفراش ليستدير مغادرا لكن يوقفه حسام مناديا :

- عاصم ..عايزك ..!!!؟. ليستدير اليه عاصم مواجهها ومستفسرا.. ليوجه حسام كلامه لعمه وأخيه وأبيه :

- ممكن بس تسيبوني شوية مع عاصم ..!!!؟..

-امرك يا ولدى .. وماله .. خدوا راحتكم ..هتف الحاج قدرى ليندفع ثلاثتهم لخارج الغرفة .. وما ان أغلق الباب خلفهم .. حتى وجه حسام نظراته لعاصم الذى توقع ان يحدثه فى رغبته بالزواج من سهام .. لكنه كان مخطئ حين همس حسام فى هدوء :

- عاصم .. انا مبحبش ادخل ما بين راجل

ومرته..صمت حسام وهو يرى تعابير وجه عاصم
المبهمة ليكمل فى اصرار مدافعاً عن ابنة عمه التى
قاست الكثير :

- زهرة بت عمى .. مرتك وانت حر معاها .. بس لما
ابجى عارف انها مظلومة وان انت اللى ظالمها.. يبجى
مفيهاش سكات ..

تململ عاصم فى جلسته لا يعرف لما يشعر بأحاسيس
ومشاعر غريبة تعتريه ما ان يذكرها احدهم أمامه او
ينطق بإسمها حتى تتقاذفه الشياطين .. شياطين الغيرة
والرغبة .. والغضب .. والشك ...والحيرة ..

اكمل حسام ولم يُخفى عليه ما اعترى عاصم من
مشاعر فرضت نفسها فرضاً على محياه ...:- بت عمى
مظلومة .. هى معندهاش نمرتى .. يبجى كيف بعثت
لى رسالة.. وانا مش معاي نمرتها .. لكن بعث لها ..
على النمرة اللى وصلتني منها الرسالة ..

مد يده بهاتفه لعاصم...:

- شوف الرسالة .. بتجلى فيها ايه!!؟..

انا زهرة بت عمك .. هو لو نمرتها معاى .. هاتجول ليه
كده .. ما طبيعى هبجى عارف انها هى .. شوف مين
يا عاصم ..الى عايز يوجعنا فى بعض.. وبعث رسالة ليا
وليها .. وچالك احنا فين .. وضربنى وانا معاكم .. وكان
عايز يضرب كذا عصفور بحجر واحد ..

تنهد حسام متعبا :- انا خلصت زمتى من ربنا .. وانت
حر ..تنهد عاصم بدوره لينهض بهدوء مكررا:- حمد
الله بسلامتك يا حسام .. انتبه على نفسك ..

ولم يرد بحرف على ما ذكره حسام منذ قليل .. ليخرج
من الغرفة .. ليلقى التحية على الجميع .. ويختص
الدكتور ناجى الذى قال له بنبرة صادقة :

- مش هتشرفنا بالزيارة يا داکتور ناجى .. ولا إيه...!!؟..

تعجب الدكتور ناجى من عرضه لكنه اجاب بإبتسامة هادئة كعادته:- بإذن الله ليكم زيارة مخصوص لأنى لازم اسافر سايب منيرة وندى لوحدهم بقالى كام يوم... سلملى على زهرة ..

ابتسم عاصم :- يوصل يا دكتور.. سلام عليكم .. وخرج من المشفى يشعر بسلام داخلى وهدوء نفسى يفتقدهما منذ زمن بعيد واخيرا .. تكرما بزيارته..

دخل عاصم الى السرائى ليجد الحاجة فضيلة فى مقعدها المفضل .. استقبلته بحبور .. ليجلس بجوارها وهو يشعر بسعادة عجيبة تكتنفه .. شعور غريب بالراحة والطمأنينة يشمل روحه .

بحث عنها بعينه لكنه لم يجدها بالجوار وفطنت امه لنظراته فقالت فى خبث محبب:

- زهرة عند سهام .. مفرجتهاش لحظة من ساعة ما غميت لما خدتك الحَكومة ..ربنا لا يعيدها.. من ياميها وأختك لا بتاكل ولا بتشرب يا حبة عيني .. ومش بتبطل بكا ..

نادى عاصم على كسبانة لترد امه قائلة :

- معرفاش غارت فين البَعيدة .. بجالها يومين مبتجيش السرايا والحمل تجل على ام سعيد ..

صمت عاصم لبرهة مفكراً.ثم ابتسم ساخرا :- طبعا مش هتشوفيه تانى يا حاجة.. ولا هتورينا وشها..لان هى اللى سرجت سلاحى الجديد من دولابى واديته للى كان عايز يجتل حسام .. وتلبسنى الجضية..

صرخت الحاجة:- واااه .. وليه تعمل كده...!!؟ .. ده جزات المعروف اللى عملته فيها.. صحيح .. اتجى شر من احسنت اليه ..

-متلوميش حالكِ على خير عملتيه يا حاجة.. شوفى
انتِ اللى وزها تعمل كده .. وعدھا بأيه او هددها
بأيه.. ربنا يستر على عبیده .. قالها عاصم فى هدوء
وهو يعاود النداء .. ولكن على ام سعيد هذه المرة ..
لتأتى مهرولة ملبية للنداء..

-طلعى صنية عليها خيرات ربنا لأوضة سهام .. همى يا
ام سعيد ..

-عنايا .. هتفت السيدة الطيبة فى حماسة .. وما هى
الا دقائق معدودة .. ورأها تصعد بصينية الطعام
ليستأذن من أمه ويصعد خلفها ..
طرق الباب وما هى الا ثوانى حتى أذن من بالداخل
للطارق بالدخول لتهتف سهام فى حلق :- مش عايزة
أكل يا ام سعيد .. رجعى الصينية دى..

ليدخل عاصم متنحنحاً وهو يتطلع الى حيث تجلس
زهرة بأريحية بجوارها.. وتنتفض في نفس اللحظة التي
سمعت فيها صوته وهو يهتف مازحاً:- حتى ولو جلت
لك.. انى هوكلك بيدى..

انتفضت سهام عندما اقترب منها وانحنى يقبل رأسها
في حنان ثم يجلس على طرف فراشها.. أمرا ام سعيد
بوضع الصينية على الطاولة الملاصقة للفراش.. لتنفذ
ما طلب وتتركها وترحل .. اما زهرة .. فكانت تقف
مشدوهة لا تصدق ان هذا الرجل الذى يقطر حنانا مع
أخته .. هو عاصم مهران الهوارى .. بشحمه ولحمه..
كانت سهام تطأطئ رأسها وقد بدأت دموعها فى
الجريان ..

ليهتف هو منزعجا:

- واااه .. ليه الدموع دى دلوجت.. دى حمد
بالسلامة .. الى مسمعتهاش منيكى.. قال كلماته

الأخيرة وهو يمد يده ليمسح دموع اخته من على
خديها .. لكن عيونه تلقى بنفس التساؤل على تلك
المشدوهة هناك ..والتي تضرب أخماسا فى
اسداسا.. وعيونها زائغة ودقات قلبها تفقدها توازنها
وتعلو حتى تكاد تختنق فلا تستطيع إلتقاط انفاسها
بالشكل المعتاد وكأن احد ما قد سحب كل هواء
الغرفة ..

مد عاصم يده للطعام يتناول منه لقمة يغمسها فى
العسل ليضعها فى فم أخته .. التى تناولتها من يده
وهى لازالت تشهق باكية وردت اخيرا بعد ان ابتلعت
لقيماتها:

- انا اسفة يا خوى .. سامحنى ..

-انتِ معملتيش حاجة أسامحك عليها .. انت اللى
تسامحينى عشان جسيت عليكى.... وامتدت نظراته
للمرة الثانية بنفس الرسالة لزهرة .. التى تسلفت فى

خفة لتجلس على الكرسي الوحيد القريب من موضع
وقوفها .. والذى لسوء حظها .. كان مقابل الى حد كبير
لموضع جلوسه ..

ألتقطت رسالته .. فحارت فى تفسيرها هل هو حقا
يعتذرا!!؟.. الغول ..يعتذرا!؟ لا.. انها تهزى.. ليست
بارعة ابدا فى فك الشفرات وحل الألغاز .. وخاصة
الكلامية منها .. ولا تميل لتفسيرات قد تكون مجرد
امنيات ما بداخلها حلمت يوما ما بتحقيقها.. هى لا
تعرف كيف تفسر ..وليس لديها رغبة فى ذلك ...
فخيلة الامل التى ستصاحب تفسيرها الخاطئ .. ألمها
لن تتحمله لانه سيكون موجاً لحظتها .. ليس لكرامتها
او كبرياءها فحسب.. وانما الى قلبها الذى تشعر انه لم
يعد يطاوعها منذ امد بعيد وانه ينحى بمشاعره منحني
قمة فى الخطورة رغم تحذيرات العقل المتكررة..
ولكن من يبالى!!

هتفت سهام فى نزق:- لاه .. انت اللى تسامحنى ..
لأنى صدجت انك ممكن تكون جتلت حسام .. بسببى
.. ازاي أفكر فيك كده...!!؟؟.. وانا اللى مفروض أدافع
عنك وابجى متوكدة اكر من اى حد .. انك
متعملهاش..

وانفجرت باكية من جديد .. ليبتسم عاصم على براءتها
وهو يقول :

- بس انتِ عندك حج.. انا ممكن اجتل اى حد عشان
خاطرك يا سهام .. اى حد يفكر يأذيكى .. اجتله ولا
يهمنى .. انا مستحملش النسمة عليكى .. وانت
عارفة..

ابتسمت سهام من بين دموعها :- ربنا يخليك ليا .. رد
الابتسامة فى المقابل.. وهو يلتقط لقيمة اخرى من
صينية الطعام ليضعها فى فمها وهو يمازحها هاتفا :

- يا الله .. عنجلعوكى اها... جبل ما ياجى عريس
الغفلة .. ويخدك منينا ويجلعك هو ..

لتنفجر سهام ضاحكة وتعود لطبيعتها المرححة من
جديد ..

لينهض عاصم وقد شعر بانه أنجز مهمته وأعاد اخته
لمرحها المعتاد.... اما هى... تلك الحبيبة المتباعدة
هناك .. تلك التى لا يعلم كيف يراضيهها .. كيف يشق
طريقه الى قلبها...!!؟..

كيف يجعلها تصدق انه بالفعل يتمناها!؟..
كيف يهدم ذاك الماضى المشؤوم والذى يقف كجدار
من فولاذ بينهما ليستطيع الوصول لذاك القلب الذهبى
العامر بالحب والحنان واللذان انتظرهما طويلا
..وبحاجة إليهما .. حاجته للماء والهواء..
اه لو يعرف كيف!!؟....

الفصل الخامس عش

دخلت الحاجة فضيلة بهدوء الى غرفة زوجها الحاج مهران .. كانت تتوقع انه نائم كما هي عادته فى مثل ذلك الوقت من اليوم ..لذا همت بالخروج .. لكنه فتح عينيه ليناديها قبل ان تفتح باب الغرفة راحلة :- فضيلة .. تعالى انا مش نايم ..

وبدا فى الاعتدال فى جلسته على قدر استطاعته.. لتستدير هى لتجلس قبالته من الجانب الاخر للفراش.. ليبادرها متسائلا :

- كيفه ولدك .. عاود بالسلامة...؟؟..

حاولت ان تدارى اندهاشها وهى

تقول :

- كنت عارف يا حاج...!!...؟...

ابتسم فى ثقة :

- طبعا .. هو اكمنى بجيت أسد عچوز.. يبجى معرفش
دارى بيحصل فيها ايه ..؟!!..

هتفت شاهقة :

- متجلش كده يا حاج!؟..بس انا كنت خايقة اجولك
على اللى حُصل لعاصم ..عشان ..

قاطعها فى مودة :

- عارف يا فضيلة .. عارف.. بس مش ده اللى جابك
لحدى.. انتِ فى هم مضايحك ومكدرك..؟!!..

ابتسمت فى وهن وهى تتنهد :- طول عمرك حافظنى
اكثر من نفسى .. صمتت لحظات ثم استكملت :-

اه..فى يا مهران..ولدك ومرته.. هما فاكرينى مش
شايقة ولا عارفة اللى بناتهم .. بس انى مش عاجبنى
اللى بيحصل ده....

قهقهه العجوز فى حبور مختلط بسعاليه المعتاد :
- واه يا فضيلة .. كن التاريخ بيعيد نفسه صوح ..
فااااكرة..

اشتعل وجه الحاجة فضيلة خجلا حتى يظن من يراها
الان انها فتاة فى العشرين من عمرها .. وهى تتطلع
الى زوجها فى محبة ولم تعلق بحرف

ليستطرد هو ولا زالت عيونه تحمل بريق مرح:- سبيهم
يا فضيلة .. هم ها يعرفوا طريقهم لبعض.. جلوبهم
هدلهم.. ولما يوصلوا .. هاتتعلى روحهم ببعض ذى ما
روحي متعلجة بيكى ..

أومأت برأسها وقد زادت ابتسامتها اتساعا من كلمات زوجها الأخيرة .. والذي استطرد في لهجة عابثة :- بس جوليلي .!؟

انتبهت وأرسمت على وجهها علامات الجدية :

- خير يا حاج ؟؟!

ابتسم فى مشاكسة :

- هو انتِ احلويتى اكر ما انتِ حلوة .. ولا ايه اللى

حُصل ...؟؟!..

لتنفجر الحاجة فضيلة بضحكة مجلجلة وهى تهتف

قائلة :

- يا حالأح .. راحت علينا خلاص..

اجاب وبريق عينيه ينطق قبل كلماته:- والله يا فضيلة

.. لحد دلوجت وانتِ جاعدة جدامى واعيلك لِسَّه بت

التمنتاشر ..الى رسها دايم فى السما .. ومكنش

عاجبها حد .. الى من ساعة ما دخلت دارى وانى

مشيفش من الحريم غيرها.. واللى جمالها كل يوم

بيزيد عن الى اليوم الى جبله .. بعجلها الكبير ..

وجلبها الى يساع الكل .. انت نعمة ..

دمعت عينا الحاجة فضيلة تأثرا لكلمات زوجها..
لتقترب منه فى محبة .. لتحتضن كفه الممدودة
بالقرب منها لتقبلها فى امتنان وحب .. وتلقى برأسها
المجهد على حجره لتمسك كفه على ذاك الرأس
المحبيب وهو يقول كمن استطاع قراءة افكارها :- هو ده
بس اللى شاغلك ...؟؟!..

تنهدت :

- سهام يا حاج وموضوع حسام التهامى ...!!؟.. انت ايه
رأيك .!؟

-والله انا اسمع ان ولاد جدرى التهامى التنين ذى الفل
.. وطالما عايز سهام وشاريها بچد .. يبجى وماله .. ما
احنا واخدين بتهم لعاصم...وانا كمان حاسس ان سهام
مياله لولدهم يبجى على بركة الله .. بس تفتكرى
هايجى يتجدم تانى بعد ما عاصم رفضه وجاله انها
محجوزة لواد عمها ...!!؟

هنا صمتت الحاجة لحظات ثم اجابت فى شرود :-
مش عارفة يا حاج...!!...?
لكن على العكس تماما ... هى تعلم .. بل تعلم جيدا ..
اذا كان سيأتى ام لا ..

تهللت اساريرها عندما رآته يدخل لقاعة المحاضرات
.. كان يبدو على محياه الإرهاق والإجهاد .. اسبوع
كامل لم يأتى للجامعة واعتذر فيه عن محاضراته..
لكن يبدو انه كان اسبوع كامل من المعاناة المتمثلة
على قسّات وجهه وعينه المرهقتين .. أين كان يا
ترى ..!!...؟؟.. لما غاب كل تلك الفترة!؟.. هل كان
بصحبة زوجته!؟.. توقفت افكارها عند هذه النقطة ..
تساءل هل هو متزوج من الاساس؟! وجدت عينيها
تبحث عن كفه الأيسر لتتأكد ..فزفرت براحة عندما لم

تجد خاتم زواج أو خطبة فى كلتا يديه وابتسمت كالبلهاء وهى تشعر بسعادة عجيبة لهذا الاكتشاف .. ولم تنتبه لندائه الا فى المرة الثانية عندما وخزتها صديقتها المجاورة لها .. لتستفيق من شرودها وتنتفض :

- نعم يا دكتور ...؟!..

ليبتسم هو وقد ادرك شرودها :

- كنت بسرد بنود النظرية اللى أثريتها المحاضرة اللى فاتت .. عندك اى اضافة ..؟!..

اجابت بسرعة:

- لا يا دكتور..معنديش

ابتسم وأشار لها بالجلوس وهى تلعن شرودها الف مرة .. فقد حضرت نفسها كثيرا لتلك المحاضرة .. ووضعت العديد من النقاط لمناقشتها كل ذلك ضاع ادراج الريح بسبب شرودها الغبى ..

وحاولت على قدر الإمكان ان تستحث تركيزها ليتوجه
لنقطة واحدة هى موضوع المحاضرة ولا ينحرف
متوجها لذاك الأسمر الوسيم الذى يلقيها والذى
يبتسم الان فى ثقة جعلت قلبها يخفق فى اضطراب
دون سبب مفهوم ...

الساعة الان قاربت الرابعة فجراً وهو لايزل يتقلب على
فراش من جمر .. لم يزوره النوم مشفقا على حاله ولم
يمس الكرى أهدا به و لو للحظات ..
وكان لابد له ان يعترف.. ان سهاده راجع اليها والى
التفكير فى بعدها وتباعدها.. فها هى تقرر المبيت مع
سهام متحججة بمرضها الذى شفيت منه سهام بالفعل
وتتركه يضيئه الحنين اليها .. انه يعرف انها حتى وهى
معه تحت سقف واحد .. سترقد على اريكتها

متحاشية إياه قدر إمكانها .. لكن وجودها فى حد ذاته بنفس الغرفة التى ينام فيها واختلاط انفاسه بأنفاسها يبعث الطمأنينة بنفسه .. بنفس القدر الذى يذهب براحة باله ويشير رغبته فى الحياة والموت بين هاذين الذراعين الدافئتين .. تنهد فى ضيق .. قربها نار حارقة .. وبعادها آلامه لا تحتمل .. وما بين هذا وذاك .. يموت هو قهراً .. ورغبةً .. وندماً .. وعشقاً...

انتفض من فراشه واندفع خارج الغرفة فى تهور ليصل لباب غرفة سهام وهو يلهث من فرط انفعاله .. فتح الباب فى هدوء .. ليتسلل معه للداخل بعض ضوء من الردهة ليرى من خلاله جسد واحد متدثر على الفراش جال بنظره للطرف الآخر من الغرفة ليرى خيالا أنثويا ميزه بسهولة .. انه لها .. تلك التى يؤرقه ويضج مضجعه مجرد التفكير فيها وها هى تقف فى خشوع

تؤدي صلاة الفجر.. تسلل الى داخل الغرفة على أطراف أصابعه ليجلس على يسراها في هدوء وما ان انتهت من صلاتها لتنهض حتى هتفت منتفضة:- اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

كاد ان ينفجر ضاحكا لولا خشيته من استيقاظ سهام والتي ولله الحمد تغط في نوم عميق فكتم ضحكاته هامسا:- اول كلمة اسمعها منك بعد رجوعي تبجي الإستعاذة.. مجبولة منيكي..

صمت ولم تجب وهي تلتقط انفاسها بصعوبة وابتسامة ما تقفز للظهور على شفتيها على الرغم من محاولتها وأدها.. ليستطرد هو بصوت متوسل أشبه بصوت طفل مشاكس يتحجج ليهرب من اداء واجبه المدرسي :
- أنا چعاان ..

جاء الان دورها لتجاهد جهاد الأبطال لوأد الضحكات
التي كادت ان تفلت منها رغما عنها .. وحمدت الله
على الظلام الذى يغلفهما لحد ما حتى لا يرى تعابير
وجهها ...

جاهدت ناطقة فى هدوء :

- حاضره ..

ونهمزت بسرعة مندفة خارج الغرفة لتطلق العنان
لإبتساماتها وهى تشعر به يتبعها ويغلق باب غرفة
سهم خلفه .. دخلت المطبخ لتفاجأ به ورائها ..

قالت فى نبرة حاولت ان تظهر

متزنة :- ما تستناني على السفرة لحد ما احضر الاكل
واجبهولك ..

قال متحججاً:

- لاه .. ما انا هستنى هنا عشان اسليكى ..



هتفت فى نفسها :

- يسلىنى...؟؟!.. الله وحده فى عونى لأستطيع التركيز
لدقائق فقط حتى احضر له بعض الطعام الخفيف
واعود ثانية لأختبئ بغرفة سهام والتى كانت حاجتها
إلى

حجة رائعة لأبتعد عن طريقه وعن خطورة التواجد معه
تحت سقف واحد..

حملت صينية الطعام حتى المائدة وهو يتبعها كظلها
كطفل يتشبث بجلباب أمه.. ليجلس أخيراً على كرسيه
المعتاد على رأس المائدة.. لتهم هى بالذهاب فى
عجالة فيمسك فى سرعة بمعصمها.. لترتد مرة اخرى
حيث يجلس تكاد تصطدم به رغم بعض من تحكم
جعلها تقف فى ثبات اخيرا قبل الإصطدام وقبل ان
تشتعل عيونها غضبا كالمعتاد همس هو فى براءة
مصطنعة:

- أجدى معاً.. عشان تفتحى نفسى ..
وترك معصمها ليبعد الكرسي القريب منه عن المائدة
ليدعوها للجلوس لتخبو لحد ما نيران غضبها ويلاحظ
هو ذلك .. فيبتسم فى حبور وخاصة بعد ان جلست
بهدهوء حيث أشار .. تناول الخبز وبدأ فى تناول طعامه
بشهية ..

كانت تهتف فى نفسها الان :

- متى سينتهى هذا العذاب الإجبارى...؟؟!... ان
نظراته مسلطة عليها .. لا على الأطباق أمامه .. تكاد
تجزم انه يضع يده فى اى صحن تطاله دون ان يدرك
اى نوع من الطعام هو .. طبعاً .. وكيف له التركيز فيما
يتناوله والصحون على الطاولة لا على صفحة وجهها ..
..؟!..

وكانت محقة لحد كبير .. فلو سأله احدهم .. ماذا
تناولت ؟!؟.

لأجاب لا اعرف بالضبط .. فكل ما أتذكره .. هو أنني
كنت أذوق الشهد من صفحة وجهها مع كل قضة
غير ذلك فلا أذكر..

انتهى اخيرا من تناول طعامه .. لتحمل صينية الطعام
للمطبخ وتبدأ فى صعود الدرج لتجده يتبعها من
جديد..

وصلت لغرفة سهام وهى تكاد تزغرد فى فرحة وهى
تضع كفها على مقبض بابها لولم ينقلب كل ذلك فى
لحظة وهو يحملها بخفة ويسير بها فى ثقة تجاه
غرفتهما.. كانت لا تستطيع الاعتراض تحت وطأة
حجابها الذى انزلق يغطى وجهها تماما وهو يحملها
حتى وجدت نفسها اخيرا على قدميها لتندفع فى
تخطيط مبتعدة عنه وهى تبعد حجابها عن وجهها
لتتنفس لاهثة... لينفجر هو ضاحكا وهو يراها بمثل
ذلك الاضطراب .. أغلق الباب فتحفزت هى ليقول

بنبرة هادئة تخالف ثورتها المكبوتة :

- أوضتكِ أولى بيكى... همت بالإعتراض ليهتف :

- وسهام خلاص ربنا شفاها..

تحرك للحمام فبدأت هى بتعديل الحجاب مرة أخرى
على رأسها .. ليخرج ليجدها تقبع فى احد أركان
أريكتها وتندفع للحمام ما ان غادره لتغيب فيه
وهو يستعد ليلحق بصلاة الفجر ..

وتخرج هى لتهم بالصلاة فيسأل متعجبا:

- انتِ مش خلاص صليتى..

حركت رأسها رفضا :

- كانت ركعتين السنة اللى قبل الفجر..

ابتسم فى سعادة وهو يقول :

- تمام .. صلى ورايا بجى .. انا لِسَّه هصلي الفجر اهو ..

ووقف موليا وجهه لله مكبرا.. وتبعته هى .. وكل منهما



فى قلبه الكثير والكثير من الامانى والدعاء.. فهل
يستجيب .. مقلب القلوب ..؟!!..

تحرك الحاج قدرى التهامى بصعوبة ليفتح باب داره
الذى توالى عليه الطرقات .. واخيرا وصله ليفتح بوجه
عابس بسبب الطرق المتواصل الذى لم ينقطع .. وما
ان فُتح الباب

حتى طالعه شخص متشح بالسواد دفع الباب ليدخل
فى سرعة ويغلق الباب خلفه .. ليرتد الحاج قدرى
للخلف.. ليس خوفا .. بل تعجبا.. فقد كان من الواضح
تماما .. ان ذاك الدخيل امرأة .. لكن من تكون ..؟؟!..
سأل فى ادب :

- خير يا بت الناس .. انتِ مين وعايضة ايه..؟!..

هتفت صاحبة الصوت بثقة :

- حمد الله بسلامة حسام ولدك يا جدري .. بركة انه
جام بخير..

اهتز الحاج قدرى لسماعه الصوت وبهت وجهه وكأنه
يحاول ان يؤكد لنفسه ان استنتاجه لصاحبه الصوت
صحيحا قبل ان يهتف فى نبرة ملؤها الحنين :

- وaaaaااه يا فضيلة.... والله زمان ..

تحركت فى رزانة وهى ترفع غطاء وجهها وتجلس على
اقرب مقعد صادفها وهى تقول بنبرة باردة :

- أه فضيلة يا جدري ... كيفك ...!!..؟..

ابتسم الحاج قدرى :

- بخير الحمد لله ... ياااه زمن بيرمح رمح... وكنى

لِسّه شايفك امبارح .. متغيرتيش.. لساكى فضيلة ال..

هتفت مقاطعة :

- جدري .. بلاه الحديث اللي ملوش عازة ده..وجاوبنى على سؤال واحد ..

-خير .. سؤال ايه ..؟!.. انتبه الحاج قدرى فجأة وقد ألقى وراء ظهره حديث الذكريات والحنين ..

-ولذلك .. عن جد عايز بتى...؟!.. سألت فى جدية .. اجاب الحاج قدرى فى جدية مماثلة :

- وهو فى حد لمؤاخذه ع يهزر ف الحاجات دى ..؟!.. ده يطير فيها رجاب..

-طيب .. طالما كده.. خلى ولدك يروح يتجدم لعاصم ويطلبها وكنها المرة الأولى ..

-وايه اللي يضمن ان عاصم ميرفضوش تانى ذى ما عمل جبل سابج ..؟!.. سأل الحاج قدرى فى حنق..

اجابت فى ثقة :

- أنا أضمن .. فى اكثر من كده ضمان...؟!..

هتف الحاج قدرى فى سرعة :

- لاه طبعا .. كلمتك سيف على رجاب الكل .. وصمت

لحظات ليسأل فى حيرة :

- لكن معلىش فى سؤالى .. ايه اللى يجيبك عشان

تطلبى طلب زى ده ..!! يعنى .. غريبة شوية .. ولا انا

غلطان!؟

اجابت فى هدوء ولم تهتز للحظة :- لاه .. منتش

غلطان .. بس انا عملت كده لأنى عارفة ان ولدك راجل

محترم ومتربى واتمناه لسهام بتى...

رد فى حبور .. ده ولدك يا حاجة .. لتستطرد .. وكمان

كان ممكن اخرج نفسى من الموضوع وكنت ممكن

ابعت زهرة تبلغ واد عمها وخلصنا.. هتف هو مؤكدا :-

تمام..

لتستكمل هي حديثها :

- لكن انا حبيت ان الموضوع يبجى بين الكبار ..
ومدخلش زهرة بيناتنا تانى .. عشان .. وصمتت ..
ليجيب رافعا عنها الحرج .. فاهم يا حاجة .. فاهم ..
لتستكمل .. ده اللى چابنى يا حاج .. مصلحة عيالنا ..
هم ملهمش ذنب فى اللى كان بناتنا زمان .. وهمست
فى نفسها .. كفاية عاصم واللى هو فيه بسببى وبسبب
الكره اللى سجتھوله زمان مش هتكون سهام كمان
ضحية الانتجام ..

ليهز رأسه مؤكدا :- صدجتى يا حاجة .. صدجتى ..
لتنفض من مكانها تغطى وجهها من جديد وهى تتجه
للباب مؤكدة :- انى مجتلکش يا جدرى .. ولا انت
شفتنى ..

- طبعا يا حاجة .. طبعا .. مش عايزة كلام ..

اندفعت خارج البيت مسرعة وهى تلقى السلام ليلقى
هو خلفها بسلام لم يصل لمسامعها بعد اختفائها فى
سرعة

وكأنها لم تكن موجودة وكأن هذا اللقاء كان دربا من
خيال ...أغلق الباب وهو شارد فى ذكريات الماضى
البعيد .. عندما كانت هى فتاة احلامه التى تمنى
الإقتران بها .. وتقدم لها بالفعل .. لكن بطبيعة الحال
رُفض من قبل رجال الهوارية .. والذين لم يروه ذاك
الذى يليق بإبنتهم.. وتحول الرفض الى عداوة دامية
بعد هروب اخوه ناجى مع فاطمة اختها وأصبح الوصول
اليها دربا من مستحيل ..

ليفاجأ بخطبتها لمهران الهوارى بن عمها.. لتتشعب
بهم طرق الحياة ودروبها.. ويمضى كل منهما فى
طريقه..رؤيتها الان أعادت لمخيلته وايقظت فى قلبه

وروحه ذكريات وخواطر كان يظنها دُفنت من عهد
بعيد.. عادت كلها دفعة واحدة ما ان رآها .. وكأنه عاد
بن الخامسة والعشرين .. ذاك العاشق .. الذى أحب
ولم يطل ..

وأبتسم فى حبور مرحباً بنوبات الحنين التى غمرته
فتاه فيها لدرجة انه لم ينتبه لحسام الذى كان يتقدم
اليه ببطء.. متسائلاً فى وهن يخرج منه شروده:

- مين كان هنا يا حاج ..؟!..

ليجيب فى همس:

- الماضى يا ولدى ..

فيه تف حسام متسائلاً :

- مين ..؟!..

ليبتسم الحاج قدرى ابتسامة واسعة وهو يقول :

- متخدش فى بالك يا حسام .. انت ايه اللى جومك من
فرشتك .. ونزلك من فوج..؟!..



رد حسام فى حنق:

- زهجت.. انا مش متعود على الرجدة دى .. وبعدين
انا الحمد لله بجيت كويس ..فجلت امشى رچلى
شوية..

نهض الحاج مقتربا من ولده وهو يقول متحفزا فى
سعادة :

- طالما كده .. تعال .. عايزك فى موضوع هيفرحك
جوووى ويخليك تجوم ترمح ذى الحصان .. بس اللى
اجولك عليه عمله .. ومتسألنيش كيف .. وليه ..
وعشان ايه ..؟!.. حاكم انى عارفك .. انت تنفذ وبس..
اتفجنا..?!..

أوماً عاصم برأسه فى حيرة وهو يهمس :
- اتفجنا يا حاج.

مالت الحاجة فضيلة على ابنتها سهام وهما على
طاولة الإفطار تهمس فى تساؤل خبيث:

- بت يا سهام .. هى لساتها زهرة بتبات معاكى فى
الايضة ...؟!..

همست سهام بدورها لأمها وصوتها يحمل نبرات مرحة
ماجنة:- لاه .. اطمنى .. بجالها ليلتين بايته فى
اوضتها وسيبانى وانى تعبانة ..

هتفت الحاجة فضيلة معاتبة ابنتها :

- ولا تعبانة ولا حاجة ... ما انت زينة أها .. وذى
الجردة ...

هتفت سهام مستنكرة :

- جردة .. هى دى اخرتها يا حاجة...!! طبعاً.. المهم
ولدىك لكن انى مش مهمة..

انفجرت الحاجة فضيلة ضاحكة :

- برضك يا سهام...!!؟؟.. ده انتِ حبيبتي ..

لتنفجر سهام ضاحكة بدورها:

- طب ما انى عارفة ..

عادت ام سعيد بباقي أطباق الفطور من المطبخ لينضم إليهما عاصم ومن ورائه زهرة .. وبدأ الجميع فى تناول طعامه .. كانت الحاجة فضيلة تختلس النظرات .. لعاصم تارة .. ولزهرة تارة أخرى محاولة ان تستشف ما يدور بينهما وتجاهد ان تكشف الحجب من خلال ردود افعالهما.. ثم ابتسمت فى سعادة .. عندما وجدت عاصم يختلس النظرات لزهرة فى محبة وهى لاتزل على هدوئها ورزانتها وخجلها وهى تحاول قدر استطاعتها الهرب من نظراته المتعقبة لسكناتها وحركاتها.. لتهمس الحاجة فضيلة فى نفسها :-والله ولجيت اخيرا .. حد يملك جلبك يا عاصم .. نهض عاصم من على الطاولة وتوجه بنظراته لزهرة يسألها فى تردد:

-تجدرى تيجى معايا الاسطبلات .. ولا مش
فاضية...!!؟..

كانت المرة الاولى منذ فترة طويلة التى يراها فيها
متهلهلة الاسارير بهذا الشكل .. كان محقا عندما فكر
فى ذلك الخاطرفسيرة الأحصنة والأسطبلات تسعدها..
وتذكرها بمهنتها التى تحبها فقد انتفضت فى سعادة
وهى تقول :- اه طبعا .. ياريت ..انا فاضية ورايا ايه ..
ابتسم بسعادة لحماسها :- طب تعالى اجهزى عشان
نروح دلوجت ..

اندفعت للدرج وهى تصعده بسرعة هاتفة :- اعتبرنى
جهزت ..

لتبتسم الحاجة فضيلة فى رضا ومحبة و تنادى عاصم
.. ليندفع ملبياً قبل ان يهم بالصعود خلف زهرة..
-تعال يا عاصم .. عيزاك ..
-أمرك يا حاجة ..

تنحت به جانباً وهي تهمس له في جدية :
- بجلك ايه .. لو بفرض .. واد جدرى التهامى .. اللى
كان طالب سهام جبل سابج .. چالك .. وطلبها تانى ..
او عاك ترده ..

نظر عاصم لها مستفهماً :

- هو ممكن يكررها .. !!؟.. حتى لو عايز مش هايعملها ..
هايفتكر ان ممكن يجى فى بالى انه بيطالبنى برد
للچميل اللى عمله معايا بشهادته فى جضيتى .. هو
الصراحة .. راجل زين وميتعيبش .. بس كرامته
هتوجعه ومش هايجى ..

ربت امه على ذراعه وهي تقول فى عجالة :- اسمع
بس .. عشان معطلكش على مرتك .. انا بجول بفرض ..
يعنى لو چه متردوش يا عاصم .. خلاص ..

ابتسم عاصم :
- خلاص يا حاجة ..

ثم تطلع اليها فى محاولة لكشف أغوارها هاتفا :-
طول عمرك بحورك غريجة يا حاجة فضيلة .. واتسعت
ابتسامته مستكماً :- بس ماشى.. هو انا أجدر اجول
الا حاضر لست الكل .

انفرجت اساريرها وهى تربت على كتفه فى محبة
خالصة داعية :

-يحضر لك الخير والسعادة يا ولدى ويرزقك براحة البال
.. وهدوان السر .. يا رب

ليهمس فى سره ومن أعرق أعماقه .. أمين .. وهو
يتطلع لزهرة تهبط الدرج وقلبه يرفرف لمرأها ..
انتظرته حتى انتهى من ارتداء ملابسها على عجلة ..
ونفضت مسرعة عندما رآته .. هابطا الدرج وهى تكاد
تطير فرحاً...ابتسم لها هاتفاً :
- يا الله بينا..

سارا جنباً لجنب حتى ادخلها السيارة واستدار ليركب امام مقودها منتشياً.. وما هي الا لحظات حتى كان منطلق بها .. كانت تغمره سعادة غير طبيعية لمراها سعيدة بهذا الشكل .. اختلس نظرة جانبية اليها ليجدها تتطلع الى المقعد الخلفى ثم تشيح بوجهها بعيداً وقد اعتلت قسماته المحببة بعض من حزن .. لم يدرك مباشرة ما سبب هذا الانقلاب المزاجى ولما كانت تنظر تلك النظرات المبهمة للمقعد الخلفى .. وفجأة .. تذكرانها نفس السيارة التى اختطفها فيها .. وذاك المقعد هو نفسه الذى ألقيت فيه لساعات .. لا تعرف لما .. ولا الى أين ..؟!..

لعن الصدفة التى دفعت به لركوب هذه السيارة فى هذا الوقت بالذات .. فهو نادرا ما يستخدمها الا فى أسفاره.. ويفضل السيارة القديمة .. او فرسه ..

نظر من النافذة محاولا استنشاق اكبر قدر من الهواء
النقى ليهدئ سخطه ومد يده ليضغط على مشغل
الاغانى ربما يكون قادراً على تغيير بعض من ذاك
المزاج الذى تعكر لذكرى قاسية اجترتها... فصح
المذياع شادياً...

جيتك .. وشايل معى .. حقائب الدنيا اعتذار
جيتك وكلى ألم .. وبأيدك انت الاختيار..
يا ترى هل تسمحين ..؟!..

يا ترى ... هل تصفحين ..؟!..

أنا طفلك أنا رجلك ..

أنا بعضك ... أنا كلك ..

غير حبك .. غير حضنك .. مالى فى الدنيا .. دار ..

أرهف السمع لتلك الكلمات والتى لو أراد ان يعبرعن
ما يجيش بصدرة ما وجد اروع منها كلمات لتصف
حاله .

اشتدت كفاه تشبثاً بالمقود وهو يختلس اليها
النظرات .. هل سمعت ووعت تلك الرسالة...؟؟!! ..
وجاءه الجواب ..

اسرع مما تخيل عندما وجدها تدارى وجهها فى
النافذة وتحاول وأد دموع خانتها وانحدرت على
خديها ..

نظراتها للمقعد الخلفى اعادتها لذكرى دامية .. هى
حقا لا تعرف ان كانت تعتبرها ذكرى سعيدة ام
تعيسة.. شطريها لازالا يتنازعانها.. احدهما يوصم
الذكرى بالتعيسة فمنذ تلك اللحظة تبدلت حياتها
كلياً.. والآخر يؤكد على روعة الذكرى فلولا ما حدث
واختطافه لها ما كانت هنا الان

انها تبكى .. لا تبكى الذكرى.. بقدر ما تبكى تشتتها
واضطرابها.. وها هى تلك الكلمات التى صدح بها

مذياع السيارة توقظ في شطرها المحب له الامل ..
فمنذ عاد من محبسه .. وهى تلاحظ تغير فى معاملته
لها من جديد .

فهو يحاول ان يقدم اعتذار لها عما كان منه .. فهل
تقبل اعتذاره .. ؟!!.. هل تحاول ان تبدأ صفحة جديدة
فى تعاملها معه ..؟؟!.. هل .. وهل ..؟؟!.. عشرات
الأسئلة انهكتها..

ولا تعرف ماذا عليها ان تفعل ..؟؟!..
هتف هو اخيرا فى نفسه ..حمد لله .. فلقد وصلنا
بالفعل للأسطبلات..

فربما تعيدها تلك الزيارة لمزاجها المنشرح من جديد..
ترجلت تسبقه .. فقد كانت تريد استعادة رباطة
جأشها ..



مر بها على جميع الإسطبلات فى جولة سريعة ..
وتنبهت فجأة ان تلك المنطقة التى كانت دوما تعج
بالرجال خالية تماما وكأنها مهجورة تقريبا حتى من
العاملين فيها .. هل أخلى المنطقة إكراما
لزيارتها...؟!.. سألت وشعور من سعادة يتسلل لداخلها
لتبدأ فى استعادة انشراحها السابق .. وها هما الان
امام أسطبل عزيزة الذى دخلته فى السابق .. كادت
تقفز فرحا .. فلطالما عشقت الخيل .. وعزيزة لها معزة
خاصة..

وكان عشقها هذا سبب فى تصميمها لدخول كلية
الطب البيطري .. لطالما تمنى تملك احداها .. لكن
أين وكيف...؟!..

همت بالتوجه لعزیزة ترحب بها فى فرحة .. الا ان
عاصم أمسك بكفها يجذبها خلفه فى سعادة حتى وصلا

لأحد الأركان .. وقعت عيناها على مهرة جميلة بلون
العسل ..

وقعت فى هواها فوراً.. اقتربت منها المهرة فى مودة
وكأنها تعرفها منذ زمن تتطلع لقطع السكر من يدها ..
حركتها الحميمة دفعت الضحكات على شفتى زهرة ..
عندها اقترب منها عاصم ليكون خلفها تماما و فى
فرحة مال قليلا ليهمس فى أذنيها :
- شايقة عرفاكى كيف ...!!..؟..

رفعت رأسها لتصطدم بعيونه فتضطرب وهى تسأل
بصوت مهزوز النبرات :
www.abeeerkotob.com
- أنا برضة مستغربة ...!!..؟..

ابتسم وهو يجيب بنفس الصوت الهامس:
- كيف تنساكى.. ولولاكى ما كانت حت ع الدنيا
...!!..؟؟..

قفزت زهرة فى تلك اللحظة فى سعادة :
- بجد ..؟!.. هى دى الفرسة اللى اتولدت على أيدى
..؟!.. أوما فى حبور .. لتكمل هى تساؤلها المبتهج ..
هى دى بنت عزيزة ..؟!..

لينحنى هامسا من جديد .. :- هى دى زهرة ..
توقفت فجأة قفزاتها المحمومة بالفرحة لتستدير
بكليتها تواجهه وهى تعتقد انها لم تسمعه جيداً كما
يجب وعيناها تحمل تساؤل .. هل انت جاد فى ما تقول
..?!..

ليبتسم مجيباً :
- ايوه .. هى دى زهرة .. اللى هديتها لى يا زهرة ..
وتذكرت تلك الرسالة الغامضة التى كتبها بداخل هديته
المنحوتة على هيئة زهرة رائعة الجمال و التى وضعتها
جانباً فى احد رفوف خزانة الملابس التى لم تستعملها
بعد .. ولا تعلم ان كان سيتاح لها فرصة استخدامها ..

اذن .. فقد أعطى المهرة الرائعة اسمها .. كان
اضطرابها على أشده.. وخاصة مع تلك النظرات الحانية
التي يغمرها بها .. والتي تجعل تعقلها فى سبات عميق
.. وتدفع قلبها للقفز فرحا كالأبله .. لتبدأ الأعياد
بجوانب صدرها على دقائق نبضاته الماجنة ..
أخذ ثانية بكفها .. ليعود بها لعزيزة و التي أنقذتها
زهرة من موت محقق..

هللت الفرسة وكأنها تعرفت عليها وأطلقت صهيلا
خاصا مرحبة بها جعل عاصم يقترب مقهقهقا لترحاب
الفرسة بزهرة بهذه الطريقة ..وقف على الجانب الآخر
من الفرسة.. وأصبح بالكاد يرى زهرة التي تناهز عزيزة
طولا ..

قال مبتهجا:- عزيزة فرحانة بيكى..
ابتسمت فى خجل ولم ترد ليتحرك وهو يربت على
عنق الفرسة ثم رأسها ليصبحا الان على نفس الجانب

من الفرصة التى بدأت فى مشاكسة عاصم رغبة فى قطع السكر التى يكافئها بها .. فأطلقت زهرة بأريحية ضحكاتها على صنيع الفرصة جذبت أنظاره اليها كالمغناطيس ليتوه لحظات فى تلك الضحكات الرنانة التى يرقص قلبه الان على نغماتها والتى نادرا ما يسمعها .. جذب أنظاره عنها بصعوبة عندما وجدها تطأطئ رأسها خجلا وقد تنبهت لنظراته .. وضع كفه فى جيب جلبابه يخرج بعض قطع السكر من اجل الفرصة .. مكافئ لها .. فهى من جذبت بمشاكساتها تلك الضحكات الندية .. اقترح فجأة :- عايزة تأكليها .. وهو يمد يده بقطع السكر لزهرة .. تناولت منه بعضها فى فرحة .. ومدتها لعزيزة التى تناولتها مسرعة بسعادة ..

همست زهرة معجبة بالفرسة :

- فرسة جميلة ..

ليؤكد عاصم :

- اه .. فعلا جميلة .. ثم يستطرد.. عمرك ما ركبتى

فرس!؟

أجابت بسؤال :- ليه!؟..

تحرك يجهز الفرسة وقد تراجعت هى للخلف خطوات تتركه يعمل بجد وسؤالها المعلق لم تجد له جوابا الا عندما انتهى من وضع السرج لعزيزة وتطلع بكفه الممدودة لها فظلت مشدوهة مترددة ما بين كفه وعينه التى اتسعت ابتسامتها .. واخيرا .. وضعت كفه فى احضان كفه .. ليقبض عليها بلطف وترتعش هى كالعادة ليجذبها كليا الى احضانه.. وقبل ان تتنبه .. تجده يحيط خصرها بكفيه وفجأة وفى أقل من ثانية .. تجد نفسها على صهوة الفرسة..

ابدا لم تكن بتلك الخفة التى شعرت بها وهو يدفعها
لأعلى صهوة الجواد فقد شعرت بأنها كالريشة ..
واجتاحها سعادة غامرة وهى فوق ظهر الفرس .. تنظر
اليه من عليائها.. وهو يتطلع اليها ونظراته تشع بهجة
لا توصف كانت نادرا ما تراها مرسومة فى هاتين
الحدقتين التى تأسرهما الان ..
وجدت نفسها تبسم له بشكل تلقائي عفوى ..
تعجبت له .. ولكن ..

تلك الابتسامة غابت فجأة وحل محلها التشنج والتوتر
عندما وجدته فى لمح البصر يقفز ليستقر على صهوة
الفرس خلفها يمد كفه ليمسك بلجامه لتصبح هى
اسيرة صدره وذراعيه .. وفجأة يلksz الفرس بخفه
لتتحرك متهادية.. فتنتفض زهرة مرتعبة .. فعلاقتها
بالأحصنة كانت دوما علاقة ارضية .. تفحصهم
وقدماها على الارض .. ابدا لم تكن فى ذاك الموضع

منهم فى يوم ما .. ولم تجرؤ يوما على اعتلاء صهوة
احدهم ولا حتى فى أحلامها ..

تلك الانتفاضة كان من اليسير علي عاصم ان
يستشعرها وكيف لا .. وهى الان بين ذراعيه حرفيا ..

همس بصوت متحشرج :- متخافيش .. انا معاك ..

بدأت زهرة تعتاد الامر قليلا عندما بدأت الفرصة فى

السير متبختره .. لكن لازال تشنجها على حاله .. ليس

فقط خوفا من سقوطها من على صهوة عزيزة .. ولكن

.. خوفا من ذاك الإحساس الذى بدأ يتسلل اليها ..

احساس بالأمان وهى محاطة بذراعيه وقريبة بهذا

الشكل من صدره

بدأت الفرصة تدريجيا فى زيادة سرعتها .. وبدأت هى

ايضا بشكل عفوى فى التعلق به .. حتى اصبحت

بالفعل ملتصقة تحتوى بصدرة .. تتشبث به .. شعر

بخوفها

فحث الفرسة على الإبطاء لتعود سيرتها الأولى ..
همس فى أذنها:

- عجبك ركوب الفرس..؟!؟

لتهمس بصوت مرتعش:

- أه .. جدا ..

ليعاود الهمس فى أذنها بصوته المتحشرج الذى
تخالطه نبرات البهجة:

- مش اكثر منى ..

ابتسمت محاولة رفع رأسها مستفهمة:

- ليه ..؟!.. هو انت اول مرة تركبها انت كمان ولا
ايه..!!..؟!..

ضحك بأريحية اربكتها مجيبا:

- لاه .. ثم صمت قليلا ليعاود الهمس بالقرب من أذنها
.. بس أول مرة أركبها معاكِ..



ابتسمت فى خجل وللعجب وجدت نفسها على الرغم
من بطاء الفرصة متشبثة به ملتصقة بأحضانه ولا تريد
الإبتعاد وكأنما هناك ما يجذبها للبقاء حيث هى ولا
قبل لها لتغادر ..

-عارفة ..؟!.. سأل هامسا ليخرجها من خواطرها
المخجلة

أردف :- نفسى حياتى تبجى كلها فوج الفرصة ..
سألت بصوت متهدج تأثرا :- اشمعنى!?!..
اجاب وهو يقترب اكثر من أذنها ويهمس بعشق :
- عشان تبجى على طول ذى ما انت كده ..جُريبة من
جلبى ..

وللمرة الاولى .. الاولى تماما ترفع نظراتها اليه ولا تكون
نظرات نارية متحدية تمور بالغضب .. بل نظرات
عاشقة..نظرات هائلة .. نظرات تحمل الكثير وتقول
الكثير ..

نظرات جعلته يتشبث بها قريبة من صدره وهى ابدأ
لم تمنع بل كانت أكثر من مرحبة .. مما جعله ينطلق
بالفرسة بسرعة كبيرة وهى بين احضانه لا تخشى
شيئاً..ينطلق حيث

مكانه المفضل الذى ينطلق اليه كلما أهمه أمر ما ..
بعيدا عن الأعين المتطفلة .. عند تلك التبة الجبلية
التي يسلك لها طريقاً مهجوراً من مكان الأسطبلات
ليصلا له فى دقائق

ليتوقف بها على قمة تبتة المفضلة.. والتي تشرف
على النجع كله من الأعلى .. تراه من بعيد وترى
السراى سامقة عريقة من البعد .. كان منظراً مهيباً
جعل روحها تحلق بعيدا فى هدوء ووداعة.. عيناها
تتطلع اليه .. تراه ملكاً يطل على رعاياه من عليائه..

والاهم انه لازال يضم ذراعيه حولها أسرا إياها لأحضانه
.. التى ما عاد لديها ادنى شك .. انها هى المكان الذى
تنتمى اليه ..

هى الوطن الذى بحث عنه طويلا ليستوطن فيه
جبينها.. لا تعلم كم مر من الوقت وهى معه .. على
صهوة ذاك الجواد.. كل ما أدركته .. انها كانت هناك
.. حيث لا مجالاً للانتقام او حقد او عداوة .. كانت
بقربه وقد شعرت وللمرة الاولى .. بأنها أمنة تماما وان
تلك الوسائس القديمة التى لطالما كانت حاجز بينهما
قد تلاشت .. وشعرت انها تتمنى نفس أمنيته .. ان
تعيش معه على صهوة الجواد العمر كله .. بعيدا عن
الارض وصراعاتها .. وبالقرب من قلبه كما تمنى هو
وكما تتوق هى وبشدة ..

عادا الآن للإسطبلات يترجل فى حسرة لأنه سيبعدها
عن صدره .. تطلع اليها وهى لاتزل بالأعلى بنظرات

تمور بعشق فاضح مد كفيه لخصرها فلم تعترض بل
ازداد وجيب قلبها خجلا وشوقا.. رفعها ببطء عن
صهوة الفرس.. ليدنيها من صدره حتى انزلها برفق وهى
قابعة بين احضانه لا تصدق أن قدميها لامست الارض
أخيرا .. بعد تلك الرحلة التى ما تمنى شيئا الا
امتدادها للأبد ..

لم تكن لديه الرغبة فى إفلاتها من أسر احضانه ولم تكن
هى بأقل منه رغبة فى البقاء..

همس بصوت يموج سعادة:- مبسوطه!
أومأت برأسها وهى تجيب هامسة بدورها وبصوت
يذوب خجلا:- مكنتش مبسوطه فى حياتى .. أكثر من
دلوقتى.

همس مشاكسا والابتسامة تكلل محياه العاشق وهو
يشدد من جذبها لأحضانه أكثر :- دلوجتى ...؟؟!.. ولا
لما كونتى على الفرسة ...!!!..

تنبهت من خطأها فأضطربت ..وبدأت تتملص من
حصار ذراعيه.. وجاءت النجدة أخيرا فى صورة صوت
أحد الخفراء وهو يهتف من خارج الأسطبلات بصوت
جهورى:- عاصم بيه ...؟؟!.. حسام التهامى فى
المضيقة من بدرى وعائز يجابلك .. أجول له ايه ...؟؟!..
بدأت زهرة فى التشنج وحمدت الله انه افلتها حيث
اقترب من باب الاسطبلات مجيبا الخفير وهو يزفر في
ضيق :- جوله چاى .. وحضر العربية ورجع الهانم
السرايا .. ثم من مكانه أشار لها مودعاً واندفع ليقابل
حسام ...لم يرغب فى العودة اليها .. لانه لو عاد فما
من قوة على وجه الأرض ستجعله يتحرك من قربها ..
غادر أخيرا اما هى فقد بهت لونها وعادت كل مخاوفها
للظهور من جديد وانتهت الهدنة الرائعة التى مرت
كالحلم .. همست فى نفسها .. يا آلهى لما عدت يا
حسام .!؟

الا يكفى ما حدث بالسابق...؟؟!..

كانت تظن ان عبوسه بسبب مجئ حسام من جديد ..
لم تدرك ابدا .. ان عبوسه هذا وحنقه الواضح كان
بسبب اضطراره لإفلاتها وابعادها عن احضانه ..

ركبت السيارة ونظراته تتبعها حين مرت به وهو يتوجه
لحسام وقد قرر ان يرى ما بجعبته .. هذه المرة

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رغمى جلاويش



عبيير الكتب
للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

الفصل الخامس عش

اندفعت زهرة الى السراى وهى تكاد تموت قلقاً وتوتراً
قابلتها سهام اعلى الدرج مصادفة ورأت شحوب
وجهها

فسألتها فى قلق :

- خبر أية يا زهرة مالك وشك اصفر كده ليه .. !!؟.. فى
حاجة ..!!؟؟.. جولى .. وجعتى جلى.

ألتقطت زهرة انفاسها وسحبت سهام لحجرتها وهى
تقول فى نبرة مرتعبة:

- حسام .. راح لعاصم تانى ..

ضربت سهام على صدرها وهى تهتف مصعوقة :

- ااااااه...؟؟!!.. لاه .. تانى يا حسام .. يا وجعة مربربة..

يا ترى ايه اللى بيحصل دلوقت .. استر يا رب ..

لم تعقب زهرة التى اندفعت تجلس على الفراش

فقدماها لم تعد تقدر على حملها لتستكمل سهام
عويلها :

- انى خلاص مش عاوزة اتچوز .. والله ما عاوزة..
نفضوها سيرة بجى وكفايانا دم .. والله بكفايانا دم
..چيب العواجب سليمة يا رب ..
وانفجرت باكية لتنتفض زهرة اليها .. تهدئها وتقول فى
توتر :

- تعالى ننزل دلوقتى نقعد تحت .. أهو نعرف أي
حاجة او نسمع اى خبر ..نشوف ممكن يحصل ايه
وربنا يجبها على خير .. بس اغسلى وشك لحسن
الحاجة تحس بحاجة وهى مش ناقصة .. بلاش نقلقها..
امتثلت لها سهام .. وخرجتا لتجلسا فى صحن الدار ..
بانتظار ما قد يصل اليهما من أخبار ..

هتف عاصم فى ترحاب :

- اهلاً .. اهلاً .. شرفت يا حسام ..

واستطرد وهو يشير اليه بالجلوس وقد انتبه على ذاك
الحامل الطبى الذى لايزل يحمل ذراعه اليسرى
محتضناً إياها لجانبه الأيسر المصاب والذى يبدو انه
لم يبرأ بعد..

-لِسَّه چرچك مطابش..!!؟.. سأل عاصم بإهتمام..

ابتسم حسام :

- لاه .. الحمد لله .. انى تمام .. بس انت عارف بجى

تعليمات الدكاترة ..

ابتسم عاصم وهو ينادى زرزور الذى جاء ملبياً النداء
اسرع من البرق وهو يرمق حسام بنظرات نارية
مسمومة فهذا هو من حظى بقلب سهام والذى يحلم
بالزواج منها ..



عبيير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com

كاد يصرخ به .. انا أولى بها منك.. انها لى أنا .. أنا
فقط من يحبها .. انا فقط من سيسعدها.. انا الاولى ..
أنا ..

استيقظ من شروده على هتاف عاصم باسمه :- واااه...
زرزور رح فین یا مخیل .. روح أعمل شای .. أچرى .
لیتحرك فى تثاقل على عكس عادته وهو لا یزل یرمق
حسام بنفس النظرات الممیة ..

هم حسام ان ینطق الا ان قدوم جمع من الهوارية
أخرسه جلس الجمع وكان من بینهم سلیم الذى
اخذ یتطلع لحسام بنظرات ممزوجة بالغیظ
والحق..اما باقى رجال الهوارية .. فنظراتهم كانت
منقسمة ما بین متعجب ومتسائل... ما السبب الذى
قد یدفع بأحد من التهامية لیأتى وحيدا الى عرین
الهوارية...؟؟!....



استجمع حسام شجاعته بعد ان قرر انه سيفاتحه فى
مطلبه سواء فى وجودهم اوعدمه .. فهو لن يخرج من
هنا الا ومعه الموافقة على زواجه بسهام ..
اندفع حسام قائلاً :

- انا جيت النهاردة يا عاصم عشان اطلب يد أختك .
الصمت الذى غلف المكان بعد تلك الكلمات التى
ألقاها حسام والتى كانت أشبه بقنبلة لم يكن الرد
عليها الا بعض الهمهمات او الشهقات من البعض..
بخلاف سليم الذى وقف متحفزاً .. ينظر لحسام فى
حقه .. ومنتظر رد فعل عاصم حتى يبدأ هجومه ..
تنحى عاصم فصمت الجميع فى ترقب :

- والله يا حسام .. انت راچل زين ومتتعيش ومجدرش
أجول غير .. ألف مبروك ..

انفرجت اسارير حسام غير مصدق بينما تعالت
الهمهمات من جديد من افواه الحاضرين .. وكان سليم
الذى اصابته الصدمة يقف كالمشدوه لا يحرك ساكنا
.. حتى استفاق اخيرا بعد لحظات .. لينظر للجميع فى
غيظ

ويندفع مبتعدا وهو يهتف متوعدا:

- ماالاشى يا عاصم يا واد عمى .. بجى تفضل ده على
انى ..الصبر طيب يا واد عمى .. كله بيتحط على الكوم
الكبير .. وحسابك معاي جرب جوووى ..

اندفع عاصم هاتفاً فى الجمع الهوارى :

- واه .. مفيش مبروك للعريس ولا ايه ..؟؟!..

هم احدهم بالاعتراض ليخرسه عاصم بنظرة نارية من
نظراته المحذرة فيبتلع لسانه وتبدأ التهانى تتوجه
لحسام الذى كان يطير فرحا ..

انتفضت كل منهما عندما سمعت صوت عاصم
يدخل للسراى محدثا خفيه فى امر ما وتمسكت
كلتاهما بيد الأخرى فى ذعر حقيقى وقبل ان يدخل
عاصم السراى حاولتا ان تبدو كل منهما على طبيعتها
على الرغم من مشاعر الرعب التى تغمرهما مما قد
يكون حدث بين عاصم .. وحسام ..

اندفع عاصم داخل السراى متوجها للدرج الا انه رأهما
فعاد ادراجه.. ليقف امامهما مهللا:

- وااه .. مالكم جاعدين كده ذى اللى غيظه غرج
المفروض تكونوا جليبنها فرح..

نظرت كل منها للأخرى فى حيرة لتتجراً زهرة وهى
تسأله :

- بتقول فرح ...؟؟!..

انفجر ضاحكاً:

- اه فرح .. مش عندنا عروسة .. واحلى عروسة كمان..



ازدادت حيرة كل منهما ليستطرد ناهياً حيرتهما
محدثاً سهام :

- حسام التهامى .. طلب يدك يا سهام .. وانا وافجت..
وقفت سهام مشدوهة تنظر لزهرة التى ارتسم على
وجهها ملامح عدم التصديق .. ثم تعاود النظر لأخيها
الذى كان يراقب رد فعلها مبتهجا والابتسامة تعلو
شفتيه .. ثم تنفجر باكية .. بشهقات عالية دفعت
عاصم للإقتراب منها على عجل ليأخذها بين ذراعيه
هاتفاً محاولاً مشاكستها :

- خلاص .. متزعليش .. هنجوله بلاها سهام مش
موافجة...

لتنفض هى صارخة :

- لاه .. موافجة.

فينفجر كل من عاصم وزهرة ضاحكين .. لتنضم اليهما
الحاجة فضيلة وقد سمعت اخر كلمات عاصم

لسهام .. فتطلق احدى نوادرها التى لا تتكرر بسهولة
.. عبارة عن مجموعة متتالية من الزغاريد الرنانة
معلنة دخول الفرحة اخيرا .. لتلك السراى العتيقة
الاحزان ..

خرجت زهرة من غرفة سهام اخيرا وقد انتزعت نفسها
منها انتزاعاً.. فقد انتابت سهام حمى الحماسة بعد
معرفتها ان زفافها قد قُـرر خلال عشرة أيام من اليوم ..
ساعتها اصابها الجنون بالمعنى الحرفى .. أخذت
تحدث بشكل متواصل لا ينقطع عن ما يجب جلبه
وإحضاره من الأسواق

التجارية على عجلة فالوقت ضيق وهى فى خطتها
جلب الكثير والكثير من الأغراض التى أخذت تعددها

مع زهرة وتضيف وتحذف اليها حتى اصاب زهرة
بالدوار ...

سارت الردهة الى غرفتها ووجيب قلبها يرتفع مع كل
خطوة .. لما هي خائفة لهذه الدرجة !؟.. وأجابت
نفسها فى صدق .. انها خائفة لأنها كفت عن مقاومته
وبدأت فى الاستسلام كليا لذلك الشعور المتنامى منذ
فترة تجاهه والذى حاولت وأده كثيرا .. وعاصم نفسه
.. فى احيان كثيرة هو من كان يدفعها لذلك بتصرفاته
القاسية وظنونه المقيته .. لكن رغم كل ذلك وجدت
روحها تتعلق به .. وقلبها يستطيع قربه .. وعقلها
مشوش لا قبل له للإعتراض امام كل تلك المشاعر ..
هى تعلم.. انها لو خطت الى تلك الغرفة الان ..فستكون
له بكامل ارادتها .. والعجيب انها راغبة فى ذلك .. انها
ترغب فى ان تكون امرأته .. ان تكون أمنة بين هاتين
الذراعين .. قابعة فى احضانه الدافئة .. للأبد ..

ادارت مقبض الباب وهى تلتقط انفاساً قد تمنحها
بعض الثبات .. وخطت الى حيث اللارجعة فى طريق
قلبها..

رنت منها نظرة شملت الغرفة حتى وقع بصرها على
الفراش .. فراشهما .. احمرت خجلا .. وتاهت فى
ذكرى احتضانه لكفها قبل نومه وهو يستمع لروايتها ..
ولم تنتبه لعاصم الذى تسلل خلفها وهو يهمس بالقرب
من مسامعها :

- الچميل سرحان فى ايه...؟؟؟!.. انتفضت مذعورة
وكادت ان تسقط عندما اصطدمت به وهى تستدير
لمصدر الهمس فجذبها بسرعة اليه قبل سقوطها ..
لتصطدم مرة أخرى ب صدره ليأسر خصرها بكفيه
وتتلاقى الأرواح المشتاقة للقاء منذ خلق الله الأرض
ومن عليها .. وتتقابل العيون نوافذ الروح .. ليهل منها

الامل فى غد بلا ضغائن وأحقاد .. غد من فرحة وفجر
جديد يؤسس للعشق امبراطورية مترامية الأطراف ..
رفع احدى كفيه عن خصرها. .. ليدفع عنها حجابها فى
رقة ويغرس كفه فى شعرها الحريرى يطلق جدائله وهى
مستكينة فى وداعة عيونها معلقة بعينه .. و دقائق
ذاك النابض فى صدرها لامتناهية السرعة..
و كان كفها بدره على صدره يستقرئ أخبار قلبه من
خلال دقائقه التى تصلها دقة بدقة .. تشى به ..
اقترب ينحنى يلثم جبينها فى نشوة حقيقة غير
مصدق انها اخيرا .. ها هنا .. فى احضانه راضية ..
جذبها اليه اكثر يطوقها بذراعيه ويزفر بعمق زفرة من
عانى العذابات ليال طوال وانقطع به الأمل ثم جاءه
النعيم من حيث لا يدرى ..

كانت رأسها على صدره تتكى عليه فى دلال لم تعهده
فى نفسها من قبل تشعر بأنها تتبدل وهى بين هاتين
اليدين .. فتستحيل زهرة أخرى .. لم تعهد لها لكنها
تحبها .. تحبها لأن زهرة الجديدة .. هى زهرته هو ..
زهرة لن تتفتح الا بين ذراعيه ولن تزهر الا بحنانه لم
ينطق بكلمة واحد .. وهى بدورها لم تنبس بحرف..
حملها فى خفة لتسكين اكثر بين احضانه وسار بها
خطوات مأخوذاً و..لكن... هل هذه صرخات تلك التى
يسمعها..؟؟!!.. وهل هناك حقاً من يناديه ليخرجه من
ذلك العالم الوردى الذى كان لتوه على أعتابه..؟؟!!
وضع زهرة بهدوء على طرف الفراش وبدأ كل منهما فى
النظر للاخر كأنما يسأله .. هل سمعت انت ايضا ما
تناهى الى مسامعى...؟؟!!...

توالت الصرخات وبدأ الدق على باب الغرفة .. يوقظه
كلياً ليندفع فى زعر حقيقى .. فاتحا الباب .. لتطل
اخته سهام هاتفة فى هلع:-

إلحج ابوك يا عاصم .. ابوك مش جادر ياخذ نفسه
ليندفع عاصم كالسهم لغرفة ابيه الذى طالعه محتقن
الوجه يلتقط انفاسه فى صعوبة .. خرج عاصم من
الغرفة مسرعاً ينادى سعيد الخفير فى قوة ثائراً :

- جيب الداكتور طاهر بسرعة .. فاهم بسرعة الحاج
تعبان جوووى.

ليعود لحجرة ابيه مرة أخرى يجلس على طرف فراشه
يحتضن كفه بين راحتيه محاولاً تهدئته قدر
استطاعته:

- أهدا يا حاج .. كله ها يبجى تمام .. اهدا وخذ نفسك
بالراحة .. فيحاول ابيه أطاعته .. ليعود عاصم فيكرر..
ايوه تمام يا حاج .. اهدا .. أزمة وهتعدى .

كان نحيب سهام لا ينقطع .. وذعر الحاجة فضيلة لا يُوصف وهى تقف لا حول لها ولا قوة ترى رفيق درب حياتها ينازع الألم ولا تستطيع ان تمد يد العون كما كانت تفعل دوماً.. هتف عاصم جازاً على اسنانه فى حلق :- بلاها بكا ونواح هنا .. اللى عايز يبكى يشوفله حته تانية .. مش جنب الحاج .. ما هو زين و زى الفل اها .. ايه لزمتهما نخلعه على حاله ..

ارتفع نحيب سهام ليستدير عاصم باحثاً عن زهرة ليجدها فى احد الأركان بجوار باب الغرفة وجهها شاحب وعيونها معلقة بأبيه.. فهتف فيها:- زهرة .. خدى سهام .. عشان الداكتور زمانه چاى..

أومأت برأسها إيجاباً وهى تتوجه لتحتضن كتفى سهام تصطحبها خارج الغرفة ليعاود عصام الاعتناء بابيه الذى مازال يلتقط انفاسه بصعوبة ..

قرر الطبيب بعد الفحص ضرورة نقل الحاج مهران
للمشفى ليلقى الإهتمام اللازم والعلاج المضبوط حتى
تستقر حالته.. هز الحاج مهران رأسه رافضا وبشدة
من خلف قناع الأكسجين الذى يغطى معظم وجهه
الان .. وكان السبب لحد كبير فى عودة انفاسه
للإنتظام من جديد ..

فطن عاصم لرغبة ابيه فسأل الطبيب فى رجاء:- طب
ممکن يبجى هنا ونهتموا بيه وذى ما حضرتك هتجول
هانعمل..

رد الطبيب:- بس الحاج محتاج ملاحظة الأربعة
وعشرين ساعة .. لأن الأزمة دى ممكن تحصله تانى فى
اى وقت .. وساعتها هاتبقى الحالة صعبة جداا..

-متجلجش يا دكتور هانفضل تحت رجليه اليوم بطوله
ومش ها يغمض لنا چفن .. تمام كده .. هتف عاصم ..

-تمام يا عاصم بيه .. وانا فى الخدمة فى اى وقت
..قال الطبيب مؤكداً ..

فرد عاصم :- تسلم يا دكتور .. تعبناك .. وهو يوصله
لباب السراي الداخلى أمراً سعيد ان يقل الطبيب الى
حيث يريد.. ليعود ادراجه مسرعاً لحجرة ابيه ..
جالسا على احد المقاعد والذي جذبه ليكون شبه
ملاصق للفراش يتطلع لأبيه فى قلق عندها فتح الحاج
مهران عينيه فى وهن مبتسما فى شحوب لمراى عاصم
بجواره والذي انحنى بدوره يلتقط كف ابيه ويلثمها فى
محبة خالصة ..

مر يومان والحاج مهران على حالته والتي استقرت نوعا
ما ..وعاصم لم يغفل له جفن قابع بجواره لا يريد ان
يتزحزح لأى مكان .. حاولت معه كل من الحاجة

فضيلة وسهام لأخذ مكانه بجوار ابيه حتى يتسنى له الراحة قليلا.. لكنه ابي وظل على عزمه لا يبرح غرفة ابيه ..

حتى طعامه .. لم يكن يتذوق منه الا النذر اليسير ..
سمع عاصم طرقات خفيفة على الباب .. لم يعبأ برفع رأسه التي كان يلقي بها على عضديه المتشابكين على طرف الفراش.. لحظات وطلت زهرة داخل الغرفة تحمل صينية طعام تقترب بها لتضعها على الارض بجوار كرسيه وتجلس بجوارها وتمد يدها فى حنان تربت على كتفه .. ليرفع رأسه فى وهن ناظرا اليها كانت عيناه تحمل ألم عجيب .. والأعجب .. هو ذاك الخوف الظاهر بهما.. نعم خوف .. الغول يخاف .. خوف من مجهول يترقبه ويطل على الأجواء منذراً بحزن يقترب.. وكم رق قلبها لتلك النظرات ولمحياته

الذى بدا الان شاحباً بذقن بدأت فى الظهور منحته
مظهراً أشبه بقرصان..

ودت لو تطوقه بذراعيها لتحمل عنه بعض من هذا
الحزن بعيدا وتبدد مخاوفه لبعض من أمان ..
رفع جسده ليجلس مستقيماً وهو يتطلع اليها فى
شوق..

فتنحنحت فى خجل قائلة

- لازم تاكل .. انت مكلتش حاجة من يومين ..
رد فى ضعف :

- ماليش نفس..

لم تعب لإعتراضه ومدت يدها بقطعة دجاج لتناولها
له قائلة فى ابتسامة محبة :

- ولو قلت لك .. عشان خاطرى...!!!
طلت الابتسامة من عينيه قبل شفثيه وتفاجأت عندما
وجدته يحتضن كفها الممدودة بالطعام بين راحتيه

يقربها من فمه .. ويلتقط الطعام متلذذاً..
انتفضت فى سعادة وهى تستعيد كفها الفارغ .. ليقول
هو فى همس :

- انا مستعد اكل الصينية دى كلها .. بس بشرط!!؟
همست هى فى خجل :
- ايه هو ..!!؟..

همس من جديد مشاكسا :
- انك توكليةالى كلها بيدك..
أطرقت رأسها خجلا ..وبموافقة ضمنية .. جعلت
ابتسامته تتسع فى سعادة .. مدت كفها بقطعة جديدة
.. وهى لا تقوى على رفع رأسها لمواجهة نظراته
المربكة ..

كان الحاج مهران قد استيقظ لتوه .. ينظر اليهما نظرة
جانبية ملؤها البهجة .. فقد أعلن اخيرا .. سلطان
القلوب شرعيته فى حكم قلبيهما...

-مش هنروح ألتبنرهاهاى حته .. استحالة اعتب
هناك .. انا مش مستغنية عن نفسى ولاعن بنتى
..صرخت منيرة زوجة الدكتور ناجى التهامى فى غضب
عندما طلب منها الإستعداد للسفر لحضور زفاف
حسام بن أخيه

-وليه لأ!!..؟.. ايه اللى ها يحصل يعنى!..؟..هتف
الدكتور ناجى غاضبا بدوره ..

-انا ايه اللى يضمن لى يحصل مع بنتى زى ما حصل مع
بنتك ..!!..؟؟..

-لا حول ولا قوة الا بالله .. زفر الدكتور ناجى محاولا
التحدث ببعض الهدوء ... يا منيرة اللى حصل مع زهرة
ده وضع خاص ومش ممكن يتكرر..

-برضه لأ ..مش رايعين ..

لكن فجأة تتدخل ندى فى الحوار الذى شهدته منذ
البداية وتخالف امها الرأى على غير العادة قائلة :- بس
انا هروح مع بابا...

لتطلع امها اليها فى صدمة سرعان ما استفاقت منها
هاتفة فى حنق :- من امتى بتعرضينى يا ندى ...؟؟!
-العفو يا ماما .. دى مش معارضة .. دى رغبتى فعلا ..
انا نفسى اروح .. اولاً..لأن زهرة وحشتنى جداا ونفسى
أشوفها مش كفاية ان حضرتك منعانى اكلمها ..

اضطربت منيرة عندما تطلع اليها ناجى بغضب مكبوت
بعد تصريح ندى الاخير والتي ادركت مدى فداحة
اعترافها من نظرات ابيها التى تحمل قدر لا يستهان به
من الغضب المشتعل والذى يحاول كبته قدر
استطاعته فى عزم يحسد عليه .. ورغم ذلك لم
تراجع قائلة :- انا هروح يا ماما .. لازم اشوف اهل بابا

الى عمرنا ما شفناهم ..يبقى لى عَم وأولاد عم..
ومعرفهمش .. ده ينفع ...!!؟؟..
صرخت الام من جديد :
- انا قلت مفيش مرواح ..
نهضت ندى هاتفة فى عزم :
- اسفة يا ماما .. يمكن اول مرة اخالفك .. بس انا
هروح..

لتقف امها فى صدمة تنظر الى ناجى فى غل .. ثم
تترك المكان مغادرة فى ثورة تتبعها موجة من صفق
الأبواب

ربت الحاج مهران على رأس عاصم المسجى بالقرب
من كفه ..فأنتفض عاصم فى ذعر حقيقى هاتفاً :
- خير يا حاج ..!!؟؟!!.. انت كويس ...!!؟؟!!..

ليمد الحاج مهران كفه الى وجهه مبعدا عنه قناع
الأكسجين قائلاً في وهن :

- انا بخير يا عاصم .. متخافش.. جوم يا ولدى أرتاح
في أوضتك ... انت بجالك اربع ليالى جاعد جنبى
الجاعدة دى .. جوووم.. انا بجيت كويس ..
يهز عاصم رأسه رافضاً :- لاه .. انا زين هنا ومرتاح..
-يا ولدى جوم شوف حالك ومصالحك اللى واجفة
بسببى من يوم ما رجدت.. هتف الحاج مهران فى
نفاذ صبر ..

-كل حاجة تهون فداك يا حاج .. وانا جاعد هنا ومش
متع الا لما اشوفك بجيت تمام ..

كان من المؤكد ان عاصم قد عزم أمره ولم يكن
ليتزحزح عن موقفه .. فأبوه ادرى الناس بصلابة رأسه
.. فأزعن ولم يعترض من جديد .. مما دفعه ليسأل
عاصم فجأة :

- ايه اخبار فرح سهام .. جهزت الدنيا .. عايزين نفرحوها يا عاصم ..

هتف عاصم متعجبا :

- واااه يا حاج .. فرح ايه دلوجت .. احنا وجفنا كل حاجة .. لحد لما نظمنا عليك وتجوم بالسلامة..

هتف الحاج مهران حانقا:- لاااااه.... ليه عملت كده يا عاصم ...؟!... وبدأ يسعل من جديد مما جعل الرعب يدب فى قلب عاصم .. مخافة ان تعاوده نوبة ضيق التنفس فهدأه قائلا :- طب ارتاح بس .. واللى تجوله ننفذه.

وفى وهن بعد ان هدأت نوبة السعال قال الحاج مهران:- اتصل دلوجت بحسام التهامى.. وجوله .. ثم صمت

مفكرا لحظات .. النهاردة ايه ...?!..

ليجيب عاصم :

- الاتنين ..

ليستطرد الحاج مهران :

- خلاص جوله .. الفرح الخميس ده وروح بلغ سهام
والحاجة .. يجهزوا ..

هم عاصم بأن يقاطعه .. ليهتف الحاج مهران فى نفاذ
صبر:

- متناجشنيش يا عاصم .. نفذ .. كلم حسام دلوجت
.. ويوم الخميس بعون الله .. اختك تبجى فى بيت
جوزها ..

نفذ عاصم وابلغ حسام الذى تعجب من الإسراع بتلك
الطريقة مع علمه بمرض الحاج مهران ولكنه امثل
عندما علم ان هذه هى رغبة الحاج مهران نفسه .. بل
انه وللحق .. كاد يقفز فرحا لولا بقية من وقار عندما
اخبره عاصم بذلك .. ف سبحان الله .. لقد استجيب
دعوته التى كان دوما يدعى بها منذ تحدد يوم
زفافهما.. "يا مقرب البعيد يا رب" وقد اقترب

بأسرع مما كان يتوقع اوتمنى .. فما هى الا ثلاث ليال
ويهل قمره فى سماء داره..

انهى عاصم مهاتفته مع حسام ليأمره ابوه قائلاً :-بلغ
سهام والحاجة يا عاصم .. تلاجيهم هيتچنوا
دلوجت.... وضحك فى سعادة .. خليهم يتلهوا عينا
شوية عشان انا عايزك فى موضوع مهم كان لازماً
تعرفه من زمن وجه الوجت اللى ما ينفعش يدارى فيه
بعد كده ..

نظر عاصم لأبيه فى قلق وقد اعتراه الفضول .. عن اى
موضوع يتحدث ابيه يا ترى .. هل يعتقد أنه لا يعلم
بهوية زهرة ومن تكون ...!!؟.. ام .. لايزل هناك الكثير
من الأسرار .. التى لم تُكشف ...!!؟..

شعرت بحرق شديد وهى تندفع لسيارتها تديرها فى
عصبية بعد ان أكدوا جميعا .. ان محاضرة
الدكتور نبيل قد تم إلغاؤها وهى التى تركت كل ما
كانت تجهزه لسفرها مع ابيها لتأتى بسرعة لحضورها
.. هتفت فى حرق :- ايه اللى بيحصل معاه .. عمره ما
كان غير ملتزم كده .

الكل كان بيحلف بالتزامه ودقة مواعيده..

انطلقت بسيارتها تكاد تعتصر مقودها بين كفيها عندما
رن هاتفها .. واستنتجت بالتأكد انه ابيها الدكتور
ناجى .. فأمها قد أعلنت الحرب عليها .. ولم تعد
تبادلها الحديث بكلمة منذ أعلنت تمردا برغبتها فى
السفر مع ابيها حيث اصولها الجنوبية .. هى لم ترتكب
جرماً.. لكنه بالنسبة لأمها

هو الذنب الأعظم الذى لا يُغتفر..

اجابت رنين الهاتف .. وكان كما توقعت .. هو ابوها ..

يعلمها بالإسراع فى العودة لأن موعد الفرح قد تم تقديمه..

هكذا أخبره عمها قدرى فأنتهت المكالمة وقد ازداد ضيقها.. فهى لم تكمل استعداداتها بعد.. فزادت من سرعة سيارتها .. لتنطلق للعودة محاولة إنهاء ما يمكن إنهاءه ..

نزل عاصم الدرج فى سرعة ليبلغ كل من الحاجة فضيلة وسهام بتقديم موعد الزفاف عندما وجد سهام وزهرة

قادمتين من الخارج وقد بدا عليهما الإرهاق الشديد.. يتبعهما سعيد بالكثير و الكثير من الأغراض التى ينوء بحملها.. فتبسم عاصم وهو يراهما تقذفان بجسديهما على الأريكة بجوار الحاجة فضيلة فى تهالك وقال :

- ايه تعبانين؟!..أمال لما تعرفوا الخبر الجديد
هاتعملوا ايه..!؟

تنبهت الحاجة فضيلة ومن شدة إرهاقهما لم تستطع
احداهما سؤاله :

- خبر ايه الجديد يا عاصم .. خير...؟!..
قهقهه قائلاً:

- الفرح اتجدم وبجى يوم الخميس .. وزادت قهقهاته
عندما رأى رد فعل سهام .. والتى وقفت فاعرة فاها
ولم تنبس بحرف .. واخيرا هتفت:

- انت بتتكلم چد يا عاصم ..؟!..؟؟
ظل على ابتسامته التى تعلق بها عيون زهرة بانشرح
ظاهر وقال :- هى الحاجات دى فيها هزار...؟!..؟؟ الحاج
هو اللى صمم على كده وجالى ابليح حسام .. وبلغته ..
سألت سهام فى ترقب :

- وجالك ايه..!؟!! .. ده مش ملايح يخلص حاجة ..

اتسعت ابتسامة عاصم اكثر :

- موافج طبعا .. ده صوته كان بيزعرد اول ما بلغته ..
جال ايه جال .. احمرت سهام خجلا وطأطأت رأسها
مما دفع عاصم ليستطرد مشاكسا :

- الله يكون فى عونك يا واد الحاج جدرى .. ميعرفش
الى مستنيه..

لتنفجر كل من الحاجة فضيلة وزهرة ضاحكتين ..
لتدفع سهام الخجل عنها وتدافع عن نفسها بضراوة
قائلة :

- مستنية كل خير طبعا .. ده امه دعياله جبل ما
تموت .. وجالت له روح يا حسام .. يا بن .. وصمتت
تفكر فى اسم امه... لتسأل فى بلاهة .. ألا امه اسمها
ايه صوح ..؟!..

انفجر عاصم وزهرة ضاحكين .. ليقول عاصم مؤنبا :
- متعرفيش اسم حماتك الله يرحمها .. مش بجول الله
يكون فى عونہ .. تصنعت سهام الغيظ وهى تقول
لأمها فى فضول :

- ألا كان اسمها ايه صوح يا حاجة ..؟!..
شردت الحاجة فضيلة قليلا .. وهى تجيب بصوت قادم
من اعماق ماض بعيد ملئ بالذكريات :

- اسمها رائفة .. الله يرحمها .. وتنهدت .. مما
استرعى انتباه سهام لتسألها :- كنت تعرفيها يا حاجة
..؟!..
www.abeeerkotob.com

هزت الحاجة فضيلة رأسها ايجابا :- ايوه طبعا .. كانت
آية من الطيبة .. بس راحت فى عزها .. كان حسام بن
سبع سنين .. وأبوهم مرضيش يتچوز بعدها .. وجعد
على تربية عياله لحد ما بجوا رجالة الله اكبر يفرحوا..
الله يرحمها

عَمَّ ال

صمت بعد حديث الذكريات الذى انتهته الحاجة فضيلة ليقطعه عاصم ناهضا من على مقعده فجأة قائلاً :- انا طالع للحاج .. بجالى فترة سايبة لوحده .. عايزين حاجة ؟!!

وهو ينظر نظرة جانبية لزهرة .. التى كانت تتطلع اليه الان ونظراتها تحمل الكثير من الرغبة فى بقاءه ولو قليلا فلقد افتقدته بشدة حتى حجرتهما اصبحت باردة ومخيفة بدونه.. لم تجرؤ مطلقا على النوم فى الفراش ظلت رغم عدم وجوده تنام على اريكتها عندما يزورها النوم مشفقا

بعد ساعات مضية من التفكير فى حالها وحال قلبها معه .. رغم إرهاق جسدها نهائياً مع سهام فى جلب مشروعاتها وأغراضها للزفاف.. والآن تراه أمامها .. تشعر بشوق جارف لقربه فتجد نفسها تهتف فى لهفة :- احضر لك حاجة تاكلها..؟!!..

ليستدير اليها متطلعاً في سعادة لإهتمامها وهم
بالموافقة الا انه تذكر ابيه الذي ينتظره بالأعلى وقد
تأخر عليه بالفعل فأبتسم في سعادة هاتفا:

- تسلمى .. لما هعوز أكل هجولك .. واستدار مغادرا
لكنه غمز لها بطرف عينه عندما رأى الأحباط مرسوم
على محياها مما جعلها تبتسم رغما عنها وتشيح
بوجهها عنه حتى لا تتسع ابتسامتها فتفضحهما..

هتف في عزم لسهام وهو يشيح بناظره عن زهرة
بصعوبة:-

متجلجيش يا سهام .. كله هاييجى تمام .. جدامنا
تلت ليالى .. وهتلاجى كل اللى انت عوزاه وتتمنيه
چاهز .. ومن احسن نوع كمان ..

ابتسمت سهام فى راحة وهى تقول :-
ربنا يخليك ليا يا خوى .. تسلملى ..

صعد عاصم لأبيه والفضول يتأكله لسماع أسرارهِ التي قرر أخيراً اطلاعه عليها .. دخل الغرفة في هدوء ظناً منه ان الحاج قد غافلته سِنَة من نوم .. فأخذ يمني نفسه بالعودة ادراجه بحثاً عن الطعام وعن صاحبة الدعوة لكنه وجد ابيه مستيقظاً متلهفاً لحضوره وما ان طالعه حتى مد يده ليخرج مفتاح ما من بين طيات ثيابه يسلمه لعاصم قائلاً :

- افتح وهات الصندوق الأبنوس الموجود عندك في الدرجِ ده .. وأشار للدرج الثالث في خزانة الملابس لينفذ عاصم في آلية ..

ويحضر الصندوق ليضعه على قدمي الحاج مهران الممدودة وقد اعتدل قليلاً بصعوبة وبمساعدة عاصم ليفتحه مخرجاً بعض من الأوراق يسلمها لعاصم أمراً أياه بقراءتها .. فيفرض عاصم الأوراق في لهفة ويتطلع الى المكتوب فيها .. عيونه تجرى على الأسطر بسرعة

رغبة فى معرفة محتواها .. ليقف بعدها لحظات
فاغراً فاه مشدوهاً وهو يقول بصوت يحمل نبرات عدم
التصديق :-

الكلام اللى مكتوب فى الورد ده .. صوح يا بوى
...!!؟..

طأطأ أبوه رأسه أسفاً واخذ يهزها موافقاً.. ليعاود عاصم
التطلع للأوراق وما تحتويه ليتأكد انها لاتزل بين يديه
وان ما بها حقيقى لا يحمل الشك ..

ليعود ليسأل عاصم ابيه فى حيرة :- طب ليه متجالش
الكلام ده من زمان؟! و ليه يفضل الغلبان أچير عندنا
وهو ميجلش عننا فى حاجة ..!!؟.. وورثه من عمى الله
يرحمه ما يتهناش بيه .. ده ظلم يا حاج.. ظلم ..هتف
عاصم كلماته الاخيرة فى حنق..

فترة من الصمت شملتهما حتى نطق الحاج مهران
أخيراً :

-عمك غسان الله يرحمه كان طووول عمره شغلته
الحريم .. ويا ما حصلت من وراه مشاكل بسبب
الموضوع ده.. وكنا بنحلوها .. لحد ما فى يوم لجيت
واحدة جاية بعيل يا جى ١٢ سنة .. مش بيتكلم ..
وبتجولى ده واد أخوك وعطتنى الأوراج اللى فى يدك
دى و اللى تثبت ان كلامها صوح .. لما واجهت عمك..
كذبها وجال بتتبلى عليه وجايباله واد أخرس فى السن
ده تجول عليه ولده .. وهو عمره ما شافه ولا علم بيه ..
ولما سألت بخيطة .. جالت انها هربت هى وأبوها
المراكبى من البلد بعد ما عرفت انها حامل خوف من
عمك وعشان تتجى شره لأنها كانت عارفة انه ممكن
يجتلها لو عرف بحبلها .. ورچعت لما ابوها مات تدور
على حج ولدها وتأمنى عليه..
تنهد الحاج مهران براحة وكأنه ألقى حملا مضنيا عن
كاهله :

- بص يا عاصم يا ولدى .. محدش عارف ساعته امتى ..
وانا شفت الموت بعنايا من كام يوم .. وكن ربنا
بيدينى رسالة عشان ارجع لكل واحد حجه.. أوعدنى يا
عاصم انك ترجع لذكريا حجه.. دى وصيتى لىك يا
ولدى..

هتف عاصم :

- زكريا ..؟؟!.. زرزور .. اسميه زكريا .. انا عمري ما
سألت على اسمه .. و لا اعرف مين اللى سماه زرزور
..؟!..

أوماً الحاج مهران وهو يقول :- ايوه .. اسميه زكريا
..وأمه اللى كانت بتجله كده .. فبجيت انا كمان
اندهله كده ..وأتعرف بيها .. وعمر ما حد سأل على
اسمه ولا هو كان هايعرف يجوله .. لأنه من ساعة ما
جه وهو مبينطجش زى ما انت واعيله..امه سابتة
واختفت .. خافت من غسان

وجالتلى ييجى امانه عندى لحد ما ياچى الوجت
المناسب وارچعله حجه.. وعرفت ان امك بعتت
بخيطة عند فاطنة ام زهرة مرتك لأن امك الوحيدة اللى
كانت تعرف مكانها وزهرة اتولدت على يد بخيطة اللى
ربّتها لحد ما ابوها اتچوز وانجطعت اخبارها ..ونام
السر ده .. ومحدث يعرف بيه غيرى انا وأمك ..
ومجدرتش أعارض عمك .. ولا باجى رچالة الهوارية
اللى وجفوا فى صفه ومكنش همهم الا الفضيحة اللى
ممكن تمسهم .. انى ندمان ان بعد موت عمك غسان
مجلتش على الحجيحة واديتله حجه بس ايامها
ابتديت اتعب ورجدت الرجدة اللى مجمتش بعديها..
وانت كنت لساك عود اخضر مشدتش يا عاصم ..
ومكنش ينفع اوجفك لحالك جدام سليم واد عمك ..
وباجى رچالة الهوارية واللى كلمتك مكنتش مسموعة

بناتهم ذى دلوجت .. أوعدننى يا ولدى .. بعد فرح
اختك سهام ما ينفذ.. تجمع الهوارية كلاتهم وتعلن
الخبر وترجعه حجه.. أوعدننى.

هتف عاصم فى ثقة :

- أوعدك يا حاج .. أوعدك .. مش هايهدى لى بال .. الا
لما ارجع له حجه.. وتعرف الدنيا كلها انه واد عمى
غسان وانه من الهوارية ..

ابتسم الحاج مهران برضا وتنهد براحة وهو يشعر انه
اخيرا قد أدى الأمانة التى كانت معلقة بعنقه ..

www.abeeerkotob.com

رضوى جبار

الفصل السادس عش

وقفت ندى تتلفت حولها لامبالية فى انتظار ابيها الذى ذهب لإنهاء بعض الامور .. تتطلع حولها فى فتور.. وقد بدأ الملل يتسرب اليها .. بحثت عن ابيها بعينيهـا.. لكنها لم تبصره فى محيطها .. فتنهدت فى ضيق .. وانتظرت على أمل ظهوره .. لكن فجأة سمعت صوت مألوف لديها .. جعلها تجفل مستديرة تتطلع لمصدره..

-اهلاً ..صدفة عجيبة انى اشوفك هنا ..كانت تلك كلمات الدكتور نبيل والتى هتف بها وهو يتطلع لندى فى تعجب..

هتفت هى بحماسة ممزوجة بالفرحة بعد ان تغلبت على دهشتها :- اهلاً دكتور نبيل.. فعلا صدفة عجيبة

.. حضرتك مستنى حد .. سألت فى فضول ..

ابتسم :

- اه .. و أهو وصل الحمد لله .. عن إذنك ..

وتركها وانصرف .. فأنقلبت ملامح وجهها الجميل
ساخطة وهى تستدير لترى من استرعى انتباهه لهذه
الدرجة .. وكانت المفاجأة الثانية .. فقد كان ذاك
الشخص ابوها .. الدكتور ناجى التهامى الذى اندفع
نبيل محتضنا إياه ومرحبًا به فى حفاوة لم تتحرك من
مكانها .. و تساءلت .. هل يعرف كل منهما الآخر ..؟!!

هتف ابوها جاذبا إياها من افكارها :- ندى .. تعالى ..

استدار نبيل فى تعجب وهو لا يكاد يصدق ما وصل
اليه استنتاجه .. الا عندما هتف الدكتور ناجى معرفاً

ندى اليه :

- ندى بنتى يا نبيل ..

تطلع نبيل اليها فى حيرة .. ثم قهقهه فجأة بشكل
تعجب منه الدكتور ناجى .. فقال نبيل مفسرا:

- ندى طالبة عندى فى الكلية يا عمى .. وتخيل
معرفش انها بنت عمى الا دلوقتى ..

ابتسم الدكتور ناجى ابتسامة يشوبها الشجن :

- معلىش بقى يا بنى .. حكم الظروف اللى تخلى واحد
ميعرفش بنت عمه ..

انتبه نبيل لحزن الدكتور ناجى فأستدرك :- حصل خير
يا عمى .. أدينا عرفنا بعض .. ولا ايه يا آنسة ندى ..

اجابت ندى فى بلاهة :

- هااا.. وهى لاتزل تحت تأثير الصدمة عليها ..

الدكتور نبيل قدرى .. والذى اعتقدت انه نجمة فى

السماء صعب ان تطالها .. اصبح بين ليلة وضحاها

اقرب مما تتخيل.. وحمدت ربها سراً وهى فى تلك

السيارة التى استقلوها لتقلهم لنجع الصالح انها قررت

المجئ الى هنا حيث جذورها الحقيقية وحيث
وجدت ان أحلامها أصبحت قاب قوسين او أدنى..

دخلت زهرة لحجرتها .. اخيرا وصلت اليها بعد نهار
شاق بالخارج تجلب اخر مشروعات لسهام والتي لم
تستطع المجئ معها .. فذهبت وحيدة لتنتقى كل
شئ بعناية وبمجهود أرهقها حد الإنهاك كل ما تريده
الان هو حمام ينعشها ويزيل ذلك الإرهاق عن جسدها
والقليل من الراحة ... قبل ان تأتي النسوة ليلا ..
للإحتفال بليلة الحنة ..

الليلة الاخيرة لسهام بدار ابيها .. أدارت مقبض الباب
وهي تتنفس الصعداء فى تعب مضى وما ان أضاءت
نور الغرفة حتى طالعها ذاك الشئ المسجى هناك
بعرض الفراش .. تقدمت ببطء .. هل هو احد فساتين

سهام التى قد تكون نسيتهأ هنا ومدت كفها .. تفص
ذاك الغلاف الشفاف عن الفستان الاسود الذى يعد
قطعة من السماء بتلك اللآلى المرصع بها ..

وضعته على جسدها لتقف امام المرأة لا تصدق ..
كم هو رائع .. ومناسب لقياسها .. وكأنه فُصل خصيصا
لها عادت لتضعه فى غلافه من جديد .. لتفاجأ بعلبة
من القطيفة المخملية تحت الغطاء.. تركت الفستان
جانبا .. ومدت يدها تلتقطها فى فضول لتفتحها ..
فتطالعها قلادة رائعة ..

تتابع فيها الزهور .. حتى تنتهى متشابكة مكونة زهرة
كبيرة فى منتصف القلادة .. وانتبهت لورقة موضوعة
بعناية تحت القلادة فأمسكت بها وهى تجلس على
طرف الفراش تلتقط انفاسها المتلاحقة من فرط
سعادتها.. لتفتحها وتقرأ السطور الاولى .. فلا تع شيئا

كالعادة لتعاود القراءة من جديد .. وهى تهدى من
ضربات قلبها المتسارعة

"أحلى فستان وأحلى عجد.. لأحلى زهرة .. انا عارف
انك نسيتى نفسك وسط انشغالك بسهام وطلباتها..
لكن انا منستكيش.. يا رب يعجبوكى.. أمرى لله ..
عارف ان عيون الحريم هتاكلك النهاردة .. لكن معلى
..بصبر نفسى واجول حريم .. أوعاكى تطلعى بيه من
باب السرايا .. لحسن انت عارفة ..".. انفجرت
ضاحكة حتى دمعت عيناها فرحاً ..

لكم تحب هذا الرجل .. لقد تذكرها وقت ان نسيت
هى نفسها .. وهتفت:- انه احبها .. ويحبها .. رغم
كل ما كان بينهما .. رغم الشكوك والظنون .. رغم
مشاعر الحقد والكراهية و التى تحولت شيئاً فشيئاً
لتلك المشاعر الطاغية التى تغمر كليهما ..

انه يحبها .. وهى مازالت ابنه الدكتور ناجى .. ابنه
التهامية والذين يكرههم كراهة التحريم ... لقد تخطى
كل تلك العقبات والأحقاد ليصل اليها ألقى كل هذا
وراء ظهره ليظفر بقلبها .. كل ما قدمه لها يشى بحبه
ورغبته فى ارضاءها والتقرب اليها .. فعل الكثير .. هى
تعترف .. لكنه اخيرا
فاز بقلبها .. وهدأت ثورات عقلها ضده .. واستسلم هو
الاخر

بمحض ارادته .. اما روحها .. فهى قصة أخرى .. وعالم
اخر .. فقد ايقنت . انه هو توأم تلك الروح التى كانت
هائمة حتى ألتفته لتتشبث به متعلقة كمن وجد
اخيرا ضالته المنشودة ..

انها له .. منذ قُسمت الارزاق .. هى رزقه .. وهو
رزقها ..

رزقها ونصيبها الاروع .. تطلعت مرة اخرى للشوب
والقلادة..

وجرت عيونها مرة اخرى على سطور الرسالة .. لتدمع
عينيهما فرحا من جديد.. وهى تحتضن الرسالة لصدرها
وابتسامة رضا على شفتيها ..

-الله اكبر .. الله اكبر .. هتف الحاج قدرى التهامى
عندما طالع ندى أمامه هى وأبيها على درجات الدار..
جذبها بين ذراعيه مرحباً مباغتاً إياها فهى لم تتوقع
هذا الترحيب الحار وبذلك الطريقة .. ولكنها استكانت
بين ذراعيه فى لحظات .. عندما لمست كم الحنان
والطيبة التى يبثها ذاك الرجل ... عمها .. اخو ابيها
الذى لم تره فى عمرها كله .. كان لا يشبه نبيل كثيراً..
ربما نبيل يشبه امه على الأرجح .. تطلعت الى نبيل

بنظرة جانبية .. لتراه يبتسم فى ود لإستقبال ابيه..
الذى نال نصيبه منه لاحقاً

هتف الحاج قدرى وهو يربت على كتف ندى فى
محبة خالصة :- الجمر دى بتك الثانية يا ناچى.. بِسْمِ
الله ماشاء الله بناتك التين الله اكبر عليهم .. چمال
وأدب .. حمدت ندى ربها سرّاً لأنها استمعت لنصائح
ابيهها وأحضرت ملابس محتشمة لحد كبيرتختلف
تماما عما ترتديه فى حياتها العادية .. وأقنعها ان
المكان هنا له تقاليده التى يجب احترامها .. وحمدت
ربها بحق انها اقتنعت..

اخرجها نبيل من شرودها عندما قال متبسما:

- تصور يا حاج ندى تبجى طالبة عندى فى الجامعة ..
وانا معرفش انها بت عمى ..؟!..



أمسكت ندى ضحكاتهما بالكاد وهى تستمع لنبيل
يتحدث للمرة الاولى باللهجة الصعيدية اما ابوه فقد
اجابه فى تحسر :

- معلىش يا ولدى .. اللجا نصيب .. والحمد لله ان چه
اليوم اللى اشوف فيه اخوي ناچى وبناته عندنا
فى النجع .. ده كان حلم بعييد ..

قاطعه ناچى بنبرات متحسرة:- لكن التمن كان غالى يا
قدرى ومحدث دفعه الا زهرة بنتى ..

انتفضت ندى على ذكر زهرة :- وحشتنى قوووى يا
بابا .. عايزة اروح لها .. نفسى أشوفها ..

ابتسم عمها فى ود:

- هتشوفيهما وتجعدى معاها زى ما انتِ عايزة .. بس
تلاحيها دلوجت مشغولة معاها فى السرايا عشان حنة
العروسة الليلة

هللت ندى فى فرحة :

- صحيح .. !!؟. هم هايعملوا حنة والحاجات دى ..
نفسها أشوفها قووى..

انفجر الجميع ضاحكا.. ليرد نبيل :

- هتشوفيهها متقلقيش ..وانا هوديكى لسراية الهوارية
بنفسى .. بعد اذن عمى طبعا..

ابتسم الدكتور ناجى :

- طبعا .. وماله..

دخل حسام فى تلك اللحظة فهلل الجميع للعريس
الذى رحب بئى قائلأ :- شرفتيئا يا بت عمى.. دى
زهرة هاتفرح كثر بشوفتك..هتروحي فى الحنة
النهاردة تشوفيهها والله كتر خيرها تعبناها .. سهام
بتجلى الحمل كله عليها عشان تجديد الفرح اللى
حُصل دِه..

قاطعه ابوه متسائلأ :- المهم جولى كله تمام ..

اوضتكم فوج اتوضبت .. وكل الحاجات اللى بعته
عاصم فى مُطرحها...؟!!..
-اه يا حاج كله تمام ..
-طب يا ولدى... يتمم لك على خير يا رب ويجعلها
چوازة العمر .. أمين ..
ليردّد الجمع كله .. أمين ..

انتبهت زهرة لبدء توافد النسوة على القاعة التى
خصصتها الحاجة فضيلة لتكون مجتمعهن .. تلك
القاعة الكبرى التى تطل على الحديقة .. والقريبة من
تلك الحجرة التى احتجزها فيها عاصم ليلة اختطافها ..
تتذكر ذلك الان.. وكأنه كان منذ امد بعيد .. وتسير
الان بجوار تلك الغرفة وهى فى طريقها للترحاب
بالنسوة حتى تلحق بها الحاجة فضيلة بعد ان تطمئن

على الحاج مهران.. فتحت الغرفة فى هدوء وتطلعت
الى كل ركن فيها.. وتذكرت كل لحظة مرت بها بين
جدرانها .. وتعجبت من قلب مشاعرها ما بين تلك
المشاعر التى كانت تفيض بالكراهية والرغبة فى
الانتقام ممن جعلها تطأطئ رأسها خجلا امام عائلتها
بأسرها .. وما بين مشاعرها الان والتى لا تستطيع ان
تصفها الكلمات ..فهى عاشقة .. عاشقة حتى النخاع ..
مررت كفها على قماش ثوبها الذى يجعلها قطعة من
الفتنة والجمال .. وتلك القلادة الرائعة التى تزين
جيدها بالورود .. والتى اختارها تيمنا بإسمها .. اغلقت
الغرفة وأغلقت أبواب الماضى القائم فهى ستبدأ معه
صفحة جديدة من كتاب العشق والسعادة وليذهب
الماضى بكل أحقاده غير مأسوف عليه .. تمنى لو انه
يراه الان .. لكنه مشغول بالخارج يُعد الدبائح ويفرقها

ويشرف على ترتيب مجلس الرجال استعداداً لعقد
القران غدا بإذن الله.. تطلعت النسوة اليها عندما
دخلت القاعة وأعينهن تتفحصها ولسان حالهن يقول
"والله وعرفت تختار يا عاصم " هكذا قرأت في نظراتهن
التي كانت ما بين استحسان وغيره ..
وخاصة زوج العيون الذي يطل عليها الان يتفحصها من
قمة رأسها حتى اخمص قدميها .. عيون سمية التي
هبت تظهر المحبة الزائفة كالمعتاد ..
وصلت العروس اخيراً مع امها الحاجة فضيلة لتضج
القاعة بالزغاريد من كل صوب وجهة .. لتبدأ النسوة
مجاملات من نوع مختلف .مجاملات تدفع كل منهن
لتتوسط القاعة وتأخذ في وصلة من الرقص المحموم
على دقات الطبول والأغاني الفلكلورية المعتادة في
مثل تلك الليلة والتي بدأتها احدى النسوة هاتفة في
حماسة .. لترد عليها باقى النسوة:

- هو اللى جانا لوحده .. ومحدثش فينا راحله..

يا واد مين نجهالك... عمك ولا خالك

يا بت مالك خسيتى .. وانت ولا رحتى ولا جيتى..

يا بت تكونى حبيتى .. وماله الهوا ماله .. ماله الهوا

ماله.. لا تقولى بوسى ولا نورا .. عروستنا حلوة وامورة

.. وماله الهوا مااااله .. ماله الهوااا مااااله ..

لتبادل النسوة الأدوار فى منتصف القاعة تظهر كل

منهما فرحتها بإهداء رقصة الى العروس الجميلة حتى

رنت من سمية نظرة الى زهرة التى كان وجهها ينطق

بالسعادة وهى تصفق فى نشوة .. لتقطع سمية عليها

سعادتها وتجذبها فجأة الى وسط القاعة تعطيها فرصتها

فى مجاملة العروس.. لكن لم يكن هذا قصدها بالطبع

.. بل كان المقصود إحراجها .. شعرت زهرة بالتيه وهى

تقف فى منتصف القاعة وجميع النسوة ينظرن اليها

متفرسات ..

هى ابدأ لم تعد ان تتمايل امام احد هكذا .. نظرت
تجاه الحاجة فضيلة تطلب منها العون فوجدتها تبسم
لها مشجعة لتدع جسدها يعبر عن فرحته منتشياً.

كان عاصم فى الخارج يحضر لمجلس الرجال فى
الجانب الاخر من السراى لكن العمال وضعوا اغراضهم
فى غرفة الغلال بجوار قاعة الحريم وهو قد امر الجميع
... عمال وغفر بعدم الاقتراب من تلك القاعة .. فكيف
سيدخل احدهم لجلب الأغراض...!!؟؟ .. حاول البحث
عن ام سعيد .. لكنها بالداخل تقوم بالخدمة على
مجلس الحريم ..

لم يكن هناك حل الا دخوله خلسة وبسرعة لجلب
الأغراض .. دخل مطأطئ الرأس يتعجل المسير حتى
غرفة الأدوات التى يحتاجها .. حملها فى عجلة مندفعاً
للخارج لكنه سمع إحداهن تنادى بإسمها .. انه صوت
سمية ابنة عمه .. ما لها وزهرة !!؟؟ .. شعر بالقلق ولكن

من خلال تلك النافذة المظلة على القاعة والتي
تشكل على هيئة الأربيسك وقعت عيناه عليها... على
زهوته .. تسمر فى مكانه ولم يستطع الإتيان بأى حركة
.. نظراته معلقة بتلك الحورية الرقيقة التى تتمايل فى
إغراء بثوبها الاسود الأبنوسى ليقفز قلبه من صدره مع
كل خطوة تخطوها ..

مشدوهاً وقف مشدوداً كمغناطيس لا يستطيع ان
يحمل اغراضه ويرحل دون ان يتمتع ناظره بتلك الزهرة
التي خلبت لبه وهى تتمايل على أغصانها .. انه يشعر
انها الان ترقص بمداخل أوردته وشرائينه ... تتمايل
على دقات قلبه التى أصبحت تعلو على طبول العرس..
وهل هناك عرساً اكثر فرحاً وصخباً .. من ذاك المقام
بين جنبات صدره لمرآها...؟!... ترك الأدوات التى
كان يحملها جانباً وعادت عيناه تتعلق بتلك الرائعة

بالثوب الاسود والتي لاتزل تتمايل وبدأ يشعر بوخز
الغيرة يدب بقلبه عندما طالع نظرات النساء
المحيطين بها والتي كانت تشع استحساناً وغبطة وود
لو اقتحم القاعة ليجذبها بعيداً عن تلك النظرات .

انتفض فى قوة عندما طالعه صوت ام سعيد منتشلاً
إياه من بحور نشوته :- خير يا عاصم بيه .. فى
حاجة..!!؟؟

هتف مدارياً إحراجه متصنعاً الغضب بصوت خفيض:-
كنت فين ..!!؟؟ ناديت تحببى الحاجة مردتيش..
اضطريت ادخل لحالى أحيبها .. وتطلع حوله يبحث
عن تلك الأدوات التى ألقاها جانباً عندما أختطفته
الحرورية الى عالمها..

اخيرا وجدها فألتقطها ورحل بعيداً.. مندفعاً خارج
السراى.. لكن صورة زهرته المتمائلة لم يفارق مخيلته.

صرخت زهرة فى فرحة عندما طالعتها ندى تقف على باب القاعة فى حيرة والجميع ينظر اليها فى تعجب .. فاندفعت تحتضن كل منهما الاخرى فى شوق حقيقى .. واخيرا تجذب زهرة ندى من يدها تعرفها على الحاجة فضيلة التى استقبلتها فى احترام يخلو من الحرارة وشكرتها سهام كثيرا على حضورها وتحملها مشقة السفر من اجل زفافها .. ابتسمت ندى فى ود للجميع .. وسريعا اندمجت فى جو السعادة والنشوة المنبعث من تلك القاعة ..

حتى ان النسوة زادت حماستهن عندما أعلنت الحاجة فضيلة رغبتها فى الانضمام لمن وهبت العروس الفرحة فى تلك الليلة .. الليلة الأخيرة للعروس بيت ابيها قبل انتقالها لبيت زوجها فى اليوم التالى .. بعد عقد القران ..

وتقازفت النسوة الزغاريد المنتشية عندما نهضت
الحاجة فضيلة لتتوسط القاعة .. حتى ان سهام طفقت
عينها بدموع الفرحة عندما وجدت امها و تمايل
راقصة و هي التى لم تقدم على تلك الفعلة ابدا فى
حياتها ولكن ها هى تفعل رغبة فى اسعادها ..
وبدأت الحاجة فضيلة فى التمايل بتلك الرقصة
المعروفة فى الصعيد باسم .. " الحروبى" ... والتى
يستخدم فيها النساء الجزء الأسفل من أجسادهن
بإيقاع محدد على الموسيقى .. وما ان بدأت الحاجة
فضيلة فى تمايلها حتى أشعلت حماس كل نسوة القاعة
اللاتي يماثلونها فى العمر ليندفعن مشاركات لتشتعل
القاعة ضحكات وزغاريد حتى ان ندى اخذتها
الحماسة فشاركتهن فى نشوة ..

اندفعت زهرة خارج القاعة لإحضار المزيد من العصائر
والمرطبات للنسوة القابعات فى القاعة .. بعد ان
انهكتهم حمى الرقص المستعر بالداخل .. لحقت بها
سمية فى اصرار

وعلى الرغم من محاولة زهرة إثنائها عن اللحاق بها
لتساعدها كما تدعى الا انها اصرت بشكل عجيب على
مرافقتها لتلحق بها الى المطبخ تتطلع الى زهرة فى
غيرة وهى تراها تتسيد السراى بهذا الشكل ومرحب
بها طبعاً

فهى ابنة الغالية التى يرغب فى رضاها الجميع إرضاءً
للحاجة فضيلة .. تنبهت لتلك الحقيقة .. وان زهرة
لاتزل تجهل بها فقررت نشر سمومها وهى تقول :- انى
شايفة الكل بيعاملك احسن معاملة على خلاف ماهو
مفروض يعنى واولهم الحاجة فضيلة ذات نفسها واللى

سممت عجل ولدها من ناحيتكم .. مش غريبة دى؟!
كان ذاك دوما هو السؤال الذى حير زهرة والذى لم
تجد الإجابة عليه أبداً .. فهى نفسها قد شعرت بفارق
فى التعامل فى مرحلة ما .. وتساءلت عن السبب
.. لكنها لم تتوصل اليه .

شعرت سمية انها اجتذبت انتباه زهرة على الرغم من
محاولة زهرة إظهار عكس ذلك .. فتمادت قائلة :-
الظاهر انك لِسَّه متعرفيش ..!!؟. هم ناويين يجلولك
ميتا ..!!؟. اصل دى حاجة متداراش ..!!؟.

نجحت سمية الان فى جذب انتباه زهرة كلياً :- حاجة
ايه اللى مدارية ..!!؟. انتى بتتكلّمى عن ايه ..!!؟
ردت سمية راغبة فى زيادة فضول زهرة :

- انت متعرفيش انت تبجى ايه للهوارية ..!!؟.
- واضح انك خرفتى .. انا تهامية .. وماليش اى علاقة
بالهوارية .. قالت زهرة فى حنق وهى تندفع لتخرج من

المطبخ حاملة الصينية بما عليها من مشروبات
لتوقفها سمية معترضة طريقها هاتفة :

- اجولك انا ايه علاقتك بالهوارية .. انتِ منهم ..
دمهم بيچرى فى دمك لأن امك الحجيجية هى فاطنة
.. اخت الحاجة فضيلة اللى هربت مع ناچى التهامى
ابوكِ يا داكثورة .. صمتت قليلا بعد ان حقنت
سمومها فى شرايين و أوردة زهرة .. التى وقفت
مشدوهة لا تستطيع حراكاً.. عيناها مسمرة على سمية
التى شعرت بنشوة النصر اخيراً فتمادت بكل حقارة
هامسة بالقرب منها وبنبرة تقطر غلاً :-عرفتى ليه
بيعملوكِ ولا الأميرة .. لولا كِده لكان زمانك بتتعاملى
اجل من ام سعيد .. مجرد واحدة من التهامية ..
خطفها عاصم واد عمى عشان يبرد نار امه الجايدة فى
صدرها من يوم ابوكِ ما

هرب مع اختها وبتردهاله فى بته اللى كانت فاكرة انها
بت الداكتور ناچى من مرته الثانية .. لكن اكتشفت
انها بت الغالية اختها .. فانعكست الآية .. وبدل ما
تنتجم منيها بجت حطاها فى عينيها وبتوصى ولدها
عليها يعاملها ولا البرنسيصة .. امال ايه .. معلوم ..
مش من دمهم ولحمهم .. ربتت سمية بغل على كتف
زهرة وهى تهمس كحبة رقطاء :- فوجى يا بت الناس ..
لتكونى مفكرة ان عاصم بيحبك .. عاصم ملوش جلب
...عاصم ميعرفش يحب .. عاصم غولعمر كان
للغول جلب ...؟!..

ثم ابتسمت فى انتصار لوجه زهرة الذى اضحى يحاكي
وجوه الموتى شحوباً وهى تقول :- انا خلصت زمتى
من ربنا وجلت لك .. وانت وعجلك تصطفلى ..
لترحل سمية مبتعدة تجاه القاعة وقد ارتعشت يد
زهرة بحملها لتسقط الصينية بما تحمله من كؤوس

مهشمة على الأرض فى قوة ومندفعة فى كل اتجاه
...لتهتف ام سعيد التى جاءت على صوت الإرتطام :
- اسم الله عليكى يا بتى حصل خير .. اطلعى ارتاحى ..
النسوان كلهم مشوا وحتى اختك واد عمك جه خدها..
اطلعى يا بتى ..

وكانما كانت تنتظر هذا الامر لتندفع زهرة فى قوة
تصعد الدرج فى ثورة مدفوعة بمشاعرها المحترقة
ذاتيا تلتهب عيناها بدموع محبوسة تأبى الإنحدار ..
وقلبها يغلى كمرجل .. دخلت الغرفة تروح وتجئ فيها
من شرقها لغربها .. كغزال جريح .. يؤلمها جرحها حد
الوجع وتأبى بكل انفة وكبرياء الاعتراف به .. ينزف
جرحها حد الموت قهرا وتتجاهل سيل الدماء الساخنة
عزة....

انها تموت .. هكذا شعرت .. أهكذا هو الموت .!؟!..
روحها تغادرها مقهورة فتشعر بخواء يجمد اطرافها
ويدفعها لترتعش لأراديا ..

انها لا شئ .. واخذت تسأل .. كالممسوسة...انه
يريدها...!؟!... نعم .. هل يحبها ...!؟!... لا .. بدأت
تشك في كل ما كانت على ايمان مطلق به منذ
ساعات...

انها لم تكن تمثل لعاصم سوى وسيلة انتقام والتي
اكتشف فجأة انها ابنة خالته .. تلك الغالية .. التي
يجب ان يُحسن معاملتها ويدللها اكراماً لأمه...مما
يعنى انها من بداية القصة وحتى نهايتها .. ما هي الا
وسيلة لإرضاء امه ... لكن.. أين هي من كل هذا
...!؟!...

أين قلبها ومشاعرها التى تلاعب بها!؟.. أين حق روحها
التى تعلقت به حد الوجد .. !!؟.. أين هى من كل
حساباته...!!؟.. أين هى من قلبه ...!!؟..

وهنا طفقت الدموع من عينيها أخيراً لتشهق بألم
يمزق روحها المحتضرة بين جنباتها .. بكت كما لم
تبك من قبل

.. بكت حتى جفت دموعها وتحجرت مآقيها.. أصبحت
نظراتها رخامية خاوية من أى روح .. نهضت فى عزم
للحمام .. غسلت وجهها.. وقررت.. الليلة هى آخر
ليلة لها هنا فى سراي الخزلان والقهر .. لم يعد لها
مكان بها فقد اكتفت بهذا القدر من الألم ومن
الدموع .. وانتفضت عندما

شعرت بباب الغرفة يُفتح... كان ملهوفاً يبحث عنها
بنظراته يدفعه شوقه اليها .. يتمنى لو يدثرها بعينيه..

ويطويها بصدره.. انها له ...دوما كانت .. منذ اللحظة
التي ألتقطها فيها بين ذراعيه فى المزرعة .. وحتى اخر
العمر ستكون .. انه يحبها بل يعشقها ويتمناها ..
يأنس لقربها ويستوحش فراقها .. ان روحه معلقة بها
لا يعرف كيف ...؟!.. لكنه لا يشعر براحة الا وهو معها
تطالعه بنظراتها الحانية وتدثره بفيض من حنانها
ورقتها ..

ظهرت فجأة من الحمام .. تحاول مداراة وجهها قدر
استطاعتها تستجمع شجاعته لمواجهة .. بدافع من
قلبه المجروح .. وروحها العليلة .. وعقلها اللائم ..
اندفع اليها فى لهفة يضع كفه على كتفها ليديرها
لتواجهه .. لكنها قالت فجأة وبلهجة تحذيرية جعلته
يجفل :

- ارفع ايدك بعيد عني ... ومتفكرش تلمسني تانى ..

تسمرت يديه على كتفها لحظات فى صدمة .. واخيرا
تنبه .. فأبتعدت يديه كالمصعوق وهتف هو متعجباً:
- ايه اللى حصل ...؟!..

ردت فى برود وهى لا تُزل مولية ظهرها غير راغبة فى
التطلع اليه :

- محصلش حاجة خالص.. هيكون حصل ايه
يعنى...؟!.. انا فكرت وقررت اننا مش هاینفع نكمل مع
بعض.. وأننا لازم ننفصل ..

هنا لم يستطع الصبر اكثر من هذا .. ليجبرها على
الاستدارة والتطلع اليه .. لتفاجئه عيناها الحمراءوين
من اثر البكاء ووجهها الشاحب فيهتف ملتاعاً :

- كنتى بتبكى ...؟!.. ليصمت لحظات وهو يتطلع
لملامحها المقهورة ألماً .. ايه اللى جرى لكل ده ...؟!..
... فى ايه فهمينى ...؟!..

ردت ببرود:

- قلت لك محصلش حاجة .. انا شايفة ان ده الصح ..
واللى المفروض كان يحصل من زمان .. احنا عمرنا ما
كنّا لبعض .. ولا هنكون ..

فهتف بغضب ترتفع وتيرته وهو يهزها من كتفيها لعله
يوقظها من ذاك الكابوس الذى يعايشه حيّا فى تلك
اللحظة :- فجأة كده عايزة تفوتينى وتروحي ؟!! .. فجأة
كده خدتى بالك اننا مننعش لبعض .. ولا عمرنا كنّا
لبعض .. ؟!! .. المفروض انى اصدج الكلام ده .. فى
ايه .. ؟!! ..

هتفت محاولة كتمان ذاك الالم الذى يعصف بها :

- قلت لك مفيش ..

ليصرخ هو مجدداً وهو ينظر لعينيها الرخامية النظرة
والتي لم يستطع ان يثبر أغوارها :

- انت مين .. ؟!! .. انت مش زهرة .. ؟!! .. زهرة اللى

كانت من كام يوم بين درعاتى طايعة وراضية .. مش
ممکن تكونى هى..؟!.. انتى مين ..؟!.. صرخ بسؤاله
الاخير فى لوعة ..

لتهتف هى صارخة:

- انا بنت خالتك.. يا عاصم بيه ..

فأبعد كفيه عن كتفيها منتفضاً كالمصعوق ليصمت
لحظات قبل ان يهتف متسائلاً:

- مين جالك ..؟! أبوكى..؟!..

قهقهت بهستيرية تعكس مدى الوجد الذى يتشعب
بروحها ويسكن اعماق قلبها :

- مفيش فايدة... لِسَّه بكرهك وحقدك القديم ... اى
مصيبة او قصة مش على هواك يبقى التهامية هم
السبب فيها .. وخاصة طبعاً بابا .. اللى حرمة من انه
يحط ايده فى ايد عريس بنته ذى كل اب ما بيتمنى ..
مش كده ..؟!..

هتف فى غضب هادر :- انتِ مش فاهمة حاجة ..؟!..
قالت فى برود :- ولا عايزة افهم اى حاجة .. انا
عيزاكو تسيبوني فى حالى ..تعتقونى لوجه الله
..وتطلقنى..

بهت لونه عندما رنت الكلمة الاخيرة فى مسامعه
ليعاود إمساكه بكتفيها من جديد يرجها رجا بعنف :-
ايه ..؟!.. فى ايه ..؟!.. انتِ جبتي منين الجسوة
دى..!!؟؟

-ده الدم الهوارى اللى فى عروقى.. قالتها فى سخرية:
- مش انا طلعت قريبة الغول...!!!!.. وعادت لضحكاتها
الهستيرية .. عرفت القسوة جبته منين ...!!!..
تطلع اليها فى حيرة واضطراب وهتف اخيراً محاولاً
إقناعها قدر استطاعته بحبه لها دون ان ينطقها لعله
يغير من منطقها وتظل باقية :

-انا عملت كل اللي يرضيكى ويسعدك .. حاولت على
كد ما جدت انى مجساش عليكى .. وأفكر ..
قاطعته فى غضب محموم :- وتفتكر ان انا بنت خالتك
.. ولازم اتشال على كفوف الراحة .. عشان انا بنت
الغالية .. لكن انا زهرة... بنت الدكتور ناجى التهامى
.. عمرها ما كانت هى الغالية فى نظرك .. زهرة .. اللي
كنت بتناديها باسم إبوها وكأنه سبة .. زهرة اللي
استحملت اللي أتعلم فيها من خطف وإهانة عشان
تحمى ابوها واهلها منك ومن جبروتك...
وتحشرج صوتها متأثراً .. وهى تنطق بصوت خفيض
غلبه الوجد :

- زهرة دى .. مش هى اللي غالية يا عاصم .. مش هى
اللي عملت كل حاجة عشان ترضيها .. مش هى اللي
كنت تتمنى تبقى مبسوفة .. مش هى يا عاصم ..
أسأل نفسك انا لو فضلت بس بنت الدكتور ناجى

ومكنتش اكتشفت انى بنت خالتك كنت هاتعمل كل
ده عشان خاطرى ... مظنش ...؟!..

كان يقف مشدوهاً امام سيل كلماتها المدوية.. لا
يعرف لما لم يتكلم...؟!.. ؟ .. لما لم يدافع عن
نفسه...؟!..؟!.. لما لم يبرر الكثير من الأفعال...؟!..؟!
واخيرا .. لما لم يبلغها ان ابيها هو من طلب عدم
كشف الحقيقة لها الا بمعرفته هو ..؟!..

لما لم يتحرك .. ليخبرها بانه احبها من قبل حتى ان
يكتشف بأنها ابنة خالته ..؟!..؟!

لم يجد اجابة تريحه لكل تلك الأسئلة .. فوقف ينظر
اليها فى ألم غير قادر على تكذيب حرف واحد مما
قالت... ..مما دفعها لتكمل قذف حممها:

- زهرة التى كنت عايزها .. راضية وطايعه بين درعاتك
معدتش موجوده .. الى موجوده قدامك دلوقتى زهرة
تانية خالص.. زهرة ام قلب قاسى .. زهرة الى عايزة

تفتح عينيها تلاقى نفسها بعيدة عن النجع ده باللى
فيه .. يمكن لو بعدت .. تعرف ترجع لنفسها تانى .
نظر اليها نظرات مبهمه لم تستطع تفسيرها .. وتسمر
فى مكانه للحظات تتأكله الرغبة فى قتلها ..
تارة عشقاً.. وتارة غضباً.. .. قبل ان يندفع كالسهم
باتجاه الباب .. ليخرج مغلقا الباب خلفه فى غضب
هادر..

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رضوى جباريش

الفصل السابع عش

قاداته قدماه بشكل فطرى لإستراحة الإسطبلات ..
حتى من دون ان ينتبه للطريق الذى قطعه سيرًا على
الأقدام .. انفاسه تسبقه .. يزفرها فى غضب لا يعبر
باى حال من الاحوال عن الثورة المتأججة فى شرايينه
والتي بثت نيرانها فى روحه يغلى من جرائها قلبه
كمرجل ..

وصل اخيرا ليلقى بجسده المنهك على احدى الأرائك
فى انهيار...

كانت الأيام الماضية أشبه بالجحيم ..مرض والده
وسهره بجواره.. ومن بعدها إعدادات الزفاف
المحمومة.. واخيرا ..تلك التى تنهكه وتستنزف
مخزون روحه الطواقه لقربها..

والتي اصبحت أشبه بالسراب .. كلما تقدم منها
خطوة وظن انه قاب قوسين او أدنى منها وانه على
اعتاب نعيمها الوردى.. حتى يكتشف انها لاتزال
بعيدة .. بعيدة .. بعد نجمة عالية .. لا تطولها الايدي
.. الا فى الخيال..

همس لنفسه متألما :- وااه يا عاصم .. مفيش امر من
طعم الظلم وخصوصى ظلم الحبايب ..الى كنت
مستنيهم يبجوا دواك تريهم هم الجرح ...
مين تانى هايفضل يا عاصم بعد ظلم الحبايب ..
مين...!!؟؟

زفر بقوة .. زفرة حارقة تحمل بعض من نيران ذاك
الأتون المستعر بصدرة .. وقد تنبه اخيرا .. لهذا
الصوت الشجى الذى يصله .. والذى لم يعيه عندما
وصل من شدة انغماسه فى شجون أفكاره ..

فهمس لنفسه :

- وهذا قصة اخرى .. كان يقصد زرزور بالطبع ..
صاحب الناي .. الذى يعزفه الان مقلباً عليه مواجهه
التى لا مهرب منها حتى هنا .. اقترب فى هدوء .. من
المكان الذى يختلى فيه زرزور بنفسه .. واخذ ينصت
فى استحسان لذاك العزف الرائع الذى يقطر عذابا
وحرمانا .. لا يع ان الذى يعزف ليس زرزور

بل قلبه الذى يئن شوقا .. لحبيبه غائبة حاضرة ..
ورغبة مستحيلة التحقيق فى القرب .. ولا حيلة له الا
دموع تخفف بعضا من أسى وقهر لا حيلة له فيهما ..
سوى البكاء وحيدا بعيدا عن الأعين المتلصصة التى
تأبى البكاء على الرجال ويوصمون بالعار وكأنهم ليسوا
ببشر و لم تخلق من اجلهم الدموع ..

انتهى اخيراً زرزور من عزفه ومسح دمه .. ونهض..
ليفاجاً بعاصم يقف مشدوها من روعة العزف التى لم
يشهدها من قبل ..

انتفض زرزور واضعا كفه على رأسه يربت بها عدة
مرات

متتالية كإشارة سلام لعاصم ويندفع لصنع الشاى كما
هو معتاد عند رؤيته له و ما ان أولاه زرزور ظهره حتى
هتف عاصم فى تأثر :-

زكريا...

توقف زرزور فجأة متخشباً وكأنما اصابته صاعقة ..
لقد نسى هذا الاسم والذى لا يعلم به احد ولم يناديه
به احد .. واستدار فى بطاء .. ليطالع عاصم الذى كان
يقف فى انتظاره فاتح ذراعيه فى ترحاب .. ليندفع
اليه كالسهم ملقيا بنفسه بين احضانه مقبلا كتفه..
وهو يجهد بالبكاء..

أحاطه عاصم بذراعيه رابتاً على كتفه فى قوة وهو
يهتف بصوت غلبه التأثير محاولاً مداراته فى المزاح :
- واه .. بجى كده .. فى رچالة بتبكى وتنهنه كمان ..
ولم يتوقف زكريا عن شهقاته وكأنما أكثر من عشرين
عاماً من الظلم والدونية قد استيقظت فجأة واندفعت
كسيل من دموع عينيه...

ربت عاصم من جديد على كتفه وهو يقول بصوت يأتى
من اعماق روحه الموجوعة .. :- ابكى يا واد عمى ..
ابكى .. الظلم واعر جووووى .. ولما يجيلك من اجرب
ما ليك .. بيبجى وچعه كن سكينه انغرس بجلبك
وانت ما جادر تجول آه...

وكانما يذكر عاصم نفسه بظلمها ... ظلمها الذى تنن له
روحه حد العذاب .. لكنه يعلم ان الظلم الذى بدأ هو
اول حلقاته دارت عليه دوائره ليصبح هو المظلوم .. لا
الظالم .. ظلم يدفع ثمنه الان غالياً ...

بعد لحظات .. ابتعد زكريا عن كتف عاصم .. ينظر
اليه متسائلا و ببعض إشارات استفسر كيف عرف عن
اسمه

وحكايته.. فأجاب عاصم :- أبوى جالى على كل حاجة
.. وسلمنى الاوراج اللى تثبت انك واد عمى غسان ..
وربت عاصم على كتف زكريا مطمئناً.. متجلجش والله
لأجيبك حرك .. ولو على رجبتى..

اندفع زكريا محاولا تقبل يد عاصم الذى سحبها
مستغفراً وقال فى تأكيد :- ده حرك .. نستنوا بس لحد
بعد فرح سهام .. هنا اخفض زكريا نظراته متألماً عند
ذكرها.. ليستطرد عاصم ولم ينتبه :- هجمع الهوارية
كلهم وأخوك سليم .. وجدامهم هعلن انك واد عمى
غسان واللى حيلته كلمة يجولها ويورينى كيف
هايو جف جصادى...!!

رفع زكريا يديه علامة الدعاء لعاصم وهم بالاندفاع
لصنع الشاي .. لكن عاصم استوقفه معاتباً :- لاه ..
خلاص .. خلصت الشغلانة دي .. انت هنا واد عمى ..
وهاتجعد معاى ونشربوا الشاي سوا .. بس مش انت
اللى هاتعمله .. هنده على الواد عواد يسويلنا كبايتين
.. تعال .. اجعد چارى ..

وسحب عاصم زكريا من يده مبهوتا ليجلسه على
احدى الأرائك بجواره وهو لا يصدق ان حقه سيعود له
اخيراً ... حقه الذى فقد الامل فى عودته .. منذ امد
بعيد ..

كان العمل فى السراى على قدم وساق منذ السادسة
صباحاً ... تحضيرات الطعام والمشروبات .. وأماكن
مجالس الرجال وعقد القران .. وتحضيرات العروس

التي قرر حسام احضار اصحاب الخبرة في عالم
الزينة حتى باب غرفتها .. ووقفت زهرة بجوارها حتى
اتمت زينتها على اكمل وجه ترتضيه وقد اصبحت
رائعة بمعنى الكلمة .. لتهتف زهرة في مرح تحاول
اصطناعه :

- يا بختك يا حسام يا بن عمى ..
لتبتسم سهام في خجل .. ولم تدرك تلك النبرة المؤلمة
التي غلفت كلمات زهرة والتي أرهقها البكاء ومزقها
القهر ليلاً كاملاً بعد ان رحل وتركها تلعق جراحها
وحيدة .. بدون حتى تبرير واحد ينفي به فعلته .. او
يشرح به أسباب إخفائه عنها ما اكتشفته .. او .. حتى
.. يخبرها ولو كذباً .. انه احبها قبل ان يعلم الحقيقة ..
وانه يحبها .. سواء كانت ابنة خالته .. او لم تكن ..
لكنه لم يقل ولم يفعل .. و لم ينفي أقوالها ويضحد
شكوكها وظنونها... ان جرحها منه اصابها في مقتل ..

وهى الحمقاء التى كانت على استعداد لتكون امرأته
.. قلبا وقالبا ..

واعترفت لنفسها ... انها حقا تعشقه .. ولكن ماذا بعد
الاعتراف...؟! .. وماذا بعد المصارحة ...؟!.. هل
تستطيع ان تكذب روحها التى تئن وجعا لمجرد
مطالعة محياه الذى اصبح موشوما بجدرانها .. وصوته
الذى تغلغل فى أعماقها مقرونا بكل نبضة من نبضات
ذاك القلب الذى يحتضر شوقا وعشقا .. وعقل لا يعلم
.. هل يتألم ام يتحسر على عدم الاستماع لنصائحه
.. فيقف حائرا .. خائرا... لا يجد سبيلا للخلاص ..

انتفضت .. عندما وصل الى مسامعها صوته وهو يهتف
بالأسفل مؤكداً ان كل شئ على ما يرام .. وانه بدء
توافد الرجال والعريس فى طريقه للسراى وانهم فى
انتظار المأذون ..

دقات على باب الحجرة جعلتها تجفل .. فهي تعلم
انها طرقاته التي اعتادتها كدقات قلبها على باب
صدرها ..

وما ان سُمح له بالدخول .. حتى دخل في هدوء يتطلع
لسهام التي اصبحت في كامل زينتها .. تقدم اليها في
بطء متطلع الى تلك الجميلة التي كانت منذ أعوام
تصرخ طالبة منه ان يحملها على كتفيه وتتدلل ليحضر
لها ما تشتهييه ..

انها الان عروس جميلة .. بل فائقة الجمال ..
ستغادرهم بعد ساعات قليلة لبيت زوجها ولن تعود
هنا مرة اخرى الا كضيعة .. لن تطالعه ملامحها
المحبة كل صباح على مائدة الافطار ولن تشاكسه
بمداعباتها طوال النهار..



ولن تصبح مسؤولة منه فسوف يسلم مسؤولية راحتها
ودلالها لزام رجل اخر يتمنى ان يصونها وتنعم فى
كنفه بالأمن والسكينة و المودة والرحمة ...

لم يستطع ان يتفوه بكلمة وهو يقف أمامها الان ..
انحنى يقبل جبينها فى محبة حقيقية ويقول بصوت
متحشرج يغلبه التأثير ...

- مبروك ..

ترقرقت الدموع فى عيني سهام .. فشر بها فهتف
فى بهجة مشاكسا إياها :

- لاااه .. فى عرضك .. هتبكى وتبوظى الحاجات اللى
حطوها لك على وشك دى واللى دافع فيها عريسك دم
جلبه .. حرااام .. يجول مسلمينله عفريته سهام

انفجرت سهام ضاحكة فابتسم بدوره هاتفاً:

- ايوه كده رب يخليكى .. خلى الليلة تعدى على
خير ..

واستدار مغادرا لتقع عيناه على زهرة التى كانت
تنكمش فى احد أركان الغرفة تتابع المشهد من بعيد..
حمل نفسه ونظراته بعيدا عنها واندفع خارجا لتلحق به
فى عزم لتخبره بما قررت ..

دخل غرفتهما ليبدل ثيابه فتبعته هاتفة وهى تغلق
باب الغرفة خلفها:

- انا هبات الليلة مع ندى اختى .. عند عمى قدرى..
قالت فى لهجة مترقبة لرفضه ولكن لدهشتها قال
بلهجة باردة وهو يخرج ملابسه من خزانة الملابس ..
-وماله .. حبك .. بجالك شهور مشفتيش اختك ولا
ابوك.. ولو تحبى جبيها هنا .. واهى أوضة سهام ها
تفضى الليلة ..

-لا .. قالت فى عزم .. انا كمان عايزة اقعد مع بابا فى
حاجات كثير عايزة توضيح منه ..

اجاب بنفس اللهجة الباردة :

- وماله ..ولو تحبى أوصلك لحد عنديهم...

سألت فى تعجب :

- يعنى انت موافق!؟

-وااه .. همنعك عن اهلك يعنى ...؟!.. طبعا موافج .. و

دى عايزة كلام .. نظر بإبتسامة مبهمه على جانب

شفتيه:

-اصل انا لازم اقعد مع .. قالت تحاول التبرير ..

وتتعجب من نفسها لما تبرر .. فقاطعها هو قائلا

بلامبالاة:

- مفيش داعى تبررى ..انت تروحي وجت ما انت

عايزة ..

-يعنى عادى اروح ...؟!.. سألت بتعجب ودهشة من

موافقته السريعة وعدم رفضه ..

لينفجر ضاحكا فى سخرية :

- واه .. هو انا بتكلم فرنساوي .. جلنا روحى ..

وتركها فى حيرتها .. وحمل ملابسه للحمام ليستعد
لعقد القران .. وقفت فى منتصف الغرفة .. تضرب
أخماسا فى اسداسا .. لا تعرف .. ما سر ذلك البرود
الذى يحدثها به ..

وما السبب وراء موافقته السريعة وعدم رفضه
لأبتعادها عنه كما كان يحدث فى السابق عندما كان
يتحجج لتكون دوما بقربه .. هل يمكن ان يكون كف
عن محاولاته

لإرضائها بعد ان اكتشفت علاقة الدم التى
تربطهما...؟!..

ام ان ما سمعه منها البارحة جعله يعيد حساباته
لتكون هى خارج تلك الحسابات ...؟!..

لم تعد تدرى ما يحدث .. حتى انها صرخت فى
نفسها معاتبة .. أليس انت من أراد الابتعاد ..؟!..
وتشعرين

بأنك غير مرحب بك كواحدة من التهامية .. لكن
مرحب فقط بكونك تحملين الدم الهوارى .. اذن لما
تشتكين الان؟؟؟

وأين هى المشكلة ..؟؟!.. اتدريين ..؟!.. انت هى
المشكلة ..

عند هذه النقطة.. اندفعت فى غضب .. لتغلق الباب
خلفها بعنف .. فى نفس اللحظة التى خرج هو فيها من
الحمام وعلى شفثيه نفس الابتسامة المبهمة ..

ارتفعت الزغاريد معلنة وصول العريس واهله .. لتدخل
ندى لداخل السرائى منضمة للنساء واللائي اشتعلت
قاعتهم بالزغاريد والرقص حتى تحضر العروس ..

اخذ عاصم بيد المأذون والعريس والشهود مستأذناً
الجمع

ليصعد لعقد القران ..

استأذن الرجال للدخول .. فصمت كل من بالقاعة من
نساء حتى مروا فى سرعة لأعلى ..

طرق عاصم على باب غرفة ابيه ودخل ليهتف الحاج
مهران :- برضك عملت اللى فى راسك يا عاصم ..

هتف عاصم فى فخر :

- واه .. ابو العروسة منور الدنيا .. وانا ابجى وكيلها ..

ده لا عشت ولا كنت .. انت وكيل العروسة يا حاج ..

ربنا يدك طولة العمر وتشيل عيال عيالها .. وانا هبجى

شاهد على العقد انا والحاج جدرى ابو العريس تمام

كده ..؟؟!..

ابتسم الحاج مهران فى حبور :

- تمام

جلس المأذون مسميا بالله ومصليا على رسوله ..
ووضع الحاج مهران يده فى يد حسام .. وبدأت مراسم
عقد القران

وما ان انتهت .. حتى قال الحاج مهران والدمع يتفرق
فى مقلتيه:- خلى بالك منها يا حسام .. انا مديك حته
من جلبى..

ابتسم حسام وانحنى يقبل كف حماه فى تقدير قائلا :-
دى فى عينى يا عمى ..

اندفع عاصم ليطرق باب العروس مهللا...:- مبروك ..
كتبنا الكتاب ..

لتشتعل الغرفة زغاريد.. لتقابلها زغاريد انطلقت من
القاعة النسائية بالأسفل عندما وعت النساء الإشارة .
امسك عاصم كف اخته التى كانت ترتجف فى خوف..

وفى نفس الوقت تجتاحها الفرحة فى تضارب عجب
من المشاعر التى لا يسهل وصفها .. ضم كفها فى حنان
مطمئناً وهو يسير بها لغرفة ابيها ..

افسح الجميع الطريق للعروس التى تقدمت لأبيها فى
وجل لا تستطيع ان ترفع نظراتها لتقابله حتى لا تنفجر
باكية وترفض المغادرة بعيدا عن احضانه ..

مد الحاج مهران اليها كفها والتى وضعت كفها الباردة
المرتعشة فى أحضانهها .. ليجذبها اليه مقبلا جبينها
وطفقت عيناه بالدموع ولم يستطع ان يتفوه بحرف
واحد بل أشار لعاصم الذى وعى الإشارة ليهتف مهللا
فى فرح :

-الناس كلها منتظرة العرسان تحت .. يا الله يا
جماعة..

ومد كفها يسحب اخته المتسمرة بجوار فراش ابيها
وكأنها تأبى المغادرة ويسلم كفها لكف زوجها والذى

ألتقطه فى سعادة جاذباً إياها خارج الغرفة.. والكل خلفهما..

ما عدا عاصم الذى انتظر حتى خرج الجميع لينحنى
يقبل جبين ابيه رابتاً على كفه ويخرج فى أعقابهم..
وقد اشتعل صحن الدار بالزغاريد عندما هل العريس
مصطحبا العروس يهبطان الدرج .. حتى سلمها للنساء
واولهم امها الحاجة فضيلة التى كانت تغالبها
الدموع.. فتقهرها مبتسمة ..

خرج العريس ليحيى جمع الرجال وينال مباركتهم بعد
عقد القران .. وامتدت الموائد و بدأ الإحتفال الفعلى..
ظهر سلطان يمتطيه عاصم فى عزة وبدأ الطرق على
الطبول والنفخ فى المزامير .. ليبدأ سلطان فى التمايل
طرباً وعاصم على صهوته موجهاً.. اشتعلت الدائرة
المحيطة بالفرس الراقص تهليلاً وحبوراً بمهارات

سلطان الذى انتشى من صوت المزامير ليقدّم افضل عروضه الراقصة على الإطلاق .. كان عاصم يتمايل مع فرسه فى رشاقة منقطعة النظير وشعر فجأة بإحساس مبهم بالمراقبة فتطلع لا ارادياً

للأعلى حيث شرفة حجرته .. ليجدها تقف مع اختها التى يبدو عليها الحماسة تشاهدان العرض الراقص .. تعلقت عيناه بها وتذكر ان هذه قد تكون المرة الاخيرة التى يراها فيها تطل من تلك الشرفة .. فهى الليلة ستغادر السراى وقد لا تعود .. عندما وصل لهذا الخاطر فقد رغبته فى الاستمرار بتقديم عرضه .. لينسحب هو وسلطان .. والذى كان معترضاً على إنهاء العرض ويرغب فى المواصله ..

عندما عاد ليجلس وسط الرجال لاحظ انها اختفت من على الشرفة .. فجلس ساهماً لا يدرك الصخب الدائر

حوله فصخب أفكاره كان يحاصره وفوضى مشاعره
كانت تدميه ولم يخرجه من تلك الدوامة الا جذب
احد الرجال له ليجد نفسه فى وسط دائرة مدعواً
للتحطيب بالعصا .. ليبدأ تهليل

الرجال دعماً له .. للغول .. الذى بدأ فى هزيمة الرجال
احدهما تلو الآخر ليشتعل الجمع نشوة راغباً فى المزيد
حتى اندفع حسام طالباً المبارزة لينتفض الجمع مهلاً
ويبدأ كلاهما فى التلويح بعصاه وقرعاهما كلاهما
بصوت مزلزل .. حتى أعلن كل منهما فى نفس اللحظة
بلا اتفاق ترك عصاه محبة فى الطرف الآخر .. ليهلل
الجمع .. ويحتضن كل منهما الآخر فى سعادة ..

انتصف الليل .. وبدأت الطلقات النارية والتي بدأ
اطلاقها منذ الصباح فى الوصول لذروتها عندما أعلن
العريس رغبته فى اصطحاب عروسه لعشهما

السعيد..لتشتعل حمى الزغاريد والطبول حد
اللامعقول عند وصول العروس للخارج ليأخذها
العريس داخل عربتهما ..

ويخرج الجميع خلفهما بالسيارات مهللين....
حتى زهرة ذهبت فى سيارة نبيل بصحبة ابيها وندى
وعمها قدرى دون أدنى اعتراض منه .. حتى انها ألقت
بنظرة جانبية اليه.. تنتظر اعتراضه.. لكنه حتى لم يأبه
بها..ولا نظر يبحث عنها كعادته..بل كان منشغلا بأمه
التي غلبتها دموعها اخيرا.. فأخذت تبكى عندما
رحلت سهام مع عريسها .. فى سيارتهما المزيّنة..

ظلت نظراتها معلقة به حتى غاب طيفه عنها بإبتعاد
السيارة وخروجها عن أسوار السراي .. والتي لا تعلم
هل ستعود اليها من جديد .. ام لا ..و قد جذب
انتباهها فى تلك اللحظة طيف ذاك الشخص على

اطراف تلك الاسوار العتيقة وبالتحديد.. عند تلك
الحجرة المتطرفة فى اخرها .. يبكى فى لوعة حبيبة
راحلة .. وقلب ممزق.. وحق عائد فى الوقت الضائع

اندفعت ندى فى احضان اختها على الفراش الوثير فى
تلك الحجرة التى خصصها عمهم قدرى لتبيت فيها
ندى منذ وصولها .. انها نفس الحجرة التى باتت فيها
زهرة ليلة عقد قرانها على عاصم ليلة ان عازمت على
جعله يدفع ثمن إجباره إياها على الزواج منه بهذا
الشكل وإذلال أهلها امام عينيها .. ولكن هل
استطاعت تنفيذ ما عازمت عليه ..؟! ..

أخرجتها ندى من شرودها هامسة فى أحضانها بلقبها
الذى افتقدته وأصبح غريبا على مسامعها :- روزى..
ايه رأيك فى بن عمك نبيل ..؟! .. ولم تنتظر منها

الإجابة لتستطرد تصورى يطلع الدكتور بتاعى فى
الجامعة .. وانا وهو منعرفش اننا ولاد عم...؟!..

همست زهرة فى شروء:

- هى دى ضريبة الانتقام الأعمى .. لازم الكل يدفعها ..
وكنت انا اولكم..

نهضت ندى فى شقاوة جالسة وهى تقول فى مرح
وكأنها لم تسمع تعليق اختها :- قوليلى بقى...؟!.. عاملة
ايه مع جوزك ده ...؟!.. شكله كده .. وأخذت تبحث
عن كلمة مناسبة .. وهى تحرك كفها .. وحدقتها
لأعلى فى وضع التفكير لإيجاد اللقب المناسب ..
لكنها لم تجد .. لتبتسم زهرة لأول مرة هذا المساء
لتساعدنا فى إيجاد الوصف الذى تبحث عنه ..
هامسة :- غول ملوش قلب..

لكن ندى هتفت فى نفس اللحظة فلم تسمعها ...:

- اه .. له هبة كده..تخليكى تخافى تقربى منه
وتعمليله الف حساب.. انت بتتعملى معاها ازاي ده؟!
ضحكت زهرة لسؤال اختها الساخر ولم تخبرها بطبيعة
الحال انها الوحيدة التى استطاعت ترويض الوحش..او
كانت تظن ذلك .. حتى اكتشفت انه لم يُروض بعد ..
بل .. ان هوسه بأصوله وعراقة دمائه والذى اكتشف
انها تجرى بعروقتها .. هو الذى دفعه ليعلن الهدنة فى
حربه معها.. وهى التى اعتقدت انه رفع رايات السلام
الابدى لتسلمه قلبها بسذاجتها المعتادة .
-بس تعرفى يا زهرة ...؟؟؟! .. انتبهت زهرة لسؤال
اختها..واضح انه بيحبك.. لتنتفض عندما وصل الكلام
لتلك النقطة وهى تنظر لأختها بتعجب متسائلة:- وانت
عرفتى ازاي..؟!؟

ابتسمت ندى فى تفاخر :

- انا ليا نظرتى .. لو شفتيه وهو ببص عليكى من الشباك الاربيسك وانت بترقصى امبارح فى حنة اخته .. مكنتيش...

قاطعتها زهرة منتفضة ومعتدلة فى جلستها وهى تسألها من جديد:

- بتقولى شافنى فين ..؟!..

اعادت ندى كلماتها بتفصيل اكثر:

- انا كنت داخلة السرايا عشان اوصل للقاعة اللى الستات مجتمعين فيها .. لقيته واقف .. طبعاً مخدش باله منى .. بس انا شفته وهو ببص عليكى من شباك ارابيسك بيطل على القاعة اللى كونتوا فيها كان كل لمحة من تعبيرات وشه بتقول انه بيعشك يا بنتى .. هتفت زهرة فى سخرية تدارى وجيب قلبها واضطرابها الذى دفع الدماء الحارة لوجنتيها :

- طب نامى يا اختى بقيتى خبيرة فجأة .. والله ما انتى
فاهمة حاجة ..

لتنفجر ندى ضاحكة :- انا اللى مش فاهمة حاجة ..
بكرا تقولى ندى كان عندها حق ..

لتستطرد مشاكسة.. يا الاله بقى خدينى فى حضنك
زى زمان .. فتحت زهرة أحضانها لأختها تستقبلها
بشوق حقيقى...والتى راحت بسرعة كعادتها فى
سبات عميق .. ابتسمت زهرة وهمست :- صحيح ما
ينام الا خالى البال ..

اما بالها هى وخواطرها ولبها وقلبها فكلها تلقائيا تتوجه
لشخص واحد فقط .. ذاك القاسى الحانى .. الذى
تعترف انها تفتقده بشدة .. نهضت ببطء حتى لا تقلق
نوم اختها تجيل بنظراتها بجدران الغرفة التى شهدت
دموعها وعزمها ليلة زفافها وشاركتها قسمها فى
الانتقام منه لما حل بها وتذكرت ذاك الفستان

الاسطوري الذى جاءت به سهام.. كيف بكت يومها..
لأنها تمنى ان ترتديه لحبيبها ذاك الرجل الذى
يختطف قلبها .. فها هو قد اضحى ذاك الحبيب و لكن
ماذا بعد؟!..هى من ابتعد .. ابتعدت كى تجمع شتات
روحها الممزقة بين كرامتها وكبريائها وإحساسها بآلم
الخدیعة التى عاشتها معه .. وبين تلك الرغبة التى
تشتعل فى قلبها تدفعها للغفران والصفح وبداية صفحة
جديدة .. صفحة نقية بلا اى احقاد او أسرار من
الماضى تعكر صفوهم .. وتذكرت تلك اللحظات التى
قضتها معه على صهوة فرسه والتى كانت فيها اقرب
من قلبه اليه والتى شعرت فيها بصدق مشاعره ..
وتذكرت امنيتهما المشتركة فى الحياة على صهوة
الفرس دون الحاجة للعودة للأرض من جديد .. وكأن
كل منهما كان يدرك ان عودتهما لأرض الواقع
ستفرقهما حتما فحاولا التشبث بلحظات مرت كالحلم.



وها هى الان امام المرأة تتطلع لصورتها وكأنها تحى
تلك الصورة القديمة لها و التى وقفت تبختر أمامها
يوما فى ثوب زفافها والذى ارتدته له بكل إجبار و كره
وها هى الان تقف أمامها مرة الاخرى .. لا ترتدى ذاك
الثوب مكرهه بل هى بعيدة عن عينيه مكرهه.. نظرت
لتكتشف ان ما تغير فى الحالتين ليس وجود الثوب
من عدمه .. لكن الذى اختلف شئ آخر تماماً.. ورفعت
ذراعها لتضع كفها على قلبها الموجوع شوقا له .. هذا
هو ما تغير .. قلبها ..

تنهد حسام فى نفاذ صبر وهو يلتقط انفاسه ملقيا
بجسده المنهك على احد المقاعد فى جانب الغرفة
التى تجمع به بعروسه والتى تقف الان فوق الفراش
بثوب زفافهما الذى تحمل أطرافه بيدها متحفزة

ليهتف هو متحسرا

وهو ينظر اليها وهى متمرة بهذا الشكل :- والنبي أنا
لو اعرف ان الچواز كده .. ما كنت اتچوزت ..

لتهتف هى فى حنق مصطنع :

- يا سلاااام ..

-يا بت الناس .. ما انا لوعارف انى داخل اخذ بطولة
فى الچرى مسافات طويلة كنت اتمرنت الاول على
الأجل .. مش تخدينى على خوانة كده .. وانا لساتنى
چرحى تعبان وانت لففتينى وراك الاوضة چرى ياجى
عشر مرات ...

لتنفجر هى ضاحكة مخرجة له لسانها فى مشاكسة
وهى تقول :- احسن ..

ليهتف هو متوعداً :

- طب والله لأجول لأخوكى ..

نزلت من على الفراش فى توجس وهى تقترب
متسائلة:

-هتجول لأخويا أيه...؟!!..

هتف متصنعاً الحنق :- هجوله اختك مبتسمعش كلام
چوزها

لتقترب منه فى حذر هامسة :

- وأهون عليك يا حسام...؟!!؟

ليهتف متصنعاً الجد :

- اه .. تهونى .. ما انا هونت عليكى اها .. وانا تعبان ..

وحاسس ان چرحى أفتح ..

اندفعت فى لوعة تجاهه هاتفة :

- صح!؟!.. چحرك أفتح..!؟

ليظفر بها اخيراً جاذباً إياها لتسقط على حجره..

فيهتف بنشوة المنتصر وهو ينفجر ضاحكا :

- كده .. نبجى خالصين



حاولت الافلات من يده .. لكنه احكم احتضان خصرها
وهو يهمس قائلا فى جدية :

- سهام ..!!

استكانت فى ثوان وهى تنظر اليه فى تساؤل فرضه نبرة
صوته ليكمل هو هامسا:

- انتِ فاكرة صوح انى ممكن اشكيكى لأخوكى ..؟!..
لم ترد .. ليكمل هو .. ولا عمره هيحصل انتى بجيتى
مرتى .. ويوم متزعلىنى

فهتفت هى فى عشق مقاطعة..مش هايحصل
..ليبتسم هو مستطردا فى شوق.. هشتكيكى لسهام..
عندما سمعت اسمها من بين شفثيه بهذا الشوق
واللهفة ..نظرت الى عينيه بعيون دامعة فرحا ..
ليهمس بصدق وهو يقربها لأحضانه :- بحبك يا
مجنونة ..

خرج من غرفة ابيه بعد ان اطمأن عليه .. وظلت الحاجة فضيلة بقربه دافعة إياه خارج الغرفة ليستريح قليلا فى غرفته بعد ذاك العناء الذى لاقاه فى الايام الماضية .. لم تكن تعلم انه احوج ما يكون الان للبقاء بقرب ابيه مبتعدا قدر الإمكان عن غرفته الباردة الخالية منها والتي اصبحت ببرودة القطب الشمالي .. عندما ادار مقبضها شعر بخواء غريب يملكه .. دخل وجالت أنظاره بجوانبها وكأنه يتعرف عليها للمرة الاولى .. واخيرا سقطت عيناه على اريكتها .. تلك الأريكة التى اقسم ذات يوم ان يحرقها حتى لا تجد ملتجأ .. تلجأ اليه الا فراشه.. الان يعتذر لأريكتها اعتذارا صامتا... وكل همه هو وجودها بمحيطة حتى ولو على تلك الأريكة البائسة التى يمقتها.. تنهد فى حسرة وجذب عينيه بعيدا عنها.. واتجه ليحضر ملابس نظيفة .. فربما حماما ساخن يعيد له هدوء نفسه

وصفاء باله .. هو يعلم ان ذلك لن يحدث وهى بعيدة ..
لكن .. هو يمنى نفسه بأن إرهاب الأيام الماضية ..
كفيل بجعله يغوص فى نوم عميق دون جهد يذكر
..فتح خزانة الملابس وهو شارد وتنبه انه فتح الجانب
الخطأ... انه جانبها .. هل خطأ حقا .. ام انه أراد
التطلع الى اى شئ يتعلق بها يذكره بأنها الحاضرة
الغائبة .. الحاضرة بقلبه وعقله والمتعلقة بتلابيب
روحه ... والغائبة عن محيطه بمحياتها الذى يفتقده
كثيرا .. كإفتقاده ملامح روحه.. طالعه ثوب الزفاف
الذى أنتقاه خصيما لها ... فقد ظل طوال نهار يوم
عرسهما يبحث عن ثوب يناسب عنفوانها وروحها
المتمردة وعيونها النارية النظرات حتى وجده أخيرا
... وأخذ يتخيلها وهى ترتديه ... لكن الحقيقة ..
كانت أروع آلاف المرات .. فعندما رآها وهى تتعلق

بيد ابيها وهى تخطر به فى ليلة زفافهما ... لا يعلم
لماذا زاد وجيب قلبه .. وشعر بشئ غريب يتسلل إلى
روحه .. شئ لم يستطع ان يجد له تفسيراً...وكأن يد
رحيمة كانت تهدد فؤاده وتواسى روحه القلقة..
وتبعث أملاً... ظن منذ زمن .. أنه ولى بلا رجعة...
أقرب من الثوب يتحسسه.. ويمرر أصابعه على
مخمله..يغبطه بل يمقته.. لأنه لامسها.. كان قريب
منها دونه.. قماشه الحريرى كان يحنو على بشرتها
العاجية وهو مطرود من فردوسها ولا امل فى مغفرة
تعيده ... أحتضن الثوب بين ذراعيه متخيلاً انها
لازالت ترتديه.. فتسربت رائحة جسدها المعطر
لأنفاسه جعلته يثمل بغير شراب..
يا الله.. هتف متضرعاً وهو يعيد الثوب
لمشجبه...وهو يعترف الف الف اعتراف ...انه بحق
يعشقها ..

وسيفعل اى شئ .. اى كان .. حتى يستعيدها مرة
اخرى لأحضانه وساعتها .. لن يدعها تبتعد ابدا مهما
حدث..

تمدد على فراشه يتطلع لسقف الغرفة متنهداً فى يأس
وأغمض عينيه يتذكر محياها ...

لا يعرف متى غفل وزار النوم جفونه مترفقا مشفقا ..
كل ما تذكره .. انه رآها هناك تدعوه لفردوسها .. وكلما
اقترب يرتشف من نبعه الرقراق .. يكتشف انه سراب ..
و فجأة انتفض مذعورا يتلفت حوله .. مسح وجهه
بكفيه يدعو نفسه لطرد النعاس .. عندما انطلقت
الزغاريد من جديد فى أنحاء السرائى جعلته يستيقظ
كلما .. فنهض فى ثاقل متوجها لخارج الغرفة ينظر
لأعلى الدرج ليجد النسوة مجتمعات لتجهيز إفطار
العروس والذهاب به لبيت زوجها .. ابتسم فى حبور..

وهبط الدرج فى تؤدة .. يفرك رأسه .. ويلقى بجسده
على اول أريكة مقابلة لمجلس الحاجة فضيلة التى
ابتسمت له :- نوم العوافى يا حبيبى ..

رد مبتسما:- يعافيكى يا حاجة ويسلمك .. حضرتوا
فطور العرايس ..!!؟.. ويشير لتلك الصوانى التى تحملها
النساء ...أومأت الحاجة فضيلة فى فخر :- اومال ايه
..!!؟.. فطور ملوكى يليج ببت الحاج مهران الهوارى ..
وأخوها زينة الشباب ..

انفجر عاصم ضاحكا :- ماالشى يا حاجة.. هنا وشفا
على اللى هايكله.. مطرح ما يسرى يمرى.. خلى
العرايس يتهنوا...

سألت الحاجة فضيلة وقد تغيرت ملامح وجهها:
- وانت يا عاصم .. ميتا تتهنى...!!؟...
لم يجب عاصم على سؤال امه الذى لا يعلم له جوابا ..
وانتفض مبتعدا تتبعه نظراتها المتحسرة حتى وصل

لباب السرائى ينادى سعيد الذى حضر فى لمح البصر
كعاداته...:-

امرك يا عاصم بيه ..

أمره مشددا:- تفوت على بيوت مشايخ الهوارية ..
بيت بيت وتبلغهم يتجمعوا كلهم عندى فى الاستراحة
.. اها لحجناهم جبل ما حد يجول عندى مُصلحة ولا
حاجة .. جلهم ضرورى وأوعى حد ميچيش ..
وأخريت تفوت عليه بيت عمى غسان .. تأكد على
سليم انه ياچى مهما كان وراه .. حاكم انا
عارفة.. وجوله الموضوع يخصه .. ومينفعش ميبجاش
موچود.. تمام...!!!

يا الله هم عشان تلحج..

اندفع سعيد منفذاً الأمر بسرعة البرق وعاد عاصم
لداخل السرائى .. يجلس على مائدة الافطار التى
أعدوها للتو..



عبيير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com

-لساتك عايز تفتح الموضوع بتاع واد عمك مع الهوارية .!؟.

- واه .. ده حج يا حاجة ..

-ربنا يچيب العواجب سليمة .. رددت فى همس .. ولم يعقب هو .. بل تناول إفطاره فى عجاله يتجنب النظر لعينى امه التى كانت تحاصره تثبر أغوار نفسه .. وما ان انتهى .. حتى نهض فى عجالة يعتلى الدرج وهو يقول لها مؤكدا :- خليكى جاهزة يا حاجة على المغرب كده عشان نروح ننجط سهام ونباركولها.. فهزت هى رأسها موافقة ولم تزد حرفا..

رسوى جواهر

الفصل الثامن عش

استيقظت ندى باكرا على غير عاداتها ولم تشعر برغبة
فى العودة للنوم من جديد.. فخرجت للحديقة
المحيطة بدار عمها تستنشق نسمات الصباح البكر
المحملة بالهواء النقى ..والذى ملأت به رئتيها في
سعادة .. تمشيت قليلا .. لتفاجأ به يجلس فى أريحية
على احد المقاعد الجانبية أسفل احدى أشجار المانجو
الوارفة ونظارته الطبية تصنع اطارا قيما للوحة عينيه
العميقة بلون العسل المذاب .. رفع تلك العيون لها
الان فجفلت للحظات .. ثم ابتسمت :

- صباح الخير ..دكتور نبيل.

ابتسم ببشاشة معتادة :

- صباح النور .. مكنتش أتوقع انك من اللى بيحبوا
يصحوا بدرى ...!!؟..

ابتسمت بإحراج :

- بصراحة .. انا فعلا مباحش الصحيان بدرى .. بس
الجو هنا يرغمك انك متفوتش الصبح الرائع ده
ومتستمتعش بيه ..

-عجبتك بلدنا...؟!.. سأل فى مرح ..
اجابت عاقدة ما بين حاجبيها :- على فكرة .. دى
بلدى انا كمان ..

ابتسم مبتهجا لإجابتها :- انتِ صح ..
ابتسمت فى خجل ولم تعقب .. فأستطرد هو فى
تساؤل وهو يرى من على بعد خيال زهرة وهى تتوجه
للجانب الاخر من الحديقة ويتبعها عمه بعدها
بلحظات...:- عجيبة .. ؟!!..

تعقبت نظراته حتى انتبهت لخيال زهرة ووجهتها
لتسأله :
- ايه هو اللى عجيب ... ؟!!..

شرد قليلا وكأنما يفكر بكلماته :- انتِ وزهرة أختين ..
لكنكم مختلفين فى كل حاجة تقريبا .. انتوا حتى مش
شبه بعض..

امتعضت وكأنما شعرت ان الحوار ينحى بإتجاه هى
تعلم انه لن يرضيها لكن مع ذلك فضولها دفعها لتسأل:
- قصدك ايه!؟.. مش شرط كل الأخوات يكونوا شبه
بعض فى الملامح .. ولا حتى فى الطباع ..
هز رأسه متفهما :

- صحيح .. لكن على الأقل .. الأساسيات اللى أتربوا
عليها واحدة .. القواعد .. النظرة للأمور عادة واحدة ..
و ده بصراحة مش شايفه معاكم
احتدت الان وهى تقول :

- لو قصدك تقول على طريقة اللبس وأسلوب التعامل
.. فدى حاجة شخصية .. و

قاطعها هو فى هدوء :

- مقصدتش ابدأ المقارنة على فكرة .. وانا يمكن وضحت فى موقف سابق .. ان دى حرية .. انا بس بسأل يا ترى .. ايه السبب فى الاختلاف ده ...!!! مش اكثر ..

لم تكن لتستطع ابدأ ان تعترف ان سبب هذا الاختلاف هو امها التى كانت تدفعها دفعا للتحرر والإنغماس فى مجتمع الشباب .. ولم تكن تكثر لزهرة او توجهاتها .. التى دفعتها لإرتداء الحجاب والإحتشام الذى لاقى من أبيهما فرحة غامرة .. لطالما كانت زهرة .. هى حبيبة ابيها والمفضلة عنده .. وهى كانت حبيبة امها والمفضلة لديها .. مما جعل البيت دوما فى حالة انقسام لفريقين .. وجعلها مسيرة فى صف امها .. ومتبعة لتعليماتها .. والتى كانت تحاول بشتى الطرق ان تبعدا عن أفكار زهرة و تأثيرها على حياتها

شعر نبيل بحيرتها وشرودها .. فاشفق عليها من تلك
الدوامة التي شعر انه السبب في زجها بداخلها ..
فقال بمرح يجتذبها للحديث من جديد :

- يا الله زمانهم حضروا الفطار .. وبصراحة انا جعان
جداااا..

ابتسمت وقد شعرت انه يغير دفة الحديث لإرضاءها
فأومأت في رضا .. وتبعته لداخل الدار ..

ربت عاصم على كتف زكريا في محبة وهو داخل غرفة
الاستراحة على اطراف إسطبلات الخيل هامسا في ثقة:
- خليك هنا .. وأول ما انده لك تاچى .. جبل كده ما
تظهرش تمام ...؟؟!..

أوماً زكريا موافقا .. وقد غابت عن وجهه ملامح الحياة
خوفا فربت عاصم على كتفه من جديد مطمئنا :

- متخافش .. كل حاجة هاتبجى تمام .. ولو حُصل ايه .. مش هيجوموا من هنا الا وهم معترفين بيك .. وبإناك هوارى .. وبن هوارى وحجك فى ورث عمى هتاخده بمزاچهم او غصب عنيهم .

ابتسم زكريا فى امتنان لعاصم وهذا الأخير يندفع خارجاً لمكان التجمع .. الذى بدأ يحتشد بالهوارية .. وقد ارتفعت اصواتهم متسائلين عن سبب تجمعهم بهذه الطريقة المريبة والعاجلة .. وقد تعطلت مشاغلهم ومصالحهم ..

هلّ عليهم عاصم .. فالتزم الجميع الصمت والذى قطعه عاصم ملقيا التحية وهو يتخذ مكانه فى صدر المجلس يجول بناظره فى الجمع المحتشد يتأكد من حضور الجميع وخاصة سليم الذى لمحّه يجلس على اليمين فى الزاوية البعيدة تبدو عليه الحيرة والحنق فى آن واحد ...

سأل عاصم فى صوت جهورى:- انتم عارفينى.. عمري
ما كلت حج حد .. وعمر ما كان ليا عند حد حج
وسبته ..وعمر ما فى صاحب حج .. لچأ ليا ورديته..
صوح !!؟..

هتف الجميع بصوت واحد :

- صوح

فأستطرد هو فى ثقة :

- ولما يبجى صاحب الحج ده .. اجرّب ما ليا .. ينفع
اسيبه من غير ما اخد له حجه..!!؟..

هتف الجمع من جديد :

- لاه طبعا.. ليضيف احدهم .. بس ايه الحكاية فهمنا
...أيه الفوزير دى كلها يا گبير!!؟...

دفع عاصم يده فى جيب جلبابه مخرجا بعض الأوراق
دافعا بها لأول الأشخاص من على يمينه طالبا منه
مطالعتها وتمريرها للجميع والذي بدأ الفضول يلعب

بوقارهم لينهض كل منهم دافعا بعينه للأوراق قبل
ان تصل ليديه فيطالعها بنفسه وابتدأت الشهقات
تعلو .. مع كل يد تمرر الأوراق لليد الاخرى .. وتعلو
وتيرة الفضول .. وعاصم يجلس فى ثقة .. متكئاً على
عصاه الأبنوسية فى صبر ينتظر ان تعود الأوراق ليده
من جديد بعد ان تتم دورتها ..
ليقاطعهم هاتفاً :

- الاوراج دى صور .. مش الاصل طبعاً .. الأصل انى
محتفظ بيه .. ومش هخرجه الا للمحامى لو متحلتش
ودى بناتنا ودلوجت وفى الجاعدة دى ..
كان دور سليم ليشهق وتجحظ عيناه عندما وقعت
على ما تحتويه الأوراق فيصرخ مكذباً :
- لاه .. ده كذب .. كله كذب .. أبوى الله يرحمه
مكلوش واد غيرى ..

كان يتوقع عاصم تلك الثورة التى يشهدها من سليم :
- اهدا يا سليم .. وكل حاجة هنحلها بالعجل ..

صرخ سليم مندفعاً بتهور فى إتجاه عاصم :- عجل
ايه!!؟.. انت خليت فيها عجل يا واد مهران ..

انتفض عاصم من مجلسه فى غضب هادر ممسكاً
بتلابيب سليم يرفعه بيد واحدة ملصقاً ظهره بأحدى
الأشجار رافعاً إياه عن الأرض وهو يكلمه من بين
أسنانه:

- اسمه الحاج مهران يا عويل ..

واللى لِسَّه حسه بالدنيا .. تاج راسك ورأس الهوارية
كلاتهم ..

كان سليم الان يشبه الفأر الذى سقط بالمصيدة معلقاً
لا يستطيع فكاًكاً .. مما دفع احد المجتمعين للربت
على كتف عاصم مهدئاً .. :

- ميجصدش يا عاصم .. معذور يا واد عمى .. اللى شافه فى الورج مش هين برضك.. نزل واد عمك يا عاصم .. وخلونا نهذا ونفكر .. كيف نحلها الحكاية المغفلجة دى .. ومين هو زكريا ده .. ووينه من الأساس !!؟

ترك عاصم سليم ليسقط على قدميه ساعلا فى قوة يلتقط انفاسه بصعوبة رافعا رأسه ينظر فى حقد وغل لعاصم .. و الذى هتف بصوت جهورى ينادى على زكريا

ليظهر الأخير مقتربا من الجمع .. الذى هتف كل من فيه غير مصدق فى صدمة :
- زرزور!!؟..

ليستقيم سليم ليكون واحد من الذين أخذتهم الصدمة للحظات .. ثم ينفجر ضاحكا بشكل هستيرى اقرب للمجدوبين وهو يهتف فى عاصم :

- واه يا واد عمى .. فكرة مليحة برضك ..وزرزور
اخرس وميجدرش ينطج ويجول الحجيحة انك انت
الى كاريه عشان يمثل الحدوتة الخايبة دى الى
ميصدجهاش عيل صغير ..

هنا فاض الكيل بعاصم الذى جذب سلاحه من جيب
جلبابه وهو يهتف بثورة هادرة:- كلمة واحدة زيادة يا
سليم وبعدها .. لا انت واد عمى .. ولا اعرفك .. ولا
ليك عندى دية ..

اندفع احدهم مهدئا عاصم مبعدا يده التى تحمل
السلاح عن اتجاه واد عمه
ليهتف عاصم وهو يحاول ان يتمسك بالهدوء لآخر
رمق:

- زرزور هو زكريا الى عندكم فى الاوراج ..
و ده بشهادة الحاج مهران والحاجة فضيلة .. الى
شهدوا الحكاية من زمن والى أنكرها طبعا عمى غسان

الله یرحمه .. واللی هدد ام زکریا بالجتل هی وولدها لو
مخدتوش وغارت بیه من البلد .. واللی طبعاً
استجارت بالحاج مهران عشان یحمی ولدها .. وسابته
فی رعایتہ .. وهربت من الخوف .. والاوراج دی کلها
اللی معاکوا انا عرضت الأصل علی المحامی اللی أكد
انها سلیمة .. و ان زکریا یبجی واد عمی غسان الله
یرحمه وأخو سلیم .. وله حجوج لازماً تترد له ..

هتف سلیم فی غضب هادر :- اللی هیجرب علی شبر
واحد من ارضی هجطع رجله .. ومحدث لیه عندی
حاجة ..

تنهد عاصم فی نفاذ صبر موجهاً حدیثه لسلیم :
- برضاک .. او غصبا عنیک زکریا هیأخذ حجه .. وانا
کمان لیه منی دار .. یعیش فیها هو وأمه معزز مکرم
واحد من الهواریه .. حد عندیہ کلمة خلاف اللی
جلتها .. ونظر عاصم فی وجوه الجمع المحتشد فی

فوضى الان .. ما بين واقف .. وجالس .. ومذهول ..
ولامبال... ولم ينطق احد بحرف واحد .. الا سليم
بالطبع الذى اندفع مبتعدا عن طريق عاصم مغادراً
الاستراحة بأكملها وهو يهتف فى ثورة :- دى كانت
اخر جشة فى كومك الكبير يا عاصم وبكرة تشوف مين
سليم الهوارى ..

لم يعر عاصم اى انتباه لتهديدات سليم الجوفاء
وصرف ذهنه للهوارية .. الذين حسهم على الترحيب
بذكرى كفرد جديد بينهم .. لا يجرؤ احدهم على
معاداته او عدم الاعتراف به .. وهو فى حماية ...
الغول .. عاصم مهران الهوارى

نظر ناجى التهامى لإبنته التى تجلس الآن فى احد
اطراف الحديقة تفكر بعمق حتى انها لم تنتبه لإقترابه

من مجلسها . كم يشعر بالاشفاق عليها .. فلقد ظلمت كثيرا . .. ولا زال الظلم قائما .. فبقاءها مع عاصم الهواري يعد اكبر ظلم ارتكبه في حقها .. كان عليه تحمل تبعات افعاله القديمة بدل من ان يتركها تدفع هي ثمنها كاملاً ..

انه يشعر بالخزي والعار يكلله .. وقد اتخذ قراره وحزم أمره فلن يعود هذه المرة بدونها .. لن يتركها مع ذاك الرجل .. حتى ولو كان الثمن حياته ..

تنهد في عمق وهو يجلس بالمقعد المجاور لها فتنبهت له اخيراً .. لكنها أعرضت عنه بنظراتها .. فهذه المرة هي مختلفة .. ليست هي زهرة التي دوماً ما تقابله بإبتسامتها البشوش التي لا تفارق شفيتها .. مد كفه لذقنها يرغمها في محبة ان تنظر اليه :- في ايه يا زهرة .. اول مرة تخبي عيونك عني ...؟! ..

طفقت من عيونها الدموع وهى تقول بصوت
متحشرج :

- ليه خبيت عنى !!

طول عمرى كنت حاسة انها مش امى .. الكل يبقى
عارف هنا حتى الغريب .. وانا اخر من يعلم .. مكنتش
أتوقع منك كده يا بابا ..

تنحنح فى تأثر محرج ومصدوم فى آن واحد :- فى
ظروف كتير يا زهرة كانت بترغمنى انى اخبى الحقيقة
دى لكن اللى عايزك تعرفيه .. انك الحاجة الجميلة
اللى سابتها لى امك .. اللى كانت وما زالت حب حياتى
..واللى مقدرتش اعوضها .. واللى بشوف فيكى صورة
منها ..

دمعت عيناه .. فرق قلبها ولم تعلق ليستطرد هو :
- انا وامك ضحية عقول متحجرة.. وتقاليد عقيمة ..
وعادات ملهاش اصل .. لا فى دين ولا سنة .. اتقدمت

لأهلها .. ٣ مرات .. وفى كل مرة اترفض واطرد ..
وهى تقع من طولها مريضة بالشهور .. كُنّا بنموت ..
انا وهى .. وروحنا متعلقة ببعض ومحدث حاسس بينا
.. واخيرا قررنا الهرب .. واننا نرمى كل البلد دى باللى
فيها ورا ضهرنا.. كَأنا عمرنا ما عشنا فيها .. ولا عمرنا
هانرجعها تانى .. وهربنا واتجوزنا... وعشنا اروع سنين
حياتنا .. قعدنا سبع سنين ربنا مرزقناش فيهم بأولاد
.. كانت هى بتبكى .. وتفتكر ده عقاب ربنا لينا عشان
عصينا اهلينا .. مكنتش تعرف ان ده رحمة من ربنا ..
لحد ما ربنا كرمنا بيكى ..

لكن .. صمت متأثرا يزدرد ريقه .. ملحقتش تتهنى
بوجودك فى حياتنا .. وراحت و سابت لى نسخة تانية
منها ... انتِ .. مكنتش اعرف .. لا انا ولا هى .. ان
هروبنا بحبنا .. واللى معرفش كان صح ولا غلطة .. بنتنا
الى هاتدفع تمنه .. بعد كده بسنين طويلة ...

وان البلد اللى كنت فاكر انا وهى يوم ما هربنا ان
عمرنا ما هنخطيها جذورنا متبته فى ارضها و رجعنا
لها مغصوبين ..زى ما فتنها مغصوبين ...تنهد .. ثم
قال فى نبرة هادئة تحمل نبرات عزم .. اعملى حسابك
.. انتِ هاترجعى معايا على بيتى النهاردة وموضوعك
مع عاصم الهوارى ده خلاص انتهى .. وأعلى ما فى
خيله يركبه.. سامحينى يا زهرة

انى سبتك ومدافعتش عنك بالقدر اللى تستحقه ..
اندفعت تبرر له محاولة ان تقلل من شعوره بالذنب
والذى شعرت به يمزقه :

- متقلش كده يا بابا .. انا اللى اخترت .. وانا اللى
وافقت على جوازى منه .. وانا اللى اصريت ومحدث
كان ليه ذنب فى حاجة .. وانا مش ندمانة على
التجربة دى ..وبالنسبة لرجوعى معاك .. متهى لى انا
فعلا محتاجة ابعد شوية ..

-خلاص جهزى نفسك .. وباذن الله نكون كلنا سوا فى بيتنا النهاردة ..

أومأت برأسها ايجابا .. وعلى الرغم من ان عقلها كان موافق على كل كلمة نطقها وخاصة على قرارها الاخير بالابتعاد حتى تستجمع شتات نفسها وتعيد ترتيب مشاعرها المبعثرة

لكنها شعرت بإنقباض شديد بقلبها .. وكأن يدا باردة تعتصره فى قسوة .. اما الم روحها .. فكان قصة اخرى من العذاب لم تسطع ان تجد لها تفسيراً ..

ارتفعت الزغاريد بدخول الحاجة فضيلة بيت التهامية .. والذى اصبح منذ اليوم بيت ابنتها سهام .. وفى أعقابها دخل عاصم الهوارى .. والكثير من الهدايا المحمولة للعروسين

اندفع حسام هابطاً الدرج .. مرحباً بأهل عروسه ..
داعياً الحاجة فضيلة وبنات عمه زهرة وندى .. لمباركة
العروس بغرفتها بالطابق العلوى ..

بينما احتضن عاصم حسام مباركاً وعيونه معلقة لا
أرادياً بزهرة التى تتجه لأعلى الدرج ولا تعيره اهتماما
حتى انه لاحظ أن ملامح ابيها لا تحمل بشاشتها
المعهودة وهو يتجنب النظر اليه او حتى المشاركة
فى الحديث الدائر..

اخرج عاصم رزمة من الأوراق المالية وضعها فى كف
حسام هاتفاً وهو ينهض يهم بالرحيل :
- نجوط العرايس .. وألف مبروك..

هتف حسام فى امتنان :

- بس ده كتير يا عاصم ..

ابتسم عاصم فى حبور :- مفيش حاجة تغلى عليكم ..
المهم تحط سهام فى عينك .. وتخلي بالك منيها ..

ابتسم حسام :- طبعا .. دى فى عنايا .

هتف عاصم للجميع وهو يهم بالمغادرة:- طب
أستاذنكم أنا..

هتف كل من نبيل وحسام والحاج قدرى:- لساتك ما
جعدت ولا خدت واچبك .. و دى تيجى..

ابتسم عاصم :- معلىش .. مرة تانية .. ثم توجه للدكتور
ناجى هاتفاً :- عايزك فى كلمتين يا داکتور ناجى ..

نهض الدكتور ناجى فى ثقاقل وخرجا سويا للحديقة
المحيطة بالدار وجلسا فى المقاعد المتطرفة بأخرها ..

كل منهما صامت ينتظر المبادرة من شريكه حتى
تنحى عاصم مستهلاً حديثه قائلاً :

- أنا عارف يا داکتور ناجى ان العلاقة بناتنا بدأت
بداية غلط .. بداية كلها انتجام وكره جديم .. وعارف

انك مش طايجنى بسبب الموضوع ده .. لكن احنا
بجينا نسايب خلاص و ده يأكد ان الموضوع الجديم

راح لحاله .. وخصوصى.. ان زهرة فى الاول والاخر ..
بت خالتى فاطنة الله يرحمها .. واللى حضرتك تعرف
زين غلاوتها عند أمى الحاجة فضيلة
تكلم الدكتور ناجى اخيرا بلهجة
معاتبه :- كنت هتوفر علينا كثير يا عاصم .. لو خلتنى
أقابل الحاجة يوم كتب الكتاب..
اوماً عاصم برأسه مجيبا :- يمكن يا دكتور يكون عندك
حج وحاجات كثير كانت اتغيرت ساعتها ... ويمكن كنا
اتمسكنا بكتب الكتاب اكر .. لأن الحاجة ما كانت
هتصدج ان بت اختها رجعت لحضنها..
قاطعها الدكتور ناجى منفعل:- اه بس لو كانت الحاجة
عرفت من اول يوم على الاقل كانت معاملتك ليها
كانت هاتبقى افضل .. انا زهرة مقلتش اى حاجة .. ولا
رضيت تذكر تفاصيل .. بس انا حاسس بالألم النفسى
الى هيا عيشاه .. واللى انت سبب فيه .. وللأسف انا

كمان سببه لأنى ممنعتكش ووقفت فى وشك
وحميتها منك.. وكمان معرفتها ان نصها هوارى خلاها
تربط ده بالمعاملة الكويسة اللى لقتها بعد اكتشافكم
انها منكم .. ده خلاها حاسة انها ملهاش قيمة عند حد
لنفسها .. لكونها زهرة وبس ..

أوماً عاصم برأسه متفههما فقد سمع منها ذلك فى اخر
حوار بينهما ذاك الحوار الذى فارقتة بعده.. :- عندك
حج يا دكتور .. عشان كده .. انا چاى النهاردة ..
وبتجدم لك من جديد .. واطلب يدها ..

بهت الدكتور ناجى لهذا العرض المفاجئ .. والذى لم
يتوقعه ابدا من شخصية مثل عاصم .. ونظر بتعجب
لتلك اليد الممدودة اليه .. لا يعرف هل يقبلها ام
يرفضها!؟..

نظر لعاصم الذى ولدهشته كانت ملامح وجهه الان
تحمل ابتسامة هادئة ورغبة قوية فى السلام تنتظر
من يجيبها

مد الدكتور ناجى كفه مترددا وهو يقول :- مقدرش
أديك ردى .. لازم اسألها الاول .. هل هى لديها رغبة فى
الاستمرار او الرجوع معايا .. وكمان عايز اضمن انها
فعلا هاتبقى مرتاحة معاك .. قال كلماته الاخيرة .. وقد
اصبحت كفه بالفعل بكف عاصم .. الذى تشبث بها
فى راحة وهو يقول فى نبرة صادقة وصلت لقلب
الدكتور ناجى فأنصت باهتمام :- صدجنى يا داکتور
.. لو هى اختارت تجعد وبخطرها مش غصب عنها
هشيلها على كفوف الراحة .. مش عشان هى بت
خالتى .. لااه .. عشان هى زهرة .. زهرة وبس .. زهرة
بت الداكتور ناچى التهامى ..

وصمت ولسان حاله يقول .. زهرة .. التى خطفت
انظارى بعفويتها .. وأسرت روحى .. واعتلت عرش
قلبى الذى لم ينبض لامرأة قبلها ولن يكون لأخرى
سواها ..

ابتسم الدكتور ناجى فى سعادة وقد شعر ان احساس
فظيع بالذنب قد انزاح من على كاهله وهو يجيب :-
خلاص يا عاصم .. الموضوع دلوقت فى ايدها هى ..
هسألها .. واكيد هاتعرف القرار منها ..

نهض عاصم فى سعادة غامرة وهو يشكر الدكتور ناجى
.. ويرحل فى انتظار الرد الذى يتوقف عليه حياة قلبه ..
خرج منتشيا من دار التهامية لديه احساس عميق بأنها
لا زالت ورغم كل ما كان .. ترغب البقاء بقربه ..
وتريده كما يريد لها .. سار الهوينى يمنى نفسه بعودتها
وبقرب وصالهما الذى انتظره طويلا

كانت ضحكات النساء تتعالى فى غرفة العروس ..
التي كانت سعادتها تقفز من عينيها .. تتلقى التهاني
وهدايا الزفاف من زهرة وندى .. والحاجة فضيلة التي
شعرت بفرحة غامرة وهى ترى تلك السعادة التي تكسو
ابنتها من رأسها حتى اخمص قدميها
وبرغم محاولة زهرة الاندماج مع ضحكاتهم ومزاحهم ..
الا انها لم تنسى تلك النظرة الجانبية التي شملها بها
عاصم وهى فى طريقها لإعتلاء الدرج .. لقد اشتعلت
عندما شعرت بنظرته عليها والتي لاحظتها بطريقة
خفية .. نعم هى علمت بانه كان مظلوم فى اتهامها له
.. وانه اخفى عنها سر امها بناء على طلب من ابيها
وقد احترم عاصم تلك الرغبة ..
لكن هذا لا ينفى عنه .. انه لم يحبها قط لشخصها ..
بل اعتبرها دوما ابنة غريمه .. او ابنة خالته .. لم

يجردها من هاتين الصفتين ابدا .. لم يعاملها ابدا ..
كزهرة .. لم يخبرها قط انه يحبها انه يريد لها .. انه
يتمنى بقاءها .. وحتى عندما أخبرته بذهابها لأبيها..
لم يتمسك بها ..

انها الان ايقنت انها اتخذت القرار المناسب بالسفر
مع ابيها مبتعدة عنه وعن كل الألم وعن كل التخبط
فى مشاعرها والذى عاشته بقربه ..

خرجت للنافذة متسللة بعيداً عن تجمع النساء
الضحك وطلبت رقمه بأصابع مرتعشة .. رد على
الهاتف فى لهفة حاول ان لا تظهر على نبرات صوته
وأمر زكريا بالتوقف بالعربة حتى يستطيع سماعها :
- كيفك يا زهرة !!؟

ردت فى نبرة مرتعشة حاولت ان تغلفها بالثبات :
- الحمد لله كويسة يا عاصم ..

-طيب الحمد لله .. اجاب .. يا رب على طول بخير ..
اجابت فى تعجل حتى لا تتردد فى الإفصاح عن رغبتها
:-عاصم .. بعد إذنك .. انا هسافر مع بابا ..
صمت غلفه للحظات وبرودة قاسية كست قلبه..
وأجاب بنبرة باردة قدر استطاعته :- هو ده اللى انتى
عوزاه!!

-ايوه .. اجابت بصوت مرتعش
-والداكتور ناچى .. عرف بالكلام ده؟! .. سأل مستفسراً
-اه .. عارف طبعا ..

صمت قاتل شملهما من جديد حتى اجاب اخيرا فى
نبرة ثلجية :- اعملى اللى يريحك يا بت الناس ..
واغلق الهاتف وكاد يلقي به جانبا فى ضيق لكنه وضعه
فى جيب جلبابه وهو يزفر فى غضب عارم لا يعرف له
حد .. عاد زكريا للعربة التى غادرها عندما استلم

عاصم مكالماتها التليفونية لكن عاصم لم يمهلها ليصرخ
به :

- انزل يا زكريا .. واستنى الحاجة رجعها على السرايا ..
أطاع زكريا وترك العربى على الفور لينطلق عاصم
وصهيل الأحصنة وهياجها وصل عنان السماء معبرا عن
ذاك الغضب المستعر بداخله حد الجحيم .. انها لا
تريده .. لا ترغب بقربه .. لا تتمنى البقاء .. تريد
الرحيل مبتعدة ..

-ترووووح...بس تسبب جلبى.. صرخ بقوة ..وهو يلهب
الأحصنة بسوطه ..

-تبعدبس تسبب روحى .. صرخ من
جديد..لتصهل الأحصنة وتصبح اكثر اندفاعاً وسرعة ..
ظلت الأحصنة على سرعتها حتى ألقى أخيراً بجسده
على أريكة العربى تاركاً الجوادان يسيران وفقاً
لرغبتها.. يلتقط انفاسه فى تلاحق ..

بدأت سرعة الاحصنة تهدأ... تسير الهوينى لا تلوى
على شئ ..حتى توقفت ..

شعر هو بحركة ما بالقرب من صف الأشجار يساره..
ليتنبه مخرجاً سلاحه النارى ويقفز فى سرعة مختبأً
خلف عربته .. لتنطلق اولى الرصاصات بإتجاهه..ليبدأ
هو فى تبادل إطلاق النار مع ذاك المجهول الذى يغير
مكان إطلاقه للنار فى كل مرة .. وفجأة .. دوى ذاك
الطلق النارى الذى جعل احد الفرسين يجفل .. ليرفع
قوائمه الأمامية فى ذعر وتنطلق العربى مبتعدة لتترك
عاصم بلا غطاء يحتوى خلفه .. ليندفع بأقصى سرعة
محاولا الإختباء خلف احدى الأشجار الضخمة على
الجهة المقابلة .. لكن للأسف كان الرامى المتربص هو
الأسرع .. ليسقط عاصم وقد اصابته احدى رصاصته
التى كان يطره بها وما ان عم الهدوء المكان .. وتأكد

ذاك المجهول من إصابة عاصم حتى اندفع حيث
سقط عاصم مخرج بدمائه ينحن يفتش عن شئ ما
بطيات جلبابه .. فلا يجده .. فيندفع متوارياً عن
الأنظار فى سرعة ..

رن هاتف زهرة ولم تعره اهتماماً تحاول الإندماج مع
النسوة بعد ان حدثت عاصم .. لقد أعلمته بما تريده
وهو لم يعترض على الرغم من شعورها بعدم رضاه من
نبرات صوته .. لكنها ستنفذ ما ترى فيه راحتها
وسترحل بعيداً ..

اذن لما هى ليست سعيدة ..؟؟! .. او على الاقل لا تشعر
بتلك الراحة التى كان من المفترض ان تشعر بها ..؟! ..
حقاً لا تعلم .. لكن هى ترى ان الابتعاد هو الأفضل فى
تلك اللحظة للجميع ..

استمر الرنين ليطالعها اسم عاصم .. فتنتفض مبتعدة
للشرفة من جديد لتجيب :

- نعم يا عاصم ..؟!

لكن على الطرف الاخر لا تسمع الا صوت مبحوح .. لا
تستطيع ان تستوضح منه ما يقول .. يا ترى ماذا
هناك!!..

ولما هاتف عاصم فى يد غريبة تعبت به ..؟!..

دخلت فى هدوء مصطنع تنسحب خارج الغرفة حتى لا
تشعر احد من النساء بقلقها ثم تندفع فجأة تكاد تسقط
من على الدرج وتقتحم مجلس الرجال صارخة :

- عاصم جراه حاجة .. فى حد على تليفونه .. ومش
فاهمة منه ولا كلمة ..

اختطف حسام الهاتف من يدها وهو يهتف فيه
صارخاً:

- انت مين ..؟!.. مين ..؟!.. زرزور ..؟!.. زرزور كيف



.. هو انت بتتكلم من ميتا ..؟!.. عاصم ماله .. ايه ..
طيب انا چاى حلاً ..

كان الجميع يترقب كلمات حسام التى كانت تشبه
الألغاز فاغرين فاهم غير قادرين على استيعاب ما
يحدث ..

وأخيراً .. صرخ حسام :

- عاصم مضروب بالنار فى اخر البلد ..

لم تكن صرخة زهرة وحدها التى انطلقت.. بل صرخة
سهام التى كانت تساعد امها على نزول الدرج
استعداداً للرحيل... وصراخ الحاجة فضيلة لوعة على
ولدها ..

ارتبك الرجال جراء الصراخ المتواصل المحيط بهم من
النساء .. واخيرا هتف حسام :- يا الاله بينا نلحجه ..
وهتف فى نبيل .. خليك انت يا نبيل .. هنكلمك
تجيب الحريم على المستشفى .. الا ان زهرة صرخت:

- لا .. مش هستنى انا هاجى معاكم حالا
لم يعترض حسام وهو يرى لوعتها .. واندفعوا جميعا
للسيارات تقلهم حيث عاصم .. ي صارع الموت ..

كان زكريا يمسك بكف عاصم الغارق بالدماء هامساً فى
صوت متقطع كطفل ينطق أحرفه الاولى وعيونه تغرقها
الدموع :

- ها تبجى كويس .. وتجوم بالسلامة يا واد عمى ..
ربت عاصم على خده بحنان :

- واه يا زكريا .. قال لاهثا..واعتكلم كمان .. يا بحورك
الغريجة .. يا واد عمى !!..

ابتسم زكريا ابتسامة شجية مغتصبة ولم يجيب ليلهث
عاصم فى ألم :

-خلى بالك يا زكريا على امى وأختى .. دوول أمانة
فى رجبتك ..

تهته زكريا من جديد :

- متجلش كده .. هاتبجى بخير .. انا شفت اللى عملها.

سأل عاصم لاهثا :- مين ..؟!..

-أخوى ..سليم .. انا كنت بچرى وراك .. مسبتاكش زى ما جلتلى.. ووصلت لما بدا ضرب النار .. اداريت لحد ما شفت سليم بيقلب فى چيوبك على حاجة ملجهاش راح چارى وانا چيتك اتصل من على تليفونك .. ودوست معرفش فين .. ردت مرتك ..

لمعت عينا عاصم عند ذكرها .. فهى كانت اخر من رد عليها .. اخر من استمع لصوتها ..

لمعت فجأة اضواء السيارات المقتربة حتى توقفت جميعها فى ان واحد .. ليترجل منها الجميع مندفاعا لمكان الحادث..وكانت اولهم زهرة والتى تيبّست قدماها فجأة وهى تحاول الإسراع اليه .. سبقها الجميع

محيطين به حاجبين مرآه عن ناظريها... كان هو يجول
بنظره فى الوجوه المحيطة به تنظر اليه يبحث عن
وجهها بينهم لعله يكون اخر ما يطالع بدنياه.. لكنه لم
يجدها بين دائرة الوجوه التى تشرف عليه من علياء
وهو ممدد مخرج بدمائه فأشاح بوجهه جانبا .. كانت
قدمها تتحرك بصعوبة حتى وصلت اليه .. افسح لها
الجميع لتجثو على ركبتها تحتضن عاصم فى لوعة
بعد ان ترك لها زكريا موضعه .. ليتنبه لتلك الكف التى
تحتضن جانب وجهه بإرتعاشة لهفة .. فيفتح عينيه
بتثاقل وابتسامة فرحة شاحبة ترسم على شفثيه
.. عيونها غمرتها الدموع وهى تضع كفها على موضع
الجرح بصدرة لعلها توقف ذاك النزف المستمر كان
ينظر إليها الآن كأنما يراها بعد فراق دام طويلا .. يرى
تلك اللهفة بعينيها والتى تمنى رؤيتها يوماً والخوف
على فقدة مجسدا على ملامحها التى يعشقها ..

كانت تبكى بلوعة وحرقة لا تعرف ماذا تقول او تفعل
.. غير ان تبكى .. وتكرر اسمه بارتجافة وتضغط على
جرحه لعلها تمحيه .. همس اليها
وهو يحمل كفها من جانبه الأيمن المصاب .. ويضعه
على موضع قلبه وقد بدأ يتفصد العرق من جبينه :-
الچرح هنا يا زهرة اضغطى هنا .. وجفى الوجع اللى
چوه .. جبل ما تروحي .. او جبل ما اروح انا ..
همست فى لوعة شاهقة وهى تحتضن رأسه لصدرها :-
مش هروح مش هبعد.. هفضل جانبك .. بس قوم
بالسلامة عشان خاطرى ..
ابتسم لها فى وهن و هويفتح عيونه بصعوبة متطلعا
لعينيها هامسا وكأنه يهزى :- وااه لما روحك تفارجك
وانت لساك حى..روحك اللى كانت مرتك وبجت
حببتك وبعدها بت خالتك وبعدها واجفة فى صف
الدنيا عليك ..

ازداد نحيبها وهي تستمع لكلماته وتزيد من ضم رأسه
لصدرها تكاد تموت هلعاً لمجرد التفكير في غيابه عن
عالمها..

كان كل من الحاج قدرى والدكتور ناجى يقف مبتهلاً
الى الله فى لوعة حقيقية ..بينما صرخ حسام حانقا :-
الإسعاف اتأخرت ليه...!!...؟...

لحظات وكانت سرينه الإسعاف يدوى صوتها فى
المكان بجانب سيارات الشرطة التى أتت على ضوء
الحادث.

اندفعت زهرة بجواره داخل سيارة الإسعاف تبتهل الى
الله ان ينجيه .. وقد غاب الآن عن الوعى تماما ..

رضوى جادوى

الفصل التاسع عشر

رفعت كفها الى وجهها تلك الكف المضرجة بدمائه
التي جفت ... دماؤه الغالية .. ضمت أصابع كفها
تعتصرها وتحتضن تلك الكف لصدرها .. وهى تقف
امام غرفة العمليات الجراحية .. أجمعها الخوف بل
الفرع من مجرد فكرة فقدته حتى عن الدعاء والإبتهاال
الذى كان يرتج به صدرها غير قادر لسانها عن تكراره...
عينها زجاجية النظرة فقدت معنى الحياة .. ووجهها
ازداد شحوباً .. الكل ينظر اليها بشفقة وليس بيد
احدهم حيلة فى إعادتها لحالتها الطبيعية ..
وكيف يمكنهم ...؟!.. هى لن تعود الا بعودته ..
ستكون بخير عندما تعلم انه اصبح بخير .. ازداد دوار
رأسها فقد تبرعت بالكثير من الدماء لأجله.. هى ونبيل
بن عمها قدرى .. واللذان وافق زمرة دمهما زمرة دمه



.. لقد فقد الكثير من الدماء بالفعل .. ولولا بنيته
القوية لكان اصبح الامر خطراً .. هكذا أبلغهم الطبيب ..
متى سيخرجونه من تلك الغرفة الباردة التى ينقبض لها
صدرها وتجعله بعيدا عنها فى عالم اخر فاصل بين
الحياة والموت .. تنظر بعين فقدت دمعها كله دفعة
واحدة لتصبح جافة جوفاء بلا روح لأمه التى تكاد
تموت ذعراً عليه .. وعلى اخته العروس التى لم تهناً
بعد بزفافها ولوعتها على اخيها الوحيد .. وماذا عن
الحاج مهران .. وهو وحيدا الان !!؟.. هل اخبره
احدهم...؟!.. هل يقوم احدهم على خدمته ويسهر
على راحته...!!؟؟

كل عالمها توقف من حولها عندما لاح لها شبح
مغادرته هذا العالم .. اى عالم هذا بدون محياه...!!...
اى عالم يمكن ان تعيش فيه بدون غضبه وحلمه ...
حنانه وقسوته .. بدون حبه الذى يأسر روحها

ويعذبها .. نعم يعذبها ويؤرقها .. ويدنيها .. ويدميها ..
.. ويسعدّها ويشقيها.. انه حب

عجيب .. يفعل بها الافاعيل ولا حيلة لها بقلبها ..
جفلت عندما ربت ابوها على كتفها فى إشفاق هامساً
فى حنو :

- تعالى ارتاحى يا بنتى.. بإذن الله كله هايبقى تمام ..
قولى يا رب ..

همست من اعماق روحها :

- يااارب .. وطفقت الدموع لعينيتها من جديد وهى
التى ظنت ان ينابيعها جفت ..

واعتصرت كفها المضرجة بدمائه الى أحضانها اكثر ..
وأخيراً .. فُتح ذاك الباب .. ليندفع الجميع محيطاً

بالطبيب الذى ابتسم فى هدوء وهو يقول بثقة :

- الحمد لله .. هو بخير وهانقله لغرفة العناية
للملاحظة .. لولا الدم الى أتقل له كان هايبقى فى

مشكلة كبيرة .. بس ربنا سلم ..

تنهد الجميع وتنفسوا الصعداء... واخيرا ظهر على
سريره المدولب مدفوعا خارج غرفة العمليات شاحب
الوجه .. اندفع الجميع خلفه .. حتى تم ايقافهم خارج
غرفة العناية الفائقة .. التى نُقل اليها يتابعونه من
خلال زجاجها موصول بالأنابيب والخرائطيم الطبية
المعلقة بذراعيه و صدره العارى .. بلا حول له ولا
قوة..

الليل قد انتصف ولا طائل من البقاء بعد وضعه تحت
الملاحظة .. على الجميع الرحيل وغير مسموح الا
بمرافق واحد .. تطوع الجميع لشغل المنصب الا انها
هتفت فى حزم :

- انا مراته .. وأولى الناس بالوجود معاه ..



هتفت الحاجة فضيلة :

- لكن يا بنتى انت واجفة على رجلك من الصبح ..
والدم اللى خدوه منك .. لازما ترتاحى...

قالت زهرة فى وهن محاولة ابتلاع دموعها :- انا راحتى
معاه وكمان مينفعش تباتى بعيد عن عمى مهران
زمانه قلقان مش عايزينه يحس بحاجة .. ولا ايه ؟!!..

أومأت الحاجة فضيلة وهى تعلم ان زهرة على حق ..
ازعن الجميع لرغبتها وبدأوا فى الرحيل على
مجموعتين .. كان اخر من غادر .. ابوها .. الذى
احتضنها فى محبة واخذ يربت على ظهرها عندما
شعربنشيج بكائها .. واخيرا همس بالقرب من اذنها :-
انا كنت هرتكب غلطة كبيرة قووى لو كنت بعدتك عن
هنا .. بتحبيه .. اخفضت نظرات عينيها الدامعة خجلا
.. ليردف ابوها :- وهو كمان بيحبك .. رفعت رأسها

بصدمة لتصريح أبيها ليكمل مؤكداً بإماعة من رأسه
وهو ينظر لعمق عينيها الدامعة :- ايوه بيحبك للدرجة
الى تخليه ينزل عن عرش كبرياءه ويجى يطلب ايدك
منى .. تراجعت زهرة خطوة للخلف تغلفها الصدمة
فأستطرد:

- جه يطلب ايدك عشان يرضيك وميخلكيش تسافرى
معايا وقالى اخيرك .. ما بين وجودك معا .. او الرجوع
معايا .. وانا قتلته هكلمك وانت هتبلغيه بنفسك ..
وكنت مستنى الحاجة فضيلة تمشى عشان أبلغك ..
لكن كان الى حصل حصل .. شهقت وهى تضع كفها
على فمها غير مصدقة .. وهى تتذكر كيف كان يرد
عليها .. ويسألها .. هل ابوها يعلم برغبتها .. وهى
اجابته بنعم .. يا ألهى .. همست من بين شهقاتها ..
هو اعتقد ان بعد ما فعل .. لازالت هى تريد الرحيل
وكأن ما فعله ليعيد المياه لمجاريها مع والدها ..

وتخيرها .. لم يكن ذا نفع .. ولا يحمل بالنسبة لها اى تقدير ..

لم يكن يعلم ابيها ما يجول بخاطرها من أفكار .. وإنما كان يتوقع ان لوعتها ناتجة عن الخبر الذى لم تكن على علم به .. بجانب خوفها القائم بالفعل عليه .. لذا .. احتضن وجهها بين كفيه وطبع قبلة حانية على جبينها وقال مشجعا :- هيقوم بالسلامة بإذن الله .. انا اتأخرت على الناس اللى فى العربية تحت .. الصبح بدرى هكون عندك .. وكلمينى فى اى وقت لو احتجتى اى حاجة .. سلام يا حبيبتي .

واستدار مودعاً تاركاً إياها تدور فى دوامة من مشاعر... تحركت بخطوات متيبسة حتى وصلت لزجاج غرفة العناية والذى تطالع محياه الشاحب الان من خلاله .. تلتصق بالزجاج فى ترجى وكانما تتشبث

بأستار مقام صالح .. تدعو وتبتهل .. ان يفتح عينيه
ولو للحظات .. لحظات فقط .. لتخبره انها لن ترحل
ابدا .. لن ترحل حتى ولو طلب هو منها الرحيل
..وكيف لها ذلك ...؟؟!...

والرحيل عنه .. هو والموت سواء.. بل ربما أقصى ..
فكيف تغادر روحها .. لتحيا جسدا حى .. ميت.. بلا
روح ..

لا تعرف كم وقفت على هذا الوضع لكنها انتبهت
لصوت طبيب المناوبة الليلة يناديه ..:- انتِ
بخير...!!؟..

حولت عيناها عن محياه من خلف هذا الزجاج البارد
لتومئ بالإيجاب ..ابتسم الطبيب مشفقاً وهو يشير
لجسده عبر الزجاج :- جوزك ...؟؟!..
أومات من جديد .. والدموع بدأت تتجمع فى
مقلتيها..

همس الطبيب :

- تعالى .. انا هدخلك تظمنى عليه .. بس لثوانى ..
ابتسمت للمرة الاولى وهى تمسح دموعها التى
انحدرت بالفعل على خديها .. فتح الطبيب الباب
ودلفت هى للداخل خلفه فى وجل .. تقدمت فى بطء
تقترب من فراشه .. والطبيب يعاين تلك الأجهزة التى
تطن والموصولة بجسده.. وبلا إرادة منها وضعت كفها
فى كفه الممدودة أمامها مفتوحة .. وكأنما تدعوها
لذلك ...

وتهمس بصوت يرتجف لوعة باسمه :

- عاصم ..

ليتعجب الطبيب فجأة من تلك المؤشرات التى بدأت
تزداد على الجهاز الموصول بقلبه .. انتبه فجأة لفراش
المريض ليتعجب اكثر .. طلب الطبيب منها الابتعاد
قليلا .. أطاعت

بصعوبة .. لتعود معدلات ضربات قلبه لطبيعتها
تدريجياً ..

ليطلب الطبيب من جديد منها الإقتراب من عاصم
وهو يراقب المؤشرات الحيوية من جديد .. وما ان
وضعت زهرة كفها بكفه وهتفت بإسمه .. حتى ارتفعت
تلك المؤشرات .. ليبتسم الطبيب .. عندما همهم
عاصم بصوت متحشرج :- زهرة .. انتبهت لهمسه
بإسمها فقد كانت تعتقد انه استفاق ويناديهما فردت
بحماس :- انا هنا جنبك يا عاصم ..

ليحرك الطبيب رأسه مؤكداً إنه لم يستفق ويشير لها
بأن تسبقه بالخروج من الغرفة .. جذبت نفسها عنوة
مبتعدة .. ليغلق الباب فور خروجها .. لتتعلق عيناها
من جديد بجسده عبر الجدار الزجاجي .. ويقول
الطبيب بابتسامة مشاكسة :

- انتِ بقى زهرة .. اللى كان بيخترف بإسمها طول العملية!؟.. أومأت بخجل .. ليستكمل مازحا :
- واضح انه بيحبك قوى .. ومؤشراته كلها بتتغير بقربك .. على العموم هو كويس الحمد لله .. وبكرة بكتيره .. ممكن ننقله لأوضة عادية فى انتظار الإفاقة ..
حمدا لله على سلامته ..

قالها الطبيب بإبتسامة اخيرة وهو يغادر مدندنا بأغنية عن الحب وسنينه لتعاود عيناها التعلق من جديد ..
بصاحب الجسد المسجى خلف الجدار الزجاجى ..

انقسم الجمع على سيارتين .. سيارة يقودها حسام وابوه الحاج قدرى .. وبالخلف كانت سهام تنام باكية فى احضان امها التى لم يتوقف لسانها عن الدعاء ولو للحظة ..

والسيارة الأخرى يقودها نبيل ومعه عمه ناجى وابنته
ندى .. والتي زفرت فى تعب :- ايه اليوم الغريب ده
.. أوله فرحة وزغاريد .. وآخره ضرب نار .. بجد بلد
عجيبة..

قال نبيل فى وهن :- هو ده الصعيد يا ندى .. بلد
المتناقضات

-انا اللى صعب عليا زهرة ..واضح انها بتحب جوزها
قوى .. مين يا ترى اللى عملها ..؟!..نظر نبيل اليها
من خلال مرآة السيارة الداخلية .. فانتبهت وحولت
نظرتها بعيدا فى خجل .. ليقول ابوها :- واضح ان اللى
عملها واحد كان مراقب عاصم كويس قوى ومتربص
له .. وبينهم اكيد عداوة .. مين طبعا .. منعرفش ..
الى عايشين فى البلد هم بس اللى ممكن يستنتجوا
مين اللى ممكن يعمل كده ..؟!..
ربنا يقومه بالسلامة ..

يا رب .. هتف كلا من نبيل وندى فى آن واحد .. رأيته
ندى يفرك عيناه إرهابًا تحت نظارته الطبية .. قالت
فى إشفاق تعرض مساعدته .. وخاصة لأن أبوها.. لا
يستطيع القيادة ليلا :- لو تعبان .. أسوق بدالك ..
..!!؟..

ابتسم فى امتنان :

- شكرًا .. مش هاتقدرى .. الطرق هنا صعبة وضيقة
قوى بالذات بالليل .. وخلاص احنا على وصول ..
وصلوا بالفعل بعد دقائق .. ليترجل الجميع فى وجوم..
ويبدو ان السيارة الثانية لم تصل بعد .. دخل الجميع
.. كل لمكانه دون ان يتفوه احدهم بكلمة.

مرت دقائق .. حتى سطعت انوار السيارة الثانية اثناء
دخولها بالقرب من الدار ليترجل منها الجميع بدورهم
ويكون اول مغادريها .. سهام التى اندفعت باكية

للأعلى .. وحث الحاج قدرى حسام على اللحاق بها
ومواساتها.. وعاد لغرفته التى يشاركها واخوه الدكتور
ناجى ..

ساد البيت الهدوء التام الا من خطوات متسللة دقت
بخفة على باب حجرة نبيل الذى كان يستعد للنوم
اخيرا ..

فتح الباب ليسأل فى دهشة :

- ندى ... خير .. فى حاجة ...؟؟؟

همست وهى تقدم له كوب اللبن الذى كانت تحمله..

والذى لم يتنبه لحملها إياه :

- لا .. مفيش .. بس قلت .. يعنى .. اكيد محتاج

لكوباية لبن عشان تعرف تنام .. وعشان .. يعنى الدم

الى اتبرعت بيه ..

ابتسم فى امتنان وهو يتناوله منها :

- بجد كنت محتاجة فعلا .. دى فائدة أن يبقى فى

ست فى البيت .. بعد موت امى الله یرحمها.. عمرى
ما حد جاب لى اللبن .. وكان خایف علیا كده..
ابتسمت وهى تراه یتجرعه فى تلذذ:- یعنى هو ده بس
فايدة الست ..؟؟!..

انتهى من ارتشاف الكوب حتى اخر قطرة وقال اخيرا :
- ابسط الأفعال ممكن تعبر عن الحب ویكون لها
صدى یتعلق بالروح اكثر من مليون كلمة..
وقفت مشدوهة امام كلماته .. ان الدكتور نبیل قدرى
ذو العقلية العلمية یتحدث عن الحب بمثل هذا
النقاء والشفافية الروحية.. تنبهت من شرودها على
صوت سعال عمها الذى وصلهما .. لتلتقط الكوب
الفارغ من يد نبیل وتندفع مبتعدة.. وهو یتبعها
وابتسامة مرسومة على شفثیه.

دخل حسام غرفته خلف عروسه الباكية .. ليجدها
تدفن وجهها فى وسائد فراشهما وجسدها يهتز لوعة
من شهقات بكاءها الحار على أخيها .. اقترب فى
هدوء يربت على كتفها

فانتبهت لتندفع لأحضانه بشهقات عالية أدمت قلبه
ضمها بين ذراعيه فى حنان محاولا التخفيف عنها :-
عشان خاطرى كفاية يا سهام .. ده انتِ مبطلتيش بكا
من ساعة ما سمعتى الخبر لدلوجت..

هتفت وسط شهقاتها :- ده عاصم يا حسام .. عاصم ..
ربت على ظهرها مهدئا .. لتكمل هى بعد ان خفت
حدة شهقاتها :- عاصم ده مش اخوى وبس يا حسام ..
ده ابويا كمان بعد ما أبوى رجد بجى كل حملنا وحمل
الهوارية كلاتها على كتافه..

عمره ما جال يا الله نفسى وشاف حاله زى بجية
الشباب.. وحتى ف چوازته كانت تخليص حج عشان
خاطر امى والهوارية .. ولما اخيرا حسيت انه مال
بجلبه لزهرة .. فرحت وجلت هايرتاح لكنه اخوى وانا
عرفاه .. يموت وعمره ما هيحولها بحبك
عايز المسكينة تفهم لحالها .. كان نفسى يتهنى لكن
اها..الحزن دايمًا چاره..

ابتسم حسام لها بعد ان انتهت من سرد ما بداخلها
ليجذبها من يدها تجاه الحمام ليقف يغسل وجهها من
اثار الدموع ..

ويعود بها للحجرة من جديد.. ليمد لها يده بأحدى
ثمرات الفاكهة الطازجة .. ليهمس لها :- كلى دى يا
الله عشان خاطرى
-مليش نفس يا حسام .. مش جادرة..

لينظر اليها متصنعا العتاب :

- ده انا جلت لك عشان خاطرى ..

لتبتسم فى وهن وتفتح فهمها تتناول الثمرة من بين
أصابعه ..

ليبتسم قائلا فى مرح :- عاصم هيجوم منيها ويبجى
تمام ...وبكرة يرمح زى الفرس.. ما انا اها جدامك
سبجته وخذتلى رصاصة ومع ذلك كنت بطل وجرتينى
الأوضة امبارح وراكى وجطعتى نفسى ..

انفجرت سهام ضاحكة لتعليقه الساخر ليشعر بالسعادة
لإستطاعته اخراجها من حزنها .. نهض فى حنان
ليدثرها

ويتمدد بجوارها مقبلا جبينها وهو يطوقها بذراعيه
هامسا:- بحبك ..

لتنزوى هى بين احضانه تشعر بالسكينة ..

دخلت الحاجة فضيلة السراي تترنح من شدة التعب ..
عرضت عليها سهام البقاء معها الليلة لكنها رفضت
بشدة وأخبرتها ان مكانها الان لا يكون الا بجوار
زوجها..تحركت بصعوبة لتغلق الضوء الساطع من غرفة
المكتب قبل صعودها للإطمئنان على الحاج مهران ..
مدت يدها لمفتاح الضوء تغلقه وعيونها تقع على
الغرفة التي لا تطأها الا اقدام عاصم .. وشهقت عندما
وجدت الغرفة مقلوبة رأسا على عقب لا شئ بها على
حاله ...تطلعت لتلك الفوضى وأصبحت على يقين
الان ان من اطلق النار على ولدها هو من أتى الى هنا
يبحث عن مبتغاه .. كانت تعلم ان فتح موضوع زكريا
وأرثه لن يمر على خير ابدا .. وقد صدق حدسها..
تراجعت لخارج الغرفة .. وأغلقت الضوء والباب
بالمفتاح وحملته معها حتى يعود عاصم على خير
وسلامة .. ويرى كيف يمكن ان تُحل الأمور ..

صعدت بإرهاق واضح درجات السلم العتيق وفتحت باب غرفة الحاج مهران فى ببطء.. لحظات واعادت اغلاقها عندما تأكدت انه يغط فى نوم عميق.. تنهدت بارتياح واتجهت لغرفتها تستعيد احداث اليوم الدامى.. وتطلق العنان لدموعها .. تهدئ من مخاوفها .. بدعاء صادق من قلب ام يرتجف هلعاً على فلذة كبدها ..

كانت تجلس على احد تلك المقاعد المتراسة امام باب غرفة العناية
ويبدو انها نامت من شدة إرهاقها وتعبها ولم تع الا وهى تنتفض .. عندما سمعت صوته يناديها فى وهن .. اندفعت تنظر اليه من خلال الجدار الزجاجى .. لابد انها تحلم .. فهو راقد على حاله لم يستفق بعد ..

أغمضت عينيها فى حسرة كانت تتمنى ان تجده قد استفاق ..

فتحت عيونها بزفرة حزن وتطلعت اليه من جديد ..
ليرتفع وجيب قلبها أضعافا مضاعفة عندما وجدته
ينظر اليها الآن وعلى وجهه ملامح واهنة شاحبة ..
ألتصقت بالزجاج اكثر وكأنما تريد ان تتخطاه لتصل
اليه لتتأكد من استفاقته لكنها انتبهت لإحدى
المرضات .. فهتفت بها طالبة حضور الطبيب ..

وصل الطبيب بالفعل .. ولكن مع وصول الجميع ..
ابوها وعمها .. والحاجة فضيلة .. وسهام وحسام ونبيل
وندى والذين تجمهروا جميعا .. على غير رغبة
الطبيب .. للإطمئنان عليه .. هى .. وهى فقط .. التى
كانت تقف وحيدة فى احد اطراف الغرفة .. لا تستطيع
الحراك .. او الإقتراب ..

امر الطبيب بنقله لغرفة عادية ليجتمع الكل حوله من جديد وتظل هى على حالها .. بعيدة قريبة .. أعصابها تشتعل .. طوال ساعات .. حتى انتهت الزيارة اخيرا و رحل الجميع فى فرحة لسلامة عاصم ونجاته.. نام هو .. من اثر العقاقير التى يتناولها والتى تدفعه دفعا للنعاس.. لتدخل هى اخيرا للحمام.. تبديل ملابسها .. و تخرج تتطلع اليه من جديد ثم تتمدد على فراش آخر فى الطرف المقابل للغرفة بعد تلك الليلة المرهقة التى قضتها امام غرفة العناية ..غلبها النعاس .. فنامت .. لا تعرف كم من الوقت استغرق نومها الا عندما استيقظت بسرعة بسبب طرق على باب غرفة عاصم .. كانت احدى الممرضات تدفع بصينية من طعام .. مع بعض العقاقير التى يجب عليه تناولها بعض إطعامه ..

تناولتها زهرة وأغلقت الباب لتجد من يقول أمرا فى
وهن :

- ابجى أجفلى الباب بالمفتاح ..واتأكدى انك حاطة
حجابك جبل ما تفتحى..

جفلت حتى كادت تسقط صينية الطعام من يدها فلم
تكن تعلم انه استيقظ وزاد وجيب قلبها حنانا عندما
طالعت وجهه الشاحب وابتسمت فى براءة وقد
اكتشفت انها اندفعت تفتح الباب وهى لاتزل بغشاوة
النوم فنسيت وضع حجابها

فقالت فى مودة :- حاضر ..
أشاح بوجهه عنها لكنها لم تعطيه الفرصة ليفعل فلقد
استدارت تواجهه.. وهى تحمل صينية الطعام ..

ابتسمت فى مرح :- لازم تاكل عشان الدوا ..
اجاب وهو يشيح بوجهه من جديد :- ماليش نفس ..
قالت فى دلال :

- حتى لو قلت لك انى هأكلك بأيدي...!!؟..
اجاب بجفاء :

- برضه ماليش نفس ..

صمتت هى .. لأنها تعلم .. ان معه كل الحق فى ان
يكون غاضب منها لهذا الحد فهو لم يعلم بعد سوء
التفاهم الذى حدث .. لم يعلم بعد انها لم تكن تدرى
بما اقدم عليه لأجلها
الا البارحة بعد الحادثة ..

هو معذور فى غضبه وحنقه ورغبته فى تجنبها ..
لكنها لن تعطيه الفرصة ليبعدا عنه من جديد مهما
كانت الأسباب .. وفى الوقت المناسب ستخبره
الحقيقة كاملة ..

وضعت صينية الطعام جانبا فأعتقد انها كفت عن
ملاحقته بها .. وبدأ يتنفس الصعداء لأبتعادها فقربها
يوتره ويدفعه دفعا ليشعر بالحنين لأحضانها الدافئة

التي يتوق اليها في تلك اللحظة كمن يتوق دواءً عزيز
المنال .. لما لا تبتعد وتتركه لحاله؟! أليس هذا ما
كانت تريده ...!!؟؟.. لما لم تنفذ .. وتبتعد مجنبه إياه
تلك اللوعة التي تلهبه في قربها ...!!؟؟..

كفاه منها اشفاقا على حاله .. هو لا يريد شفقتها .. هو
يريد حبها .. حنانها .. تفهمها .. هو .. يريد لها ..

جفل عندما وجد موضع رأسه يرتفع في بطاء .. نظر
ليجدها تضغط على احد الروافع في مقدمة الفراش ..
ثم تتجه اليه تنحنى عليه .. لتعدل من الوسادة خلف
ظهره في بطاء شديد حتى لا تؤلمه .. اللعنة .. ان
اقترابها بهذا الشكل وعطرها اللطيف الشذى يكاد
يسكره فيضعف مقاومته وصلابته تجاه سيطرتها
الأخاذة.. أشاح بوجهه عنها من جديد .. لتعود هي
بصينية الطعام تضعها على فخذاه.. وتصعد بالقرب
منه جالسة على اطراف الفراش.. تتناول بعض



اللقيمات بأصابعها تقدمها اليه .. أعاد رأسه لوضعها
ناظراً الى كفها الممدودة للحظات يقاوم الرغبة فى
إلتهايم تلك اللقمة من يدها .. واخيرا انتصر .. واشاح
بوجهه من جديد رافضاً الطعام كطفل مشاكس..

لم يكن يتوقع ما فعلت .. فلقد مدت كفها .. وأدارت
وجهه بإتجاه كفها الممدودة بالطعام .. وما ان نظر
لعينيهما الباسمة حتى فتح فمه لا أراذيا دون أدنى
اعتراض.. لتقذف هى بلقيمتها فى فمه وتهبه ابتسامة
جديدة كهدية لأنه احسن التصرف ..

لا يعرف كيف حدث هذا .. وهو ينظر لتلك الصحون
الفارغة .. ولا يدرى متى تناولها .. !!؟.. كادت ان تطفو
ابتسامة شاحبة على اطراف فمه.. لكنه وأدھا ..
ليعاود تركيب ذاك الوجه الجليدى الملامح.. وقد أقر
انه نال كفايته من سيطرتها على أعصابه .. فعاد واشاح
بوجهه من جديد

متظاهرا بالنوم من اثر الدواء الذى تناوله منذ قليل ..
لتركه لحاله .. تتركه يشتاقيها من جديد.. وهى على
بعد خطوات قليلة من فراشه ..

هتفت الحاجة فضيلة عندما وقعت عينها على ولدها
عندما دلفت لداخل حجرته .. :

- الله اكبر .. عينى عليك باردة .. ذى الفل ما شاء الله ..

التقط عاصم كفها.. مقربا إياه يقبله فى محبة :

- كيفك يا حاجة .. وأذى أبوى .. اوعاك يكون عرف

حاجة..!!؟.. www.aberkotob.com

ردت فى جدية:

- لاه .. متخافش معرفش .. الدوا الاخير اللى الداكتور

كتبهوله .. بيخليه ينعس كثير .. ولما بيسأل عليك

بجوله .. يا اما مشغول .. يا اما سافر يومين ..

هز رأسه :

- طيب الحمد لله ..

سألت زهرة فى مرح :

- امال فين الباقيين .. محدش جه ليه!!؟؟...

ردت الحاجة فضيلة :

- انا جلتلهم كفاياهم .. يشوفوا مصالحهم .. وعاصم

الحمد لله اها بجى كويس.. كتر خيرهم..

سأل عاصم بفضول :

- اومال انتِ چيتى مع مين ...!!؟؟..

هتفت الحاجة فضيلة :

- واااه ... نسيته بره .. ده زكريا هو اللى چابنى ..

وهايتچنن عشان يشوفك ..

فتحت الباب تنادى على زكريا .. الذى ما ان دلف

للدخل حتى اندفع باتجاه عاصم يقبل رأسه ..



عبيير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeeerkotob.com

ابتسم عاصم فى حبور لمرآه هاتفاً فيه بحنو عندما
رأى بریق دموعه :

- وااه .. راجل يبكى !!؟؟.. خليك شديد يا زكريا .. ذى
واد عمك..

همس زكريا من بين :

- سامحنى .. انى السبب ..

ربت عاصم على كتفه :

- لاه .. منتش السبب .. سليم كان ناويها.. وبعدين
انت من ميتا بتتكلم .. !!؟؟.. سأل عاصم متعجباً
ليرد زكريا :

- الخوف.. الخوف يا واد عمى.. يخليك متنطجش
حتى ولو مكنتش اخرس.. يخلى عيل صغير ينسى
الكلام عشان يعرف يعيش .. ومتكلمتش الا عشانك
..عشان ألحجك.

ربت عاصم على كتف زكريا غير مصدق ما يسمع
حتى هتفت الحاجة فضيلة :

- نسيت اجولك يا عاصم .. ليلة الحادثة الله لا يرجعها..
رجعت السرايا .. لجيت المكتب مجلوب فوجاني
تحتاني .. مرضتش حد يدخل ينضفه .. جفلته.. لحد
لما تعاود السرايا بالسلامة من غير شر ..

-انا عارف مين اللى عمل كده.. وكان بيدور على ايه
...؟!.. بس الورك اللى بيدور عليه مش هيلاجيه فى
النجع كله..

و همس لنفسه ...:- والله يا سليم اتجرات .. ودخلت
السرايا ولا الحرامى..أخرتك جربت..

أدارت الحاجة فضيلة حديثها لزهرة بمحبة :- خدى يا
بتى الشنطة دى فيها كل اللى طلبتيه .. عشان
اليومين اللى باجين ليكم هنا ..

استلمت زهرة منها الحقيبة قائلة :

- تسلم ايدك يا حاجة ..تعبتى نفسك ..

-تعبكم راحة .. السرايا من غيركم متطاجش.. ربنا يرجعكم بألف سلامة.

استأذنت الحاجة فضيلة تبعها زكريا للعودة من اجل الحاج مهران ..

وضعت زهرة الحقيبة على فراشها .. فتحتها وأخرجت منها بعض الملابس والأدوات .. ووضعتها جانبا ..

سمعت حركة خلفها على الفراش .. استدارت لتجد عاصم يهم بالنزول من على فراشه مترنحا ..اندفعت

اليه تمنعه هاتفة :

- بتعمل ايه ...؟؟!!..

رد بخشونة وهو يدفع ببطء كفاها التى تلامس جلد كتفيه .. فيشعر بحريق مكان لمساتها :

- ملكيش صالح...؟!..

ردت متصنعة الحنق :

- يعنى ايه مليش صالح !!؟..

اعتقد انها لم تفهم المعنى فقال بنزق يسخر منها :

- معرفاش يعنى ايه .!؟

اه صحيح ما انا نسيت تربية باريس مش هاتفهمى

لغوتنا.. ثم عدل من صوته بنبرة رفيعة ساخرة مقلدا

اللكنة القاهرية متلكئاً:

- يعنى ملكيش دعوة ..

وضعت كفاهها على جانبى خاصرتها وقالت فى سخرية:

- على فكرة انا عارفة معناها كويس ولا انت نسيت ..

ثم غيرت نبرة صوتها وبلهجة صعيدية صحيحة هتفت:

- انا برضك صعيدية .. يا واد خالتى..

أشاح بوجهه محاولا مداراة ابتسامة تصارعه لترسم

على شفتيه .. واستطاع ان يغلبها ليعاود النظر اليها

من جديد وملامح وجهه تنطق بالبرود الذى اجاد



اصطناعه وهو يتفرس فى وجهها مسلطا نظراته تأسر
عينها :

- دلوجت واد خالتك ؟!!.. من ميتا.. !!؟ روحى لحالك
.. وسببنى ..

شعرت بمدى الالم فى كلماته ..فتألمت بدورها لكنها
اندفعت تحضر خفه المنزلى وهى تهتف به قبل ان
تلمس قدماه الأرض :

- طب استنى ..

هتف فى ضيق ونظراته معلقة بسقف الغرفة فى
تضرع:

- عايزة ايه تانى؟!..عايز ارواح الحمام .. كل ده عشان
خطوتين للحمام .. !!؟؟...

اخفض نظراته عندما شعر بها تحت أقدامه تضع له
الخف بقدميه ..

لمساتها .. واهتمامها .. وحنانها .. يفعل به الأعاجيب ..
وللمرة الألف يبتهل .. لما لا تدعه لحاله!!؟..
نزل من الفراش متجاهلا يدها الممدودة لمساعدته
يتماسك حتى يصل للحمام بدون مساعدتها .. بدون
لمساتها .. بدون شفقتها التي تقتله..
وصل بعد جهد مضنٍ .. وجلست هى بالخارج فى
انتظاره ترتب الأغراض التى احضرتها الحاجة فضيلة فى
خزينة الملابس القابعة فى احد أركان الغرفة..
لم تشعر به فى البداية عند خروجه .. لكن احتكاك
خفه بالأرض فى ثقال .. جعلها تستدير فى سرعة فى
الوقت المناسب لتلحق به وهو يترنح غير قادر على
المحافظة على اتزانه .. بذلت جهد بالغ حتى تستطيع
ان تصل به بخطواته المترنحة حتى اطراف الفراش..
ساعدته حتى استطاع التمدد اخيرا وهو يلهث وكانت
هى تلتقط انفاسها بتسارع تسأله فى إشفاق ..:

- انت كويس...!!؟.. انادى الدكتور...!!؟.

أشار بيده :- لااااه.. انا هنام .. وهبجى تمام ..

جذبت الغطاء عليه ووضعت كفها بتلقائية على جبينه الذى كان يتفصد عرقاً .. لكن .. حرارته كانت معقولة .. فاطمأنت بعض الشئ وتركته لتعود لفراشها المجاور تتمدد عليه وهى ساهمة تشعر بالقلق.. ولم تكن تدرى انه يتطلع اليها بعينى ذئب ينام واحدى عينيه مغلقة والأخرى يراقبها من خلالها .. وهو يفكر فى أسى مخاطباً نفسه : مكتوب عليها البعاد .. هنا وفى السرائى .. وكأنى استبدلت الأريكة اللعينة بذاك الفراش الأحرق .. تبدلت الاماكن .. لكن عذابى كما هو لم يتبدل.. لازال العذاب واحد فى الحالتين ...أغمض عينيه وراح فى نوم عميق .. لا يعرف كيف تسلل الى جفونه المرهقة ..!!؟؟..



الفصل العشرون

-اسمك الرباعى .. وسنك !!؟.. سأل وكيل النيابة فى
جدية

اجاب زكريا فى حروف مترددة مرتجفة .. فهو عندما
يتعرض لضغط ما ترتجف حروفه ويتلعثم :- زكريا
غسان صايج الهوارى .. سنى ٣٢ سنة..

-تعرف ايه عن اللى حصل ساعة الحادثة ...؟!!..

-واد عمى عاصم .. طلع بالكارتة چرى وجالى خليك
عشان ارجع الحاجة فضيلة امه من عند نسايبهم.. لكن
انا چريت ورا الكارتة .. ونزلت اداريت لما بدأت تهدى
وفجأة وجفت الكارتة وسمعت ضرب نار ..ورد عاصم
بسلاحه بس اللى ضربه عرف يطوله .. فصابه وهرب ..
وانا چريت عليه ..واتصلت بنسايبه عشان يلحجوه..
هو ده اللى حُصل يا باشا

سأل وكيل النيابة فى اهتمام :

- انت اتعرفت على شخصية القاتل ...؟!.. يعنى عرفت هو مين ...؟!..

اوما زكريا بالإيجاب مما دفع وكيل النيابة لسؤاله فى لهفة :- هو مين .!؟

تلعثم زكريا بشكل واضح وهو يجيب بتردد:- سليم أخوى ..

-أخوك ...؟!.. سأل وكيل النيابة فى تعجب مستطردا ..
وليه يعمل كده فى بن عمه ..؟!..

-دى حكاية طويلة يا بيه .. لو عندك وجت اجولها لك ..
...؟!..

جلس وكيل النيابة فى إنصات وهو يدعو زكريا ..
ليقص عليه القصة منذ البداية .. دون ان يغفل اى
تفاصيل .. مهما كانت بسيطة ..

ما كل تلك الأحلام الذى راودته فى نعاسه.. احلام
وخيالات كلها تنصب عليها .. فهى تحتله كليا ..
تحتله حد غزو احلامه .. فلا تكون الا متمرزة حول
محياتها ..

رفرف بأهدابه وهو يشعر بثقل عجيب يجثم على
قدميه و دفء عجيب يشمل كفه الأيسر ..

فتح عينيه الان على اتساعهما وهو يراها منكمشة على
نفسها تمد كفها تضعها فى احضان كفه الأيسر ..
ورأسها تلقيها على قدميه.. وشعرها المبعثر فى فوضى
تغطى بعض خصلاته ملامح وجهها ...

رفع كفه عن كفها فى حذر ولانت قسمات وجهه وهو
يمد يده يحمل تلك الخصلات بعيدا عن محياها..
لتنكشف ملامح وجهها الصبوح .. شعرت هى بلمساته
فأستيقظت دون ان تفتح عينيه تمتع روحها بلمساته

الحانية بديلا عن جفائه المشروع معها فى الأيام
الماضية ..

اذن ما رآه فى احلامه .. كان حقيقة .. كان الالم
يعتصره

يتأوه ... ويتأوه .. احضرت هى الطبيب بعد ان
استيقظت فى فزع عندما ادركت مسامعها
تأوهات..أعطاه الطبيب مسكنا قويا .. وجلست هى
تحت أقدامه .. ليستيقظ فيجدها على هذه الحالة
الرائعة .. ليتطلع لملامحها الناعسة بحبور هامسا فى
نفسه .. يا له من صباح رائع ...!!! فتحت فجأة
عينيه.. لتتوقف كفه فى منتصف طريقها مبتعدة عن
خصلاتها التى كانت تمسدها ويصطدم بنظراتها
المفعمة بالبسمة وهى تقول :-صباح الخير..
استفاق من صدمته سريعا ليحول نظراته عنها مضطربا

وهو يقول فى صوت أبح:

- صباح النور.. ليستطرد... واضح انى تعبتك امبارح ..
...!!؟..

نهضت فى ثقاقل وابتسامتها وشعرها الغجرى يثير
جنونه .. ولا تعب ولا حاجة .. المهم انك بخير الحمد
لله واستطردت .. اكيد انت جعان ..
كان يتضور جوعا بالفعل لكنه قال :

- مش جوووى ..

لتهتف هى فى جزل :- استنى ..هعمل لك كباية شاي
بالحليب .. ومعاها فايش جابته الحجة امبارح... لحد
ما يجى فطار المستشفى اللى ملوش لازمة ده ..
لم يستطع ان يدارى ضحكاته فابتسم هاتفاً فى
سخرية:

- شايف انك بجيتى بتحبى اكل الصعيد اها .. الله
يرحم يوم ما جبنالك الداكتور بسببه يوم الصباحية ..

انفجرت ضاحكة مما جلب له المزيد من السعادة وهى تقول :

- انا متعبتش من الأكل .. انا تعبت من الكمية اللى انت اكلتهاالى ... كل اما اقولك شبت .. تزغلى وتقولى كولى.. وانا بصراحة كنت عايزة اتقى شرك .. والليلة تعدى على خير .. واستمرت ضحكاتها على عكسه تماما .. فقد انقلبت ضحكاته لوجوم مما استرعى انتباهها لتستدير لمواجهته.. فيسألها فى صدق :- هو انا كنت جاسى جووى كده ...؟؟!..

صدمها سؤاله الذى لم تتوقع ابدا ان يخطر بباله ويطرحه على مسامعها فى يوم ما .. حتى انها احتارت بما تجيب ..

لكنها اجابت :- عايز الصراحة .. كنت بكرهك ساعتها.. سأل بلهفة :

- طب ودلوجت ...!!?...

انفجرت ضاحكة وهى تقول :

-دلوحت تفتح بقلك وتاكل دى .. ووضعت قطعة من
المخبوزات الصعيدية المسماه بالفايش فى فمه ..
فعقد ما بين حاجبيه فى غيظ .. وضحكاتها تعلو لمرأى
محياء العابس

دخل كل من نبيل وندى والدكتور ناجى لحجرة
المشفى لتوديع عاصم .. قبل سفرهم للقاهرة بعد ان
اطمأنوا عليه

-الحمد لله انك قمت بالسلامة .. هتف الدكتور ناجى
.. وهو يربت على كف عاصم فى حنو غير معهود من
جانبه تجاهه ..

ابتسم عاصم فى حبور :
- تسلم يا داکتور .. ربنا يخليك

وتوجه بحديثه لنبيل قائلاً بامتنان :

- بتشكرك يا دكتور نبيل .. لولاك مكنتش عارف
هيجى فين دلوجت !؟

ابتسم نبيل ابتسامته الهادئة المعتادة معدلاً نظارته
الطبية على عينيه وهو يقول :- شكر ايه بس .. احنا
اهل و مفيش بينا الكلام ده .. وبعدين انا معملتش
حاجة .. زهرة اللى قامت بالواجب كله تقريبا ..
ومكنتش عايزة حد غيرها يتبرع لك بالدم ..

انفجر الجميع ضاحكين ليردف مبتسماً بدوره :

- انا خدت مكانها بالعافية لما الدكاترة خافوا عليها ..
لم يكن عاصم على علم بذلك .. اذن هى من أعطت له
من دمها .. وهبت

له حياة جديدة .. اصبح دمها يجرى بأوردته
وشرايينه... اما كفاها انها تحتل روحه وتغزو مخيلته
ليل نهار حتى يتدفق دمها بين كل نبضة من نبضات

قلبه معلنا انه لها .. وانها مليكة ذلك الخافق بلا
منازع .. كان ينظر اليها الان .. وكأن ما من احد فى
الكون بخلافهما.. حتى ان الدكتور ناجى ابتسم بحبور
وهو يهتف مخرجا عاصم من شروده فى محياها :- طب
احنا جينا نسلم عليكم قبل ما نساfer .. وترجعوا بيتكم
بالسلامة

قال كلمته الاخيرة وهو يغمر بطرف عينه لإبنته زهرة
التى كسى الخجل وجنتيها بلون احمر قان وعلا وجهها
ابتسامة محبة وهى تقبل ابيها مودعة وتشكر نبيل فى
امتنان حقيقى .. وتحتضن اختها ندى التى تمنى لو
انها قضت معها فترة أطول قبل ان تتداعى الأحداث
بهذا الشكل ..

رحل الجميع فى سعادة .. وكلمات ابيها على باب
الغرفة والتى ألقاها على مسامعها وهى تودعه ترن
بعقلها وتستقر بقلبها ..

"يوم ما روجت لأهل امك عشان أتقدم لها مرة واتنين
وتلاثة وانا عارف انى هترفض .. مكنش استقلال
بكرامتى .. كان حب وتقدير ليها لأخر لحظة .. وهو ده
اللى عمله جوزك .. جه لحد عندى .. عشان يرد لك
كرامتك اللى هو جرحها بعملته .. عايز يصلح غلطه من
غير ما يفقدك .. عارف ان ده اللى ممكن يرجعك ليه
حسسيه انك مقدرة اللى عمله وساعتها .. عمره ما
هيقدر على بعدك .. وهاتفصل كرامتك متصانة معاه
دايما"....

صرخت الحاجة رتيبة فى ابنتها سمية بغضب بعد ان
داهمت الشرطة دارهم يبحثون عن سليم .. او اى شئ
يتعلق بالحادثة :

- جلت لكم انت واخوكى بلاها السكة دى ..
مسمعتوش كلامى .. اهااا .. لا انتِ طولتى واد عمك
الى وجفتى حالك عليه .. ولا اخوكى طال بتهم ولا
الورث الى كان طمعان فيه .. واخرتها... ينجلب الدار
تفتيش على اخوكى بعد عملته السودا .. خلاص يا
سمية بجيتى اخت جتال جتلة رسمى والحكومة
بدور عليه..

اخوكى راح .. وانت كمان .. هتجعدى چارى ومفيش
حد فى النجع كله .. هايرضى يناسبنا .. ويطلب يدك
.. صرخت سمية :- بكفياكى ياما .. وهو انى كنت
اعرف انها ممكن توصل لكده .. وان سليم يفكر يجتل
عاصم ..

صرخت الام من جديد :

- عجله شت بعد ما عاصم جابله الأخرس ده .. يجوله
ده اخوك وهيجاسمك فى الجرشين الى فاتهملوك

ابوك بعد ما الله يرحمه كان ضيع ماله كله على الحريم
.. وفى الآخر اهااا يطلع لنا واحد .. يجول انا ولده ..
وتضيع سمعتنا وتضيع فرصتك فى چوازة زينة تعدل
حظك المايل ويبجى لنا بيها راجل .. يوجف للخلج فى
غيبة سليم .

ضربت سمية على رأسها بكفها فى لوعة :- يعنى
خلاص .. مش هشوف اخوى سليم تانى .. وهفضل
كده زى البيت الوجف .. ثم هتفت متذكرة .. بس لاه
.. ما عدلى واد محروس الهوارى كان طالبنى من اخوى
.. ومردناش عليه ..

هتفت الأم فى حسرة :

- دى اخرتها يا بتى .. عدلى واد نچاة .. اللى النجع
كلاته يعرف انه واد أمه وما بينطجش الا بشورتها ..
دى اخرتها يا سمية !؟

بكت سمية فى حرقة :

- طب هعمل ايه طيب ..!!؟.. يا مرك يا سمية .. كان
مخبيلك الهم ده كله فين ..!!؟؟..

تركتهامها وتحركت ببطء بإتجاه الدرج تعتليه فى
صمت وهى تتمتم فى حسرة .. يا ميلة بختك فى
عيالك يا رتيبة .. يا عمرك اللى ضاع هدر .. يا رتيبة ..

وضعت حجابها على رأسها وفتحت باب غرفة المشفى
للطارق والذى كان احدى الممرضات التى تتناوب
على احضار الطعام او قياس الضغط وإعطاء بعض
المسكنات.. أدخلتها زهرة مرحة .. لتقترب الممرضة
من عاصم تقيس حرارته وضغطه هاتفة فى مرح موجهة
حديثها لزهرة :- انتِ بجى زهرة؟! أومأت زهرة برأسها
ايجابا وهى على يقين من كلماتها التالية والتى سمعتها

مسبقا من الطبيب المناوب لتكمل الممرضة وهى توجه حديثها لعاصم وهى تضع بين شفثيه مقياس درجة الحرارة والذي بدأ يغلى عندما استطردت :- بصراحة عندك حج تخترف بينها ومتناديش غيرها طول ما انت فى البنچ

عند هذه النقطة احتقنت ملامح عاصم وقذف بمقياس الحرارة من فمه وهو يدفع نفسه دفعا حتى يصل لأقصى درجات ضبط النفس ولا يخنق تلك الممرضة بيده السليمة على ما تتفوه به من حقائق يود لو ينكرها ..

انجزت الممرضة مهمتها لتستوقفها زهرة واضعة بكفها عدة اوراق مالية لتهتف فى فرحة :- يجوملك بالسلامة وتفرحوا بأولادكم ..

نظرت اليه زهرة وهى تؤمن سرا وعيونه تنأى عنها ..
وما ان خرجت الممرضة حتى اقتربت منه تشاكسه
هاتفة :

- كنت بتهلوس بيا .. صحيح!؟

نظر اليها متصنعا الحنق :

- وانا ايه عرفنى .. هى اللى بتجول .. وبعدين دى خترفة
بنج .. يعنى اى كلام ..

ابتسمت وهى تتطلع الى اعماق عينيه هامسة :

- خترفة البنج .. بتبقى اكبر حقيقة عايز يداريها البنى
ادم حتى عن نفسه ..

سحب نظراته بصعوبة بعيدا عن عينيها وهتف ليغير
مجرى الحديث كعاداته :

- أنا چعان ..

انفجرت زهرة ضاحكة وهى تعلم تماما انه ليس بجائع
وان هذه هى حجته التى فطنت اليها والتى يستخدمها

دوماً ليغير وضعاً ليس على هواه والتي استخدمها
سابقاً ليغير موضع نومها من غرفة اخته سهام الى
غرفتهما ..

هتفت من بين ضحكاتها :

- حاضر .. اى أوامر تانية جنابك...؟؟!! .. ليحرك هو
رأسه رافضاً غير راغب فى متابعة الحديث الذى يعرى
حقيقة مشاعره أمامها ..

لماذا يتجاهلها ...؟؟!!.. منذ عادوا جميعاً من النجع وهو
ينأى عنها .. حتى انه لا يناقشها فى محاضراته كما
كان يفعل فى السابق قبل ان يكتشف انها ابنه عمه..
كانت تتوقع تقارب اكثر .. لا تباعد بهذا الشكل
السافر.. خرجت من الجامعة .. شياطين الدنيا تتبعها

فى غضب تضغط على السيارة بأقصى سرعة تملكها
رغبة فى تفريغ

طاقة الغضب التى تختزنها لإهماله إياها ..

لكن .. يبدو ان السيارة لم تحتل هذا الضغط الرهيب
عليها لتزمر غاضبة هى الأخرى .. وتتوقف وقد
أعلنت العصيان .. صرخت ندى فى غيظ عندما أدارت
مفتاح التسغيل عدة مرات وفى كل مرة تعاند السيارة
أكثر ولا تريد التحرك خرجت ندى من السيارة تركلها
بقدمها فى غيظ .. ليهتف صوت بغيض من خلفها :-

ليه كده!؟؟.. مش حرام عليكى ...
لتنبيه لصاحب الصوت لتجده شاب وصديقه..
يقتربان منها وعيونهما تحمل بريق غير مطمئن..
يتطلعان اليها بنظرات جائعة ..

حاولت ادعاء الشجاعة .. لتهتف ناهرة كلاهما فى
صوت حاولت تغليفه بالقوة قدر استطاعتها .. لكن ..
ذلك لم يثنيهما عن الاقتراب منها فى جزل ..
و .. فجأة تجد جسد ما يقطع الطريق بينها وبينهما فى
صلابة .. هاتفاً فى صوت قوى :- أى خدمة ...؟؟!..
اتسعت عيناها عندما تأكدت ان هذا الستار الحامى
الذى فرض نفسه

بينها وبين هؤلاء الحمقى .. ما هو الا نبيل .. أستاذها
وبن عمها العزيز ..

ضحك احد الشبان ساخراً:- اه فى خدمة .. بس مش
منك يا خفيف .. من الم..

لم يدعه نبيل يكمل لفظته السوقية حتى كان يخلع
نظارته الطبية يلقي بها بين كفيها .. ويدفع قبضته
المضمومة فى وجه ذاك الحقير.. الذى تأوه منكباً على

نفسه صارخاً.. ولحسن الحظ يتركه صديقه ويفر من امام نبيل مرتعباً.. ليجذبها نبيل خلفه قبل ان يستفيق الأحمق من كبوته مندفعين لسيارته التى انطلق بها فى سرعة جعلت اطارات السيارة تصرخ .

مرت دقائق ولم يتفوه بكلمة .. فتشجعت هامسة :-
شكراً يا ...نبيل ..

كانت المرة الاولى التى تنطق فيها اسمه مجرداً وبمثل تلك الرقة .. مما استرعى انتباهه ليلقى اليها نظرة سريعة متعجبة جعلتها تتورد خجلاً.. ليعود بنظراته للطريق..

ويلتزم الصمت مرة اخرى حتى وصلا أمام بيتها.. ليوقف السيارة ويستدير قليلا اليها أمراً :- هاتى مفاتيح عربيتك هوديتها للميكانيكى.. ولحد ما تتصلح هخدك الكلية و أرجعك بنفسى ..

انقلب امتنانها لحق فى لحظات فهى لم تعتد على
النبرات الأمرة فى التحدث اليها :- شكراً .. انا اعرف
اهتم بنفسى كويس .. مش محتاجة ..

قاطعها ساخراً على غير عادته :- عارف .. مش محتاجة
سواق .. بس للأسف مش بمزاجك .. بقيتى مسؤولة
منى .. اعمل ايه ..؟؟!! .. انا مجبور اكرر منك ..

هتفت فى حق :- للدرجة دى وجودى معاك عبء
على حضرتك .. !!؟؟ .. على العموم انا مرضهاش .. ولو
حكمت هقعد ومش هروح الجامعة .. ولا انك تبقى
مجبور على حاجة متحبهاش ..

واندفعت من السيارة تجرى بإتجاه باب البيت وكأن
الشياطين تتعقبها .. لكن هو وللعجب ظل يتبعها
بنظراته

حتى اختفت .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة ..

اطلق سعيد الخفير عدة أعيرة نارية عندما دلفت سيارة
عاصم التي كان يقودها زكريا .. لداخل السراي ..
لتقف امام الباب الداخلى لها .. لتترجل منها زهرة
اولا يتبعها عاصم وذراعه اليمنى مرفوعة لحامل يتعلق
بعنقه .. استند على ذراع زهرة التي قدمتها له فتقبلها
بسعادة وهو يصعد السلالم المؤدية لداخل السراي ..
التي ما ان خط بداخلها حتى علت الزغاريد احتفالا
برجوعه سالما ..

هتف فى سعادة :- وااه .. ايه كل ده يا حاجة ..؟!..
كان يستفسر عن ما يحدث بالخارج من تجهيزات
لإحتفال و ذبائح تذبح

هتفت بسعادة وهى تربت على كتفه بحنو:- حلاوة
رچوعك بالسلامة .. أمال ايه ..؟!.. خلى الغلاية ياكلوا
.. والناس تدعيلك ..

-بس ده تعب عليكى يا حاجة .. هتف عاصم معاتبا

هتفت بدورها :

- وااه .. انت فاكرنى انا اللى عملت ده كلاته ..؟!.. والله
ده زكريا هو اللى عمل كل حاجة .. انا كان يجولى
نعمل كذا يا حاجة.. أجوله وماله ..

ضحك عاصم بأريحية وهو يربت على كتف زكريا الذى
كان يشعر بالحرَج :

- وااه يا زكريا .. وخليت الحاجة فضيلة بجلالة جدرها
تسمع كلامك .. تاريك مش هين يا واد عمى ..
ابتسم زكريا فى حبور ولم يعقب .. لتهتف الحاجة
فضيلة فى سعادة :- يا اللاه على فوج انت وممرتك
أرتاحوا .. لحد ما الناس اللى چاية تبارك بسلامتك تهل
.. هنادوك تستجبلهم .

تحرك بإتجاه الدرج ولا زالت كفه تستند على كفها لم
يتركها ولكن قبل ان تخط قدمه على اولى الدرجات

سمع صوت يناديه فى ترجى :

- عاصم بيه .. يا عاصم بيه

كانت فتاة ملتحفة الوجه جاء سعيد وراءها جريا
ليمنعها من دخول السراى لكنها كانت الأسرع .. هم
سعيد بإخراجها لكن إلحاحها فى النداء جعل عاصم
يأمره بتركها .. ليعود مستندا على زهرة .. يجلس
بأقرب مقعد مشيرا اليها ان تتقدم هاتفاً فيها :

- انتِ مين يا بت !!؟! .. وعايضة ايه ..؟!..

رفعت الفتاة الشال الذى كان يلثمها عن وجهها ليهتف
عاصم :

- مش انتِ البت اللى كانت بتشتغل هنا واختفت
فجأة بعد حادثة حسام التهامى .. !!؟! .. ااه .. انت
اللى سرجتى سلاحى .. مش كده .. انطجى .. مين اللى
وزك تعملها !؟

هتفت الفتاة فى ذعر :

- ما انا چاية عشان اتكلم .. بس غيتنى الاول يا عاصم بيه .

-من مين ...؟!.. هتف عاصم ..

اجابت فى سرعة :- سليم واد عمك
عقد عاصم ما بين حاجبيه هاتفاً :- وايه دخل سليم
بيك..!؟

اخرجت الفتاة ورقة مطوية من بين طيات ملابسها
وأعطتها لعاصم ...و الذى انفجر ضاحكاً عندما طالع
فحواها :- والله كنه التاريخ بيعيد نفسه صوح ... بجى
انتِ مرت سليم وعرفى كمان ..

شهق الجمع الذى كان محيطاً بالفتاة أومأت الفتاة
برأسها قبل ان تكمل مستطردة فى اضطراب :
- هو اللى جالى لو جبت له سلاحك هايكتب عليا
رسمى .. ولما عملت اللى جالى عليه وهربت مُطرح ما

هو جالى استناه .. حسيت منيه بالغدر ودلوجت
خايفة يرجع لى يجتلى بعد ما عرف انى ..
وصمت الفتاة قبل ان تقول بصوت مرتجف :- يانى
حبلى منيه ..

هتف عاصم ساخرا :- واااه .. حبلى كمان .. كملت ..
هتفت الفتاة فى تضرع :- غيتنى يا عاصم بيه ..
محدث هايجدر يحمينى منيه غيرك ..

هنا تحدث زكريا فى تردد:- بعد إذنك يا عاصم يا واد
عمى .. اسمحلها تعيش مع امى فى البيت اللى انت
وهبتهولنا .. اهى تاخذ بحس امى وانى مش موجود..
تعجب عاصم :- يعنى ايه مش موجود ..؟!..
هتروح فين ..؟!..

-انا نويت .. والنية لله .. اچرب حظى بعيد عن
النجع..

ومش هرچع الا لما احس ان بجالى جيمة ومركز ..
بعيد عن الهوارية واسمهم ..

-ياعنى هتفوتنا يا زكريا .. !! .. هتف عاصم بضيق
قال زكريا بحرج :- معلش يا واد عمى .. انا مهرتاحش
الا كده .. بس وصيتك أُمى .. دى ملهاش غيركم
دلوجت..

أوماً عاصم برأسه دون ان يجيب بحرف واحد واتجه
بحديثه لكسبانة التى كانت عيناها تتطلع اليه فى
ترقب :- خلاص .. هتروحي تعيشى مع الحاجة بخيطة
تخدى بحسها .. وانا الورجة دى هوديها للمحامى
نثبتوا صحتها ونخليها عنديه فى الحفظ والصون ..

-و ماله يا عاصم بيه .. هتفت كسبانة بثقة .. والحاجة
بخيطة فى عنايا .. ثم نظرت الى زكريا فى امتنان
هامسة :

- تسلم يا سى زكريا

اجاب زكريا بجفاف :

- انا عملت كده عشان واد اخوى اللى شيله ميغيش
الدنيا ميعرفلوش اب.. ولا يعرف له اصل .. وميدجش
المرار الطافح اللى انى دجته..

ثم أشاح بوجهه عنها ليحدث عاصم مستئذنا:- انا
هرجع لأوضتى اللى فى الجينة يا عاصم .. لحد ما
ارتب امورى و اروح ..

سأل عاصم :- مفيش صرفة تانية غير السفر ده ..؟!..
ما تخليك معانا يا زكريا .. ايه لزمته ..؟!..

أكد زكريا :- معلىش .. انا هرتاح كده يا واد عمى ..
ثم خرجت كسبانه ليذهب بها زكريا لداره لتصبح
ونيس أمه حتى يعود من رحلته .. التى لا يعرف من
أين يبدأها.. ومتى تكون نهايتها ..و متى يعود للنجع
من جديد...؟!..

نهض عاصم .. واستند على زهرة من جديد.. والتي لم
تتفوه بحرف واحد طوال الجلسة الماضية .. كانت
تنظر اليه وهو يدير الأمور بحنكة ومهارة .. تتطلع اليه
بعين جديدة .. عين عاشقة .. عين ترى فيه كل ما هو
رائع..

وتسأل نفسها .. كيف لم ترى فيه كل هذه الخصال من
قبل ..؟!..

وصلا لغرفتهما.. ففتحت الباب لتدخل ليتبعها هو
يخطو باتجاه الفراش ليجلس على أطرافه فى هدوء
حذر..

شعرت به .. فأقتربت تقول فى لهجة مرحة وهى تحرك
كفها على جانب وجهه الذى نبتت لحيته:- لازم تحلق
.. عشان مينفعش تقابل الناس كده ..

فجأة امسك بكفها التى كانت تمررها على خده بشدة
ألمتها .. نظرت له بتعجب فوجه نظراته اليها هامسا

بشكل خطر :

- بكفياكى يا بت الناس .. عملتى اللى عليكى وزيادة
كمان والمفروض كنت تسافرى مع ابوكى امبارح ..
الف شكر .. تجدرى تجهزى حاجتك وهوصلك لهنالك
معززة مكرمة ذى ما طلبتى ..

ترك كفها ونهض مبتعدا عنها يدير لها ظهره لا يريد ان
تتقابل نظراتهما حتى لا يضعف فيتمهلها كى لا ترحل
.. او تعلنها هى .. بانها بالفعل راغبة فى الرحيل فتقتل
أملا يراوده .. انها يمكن ان تبقى ..

هتفت هى بصوت مرح لا يعكس مطلقا حالة الحزن
التى من المفترض ان تعترىها بعد كلماته مما استرعى
انتباهه وتعجبه فى نفس ذات الوقت :

- بقى دى بزمك عمايل راجل صعيدى لِسَّه طالب أيد
واحدة من ابوها .. وهى حتى لِسَّه مدتلوش الرد ...!!...؟..

انتفض مواجهها لها وهو يقول فى ترقب :- يعنى ايه طالب يدها من ابوها ..؟! .. ورد ايه اللى بتجولى عليه ..؟! .. ما ردك وصلنى .. وانت جولتى انك عايزة تسافرى معاه ..

اقتربت منه فى حذر .. حتى وقفت مواجهة له ترفع رأسها تتطلع اليه فى عشق تحاول مداراته :- عاصم .. انا لما كلمتك .. مكنش لسه بابا قالى على اللى عملته .. مكنش لسه قالى .. ان فى واحد ممكن يروح يطلب ايد مراته من ابوها .. عشان يردلها كرامتها ويرضيها .. عشان يحسسها انها غالية .. وانها لما هتفضل معاه .. هاتفضل عشان هى عايزه تفضل معاه .. عشان هى عايزاه .. مش عشان هى مغصوبة ..

كان يقف كتمثال شمعى لا يصدق ما يسمع .. ينبض ذلك الوريد بجانب صدغه بتوتر ينبىء عن صراع داخلى رهيب تدور رحاه بداخله .. عيناه تجول بمحياها

يحاول ان يستشف الحقيقة فيما تقول .. يحاول ان
يثبر أغوار نفسها ..

واخيرا همس متسائلا :

- يعنى انتِ لما كلمتيني جبل الحادثة مكنش لِسَّه
الداكتور ناچى كلمك ...؟!..

حركت رأسها تجيبه بنعم .. وابتسامة رائعة ترسم على
شفتيها..

سأل بترقب و عيناه تضيق :

- طب وكان ايه ردّك .. لما الداكتور ناچى جالك ...?!..
قالت مشاكسة :

- قلت له .. انا هبلغك ردى بنفسى ..

قال متلهفا :

- اللى هو ...?!..

انفجرت ضاحكة وهى تشاكسه من جديد:

- اللى هاتسمعه بعد ما تحلق .. وتنزل للناس تضاييفها..
وتيجى..

هتف فى حلق :

- تولع الناس .. على الضيافة .. على الكل كليلة .. انا
عايز ردك دلوجت .. قالها هامسا وهو يجذبها اليه من
ذراعها لتصطدم ب صدره غير عابىء بجرحه الذى لم
يشعر بألمه الذى لا يوازي آلام روحه التى تترقب فى
جنون..

فهمست هى ونظراتها تتعلق بعينه بعشق:

- تفتكر يا عاصم ممكن يكون ايه ردى ...؟!.. وايه اللى
ممكن يخلينى أغير رأيي وأوافق ..؟!.. ايه يا عاصم
...؟!..

كانت تريد ان تدفعه دفعا ليعترف بحبها .. كانت
تريد ان تسمعها منه .. هى تعلم ان هو يريد ها .. يريد
بقاءها .. لكنها لم تسمع منه انه يريد ها لأنه يعشقها ..

يريد بقاءها لانه لا يقوى على بعادها.. وان لا قبل له
على فراقها..

انها تموت شوقا لها.. لتلك الكلمة من بين شفثيه ..
تريده لدرجة الجنون .. لكنها تريد ان تطرب لسماعها
لتتيقن انها امرأة حياته .. و انها حقا ملكت قلبه ..
هى تعلم علم اليقين .. انه ليس سهلا على رجل مثله
لم يكن يؤمن بالحب والعشق ان ينطق كلمات الهوى
على شفثيه.. وانها على يقين ايضا بانه يوم ان ينطقها
فهو بحق يعنيها .. وكل حرف فيها .. سيكون خارجا من
اعماق روحه ..

لما لا يقولها .. قلها أرجوك .. اهتف بها لأجلى .. حتى
اطمئن أننى بقلبك للأبد ...

دفع بذراعها التى كان لايزل ممسكا بها بعيدا عنه ..
وهو يظن انها تتلاعب به .. تدنيه ثم تشقيه... تمنيه
بالجنة حتى يكون على أعتابها .. فاذا بها جحيم

مستعر .. لن يكون لعبة بين يديها .. حتى ولو كانت
روحه معلقة بها ..

نظراته لها كانت قاتلة وهو يقول بنبرة جليدية :-
حضري حاجتك .. لحد ما ارجعلك من تحت ..
واندفع للحمام يحضر نفسه للإحتفال الذى يقام لأجله
بالأسفل .. وهو يشتعل غضبا وألما.. وحسرة .. وشوقا..

وقفت امام المرأة عيونها مغرورة بدموع تهدد
بالانهيار

تنظر الى ملابسها .. وشعرها .. وجسدها .. تشعر انها
تفتقد شئ ما .. شئ يجعلها فى نظر نفسها راضية قبل
ان تكون فى نظر الجميع ..

لقد أنقذها نبيل اليوم من مصيبة محققة لا تعلم ما
كان يمكن ان يحدث لولا وجوده بقربها .. فتحت

خزينة ملابسها تتطلع لكل تلك الملابس الرائعة غالية الثمن التى تقتنيها.. وفجأة وجدت نفسها تجذبها جميعا فى غضب لتلقى بها على ارض الغرفة وبدأت دموعها فى الانحدار..

واخيرا تشهق بألم ملقية بجسدها على فراشها وتذكرت كلمات سمعته من زهرة عندما كانت تحاول إقناعها بوجه نظرها فى ملابسها المتحررة .. "الحرية فى التخلّى لا فى التعرّى."

لم تفهم معناها لحظتها .. ولا أرادت ان تفهم.. لكنها الان فى تلك اللحظة وعت معناها تماما ... ووصل لروحها

حريتك فى ان تتخلّى عن كل ما يستعبدك وهى كانت تستعبدها الأزياء والملابس الراقية وأحدث خطوطها معتقدة ان الرقى فيما تفعل..

لا تعرف ما الذى جعل ذاك الخاطر يقفز فجأة
لخاطرها.!!؟

ربما نظرات هؤلاء الحمقى الذين لم يروا فيها الا جسداً
.. ام الادهى .. نظراته هو .. التى على قدر تشبعها
بالأحترام لعقلها .. على قدر انصرافها عنها لتحررها
بهذا الشكل.!!؟

انه دوما يؤكد على انها انسانية حرة فى اختياراتها ..
ولم تتغير وجهة نظره هذه بعد معرفته بقرباتها .. بل
حتى بعد ان حدث ما حدث اليوم .. لم يلق باللوم
عليها ولا على ملابسها فيما جرى .. بل انه لم ينطق
بكلمة جرحتها

لكنها صرخت هاتفة فى نفسها .. بل فعل .. الم يقول
ان رفقته لها عبء عليه .. لم يحدثها احد ابداً بمثل
هذه اللهجة التى جرحتها حقاً ..

على ايه حال .. هى لن تذهب الى اى مكان معه ..
وستعتكف فى المنزل بضعة أيام حتى الإنتهاء من
إصلاح السيارة .. فبضع أيام بالمنزل ربما تعيد لها
هدوء نفسها وصفاء بالها الذى غادرها .. على الاقل
ستكون بعيدة عنه وعن تأثيره فى قراراتها .. بتلك
النظرات الهادئة التى تقتلها اكثر من مئات الكلمات ..

للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

رسول جاد



عبر الكتب
للنشر والتوزيع

www.aberkotob.com

الفصل الواحد والعشرون

طرقت الحاجة فضيلة باب غرفة عاصم و دخلت فى سرعة تنادى زهرة التى استدارت لها فى تعجل مجيبة:
- نعم يا خالتى..

همت الحاجة فضيلة بطلب ما جاءت لأجله.. لكنها وقفت مشدوهة للحظات عندما سمعت كلمة خالتى من زهرة .. لحظات كانت فارقة مع تلك الشخصية الفولاذية التى لا تهتز الا اذا مُسَّت روحها بعمق .. وهذا ما حدث بالفعل .. ثوان مرت وهى تتطلع لزهرة فى وله واخيرا طفقت الدموع من عيونها انهاراً .. دموع حبيسة لأكثر من ثلاثين عاماً لوعة وألما لفقدائها اختها الحبيبة .. فتحت ذراعيها بشوق لتندفع اليها زهرة فى محبة تتمتع بدفء ذاك الحضن الحانى الذى

افتقدته دوماً. أطبقت الحاجة فضيلة ذراعيها حول
زهرة فى شوق وهى تشهق بلوعة هامسة :

- واه يا فاطنة .. وَيَا روايح الغالية اللى هلت على
جلبى وردت لى روحى..

بكت زهرة فى أحضانها تأثرا لكم المشاعر الحانية التى
كانت ومازالت تكنها تلك السيدة الرائعة لأختها الغالية
والغائبة الحاضرة بذاك الشبه بها فى ملامحها و
روحها..

جلست الحاجة فضيلة وهى تجفف دمعها و تجذبها
لتجلس بقربها وهى تسألها :

- ابوكى اللى جالك ...؟!!..

هزت زهرة رأسها نفيا .. فعقدت الحاجة فضيلة
حاجبيها لتسأل :

- أومال مين ...؟!!..

صمتت زهرة لحظات ثم بدأت تسرد كل ما حدث مع
سمية وما أخبرتها به بالحرف الواحد .. واخيرا تنهدت
الحاجة فضيلة لتقول فى نبرة قاسية :- طول عمرها هى
وامها عينهم

من عاصم .. وهتموت وتتجوزه وتبجى ست السرايا
دى تحكم وتتحكم فيها وف خلع الله .. معلوم مش
هاتبجى مرت عاصم الهوارى .. لكن لا انى ولا عاصم
نولناها مرادها .. بس يا ترى انتى يا بت اختى الغالية
.. اللى حاربت الدنيا عشان حبها .. هتسيبى سمية
تنتصر عليكى وتبعدك عن چوزك ...؟!.. صمتت
الحاجة فضيلة لحظات لتترك اثر كلماتها يتوغل فى
نفس زهرة واستطردت هاتفة وهى تنهض مغادرة
الغرفة :

- ورينى اذا كنتى بت امك صوح .. ولا لاه ...؟!..
تذكرت زهرة انها سمعت نفس الكلمة من

الحاج مهران .. فأبتسمت فى سعادة لكن الحاجة فضيلة قاطعت ابتسامتها وهى تستدير لها فجأة قبل ان تصل للباب بخطوات وهى تقول بلهجة حانية :- زهرة يا بتى .. اجولك على سر محدش يعرفه .. ولا حتى ولادى .. تنبهت زهرة تستمع فى شغف ..لتستطرد الحاجة فضيلة بإبتسامة حالمة وهى تسترجع الماضى البعيد :

- انا وعمك الحاج مهران .. اتچوزنا غصب.. فغرت زهرة فاها مدهوشة لا تستطيع التعقيب بكلمة لتبتسم الحاجة فضيلة ابتسامة واسعة قائلة :
- هو مش غصب .. غصب يعنى .. بس هو كان واد عمى وانا بعد هرب فاطنة امك مع ابوكى كان مين اللى ممكن يفكر يتچوزنى ولا حتى يجرب من دارنا بعد الفضيحة دى .. وانى طول عمرى جوية ومبيهمنيش..
بس عمك مهران لجيته اتجدم وجال بت عمى وانى

اولى بيها .. واتجوزته وكنت كيف الفرسة الچامحة ..
لكن هو .. وصمتت قليلا لتقهقه على غير عاداتها
وتقطع حديثها وعيونها تلمع ببريق حالم :
- جُصره يا بتى .. اها بجالنا كد ايه مع بعض ...عمر
بحاله .. مجدرش على زعله .. وهو بيّفهمنى من جبل
ما انطج .. يا الاله لحسن اتأخرت على الناس اللى
تحت .. يجولوا ايه .. دعيناهم ونسيناهم .. وانتى لو
مجدراش تنزلى خليكى استريحى ..
وفتحت الحاجة فضيلة باب الغرفة وقبل ان تهم
بالذهاب .. استدارت لتأخذ زهرة فى أحضانها من
جديد وتهديتها قبلات دافئة على وجنتيها.

دق جرس الباب عدة مرات .. وما من احد يتطوع
لفتحه لتنهض ندى فى ثاقل وتفتحه لتفاجئ به يقف
على أعتابه وبدون اى مقدمات .. وحتى دون ان يلقى
السلام هتف فى

حق:- مبتجيش الجامعة ليه بقالك كام يوم ...؟!..
وباجى استناكى بالعربية تحت عشان تيجى معايا ..
عمى يقولى تعبانة ..بس اللى انا شيفه .. انك مش
تعبانة ولا حاجة أهو...

ردت ببرود :- مليش مزاج ارواح الجامعة .. ومبحبش
ابقى ثقيلة على حد ..

عدل من وضع نظارته الطبية و عقد ذراعيه امام
صدره و هو يتحداها قائلا بهدوء :- هتروحي غصب
عنك ولو حكمت هاجى اخذك من ايدك وأوديكى لحد
المدرج بنفسى ..

اشتعلت غضبا حتى انها نسيت انهما لازالا على
اعتاب الباب ولم تأذن له بالدخول حتى لتهتف فى
حنق :

- مش هروح .. ولو رحت مش هحضر ولا محاضرة من
محاضراتك السخيفة ..

انفجر ضاحكاً على عكس توقعها ليقول مثيراً غيظها
اكثر :- هتواضع واتكرم واتعطف و أجى بنفسى اديكى
المحاضرات هنا فى البيت ..

حاولت اصطناع البرود على قدر استطاعتها وهى
تهتف :- هدخل اوضتى ساعتها وابقى ادى المحاضرة
العصماء بتاعتك لكراسى الصالون وبجد هقول لبابا على
الى بيحصل منك ده وشوف ساعتها هيعمل ايه !؟

وكادت ان تخرج له لسانها كالأطفال الصغار .. لكنه
فك عقدة ذراعيه ليضع كفيه فى جيبى بنطاله وهو
يقف فى لامبالاة قائلاً :

- طب ما انا كمان هقول لعمى ..
هتفت بحق :- هتقوله ايه ..!!؟.. انا معملتش حاجة
وكنت مهذبة معاك لآخر لحظة لكن ..
قطع كلامها بوضع إصبع سبابته على شفتيها مما جعلها
تقف مشدوهة لفعلته.. تحمق لموضع إصبعه حتى
كاد يصيبها الحول .. وخاصة حينما همس وهو يقترب
منها خطوة :- هقوله يا عمى .. انا بحب بنتك الشعنونة
دى .. اللى كنت فاكرها عاقلة .. وعاز اتجوزها ..
ردت ببلاهة وهو يرفع إصبعه عن شفتيها :- هااا...
ليومئ برأسه مؤكداً وهو يكاد ينفجر ضاحكا من رد
فعلها ليستطرد:- وانا عايزها تنجح بتقدير عشان تقدر
تسافر معايا للبعثة بس واضح انى كنت غلطان .. قال
كلماته الاخيرة متصنعا الحسرة وهو يستدير راحلا
لتستفيق هى من صدمتها وهى تهتف :
- نبيل .

ليعود ليستدير ناظرا اليها وهو يحاول كتم ضحكاته
لتستطرد هي في خجل :- بابا جوه على فكرة ..
قال يشاكسها :- طيب سلميلي عليه ..
هتفت في حنق مصطنع :
- مش هتخش تقابله ...؟!..
ليزيد من مشاكستها ونظراته المرححة تفضحه :-..أقابله
ليه..!؟

لتهمس هي في خجل :
- عشان تحددوا مع بعض ميعاد المحاضرات ..
لينفجر هو ضاحكا اخيرا و هي تفسح له الطريق ليدلف
الى الداخل وقلبها يقفز فرحاً..

كان يجلس بين الناس جسدا بلا روح حتى ان الجميع
لاحظ شروده .. واعتقدوا ان ذلك من جراء جرحه الذي

لم يندمل بعد بشكل كاف فبدأ البعض فى التهانى والمغادرة .. حتى يتسنى له تلك الراحة التى يحتاجها..
لا يعلم احدهم ان راحته راحلة الى غير رجعة .. راحلة معها ولن تعود .. وكيف تكون الراحة عنوان لمن فقد روحه بغيابها .. انه يعشقها .. هو يعلم ذلك .. بل هو على يقين من عشقه لها الذى يزلزل أركان روحه ..
يا الله .. انه يدفع ثمن كل ما جناه بحقها .. لقد اختطفها لينتقم..

فاذا به يدفع هو .. ثمن ذلك الانتقام .. من قلبه وروحه.. يدفعه من راحة باله التى ولت بغير رجعه منذ وطأت قدماها تلك السرائى ..

انه يدفع الثمن الان.. وسيظل .. فحبها ذاك الذنب الذى لا يغتفر.. احد الخطايا التى ما كان له ان يقربها.. لكنه ..

أحبها وانتهى الامر .. تورط فيها حد الجنون وليس من العقل ان تخبر المجنون ان يتعقل ..

نهض بثاقل .. يحاول ان يؤجل لحظة الرحيل .. صعد بلا رغبة .. يشعر بروحه منهكة وعلى الرغم من ان هناك العديد من رجال و نساء الهوارية لازالوا بالخارج .. والاحتفالات والموسيقى على أشدها .. لكنه لم يعد يشعر بكل ذلك .. هو يريد العودة لحجرته ليلقى بجسده المتعب على الفراش ربما يذهب فى نوم عميق يأخذه بعيدا عنها وعن التفكير فيها ..

فتح باب حجرته فى هدوء دخل واغلق الباب وهو يلتفت

ليفتح نور الغرفة التى يكسوها الظلام توقفت يده كالمصعوق وهو يرى من خلال انوار الحفل الساطعة بالأسفل ظلا فضيا يتألق بجوار النافذة .. وتذكر ليلة

زفافهما .. كانت تقف بنفس الهيئة .. وبفستان
زفافهما الذى اختاره خصيصة لأجلها .. كانت تقف الان
فى ترقب تنتظر منه ان يتحرك صوبها ..مد كفه
المرتعش لمفتاح الضوء يشعله .. ليتأكد انه لا يهزى ..
وانها بالفعل هاهنا... تحرك بإتجاهها فى هواده مما
جعل قلبها يقفز بين اضلعها ..وصل عندها أخيراً..
وأدراها فى بطء لتواجهه وعيونه تحمل نظرات غير
مصدقة ومتسائلة فهمست بحروف مرتجفة وهى
تطأطئ رأسها خجلاً :- هو ده ردى على بابا ..يا عاصم
..

مد كفه يرفع رأسها ليقابل عينيها.. متسائلاً بنبرة
تحمل مجامع الشوق :
- بتجولى ايه ...؟!..

همست مكررة وعيونها تتعلق بعينه العاشقة :- ده
ردى يا عاصم ..ردى على طلبك من بابا ..

اقترب منها اكثر لتهمس بشوق مرتجفة :- أنا موافقة يا
عاصم .. و راضية افضل جنبك .. ولو خيروني بينك
وبين الدنيا دى كلها .. هختارك انت ..

جف ريقها الان .. وهى تراه يتطلع اليها بنظرات شوق
تجول بملامح وجهها فى اضطراب وذهول .. واخيرا
يبتعد لحظة يلقي الحامل الذى كان يضم ذراعه لعنقه
بعيدا ليعود بلهفة ليدنيها اكثر لقلبه وهو يحتضن
خصرها بذراعيه ويهمس من أعماقه :- واه يا زهرة ..
كن اتردت ليا روحى

رفعت رأسها مشدوهة لكلماته وقد لمعت بعينيها
الدموع هامسة باسمه :- عاصم ..

شدد من احتضانه لها وكأنه مازال غير مصدق لقربها
هامسا:

- نعم .. يا زهرة ..
همست فى خجل وشوق :- بحبك ..

وكانت تلك الكلمة هي الباب الذي عبرت منه
السعادة لحجرتهما وعلى الرغم من انه لم يرد بأى كلمة
لكن رده كان ابلغ من آلاف الكلمات..
بين ذراعيه ايقنت هي انه يعشقها حد اللامعقول..
وان كلمة احبك... لن ينطقها ولكن سيغزلها دوماً
لأجلها دفء .. وشوقا .. وحنانا .. وعشقا ... بين
احضانه..

هتف الدكتور ناجى محاولا إقناع زوجته:- نبيل شاب ممتاز ..ومستقبله ها ايل .. ووجد بيحب ندى .. وهي حافظ عليهاعايزة ايه اكر من كده !!؟.. هتفت فى حنق وبعناد واضح :

- كفاية انه بن اخوك عشان ارفض .. انا بنتی مش
هایبقی لها صلة بالبلد دی ولا بناسها..

هتف ناجى من جديد :

- ليه ..؟!.. ما انا من الناس دى ووافقتى على جوازنا ..
ايه اللى اتغير ..؟!..

هتفت فى حزن :

- . انا ايه اللى يضمن لى ان نبيل ده .. محبش غير
ندى .. ومش عايزها لمجرد انها بنت عمه .. وانها
زوجة مناسبة وخلاص ... مش عايزة بنتى تفضل
عايشة مع واحد شايف مراته القديمة وحب عمره
طول الوقت ... ومش شايف انه بقى ليه زوجة وبنت
تانية...

نظر اليها الدكتور ناجى فى هلع :

- انتِ بتقولى ايه يا منيرة ..؟!..

هتفت فى ألم عمره سنوات طويلة :

- بقول الحقيقة يا ناجى .. بقول اللى عيشته طول
عمرى معاك .. حب فاطمة عمره ما خرج من قلبك ..

الى انا كنت مجرد ضيفة فيه.. بدل ما انا الى ابقى
فى قلبك بعدها... اتاريها مسبتش مكان لحد لا قبلها
ولا بعدها.. عارف كنت بعامل زهرة وحش ليه ...؟؟!!..
وبدأت فى البكاء بشكل هستيرى .. عشان كانت
بتفكرنى بيها .. انا شفتها فى الصور القديمة الى انت
لِسَّه محتفظ بيها ..عرفت ان هى وزهرة .. نسخة
واحدة .. كنت بحس فى وجود زهرة ان امها لِسَّه
معانا .. وانى عمرى ما هقدر أفوز بقلبك طول ما هى
موجودة .. انا تعبت يا ناجى

ومش عايزة بنتى تتعب كده .. عايزة حد يحبها هى ..
وتكون الاولى والاخيرة بقلبه ..

كان ناجى يقف مشدوها امام ذاك السيل من
الاعترافات.. لا يصدق انه السبب فى كل ما آل اليه
حال تلك السيدة التى لم تكن تتوق الا للحب الذى لم
يكن بمقدوره منحه.. لكن على الاقل .. كان بإستطاعته

إشعارها بأن لها قدرها ومكانتها فى قلبه .. ذاك القلب
الذى حلمت بامتلاكه .. ولم تستطع .. مما دفعها
لإحباطات متكررة كونت منها تلك الشخصية الباردة
التي أصبحت ..

وللمرة الاولى .. يشعر برغبة حقيقة تدفعه ليعوض
منيرة عن ما عانتها جراء عدم ادراكه لمشاعرها ..
احتضنها برفق .. لتجهش بالبكاء من جديد .. تفرغ
على صدره أوجاع سنين خلت .. كانت تتمنى فيها ولو
قدر بسيط من محبته .. و مكان ولو منزوٍ بقلبه ..
همس بالقرب من مسامعها :- انا اسف يا منيرة ..
لم تتفوه بحرف واحد رداً على أسفه لكنها رفعت
رأسها تجفف دموع عينيها هامسة :- انا عارفة ان ندى
موافقة على نبيل .. بس انا المهم عندي .. انه يكون
الشخص المناسب

وانه ميكسرش قلبها مهما حصل .. انا موافقة على
جوازهم..

عاد يحتضنها من جديد.. لتستكين هي بين ذراعيه
لأول مرة وهي تشعر بأمان عجيب يغمرها .. وكأنها
تحررت من قيود كانت تقتل روحها ببطء..

رفرفت اهدابه في ثققل واستدار قليلا ليكمل نومه
لكنه وجدها قابضة في احضانه تطلع اليها في عشق لا
يصدق انها اخيرا بين ذراعيه راضية ..وانها حقا تحبه
..مد كفه يزيح بعض الخصلات عن صفحة وجهها
الناعس وينحنى بهدوء مقبلاً وجنتها و هامسا باسمها
في شوق :- زهرة ..

لتجيب هي من بين همهماتهما :- نعم ..
ليهمس من جديد :
- أنا ..

لتقاطعه هى ضاحكة و مستكملة
جملته :-جعان .

لينفجر ضاحكاً معتدلاً فى جلسته وهو يسألها :-
عرفتى كيف انى هجولك كده؟!...؟

لتقفز فى حجره على قدميه المتشابكتين متعلقة
برقبته وهى تقول متصنعة الجدية :- انت متعرفش انى
فهماك اكر من روحك ..

لف ذراعاها حول خصرها وهتف مازحاً :- حبيجة ..
ليستكمل هاتفاً فى محبة خالصة وبنبرة تحمل عشق
الكون:- بدليل انك عذبتينى عشان تعرفى انك بجد
اجرب ليا من روحى

ازداد تعلقها برقبته واخفت جبينها بكتفه وهى تنكمش
اكثر فى احضانه .. ليهمس لها من جديد :- زهرة ..
لتهمس متصنعة الغضب :- خلاص يا عاصم عرفت انك
جعان..

ليقمهقه مغتبطاً وهو يشدد من احتضانها وهو يعاود
الهمس اليها من جديد :

- ايوه چعان .. چعان لحبك..
لترفع رأسها متطلعة اليه فى شوق لانهائى.

-بكفاياكى يا سهام .. كل دى مانجا كلتيها ..؟!!..
هتف حسام صارخا فيها وهو ينظر الى كومة عالية من
قشر المانجو التى تستقر بجوارها على ارض غرفة
نومهما

لتهتف هى ساخطة :
- ايه .. مستخسرها فيا ..؟؟!!..
ليهتف ضاحكاً :

- لاه .. هنا وشفا عليكى .. بس مش لدرجة انك تجومى
فى نص الليل تجمعيهم من تحت السجر وتكليهم
دلوجت يا بت الناس ..

هتفت فى حنق من جديد :

- اعمل ايه طيب .. وانا نايمة بصيت عليك چارى
شفتك كنك مانچاية كبيرة .. أكلك .. ولا انزل اجمع
المانچا ف نص الليل ...!!؟..

هتف حسام شاهقا :- سلام قول من رب رحيم .. لاه
انزلى چيبى المانچا اللى انتى عاوزاها.. واجولك ..
هچيب لك المانچا اللى فى چنينتكم كمان ..وكتم
ضحكاته وهو يستكمل

بس ركزى وانت نايمة الله يسترک ..

هتفت فى غيظ :- بتتريج علي .. ماشى يا حسام
..خلى ولدك يطلع له مانچاية فى جفاه ..

صمت فى صدمة يتطلع اليها فلانت ملامحها وبدأت
فى الضحك وهى تراه على هذه الحالة..

لتهتف مشاكسة إياه :- هتسميه ايه؟! لتنفجر ضاحكة
.. نسميه مانچاوى..

ليستفيق هو من صدمته اخيرا وهو يأخذها بين
ذراعيه معتصرا إياها لأحضانه غير عابئ بكفيها ووجهها
الذي تغطيه اثار المانجو لتهمس في احضانه متسائلة:

- فرحان يا حسام!؟

ليجيب في سعادة :

- فرحان بس ..!!؟.. ده الدنيا مش سايعانى من
الفرحة..

لتهمس من جديد تكتم ضحكاتهما :

- طب انا نفسى فى ..

ليقاطعها فى ترقب وهو يبتعد عنها ليغير ملابسه
ليندفع لإحضار ما تشتهييه مهما كان :

- ايه .. نفسك فى ايه .. جولى ..!!؟..

لتنفجر ضاحكة وهى تفتح له ذراعيها :

- نفسى فى .. ولا حاجة .. كنت بضحك معاك ..
ليبادلها ضحكاتهما وهو يأخذها لأحضانه ...

سألت ام سعيد الحاجة فضيلة:-احضر الفطار يا حاجة!؟

أومأت الحاجة برأسها ايجابا لكنها استوقفتها قائلة :
- حضريه ليا ع السفارة لوحدي .. وطلعي صينية كبيرة عليها خيرات ربنا لأوضة عاصم ..
-حاضر .. هتفت ام سعيد وهى تهتم بالذهاب لتنفيذ الأمر.. لكن الحاجة فضيلة استوقفتها من جديد قائلة:
- و بجولك ايه..؟!.. تحطى الصينية جدام الباب وتخبطى مرة وتروحي .. سمعانى ..؟!..
أومأت المرأة من جديد هاتفة :
-حاضر يا حاجة ..

وتندفع لتلبى الأوامر وتصعد بصينية الطعام وتطرق الباب مرة واحدة وترحل ..
فتح عاصم الباب ليجد صينية الطعام فيهتف فى سعادة وهو يحملها للداخل متلهفا :

- اه ..الحاجة كلها خير والله حاسة بإبنها ..
لتبتسم زهرة وهى تنهض تجلس قبالة تناول لقيمة
لتضعها فى فمه يتناولها فى جوع حقيقى ويعقبها
بأخرى لتهتف هى ضاحكة :
- بالهنا والشفاء يا عصومى ..
ليهتف حانقا :
- ايه عصومى ده ..؟!.. احنا مبنجلعوش رچالتنا..
لتصمت هى دون ان تعقب .. ليسألها حتى يخرجها
من نوبة صمتها راغبا فى إرضائها :
- انت جولتى ايه ..؟!.. عصومى .. ماشى ..
لتبتسم هى فى سعادة ليكمل مؤكدا:
- بس بجولك ايه ..?!.. ده بناتنا وبس .. مش جدام
الناس .. تمام ..?!..
لتهتف فى فرحة :- تمام .. وتضع لقيمة جديدة بفمه
يتقبلها فى سعادة ..

انتهيا من افطارهما وهبطا معا لملاقة الحاجة فضيلة
التي استقبلتهما بالترحاب
لتسأل عاصم بنبرة مؤنبة :

- هو انت لازماً تخرج النهاردة؟! اجعد استريح
ليهتف عاصم :- حاجات كتير اتعطلت فى رجلي يا
حاجة .. كفايانا بجى نشوفوا مصالحنا ..

وهم بالرحيل لولا تذكره انه نسي حافظته ..لتنظر
الحاجة فضيلة لزهرة نظرة ذات مغزى لتندفع زهرة
منفذة وهى تهتف صاعدة الدرج :- انا هجيب لك
المحفظة يا عصوم..

وتقطع كلمتها الاخيرة المقصودة متصنعة الفرع وهى
تضع كفها على فمها تنظر لعاصم الذى كان يضغط على
اسنانه غيظا لتندفع صاعدة الدرج متصنعة الخوف
ليتوجه بكليته للحاجة فضيلة والتي كانت تتابع
التمثيلية المقدمة من ابنة اختها فى استمتاع قائلا فى

توتر يحاول مداراته :

- طب .. انا هطلع أجيبيها يا حاجة .. انا عارف .. اصلها مش هاتعرف .. وبدأ فى صعود الدرج فى تؤدة .. لتشير اليه بالصعود متفهمة وما ان اختفى عن مجال رؤيتها حتى انفجرت ضاحكة وقفز هو الدرج عدة درجات فى كل مرة حتى وصل اخيرا لباب حجرتهما فطرق فى غيظ هاتفاً :- افتحى يا زهرة ..

لتجيب وظهرها مستندا على الباب وهى غارقة فى ضحكاتها :- لا ..

ليهتف من جديد فى نبرة مازحة :- افتحى يا زهرة بجلك ..

لتطلب فى مرح :- قول كلمة السر الاول .. ليتلفت حوله يمينا ويسارا قبل ان يهمس لها قرب الباب :

- عصومى ..

لتنفجر ضاحكة وهى تفتح الباب ليدخل مسرعا
ويتلقفها بين ذراعيه..

تيقنت الحاجة فضيلة بالأسفل ان التمثيلية التى قامت
بإخراجها .. قد نجحت نجاحاً منقطع النظير عندما
مرت عدة ساعات ولم يظهر عاصم فى الأسفل من
جديد.. فأنفجرت ضاحكة فى حبور ..

للنشر والتوزيع

www.abEEKotob.com

رضوى جاد ویش

الخاتمة

-والله .. اجول بوووه ويجولوا الحاجة فضيلة
اتچننت...؟!.. صرخت الحاجة فضيلة فى أحفادها وهم
يتقافزون حولها فى مرح وشقاوة .. صرخاتها استدعت
ضحكات سهام وزهرة الجالستان أمامها غير قدرات
على التدخل لإنقاذها من عبث أطفالهما ..
لتعاود الصراخ من جديد ولكن فى سهام وزهرة هذه
المرة ...:

- كل واحدة تحوش عيالها .. انا مش جادرة عليهم ..
ولا كل واحدة فيكم فالحة تخلف بس.. ايه داخلين
مسابجة!!؟..

انفجرت كل من زهرة وسهام ضاحكتين.. وبطن كل
منهما المنتفخة فى شهورها الاخيرة تهتز بشدة ..

واعادت الحاجة فضيلة هتافها فى الاطفال :
- هات يا واد السبحة .. ابعدى يا بت عن المصلاية..
ثم توجهت بحديثها لزهرة وسهام فى نفاذ صبر :
- بالكم ...؟!.. انا سيبهالكم انتوا وعيالكم الجرود دوول
وجايمة.. اما أروح اجعد مع الحاج مهران شوية .. بدل
جعدتكم اللى تتعب دى ..

وحملت مسبحتها ومصحفها وتحركت فى ثقاقل بحكم
سنها وتوجهت للدرج تعتليه.. ونظرات سهام وزهرة
تتبعها.. حتى ما ان ابتعدت سألت سهام فى حزن :
- هى لساتها يا زهرة .. بتجعد فى أوضة ابويا الله يرحمه
.. وتكلمه كنه عايش!!؟..

هزت زهرة رأسها ايجابا وهى تقول :
- أه يا سهام .. احنا على طول مش حابين تفضل
لوحدها.. وبنحاول انا وعاصم نقعد معاها .. بس
اديكى شوفتى .. بتتحجج بشقاوة العيال عشان تقعد

لوحدها فى أوضة عمى الله یرحمه.... برغم ان روحها
فيهم.. بس ... هنعمل ايه ...؟!.. سبع سنين من يوم
ما عمى أتوفى .. وهى مش مصدقة انه غاب عنها.. ده
انا بسمعها بتحكيه كل حاجة بتحصل فى السرايا كأنه
سامعها ويبرد عليها .. ومرة دخلت عليها وهى على
حالتها دى .. زعقت فىا .. وقالت لى .. محدش يخش
عليها هى والحج الا لما يستأذن..

دمعت عينا سهام وهى تهمس :
- يا حبيبتي ياما..

طال الصمت حزنا على حال الحاجة فضيلة الا ان
هتفت زهرة محاولة اخراج سهام من حالة حزنها على
امها فهمست بصوت يغلفه المرح :

- شوفيلك حل فى باسل ابنك ده؟!.. شايفة بيعمل ايه
...؟!..

انتبهت سهام عند ذكر اسم باسل ولدها لتنفجر
ضاحكة على افعال ابنها ذو الأعوام التسع.. وهو يهتف
فى ابنة خاله سندس صارخا :- تعالى هنا يا بت يا اللى
اسمك اوله ذى آخره انت...

تحركت سندس والتى كانت تشبه زهرة لحد كبير
ناحية باسل الذى يكبرها بحوالى عامين لتقول فى براءة
وهى تخرج لسانها فى حرف السين .. فيبدو كشاء :
- نعم يا باثل..

هتف باسل مغتاظا :

- انتِ هاتعرفى امتى تنطجى اسمى صوح!؟..
لتأخذ سندس جانباً وتبكى وحيدة .. وهنا يتدخل
مهران الصغير دفاعا عن توأمة سندس. :

- انت بتكلمها كده ليه!؟..عارف يا باسل لو ضايجتها
تانى .. هزعلك...!؟..

لينفجر باسل ضاحكا وهو يقول

ساخرا :- طب ابجى ورينى .. هتزعلى كيف ..؟!..
كانت كل من زهرة وسهام تشهد هذا الحوار .. تداريان
ضحكاتهما .. لتهمس سهام :- ولدى باسل طالع لخاله
.. هوارى أصيل .. ولا حاجة بتهمة ..

لتنفجر زهرة ضاحكة :

- انت هتقوليلى..كلهم هوارية حتى مهران سبحان
الله كأنى شايقة فيه عمى .. عقل وقوة مع بعض ..

هتف مهران مقتربا من امه متسائلا فى حلق:

- هى بنتك الهبلة دى بتسمع كلام باسل ليه ومش
بتعارضه..؟!.. طلعة لمين دى!!؟..
www.abeeerkotob.com

لتهتف زهرة ضاحكة :

- طالعة لأمها يا حبيبى ..

لتقهقه سهام فى المقابل التى بادرها مهران متسائلا:

- هى فىن تسنيم يا عمتى .. مش بتاجى معاكى
ليه..؟!..
www.abeeerkotob.com



لتجيب سهام متحذثة عن طفلتها التي تصغر مهران
بحوالى عامين وهى تنظر لزهرة :

- تسنيم روحها فى چدها جدرى .. مش بتفارجة لا فى
صحيان ولا فى نوم .. وهو روحه فيها .. تجعد تحت
رچله تنفذ له طلباته وهو يحفظها قرآن .. سبحان الله
.. مش عارفة جايلة التجوى دى منين !!؟ ..

لتنفجر زهرة ضاحكة بدورها .. لتسألها سهام :

- مفيش اى اخبار .. عن ندى ونيل ..؟!؟ .. انا بطلت
اسأل حسام من زمن ..

لتؤمى زهرة برأسها نفياً :- للأسف يا سهام مفيش .. اهو
شوفى بقالهم أكثر من خمس سنين متجوزين .. وربنا
مأردش بأولاد .. ندى قالت لى فى اخر مكالمة بنّا ..
انها رايحة لدكتور جديد .. وَيَا رب يكون فى ايده
الشفّا .. دعواتك ..

لتهتف سهام فى صدق :- يااارب

لستطرد سهام متسائلة :

- طب و زكريا ...!!؟.. برضك لِسَّه معرفنش فين أراضيه
..ولا بعت لعاصم ..دى أمه الحاجة بخيطة هتموت
عليه .

هزت زهرة رأسها نفيأ وهى تعقب قائلة :

- كسبانة بتقول انه بيكلم أمه على فترات بعيدة ..
وفى كل مرة يغير النمرة ومبيعرفوش يوصلوله وأهى
البت كسبانة طلعت جدعة

وبتراعيها و قاعدة مبسوبة معاها هى وولدها ..

وفجأة ينتبه الجميع وقطعوا استرسال حديثهم ..
وخاصة زهرة التى ارتسم على وجهها الوجوم .. عندما
دخلت سمية باكية كعادتها يتبعها طفلاها صارخة :-
وينه واد عمى!!؟؟ يشوفلى صرفة مع عدلى واد
محروس..

هتفت سهام فى نبرة من اعتاد على هذا المشهد :

- خير يا سمية .. ايه حُصل تانى ..؟!..
صرخت سمية :

- خلاص مجدراش استحملة.. لا هو ولا أمه..الله
يرحمك ياما جالتلى بلاش.. وانا اللى ركبت راسى
واتچوزته بن أمه ده.

دخل عاصم فى تلك اللحظة هاتفاً فى سمية :

- كيف تجولى على چوزك كده .. ؟!!.. چوزك سيد
الرجالة ..

انتفضت فى صدمة لظهور عاصم المفاجئ لكنها
استطردت باكية:- ماهو يا واد عمى .. أصله عمره ما
عمل لى خاطر .. وعلى طول جال من جيمتى ..
رق عاصم لبكاءها فهتف :

- خلاص .. هكلمه يا سمية .. بس انتِ برضك راعى انه
چوزك وأبو عيالك ..

هنا هتفت زهرة :

- أه .. عاصم .. ألحقنى ..

اندفع عاصم باتجاهها هاتفاً :

- ايه خير .. نطلع على المستشفى ..

استندت عليه ناهضة :

- لا .. عايزة استريح فوق شوية ..

مصمست سمية شفتها وجذبت اطفالها خارجا وهى
تلقى التحية بحقد بينما انفجرت سهام ضاحكة وهى
تلقى التحية هى الاخرى وهى ترى زهرة تتكئ على
عاصم فى دلال صاعدة الدرج وفى اعلى الدرج عندما
تأكد عاصم من رحيل اخته وابنة عمه حملها بين
ذراعيه فى سعادة على الرغم من علمه ان زهرة بصحة
جيدة ولا تعاني أیه ألأم سار متخطياً تلك الردهة وهو
ينظر اليها مشاكساً وما ان وصل بها امام غرفتهما حتى
همس بإذنها :



-انت مش هتبطلی عمايلک دی کل اما تشوفی
سمية..!؟

هتفت كطفلة مشاغبة :

- لا .. مش هبطل

انفجر ضاحكا أمرا :

- طب .. افتحی الباب..

لتهلل هی كطفلة صغيرة :

- لا .. خلینی كده شوية..

فتعالی قهقهاته وهو يقول :

- وماله .. خلیکی ..

لتهمس وهی تتعلق برقبتة وتشبك كفیها خلف عنقه

متصنة العتاب بدلال :

- ایه خلاص .. تقلت علیک انا واللی فی بطنی...!؟..

همس بشوق علی مسامعها :

- ولو مية سنة یا زهرة ..

مدت كفها لتدير مقبض الباب .. ونظراتها متعلقة به
وهى تهمس بشوق :

- واه .. بحبك يا واد خالتى

لينفجر ضاحكا وهو يدفع الباب بقدمه ليدلفا للغرفة
فتمد كفها تغلق الباب .

باب الحقد والانتقام والكراهية وتفتح نوافذ الامل
وشرفات الحب.. فقد أنهت على يديها ميراث الدمع
ليبدأ عصرا جديدا .. من ميراث العشق...

للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com

انتظرونا مع الجزء الثاني

رسوى جواهر



عبير الكتب
للنشر والتوزيع

www.abeerkotob.com